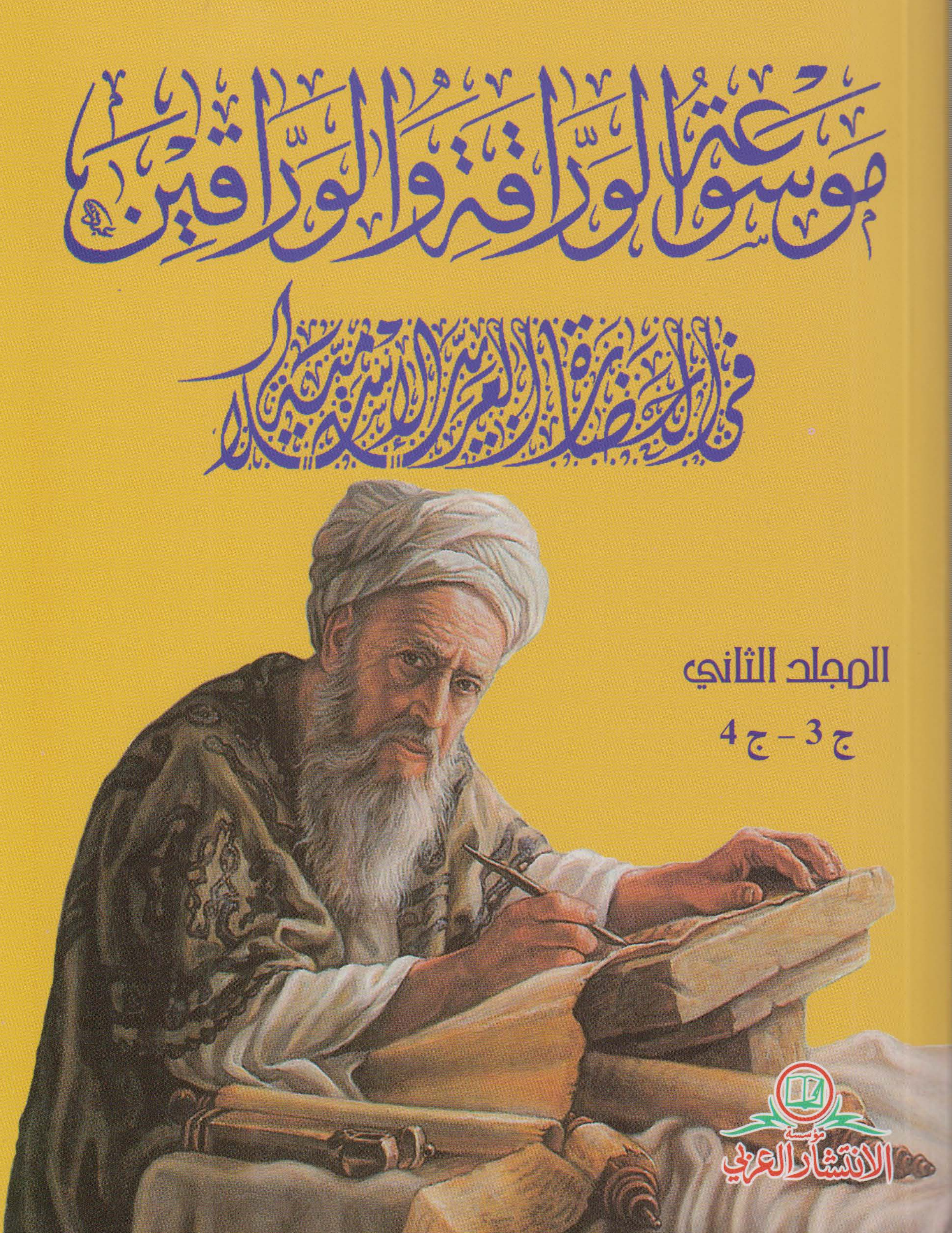
د. خيرالله سعيد

# موسوعة الوراقة والوراقين

## في الحضارة العربية الإسلامية



المجلد الثاني

ج 3 – ج 4

مؤسسة الانتشار العربي



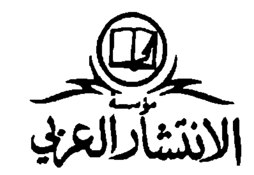
تم تعضيد هذا الكتاب من قبل الصندوق العربي للثقافة والفنون

## د. خيرالله سعيد




### المجلد الثاني

ج 3 - ج 4




Arab Diffusion Company

## د. خيرالله سعيد




### المجلد الثاني

ج 3 - ج 4




ص.ب: 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت - لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-201-4

الطبعة الأولى 2011

# فهرست الموضوعات
## الجزء الثالث

# الجزء الرابع

# الباب الأول

## صناعة الورق[1]

### الفصل الأول

## تمهيد تاريخي

لعبت الحضارة في أفقها الإنساني دوراً فاعلاً، في تحفيز الذات، فراحت الأمم، من مختلف الأجناس، تكمل نتائج بعضها بعضاً، كتواصل تاريخي للبشرية، أملتهُ ظروف الحياة، وقد كانت هناك صناعات تشكّل طفرة، في هذا المجتمع أو ذاك، فاتحة الباب على مصراعيه ليدخل من يدخل إليه من تلك الشعوب الطامحة إلى بناء ذاتها وشخصيتها، ومن تلك الصناعات الجليلة كانت صناعة الورق، هذه الصناعة التي لعبت دوراً مهمّاً في ايقاظ البشرية لتدوين علومها وآدابها وفنونها، وقد ساهمت أغلب شعوب الأرض في تطوير هذه الصناعة، كل حسب زمانه ومكانه إلى هذا اليوم. وقد أشارت المصادر القديمة إلى أن الطيّن كان أول مادة استخدمت للكتابة، فقد ذكر ابن النديم[2] أن أوّل من كتب على الطين كان آدم أبو البشر، ومن هنا يتوضّح العمق التاريخي لاهتمام الانسان بالكتابة، فقد كانوا يصنعونه على هيئة قوالب ويكتبون عليه وهو ما زال طريّا، ثم يجففونه بالشمس أو يطبخونه بالنار، وقد عثر المنقبون في العراق وفي غيره من بلدان الشرق الأدنى على عشرات الآلاف من ألواح الطين المكتوبة بالخطوط المسمارية، تلك الخطوط التي كتب بها الأقدمون من الشعوب، كالسومرية والأكّدية وغيرها[3]. وتوالت الأحقاب التاريخية

---

(1) لقد أفادنا كثيراً شيخ الباحثين، الأستاذ كوركيس عوّاد ببحثه الموسوم بـ«الورق أو الكاغد - صناعته في العصور الإسلامية» والمنشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - في الجزء الثالث 1/ تموز/ 1948 ضمن المجلد 23، والذي يقع بين ص409 - 438، فله السبق والفضل في ذلك.

(2) الفهرست/ ص31 المطبعة الرحمانية بمصر.

(3) كوركيس عواد/ الورق أو الكاغد - صناعته في العصور الإسلامية - المرجع المذكور أعلاه ص409.

لتلك الأقوام، وواكبت تطوّر واكتشاف المعادن، فظهر للسطح النحاس، واستخدم في الكتابة والنقوش[1]، وتلاه الحجر وهو أبقى من الطين، إلا أنه أثقل وزنا، فكان العزوف عنه سريعا، ثم كتب بالخشب وورق الشجر، كما كتبوا في التوز الذي يعلا به القسي للخلود، ثم دبغت الجلود فكتب الناس فيها[2]، وقد كان للهند شجر باسق كالنخل والنارجيل، ذو ثمر يؤكل وأوراق في طول ذراع، وعرض ثلاث أصابع مضمومة يسمونها «تارى» قال البيروني[3]: كانوا يكتبون عليها، ويضمّ كتّابهم منها خيط ينظمها من ثقبة في أوساطها فينفذ في جميعها، وأمّا في أواسط المملكة وشمالها/ يقصد الهند/ فإنهم يأخذون من لحاء شجر التوز الذي يستعمل نوع منه في أغشية القسّي ويسمونه «بهوج» في طول ذراع وعرض أصابع ممدودة فما دونه، ويعملون به عملاً كالتدهين والصقل يصلُبُ به ويتملّس ثم يكتبون عليها، وهي متفرقة، يعرف نظامها بأرقام العدد المتوالي، ويكون جملة الكتاب ملفوفة في قطعة ثوب ومشدودة بين لوحين بقدرهما، واسم هذه الكتب «بوتي» ورسائلهم وجميع أسبابهم تنفّذ في التوز أيضاً.

كما وجدت الكتابة على لحاء شجر يعرف بـ«الكاذى» مدوّنة بالذهب الأحمر، وهذا النوع من لحاء الشجر يوجد في الهند والصين، يقول عنه المسعودي[4] هو نوع من النبات، عجيب، ذو لون حسن وريح طيبة، لحاؤه أرق من الورق الصيني، يتكاتب فيه ملوك الصين والهند.

فيما كانت الصين تكتب في ورق يصنعونه من الحشيش والكلأ، وعنهم أخذت صناعة الورق[5] وتداولها الناس أهل الحضارات الذين كانوا مواكبين لهذا النهوض كالهنود والساميين وغيرهم، كما عرف في الهند أيضاً أنهم كانوا يكتبون في خرق الحرير الأبيض، وكذلك الروم، فيما كان الفرس يكتبون في الجلود المدبوغة من جلود الجواميس والبقر والغنم والوحوش، وكتب العرب في أكتاف الإبل واللخاف «وهي الحجر الرقيق الأبيض» كما كتبوا في عسب النخل[6]، وقد أشار ابن النديم[7] إلى وجود الورق الخراساني الذي

---

(1) الفهرست/ ص31.

(2) الفهرست/ نفس المكان.

(3) تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة/ ص81 طبعة لا يبسك 1945.

(4) مروج الذهب 2/ 202 طبعة باريس وانظر كذلك - كوركيس عواد - الورق أو الكاغد/ ص411 من المجلة المذكورة.

(5) القلقشندي - صبح الاعشى 2/ 475.

(6) عسب النخل = الجريد الذي لا خوص عليه.

(7) الفهرست/ ص32؛ وصبح الاعشى 2/ 475.

يعمل من الكتّان، إلا أنه لم يجزم بتحديد زمانه حيث قال: أنه حدث في أيام بني أميّة، وقيل في الدولة العباسية، وقيل أنه قديم العمل، وقيل أنه حديث/أي في زمانه (ق 4هـ)/ وقيل أن صنّاعا من الصين عملوه في خراسان على مثال الورق الصيني، ونحن أميل إلى الرأي الأخير، لا سيما وأن الامبراطورية الصينية قديماً، كانت قد امتدت تجارتها إلى غرب آسيا للقرب الجغرافي، وعندما ظهرت الدولة الاسلامية، كان العرب يكتبون القرآن في اللخاف والعسب، وقد اعترف زيد بن ثابت بذلك، حيث قال عند جمعه للقرآن: «فجعلت أتبع القرآن من العِسب واللّخاف»، وأيّد ذلك الزهري بقوله: قبض رسول الله ﷺ والقرآن في العسب»[1] فيما كان المصريون، قد عرفوا بشكل جيّد القرطاس الذي صنّعوه من قصب البردي، ويرجع تاريخ هذه الصناعة عندهم إلى أيام النبي يوسف، كما يقول ابن النديم[2].

ونظراً لأهمية صناعة القراطيس، فسوف نتوقف عندها في الفصول القادمة.

## الفصل الثاني

# الرقوق والجلود

بعد أن جرّب الناس مختلف تلك المواد في أمور الكتابة، مالوا للرقّ، وقد كان للصحابة الأوائل رأي في ذلك، منبعث من منظور ديني - اسلامي، حيث أنهم أجمعوا على كتابة القرآن في الرقّ لطول بقائه ولتوفره حين ذاك[3]، وقد بقي المسلمون على ذلك إلى أن وليّ الرشيد الخلافة، حيث كثر الورق وفشا عمله بين الناس، وأمر أن لا يكتب إلا في الكاغد.

والرقّ: هو الصحيفة البيضاء، أو هو: ما يكتب فيه، والمصنوع من جلد رقيق، قال الفرّاء: الرقّ: الصحائف التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة[4].

والرقوق، هي عادة ما تؤخذ من جلود الحيوانات، بعد أن تجرى عليها عمليات

---

(1) صبح الاعشى 2/ 475.
(2) الفهرست/ ص31.
(3) صبح الاعشى 2/ 475.
(4) اللسان - مادة - رقق.

«كيماوية» حيث تدبغ بالنورة، أول الأمر، وقد أكسبتها هذه النورة جفافا، إلى أن ظهرت بالكوفة الدباغة الكوفية، حيث استبدلت النورة بالتمر، مما أعطاها ليونة واضحة[1].

وبتطور الاستخدام والصنعة، اتخذ الناس هذه الجلود مادة حسنة للكتابة، تعيش دهراً طويلاً قبل أن ينالها البلى، وبعض هذه الجلود خفيفة، يُبذل جهد في خدمتها بالدباغة والصقل، فيكون منها الرقوق النفيسة.

أوضحت المصادر[2] أن الرقوق كانت مستعملة قبل الإسلام، ثم اتخذت في صدر الإسلام بيد أن ثمنها العالي حدّ من استعمالاتها، وانحصر استخدامها في نسخ القرآن والوثائق الرسمية والعقود وغير ذلك، ويؤخذ من كلام البيروني[3]، أن اليونانيين القدماء كانوا يستعملون الرقوق، فقد وردت إشارة بذلك على لسان «سقراط» حين سئل عن تركه تصنيف الكتب: قال: «لست بناقل للعلم من قلوب البشر الحيّة إلى جلود الضأن الميّتة». وقد كتب المسلمون على الأدم في صدر الإسلام، فقد كتب عهد خيبر[4] بين المسلمين واليهود، كما كتب النبي محمد كتاباً إلى كسرى على الرقّ، كما كتبت مصاحف القرآن في جلود الظباء[5].

والجلود، هي الأكثر استخداما في الجاهلية في كتابات العرب وصدر الإسلام، نظراً لكثرة الابل عندهم، حيث كانت تنحر لإطعام الضيف والقرى، ويسمى المدبوغ منها الأدم[6]. وقد كانت بلاد اليمن الأشهر به، حتى كانوا يكنّون بها عن الدراهم، فيقال: ليس بين الدراهم والأدم مثله، يريدون بين العراق واليمن، لأن بالعراق يجرى التبايع بالدراهم، فيما كانت اليمن تبايع بالأدم: قال أوس بن حجر[7]:

وما عدلت نفسي بنفسك سيّدا    سمعت به بين الدراهم والأدم

وقد كانت هناك أنواعاً عديدة من هذه الجلود المستعملة في الكتابة كجلود الغنم

---

(1) الفهرست/ ص32.

(2) رسائل الجاحظ 1/ 252، والبيروني - تحقيق ما للهند/ ص81، وكوركيس عواد/ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المذكورة ص416.

(3) تحقيق ما للهند/ 81.

(4) أنظر: تاريخ الطبري 3/ 19 وما بعدها - أحداث سنة 7هـ - نشرة محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر 1962م.

(5) كوركيس عواد - المجلة المذكورة/ ص416.

(6) حبيب زيّات/ الجلود والرقوق والطروس في الاسلام/ مجلة الكتاب - يوليه 1947 - السنة الثانية الجزء 9، ص1358 منشورات دار المعارف المصرية.

(7) المرجع السابق/ نفس المكان.

والمعزى والحمير وسائر الدواب الأهلية والوحشية، وكان جلد الحمر الوحشية يسمونه «الغلجان»[1]. ومن شواهد الكتابة على جلود الماعز هو «كتاب الجفر» المشهور وقد ذكره أبو العلاء المعرّى بقوله[2]:

«لقد عجبوا لأهل البيت لمّا أتاهم علمهم في مسك جفر»

والمسك هو الجلد، والجفر: ما بلغ من أولاد الماعز أربعة أشهر، وجفر جنباه وانفصل عن أمه، وهذا يعني أن مسألة عمر الحيوان لها علاقة في جلده المستخدم للكتابة، بالنسبة لطراوته وخشونته وصقله ودباغته.

وصعوبة الكتابة على هذه الجلود، كانت واضحة قبل الدباغة الكوفية، حيث استطاعت هذه الدباغة بتحسين طرق معالجتها للجلود، أن تجد السهولة للكتابة عليها إلا أن الرائحة المنبعثة من هذه الجلود كانت نتنة، لذلك عمدوا إلى تجفيفها، ولكن الفُرس كرهوا رائحة دباغة الجلود حين كانت ترفع اليهم، فأمروا بتضعيرها بالزعفران وتطييبها بماء الورد[3].

وقد شكلت مسألة نتانة الجلود، أمراً مزعجاً لكثير من الرؤساء والكتّاب والمتأدبين والظرّاف، ولكنهم كانوا مجبرين على التعامل به، نظرا للحاجة قبل اكتشاف الورق والقراطيس.

وثمة نادرة لطيفة في السياق أوردها الخالديّان تقول[4]: حدّثنا أبو القاسم علي بن أحمد الاصبهاني قال: كان عندنا بأصبهان رجل حسن النعمة، واسع النفس، كامل المروءة يقال له: سماك بن النعمان، وكان يهوى جارية مغنية من أهل أصبهان، لها قدر ومعنى تعرف بـ «أمّ عمرو» فلإ فراط حبه اياها، وصبابته بها، وهب لها عدّة من ضياعه، وكتب عليه بذلك كتبا.

وحمل الكتب اليها على بغل، فشاع الخبر بذلك، وتحدث الناس به واستعظموه، وكان بأصبهان رجل متخلّف، بيّن الركاكة، يهوى مغنيّة أخرى، فلما اتّصل به ذلك، ظنّ

(1) حبيب زيّات - المرجع السابق - نفس المكان.
(2) نفسه/ ص1359.
(3) نفسه/ ص1360.
(4) الخالديان/ أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين/ كتاب التحف والهدايا/ ص176 - 177 تحقيق سامي الدهان - دار المعارف بمصر.
كما أوردها ابن خلكان في وفيات الاعيان 5/ 380 - 381 في ترجمة الشاعر/ نصر الخبز آرزى/ نشره إحسان عباس. كما ذكرها حبيب زيات - في المرجع المذكور - ص1361.

بجهله وقلّة عقلة أن «سماكا» إنما أهدى إلى «أم عمرو» جلوداً بيضاء لا كتابة فيها، وأن هذا من الهدايا التي تستحسن، ويجلّ موقعها عند من تهدى إليه، فابتاع جلودا كثيرة، وحملها على بغلين، لتكون هديته ضعف هدية «سماك» وأنفذها إلى التي يحب، فلما وصلت الجلود إليها، ووقفت على الخبر فيها، تغيّظت عليه، وكتبت إليه رقعة تشتمه فيها، وتحلف أنها لا كلمته أبدا، وسألت بعض الشعراء أن يعمل أبياتاً في هذا المعنى لتودعها الرقعة، ففعل وكانت الأبيات:

| | |
|---|---|
| لا عاد طوعك من عصاكا | وحرمت من وصل مناكا |
| فلقد فضحت العاشقيـ | ـن بقبح ما فعلت يداكا |
| أرأيت من يهدي الجلو | د الى عشيقته سواكا |
| وأظنّ أنك رمت أن | تحكي بفعلك ذا «سماكا» |
| ذاك الذي أهدى الضيا | ع لأمّ عمرو والصّكاكا |
| فبعثت منتنةً كأنّـ | ـك قد مسحت بهنّ فاكا |
| من لي بقربك يا رقيـ | ـع ولست أهوى أن أراكا |
| لكن لعلّي أن أقطع | ما بعثت على قفاكا |

وقد كان للرقوق والجلود تلازم مع المثيولوجيا العربية، حيث أن كتب الأمان والعُوذ كانت تكتب بها، فلقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني[1] أن أمّ ذي الرمّة جاءت إلى الحصين ابن عبده بن نعيم العدوّي، وهو يقرىء الأعراب بالبادية احتسابا بما يقيم لهم صلاتهم، فقالت له: يا أبا الخليل، ان ابني هذا يروّعُ باللّيل، فاكتب لي معاذة أعلّقها على عنقه، فقال لها: ائتني برقّ أكتب فيه، قالت: فان لم يكن، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له؟ قال: فجيئيني بجلد، فأتته بقطعة جلد غليظ، فكتب له معاذة فيه، فعلقته في عنقه[2].

وعندما جاء الإسلام أختيرت الرقوق ليكتب بها القرآن من موقع الاجلال والتعظيم له، وكذلك الشأن بالنسبة للحديث النبوي، حتى أن بعض العلماء والمحدثين كانوا يرفضون أن يكتب عنهم الحديث الا بالرقّ، رغم وجود القراطيس، لا سيّما في العصور العباسية، وعلى ما يبدو، أن هذه الحالة تخضع لمفهوم ديني، دأب عليه الخلف من السلف، وأصبح شبه مذهب عند علماء الحديث، في العصر العباسي، ففي هذا السياق

---

(1) الاغاني 18/ 2 - أخبار ذى الرمة - الهيئة المصرية العامة للكتاب باشراف محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة 1390/ 1970م.

(2) أنظر بقية الخبر في الأغاني 18/ 2.

ينقل الخطيب البغدادي[1] خبرا مفاده أن المعتز بالله بعث بطلب أحمد بن بديل الكوفي ليكتب عنه الحديث، وعندما استعدّ للاملاء، أخذ الكاتب القرطاس والدواة فامتنع المحدّث وقال: أتكتب حديث رسول الله ﷺ في قرطاس بمداد؟

قال: فيما نكتب؟ قال: في رقّ بحبر، فجاؤوا برق وحبر، فأخذ الكاتب يريد أن يكتب فقال ابن بديل: أكتب بخطّك فأوما إليّ أنه لا يكتب، فامليت عليه حديثين أسخن الله بهما عينيه: قال: فسأله ابن البنا أو ابن النعمان، أي حديثين؟ فقال: قلت: قال رسول الله ﷺ: «من استرعى رعيّة فلم يحطها بالنصيحة، حرم الله عليه الجنة»، والثاني: «ما من أمير عشيرة الا يؤتى به يوم القيامة مغلولا».

وقد كانت دفاتر ومصاحف أهل المغرب مكتوبة في الرقوق، وغلبت على الدواوين السلطانية في الأندلس الكتابة في جياد الرقوق، وبأجلّ الأقلام، حتى أن الوزير أبا حفص بن برد الأكبر، كان يتشدد في ذلك أيما تشدد، فقد نقل عنه[2] «أن قوما من خدمة الحضرة، قد عادوا لما نهوا عنه، فكتبوا الخط الدقيق في دنيّ الرُقّق دقة من هممهم، ودناءة في اختيارهم، وجهلا بأن الخطّ جاه الكتاب، وسلك الكلام، به ينظم منثوره، وتفصّل شذوره، ونبله من نبل صاحبه، وهجنته لاحقة بكاتبه، ومن فصول هذه الرسالة، قوله[3]: معشر الخدمة. . . يجب «أن يحكم الخط فيقيم حروفه، ويراعى المداد فيجيد صنعته، ويميّز الرق فيحسن اختياره، وعجزه الحزم النافذ والحكم الصادع، بأن يكون صدور كتب الاعتراضات وعنواناتها وتواريخها، والإعداد في رؤوس رسومها، بخط أيدي القوّاد والعمّال، من كان منهم كاتبا فبيده، ومن لم يكتب فبخط كاتب له معروف، ثم يؤكد، على أنّه إن ورد لأحد من الخدمة بعد وصول ذلك العهد إليه، كتاب اعتراض أو عمل في رقّ ردّى أو بمداد دنيّ، أو خطّ خفي، فيه لحن أو كتاب على بشر في عدد، أو رأس رسم مالم يخف أو يقع في حشو الكتاب ويعتذر منه، ليبطلنّ سعى كاتبه فيما كتب، وليعاجلن بعقوبة العزل، واغرام الثابت المال عدده في ذلك القنداق»[4].

إن هذه التوكيدات من لدن أهل الاندلس، هي تجاوب وانجذاب لاهل المشرق الذين راحوا يسمون برفع شان، كل ما هو ابداعي، وكان للكتابة والكتّاب، وتحسين أدواتهم،

---

(1) تاريخ بغداد 4/ 51 - 52.

(2) ابن بسّام/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/القسم الأول - المجلد الأول ص87 - 88 - طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1358هـ/ 1939م.

(3) المصدر السابق/ص86 - 87.

(4) القنداق = صحيفة الحساب - اللسان - مادة: قندق.

أمر له أسبقية عندهم، لذلك كان أهل الاندلس، هم الصدى الاقوى، والرجع الأبعد، وما تلك التوجيهات الادارية - الفنية، إلا دليلا على ذلك. وقد وجد عند أهل الأندلس ربض في قرطبة يدعى «ربض الرقّاقين» تباع فيه الرقوق بالقرب ممن باب العطّارين[1].

وقد عرفت الأندلس، كما عرفت بغداد احراق الكتب الفلسفية، وهذه الكتب، كانت مدوّنة بالرقوق والقرطاس والكاغد، وقد أحرق لإبن حزم[2] عدة كتب أيام ابن عبّاد، وقد رثاها بقوله[3]:

| | |
|---|---|
| فإن تحرقواالقرطاس لاتحرقوا الذي | تضمّنه القرطاس بل هو في صدري |
| يسير معي حيث استقلّت ركائبي | وينزل أن أنزل ويدفن في قبري |
| دعوني من احراق رقّ وكاغد | وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري |
| وإلاّ فعودوا في المكاتب بدأة | فكم دوّن ما تبغون لله من سرّ |

وعلى أي حال، فلقد كان للرقوق والجلود حضورها في الحضارة الاسلامية، حتى نهاية (ق 6هـ)، وقد انفرد الرقّ في تلبية الحاجات الديوانية، فترة غير قصيرة، إلى أن أتيح للكاغد أن يأخذ مكانه[4].

وقد استطاع الجاحظ أن يختبر الجلود والرقوق، اختبارا عمليّا، بحكم علاقته بالكتابة والكتب، وتعايشه اليومي مع الورّاقين، وهو الذي كان يكترى حوانيتهم[5]، فعرف صالحها من طالحها، وثقيلها من خفيفها، وكشف عن التأثيرات الطبيعية فيها، إذا تعرّضت للرطوبة أو الشمس أو الماء، حتى كشف عمليات التزوير التي تجرى فيها، لا سيما في أنواع منها كالبصرى والكوفي والواسطي، وقد صبّ كل ذلك في رسالة «الجدّ والهزل»[6]، فهو في معرض حديثه عن الورق الصيني والكاغد الخراساني، حيث كان يخاطب الوزير «محمد بن عبد الملك الزيات» يقول[7]: «وما عليك أن تكون كتبي كلها من الورق الصيني، ومن الكاغد الخراساني، قل لي: لم زيّنت النسخ في الجلود، ولم حثثتني على الأدم، وأنت

---

(1) حبيب الزيات/ مجلة الكتاب/ ص1364.
(2) أنظر ترجمته في الذخيرة 1/ 110 - 147.
(3) الذخيرة 1/ 144، وقد ذكرها حبيب زيات بمقالته المنشورة بمجلة الكتاب/ ص1364.
(4) راجع بهذا الصدد مقالة د. طه الحاجري/ عن الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية. منشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد 13 - عام 1965م، صـ 63 - 188.
(5) ياقوت الحموى/ معجم الأدباء 16/ 75.
(6) رسائل الجاحظ 1/ 231 - 278 بعناية عبد السلام هارون.
(7) رسائل الجاحظ 1/ 252 - 253.

تعلم أن الجلود جافية الحجم، ثقيلة الوزن، أن أصابها الماء بطلت، وإن كان يوم لثق استرخت، ولو لم يكن فيها، إلا أنها تبغّض إلى أربابها نزول الغيث، وتكرّه إلى مالكيها الحب، لكان في ذلك ما كفى ومنع منها».

ثم يبدأ بشرح إنعكاسات تلك المواصفات على عمل الورّاق في الكتابة وغيرها، يقول[1]: «قد علمت أن الورّاق لا يخطّ في تلك الأيام سطراً، ولا يقطع فيها جلدا، وإن نديت فضلا عن أن تمطر، وفضلا عن أن تغرق، استرسلت فامتدت، ومتى جفّت لم تعد إلى حالها، إلا مع تقبّض شديد، وتشنج قبيح، وهي أنتن ريحا وأكثر ثمنا، وأحمل للغش، يغشّ الكوفيّ بالواسطي، والواسطي بالبصرى، وتعتّق لكي يذهب ريحها، وينجاب شعرها، وهي أكثر عقدا وعجرا، وأكثر خباطا واسقاطا، والصفرة إليها أسرع، وسرعة انسحاق الخطّ فيها أعمّ. ولو أراد صاحب علم أن يحمل منها قدر ما يكفيه في سفره، لما كفاه حمل بعير، ولو أراد مثل ذلك من القطنّي/أي المصنوع من القطن/لكفاه ما يحمل مع زاده».

هذه المفاضلات والمواصفات للجلود، يتكلم عنها الجاحظ عن دراية وممارسة واختبار، كما أسلفنا، وهو هنا يريد استظهار الورق عليها، والحث على استخدامه، بالمقابل إسقاط هذه الرقوق والجلود من التداول، وبالحقيقة هي استجابة حضارية من الجاحظ، وهو سيّد الكتّاب في وقته - وحتى اليوم - كي يحتذى به، ويصار إلى خطاه، وبغية التشديد على استعمال الورق القطني، فإنه يوغل في الاساءة إلى الجلود حتى يمحو أثرها تماماً، يقول[2]: «وقلت لي: عليك بها فإنها أحمل للحكّ والتغيير وأبقى على تعاورالعارية وعلى تقليب الأيدي، ولرديدها ثمن، ولطرسها مرجوع، والمعاد منها ينوب عن الجدد، وليس لدفاتر القطني أثمان في السوق، وإن كان فيها كل حديث طريف، ولطف مليح، وعلم نفيس، ولو عرضت عليهم عُدَّ لها في عدد الورق جلوداً، ثم كان فيها كل شعر بارد وكل حديث غثّ، لكانت أثمن، ولكانوا عليها أسرع».

ثم يبدأ بذكر استخداماتها والأماكن التي ساد فيها هذا الاستخدام، على لسان مخاطبه، يقول[3]: «وقلت: وعلى الجلود يعتمد في حساب الدواوين، وفي الصكاك والعهود، وفي الشروط وصور العقارات، وفيها تكون نموذجات النقوش، ومنها تكون خرائط البرد[4]، وهنّ أصلح للجرب ولعفاص الجرّة وسداد القارورة، وزعمت أن الأرضة

(1) رسائل الجاحظ 1/ 253.

(2) المصدر السابق - نفس المكان.

(3) المصدر السابق 1/ 253 - 254.

(4) الخريطة = وعاء يشبه الكيس مصنوعة من الخرق أو الأدم، تشرج على ما فيها - يقابلها الآن الرزم القماشية - والبرد = جمع بريد. أنظر الهامش رقم/ 1/ من ص254 في المصدر المذكور أعلاه.

إلى الكاغد أسرع، وأنكرت أن تكون الفأرة إلى الجلود أسرع، بل زعمت أنها إلى الكاغد أسرع وله أفسد، فكنت سبب المضرّة في اتخاذ الجلود والاستبدال بالكاغد، وكنت سبب البليّة في تحويل الدفاتر الخفاف في المحمل إلى المصاحف التي تثقل الأيدى وتحطّم الصدور، وتقوّس الظهور وتعمي الأبصار».

وهكذا كشف الجاحظ كل محاسن ومساوىء الجلود واستخداماتها المختلفة في زمانه وقبله.

## الطروس:

الطّرس: الصحيفة، ويقال هي التي محيت ثم كتبت، فيما عرّفه ابن سيده[1]: الطّرس، الكتاب الذي محي ثم كتب، والجمع أطراس وطروس، ثم قالوا: الطرس، الكتاب الممحو الذي يستطاع أن تعاد عليه الكتابة، وفعلك به يسمى «التطريس»[2].

ومن هذا التعريف، يعرّج المعنى على أن المراد بهذا، هي الجلود والرقوق، أكثر من بقية المواد الخاصة بالكتابة، فهي الوحيدة على تقبل الماء، فالقراطيس والورق، لا تقبل ذلك التفاعل بينها وبين الماء.

وعملية التطريس للكتب، ناتجة على ما يبدو عن وضع طارىء تتعرض له أسواق الكتب، فيحصل شح أو نقص في الورق المطلوب، مما يلجىء إلى الجلود لمحوها والكتابة عليها مجدداً، وهذه الأمور تحدث وقت الازمات والحروب، فلقد ذكرت المصادر[3] أن الفتنة التي حدثت أيام الأمين، عرّضت الدواوين إلى النهب، وأخذ ما فيها من الجلود المكتوبة، فمحيت وغسلت، وكتب الناس فيها عدة سنين، كما أن هناك جملة من العلماء والمؤرخين أقبلوا على هذه العملية نتيجة موقف إيماني، أو ايديولوجي، أو سياسي أو غيره، وقد اشتهر من الأولين - أصحاب الحديث - سفيان الثوري[4] فقد قيل أنه لما حضرته الوفاة غسل كتبه كلّها، وعلى ذلك يشير أبو العلاء المعري في «اللزوميات»[5]:

---

(1) لسان العرب/ مادة (طرس).

(2) المصدر السابق - نفس المادة.

(3) حبيب زيّات/ مجلة الكتاب/ ص1366.

(4) راجع عنه/ معجم رجال الحديث - للخوئي/ 8/ 161 - ط2 - بيروت 1403هـ/ 1983م وراجع أعلام الزركلي 3/ 104.

(5) حبيب زيّات/ مجلة الكتاب/ ص1366.

«والـــخـــوف ألـــزم ســـفـــيـــا ن أن يـــغـــرق كـــتـــبـــه»

ومن جميل ما نقله ياقوت الحموي، في هذا الصدد: قال[1] في ترجمته لـ «علي بن عيسى ابن الفرج بن صالح الربعيّ» أنه كان أحد أئمة النحويين وحذّاقهم، قد ألّف كتاباً لشرح «كتاب سيبويه» في النحو، وغسله، نتيجة منازعة بينه وبين أحد بني رضوان التاجر، في مسألة نحوية، فقام هذا العالم مغضبا، وأخذ شرح سيبويه وجعله في اجانة[2] وصبّ عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان ويقول: «لا أجعل أولاد البقالين نحاة».

وينقل حبيب زيّات[3] عن ابن الدهان الوجيه قوله: أنه حضر بدار الكتب المأمونية، وخازنها يومئذ (أبو المعالي أحمد بن هبة الله) فجرى حديث المعرّي، فذمّه الخازن وقال: كان عندي في الخزانة كتاب من تصنيفه غسلته، فقال له الوجيه، وأى شيء هذا الكتاب؟ قال: كان كتاب نقض القرآن، فقال له: «أخطأت في غسله».

وهذه المسألة توضّح لنا مدى الخطورة في ضياع الكثير من تراثنا المفقود بهذه الطريقة المخيفة.

## الفصل الثالث

# القراطيس

القرطاس: هو الصحيفة التي يكتب بها، ويراد منه في المعنى مصطلح «المهراق»[4] وجمعها مهاريق. وقد ذكرت في القرآن[5] جميعها إلا «المهراق»، وعرّفه ابن منظور بقوله[6]: القرطاس معروف يتخذ من بردي يكون بمصر، ثم يضيف: والقُرطاس والقَرطاس والقِرطس كله: الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها، ويرى الجواليقي[7] أن أصله

(1) معجم الأدباء 14/ 79.
(2) أناء كبير تغسل فيه الثياب، أصغر من «الطشت».
(3) مجلة الكتاب/ ص1366.
(4) الصولي - أدب الكتّاب/ ص105.
(5) سورة الانعام/آية 6 و90، وغيرها.
(6) اللسان - مادة (قرطس).
(7) المعرّب/ باب القاف - مادة (القرطاس)، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1361هـ.

غير عربي، وقد ذكرت الكثير من المصادر أنه الضارب نحو اللون الأبيض، كما في اللسان[1]، واستشهد الصولي على ذلك بقول أبي نواس[2]:

واحتازها لون جرى في جلدها يَقَقٌ كقرطاس من الوليد هجانِ[3]

حيث أنه شبّه الناقة البيضاء بالقرطاس، بهذا القول، ومن نوادر أبي نَواس في ذكر القرطاس، ما ذكر أبو العيناء عن الجمّاز قال[4]: أراد أبو نَواس أن يكتب إلى اخوان له، فلم يجد شيئاً يكتب فيه، فحلق رأس غلامه وكتب عليه ما أراد، وفي آخرها كتب:

لم يقو عندى على تخريق قرطاسي إلاّ فتى قلبه من صخرة قاسي

أن القراطيس من قلبي بمنزلة تكون كالسمع والعينين في الراس

لولا القراطيس مات العاشقون معا هذا بغمّ، وهذاكُم بوسواس

وقد كانت مصر أم القراطيس، فهي التي تصدّره إلى جميع الاقطار، حتى أن القلقشندي في تعريفه للقرطاس يقول[5]: القرطاس كاغد يتخذ من بردي مصر. وعلى هذا الاساس عرفت مصر بقرطاسها، أكثر من أيّ مصر اسلامي آخر، حتى أن سمعة القراطيس المصرية، كانت دليل واستدلال على مصر برمتها، فراح ينسب القرطاس إلى مصر، وبه يستشهد، ونقل الثعالبي[6] في ذلك:

حملت إليك عروس الثناء على هودج ماله من بعير

على هودج من قراطيس مصر يلين على الطيّ لين الحرير

كما أن السيوطي ذكر[7] أن من خصائص مصر «القراطيس» وهو الطوامير، وهي أحسن ما كتب فيه، وهو من حشيش أرض مصر، ويعمل طوله ثلاثون ذراعاً وأكثر في عرض مقداره شبر.

وذكر البيروني[8] أن القرطاس يصنع من لب البردي، يبرى في لحمه، وعليه صدرت

---

(1) مادة (قرطس).

(2) أدب الكتّاب/ ص106.

(3) يقق: أبيض شديد البياض ناصعه: ويقال في الجمع «يقايق» صفة على غير قياس، ويوصف به «جمار النخيل» - راجع اللسان - مادة - يقق - والقاموس المحيط - يقق.

(4) أدب الكتاب/ ص107.

(5) صبح الاعشى 2/ 474.

(6) ثمار القلوب/ ص530 - 531.

(7) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة 2/ 173 - طبعة القاهرة 1327هـ.

(8) تاريخ ما للهند/ ص81.

كتب الخلفاء، حيث أن البردي ليس ينقاد لحكّ منه وتغيره، ، بل يفسد به، وهناك بلدان أخرى، اشتهرت في وجود نبات البردي في أراضيها، كانت تنافس مصر في وجوده، منها جزيرة صقلية، وقد نوّه بذلك ابن حوقل في حديثه عن «صقلية» حيث قال[1]:

وأراضيها «يغلب عليها السباخ والآجام، وفيها قصب فارسي، وبحائر ومقات صالحة، وفي خلال أراضيها بقاع قد غلب عليها البربير وهو البردي، المعمول منه الطوامير، ولا أعلم لما بمصر من هذا البربير نظيراً على وجه الأرض إلا ما بصقلية منه، وأكثره يفتل حبالا لمراسي المراكب، وأقلّه يعمل للسلطان منه طوامير القرطيس، ولن يزيد على قلّة كفايته»، ومن هذا يتضح أن شهرة القراطيس المصرية قد ملأت الآفاق، وصار هو الأبرز والأشهر والأحسن في الاستخدام اليومي لمؤسسات الدولة الاسلامية، بكافة أمصارها وأسواقها، وقد ذكره الباحثون، أنه كان في مصر السفلى عدد عظيم من غياض فسيحة تنبت البردي، ذلك النبات الطويل الحسن، الذي يتخذ الورق من لبابه، حيث أنّه يشق إلى شرائح تجعل منها صحائف بالضغط، ثم تصقل بآلة من العاج، ثم توصل الصحائف بعضها ببعض، فتصير على شكل لفائف يسهل استعمالها، وقد كانت مدينة الاسكندرية، المركز الرئيسي الذي تصدّر منه القراطيس المصنوعة من ذاك البردي[2].

وعلى هذا الأساس، اتخذ المسلمون أوراق البردي للكتابة عليها في بداياتهم الاولى، فقد اعتمدت الخلافة العباسية على قراطيس مصر، أيما اعتماد، حتى امتلأت أسواق القراطيس في بغداد[3] وعرفت باسمها دروب، لا سيما في الكرخ، حيث يوجد درب باسم «درب أصحاب القراطيس» ذكره الخطيب البغدادي في معرض حديثه عن سعيد بن سليمان سعدويه البزاز[4]، كما نقل الجهشياري رغبة المنصور في بيع قراطيس الدولة الموجودة في خزائنه، حيث قال[5]: «وقف أبو جعفر المنصور على كثرة القراطيس في خزائنه، فدعا بصالح، صاحب المصلّى، فقال له: اني أمرت باخراج حاصل القراطيس في

(1) صورة الأرض لابن حوقل 1/ 122 - 123 - الطبعة 2 ليدن سنة 1938م - وكوركيس عوّاد - المجلة المذكورة/ ص413.

(2) كوركيس عوّاد - المرجع السابق/ ص412 - وقد ذكر كوركيس عواد أن هناك الكثير من المستشرقين قد عنوا بدراسة أوراق البردي العربية، من أمثال ج. كرابسك، وسي -. ج بيكر، وا. جروهمان وغيرهم.

(3) الجاحظ، المحاسن والاضداد/ ص336 - 337 - طبعة فان فلوتن - ليدن 1898م.

(4) تاريخ بغداد 9/ 86.

(5) الجهشياري/ الوزراء والكتّاب/ ص138 تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، ط1، طبعة البابي الحلبي - القاهرة 1357هـ/ 1938م.

خزائننا، فوجدته شيئاً كثيراً جداً، فتولّ بيعه، وان لم تعط بكل طومار الاّ دانقا[1]، فإن تحصيل ثمنه أصلح منه. قال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم، إلا أن المنصور عاد وتخلّى عن فكرته في اليوم التالي، مشيراً على صالح بقوله: فكرت في كتبنا وأنها قد جرت في القراطيس، وليس يؤمن حادث بمصر فتنقطع القراطيس عنّا بسببه، فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم نعوّده عمّالنا، فدع القراطيس استظهارا على حالها».

وهذا الخبر يوضّح مدى الكميات الهائلة الموجودة في خزائن الدولة العباسية، من جهة، ومن جهة ثانية يشير إلى مكانة مصر في تصدير القراطيس، ومن جهة ثالثة، يؤكد تخوف المنصور من القلاقل الممكنة الحدوث، إضافة إلى أنه يشير إلى سعر القراطيس وقتذاك، وهي مسألة هامة توضّح جانبا من تطور الحالة الاقتصادية والثقافية على حدّ سواء.

ثمة مسألة غير واضحة، لم يذكرها المؤرخون بالدقة، هي/ صناعة القراطيس في بغداد، هل هي كانت قائمة أم أنها غير موجودة؟ فقد أشار السمعاني[2] إلى وجود عدّة أشخاص غلبت عليهم نسبة القراطيسي، والتي يوصف بها من عمل بالقراطيس، من أمثال أبي عثمان سعيد بن بحر القراطيسي، وغيره، كما ذكر الخطيب البغدادي تراجم سبعة رجال عرف كل منهم «بالقراطيسي»[3]: إلا أن هذين المؤرخين لم يذكرا صناعة لهم باسم القراطيس، كما أن اليعقوبي أشار إلى أن المعتصم عندما نقل عاصمته إلى «سرّ من رأى» (سامراء) حمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها[4]، ومن هذا يتضح أن صناعة القراطيس لم تنشأ في بغداد، إلا أن تجارة القراطيس عرفتها بغداد وإليها ينسب القراطسيون إلا أن صناعة الكاغد عُرفت بها منذ أيام السفاح.

تعود صناعة القراطيس في مصر إلى أيام الأقباط - المسيحية، وهذه القراطيس، كانت تدرّ لهم أرباحا متواصلة، حيث أنها كانت تدخل بلاد الروم من أرض مصر، وكان العرب يشترونها بالدنانير الرومية[5]، وظلوا على هذه الحال، يستعملونها امتيازاً لها عن

---

(1) الدانق = سدس الدرهم.

(2) السمعاني - الأنساب 10/ 83 - 85 - تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو - بيروت - ط1/ 1401هـ/ 1981م.

(3) تاريخ بغداد 2/ 91 و4/ 430 و11/ 233 و12/ 3 و12/ 151 و13/ 45.

(4) البلدان لليعقوبي/ ص364 طبعة ليدن سنة 1891 - مصوّر لمكتبة المثنى ببغداد ومطبوع بذيل الاعلاق النفيسة لابن رسته.

(5) البلاذري - فتوح البلدان/ ص335 - تحقيق عبدالله أنيس الطباع وأخيه عمر، دار النشر للجامعيين 1377هـ/ 1957م.

غيرها منذ عهد معاوية بن أبي سفيان[1]، وظلت صناعة القراطيس مصرية حتى أيام عبد الملك بن مروان (65 - 86هـ) حيث نضج كيان الدولة السياسي، وأخذت الدولة الأموية تنتبه إلى تحقيق مظاهر سيادتها في مختلف الميادين، وقد تنبهت الدولة إلى أمر القراطيس، كما يقول الحاجري[2]، وأولتها شيئاً من العناية فاتجهت إلى احتوائها اسلاميا، نظرا لكونها في حياض ديار إسلامية (مصر)، وقد كانت هناك حادثة سياسية - اقتصادية، سرّعت العملية بذلك، فقد أشار البلاذري إلى أن عبد الملك بن مروان، أحدث في مراسلاته إلى ملك الروم أمراً لم يكن مألوفا لدى الروم، حيث أنه أبدل طرّة الكتاب، الذي يكتب في رؤوس الطوامير «الصحف» والتي درج أن يوضع عليها الصليب، فأبدله عبد الملك بقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3]، الأمر الذي أثار حفيظة ملك الروم وكتب إلى عبد الملك: انكم أحدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه، فان تركتموه وإلا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيّكم ما تكرهونه، قال: فكبر ذلك على عبد الملك، وكره أن يدع سنّة حسنة سنّها، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية، وقال له: يا أبا هاشم، احدى بنات طبق، وأخبره الخبر فقال خالد: أفرغ روعك يا أمير المؤمنين، حرّم دنانيرهم، فلا يتعامل بها، وأضرب للناس سككا ولا تعف هؤلاء الكفرة ممّا كرهوا في الطوامير، فقال عبد الملك: فرّجتها عني، فرّج الله عنك، وضرب الدنانير»[4].

وهذه الحادثة تشير إلى أهمية القرار السياسي في تحرير الاقتصاد من التبعية أولا، وتبعث على اضفاء الصبغة الوطنية والقومية، وعلى الاستقلال الفكري، إضافة إلى أنها جعلت مسألة الاعتماد على الذات، من الأمور الرئيسية والهامة، في مسألة التحرر الكامل للمجتمع، في صناعاته واقتصاده، وثقافته، وهي خطوة تاريخية لم يخطها أي قائد عربي في هذا الزمان.

---

(1) صبح الاعشى 6/ 189.
(2) الورق والوراقة في الحضارة الاسلامية - مجلة المجمع العلمي العراقي 12/ 1965م/ ص133.
(3) الآية الأولى من سورة الاخلاص.
(4) البلاذري - فتوح البلدان/ ص335 - 336.

## الفصل الرابع

# الكاغد أو الورق

الكاغد: بفتح الغين، لفظ فارسي، عرّب[1] تتواشج معانيه مع لفظ القرطاس والورق، فهو عند «الفيروزآبادي[2] «الكاغد = القرطاس، وعند ابن منظور[3]، الكاغد معروف، وهو فارسي معرّب، وعند الشيخ أحمد رضا[4] «الورق = الكاغد»، إلا أنه أعطاه صفة البياض فقال: يتخذ من أدم أو قطن أو كتان. الورق: من أوراق الشجر والكتان، والواحدة ورقة[5]، وقد فصّل القلقشندي الاسم، وأزال الكثير من الالتباسات الناشئة في المعاني المترادفة له، من حيث تسمياته بالكاغد والقرطاس والورق، حيث قال: الورَق، بفتح الراء: اسم جنس يقع على القليل والكثير، واحده ورقة، وجمعه أوراق، وجمع الورقة ورقات، وبه سميّ الرجل الذي يكتب ورّاقا[6]، وأضاف: وقد نطق القرآن بتسميته قرطاسا وصحيفة، ويسمى أيضاً الكاغد، وكذلك «المهراق».

وعلى ما يبدو، أن مسألة الاستخدام اليومي للورق أو الكاغد، أخذت تفرزن المعنى الأعمق للاصطلاحين، فالكاغد هو الأسبق في التداول والاستخدام، ودأب الناس عليه، ثم استعيض عنه باصطلاح - ورق - بعد أن خصّص استعماله للكتابة أكثر من بقية الاستخدامات، وبعد أن حسّنت عجينة صناعته، فاصطلاح كاغد، عند العراقيين الآن، يعنون به/ الورق الأسمر/ حصرا، والمستخدم لصناعة الاكياس الورقية، وبه تعجّ أسواق «الشورجة» في بغداد - الرصافة. بينما يتميّزون بفهمهم اصطلاح - ورق - هو ذاك المتخذ للكتابة وحدها، ومنه تتخذ سجلات الدوائر الحكومية وغيرها. وعندما توصل المسلمون

---

(1) أدّي شير/ الالفاظ الفارسية المعرّبة/ ص136 - بيروت - ط1 - 1908م.

(2) القاموس المحيط/ مادة - الكاغد.

(3) اللسان - مادة (كغد).

(4) متن اللغة - مادة (ورق).

(5) اللسان - مادة (ورق).

(6) صبح الاعشى 2/ 476.

إلى اكتشاف صناعة الورق، رأوا منه مادة ليّنة، خفيفة، سهلة الحمل والنقل، لا تتطلب حيّزاً كبيراً، كما الجلود والرقوق، أكثروا منه إكثاراً عظيماً، جعل من الكتب أضعافا مضاعفة[1].

يعود الفضل في معرفة صناعة الورق إلى الصين، وكان الورق الصيني، قد عرفه التجار العرب واستوردوه منهم، فقد كان هؤلاء التجار على اتصال تجاري ببلاد الشرق الأقصى[2]، وقد كان لمدينة سمرقند[3] «الفضل الأكبر في انشاء صناعة الورق في العالم الاسلامي حيث أنها كانت أول مدينة إسلامية صنّع فيها الورق، وهذه المدينة كان قد فتحها في العصر الأموي القائد المشهور قتيبة بن مسلم الباهلي سنة 87هـ[4].

وسمرقند «هي المدينة التي عرفت بكواغدها، التي عطّلت قراطيس مصر، وكسّدت الجلود التي كانت الكتابة بها، وكواغدها أنعم وأحسن وأرفق، كما يقول الثعالبي[5].

غزا المسلمون مدينة «أطلح» سنة 134هـ بقيادة زياد بن صالح[6]، وكانت هذه الوقعة ضمن حدود بلاد الصين، وقد أوضحت المصادر[7] أن زيادا هذا قد وقع في سبية من تلك المدينة الصينية، أناس يعرفون صنعة الكاغد، وأحلّهم في سمرقنند، فأنشئوا هناك مصانع لصناعة الورق، وانتشرت الصناعة، وصارت تحمل منها الكواغد إلى سائر البلاد الاسلامية وراحت سمعة الكواغد السمرقندية، تطير في الآفاق، والطلب عليها يزداد، وقد نوّه ابن الوردي[8] بذلك وأشار إلى أن خصائص سمرقند بالكواغد التي أزرت بكواغد الارض في الطول والعرض والجلود الرقاق، التي لا توجد في الدنيا، كما أن السمعاني قد

(1) كوركيس عوّاد/ مقاله الورق أو الكاغد/ المرجع المذكور آنفاً ص417.

(2) المرجع السابق - نفس المكان.

(3) انظرها عند ياقوت الحموي/ معجم البلدان 3/ 247 - 250.

(4) البلاذري - فتوح البلدان/ ص592 - 593.

(5) ثمار القلوب/ ص543، ولطائف المعارف/ ص218.

(6) زياد بن صالح الحارثي - كان والي الكوفة عند قيام الدولة العباسية في خراسان والعراق، خرج علي بني العباس في ما وراء النهر، قتل سنة 135هـ على يد أبي مسلم الخراساني - راجع الطبري 7/ 466 - أحداث سنة135هـ.

(7) المسالك والممالك - رواية الثعالبي في الثمار/ ص543 والقزويني في/ آثار البلاد وأخبار العباد/ ص 536 - منشورات دار صادر - بيروت - 1380هـ/ 1960م.

(8) ابن الوردي/ فريدة العجائب/ ص231 - طبعة محمد شاهين - القاهرة 1380هـ/ 1960م وراجع كوركيس عواد/ ص419.

أوضح في «الانساب»[1] أن «الكاغذى، نسبة إلى عمل الكاغذ، الذي يكتب عليه وبيعه، وهو لا يعمل في المشرق إلاّ بسمرقند، وذكر أسماء طائفة من الذين عرفوا بالكاغذى. وقد أثنى ابن حوقل على ذكر أهل سمرقند واصفهم بأن لهم الكاغد الذي لا نظير له في الجودة والكثرة[2]، ومن هذا يتّضح، أن الاقبال على أوراق سمرقند، أخذ يأتي من كل الممالك الإسلامية، لا سيما عاصمة الدولة العباسية بغداد، نظرا للحاجة الماسّة إليه، وقد أدرك الخلفاء العباسيون أهمية وجود صناعة للورق في بغداد، فقد ذكر ابن خلدون[3]، أن العمران واتساع نطاق الدولة، وكثرة التآليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق، والأمصار فانتسخت السجلات.

وجلّدت وجاءت صناعة الورّاقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الامور الكتبية والدواوين، واختصت بالأمصار العظيمة العمران، ولما طما بحر التآليف والتدوين، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرقّ عن ذلك، أشار الفضل بن يحيى البرمكي مستشار الدولة العباسية على ضرورة وجود صناعة الكاغد، فصنّع، وكتبت فيه الرسائل والصكوك السلطانية، ثم اتخذه الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت، ثم غدت صناعة الورق، معروفة ومتداولة، ومن المهن الشريفة، حتى أن اخوان الصفاء عدوها من الصناعات الروحية[4] فقد نصّت رسائلهم على أنّ «صناعة الورق من الصناعات الروحية، باعتبار أن ماهيّتها من أصول نباتية، لأن لحاء البناء يدخل في تركيبها وصناعتها. وقد راجت أيما رواج، وراحت العامة والخاصة من الناس تتعامل بها وتتعاطاها، وما من شك في أن سوق الورّاقين ومهنة الوراقة كانت نتيجة منطقية لهذه القفزة الحضارية، ساهمت في تنشيط هذه الصناعة بل أن هذه الصناعة ذاتها كانت عامل دعم ووجود وديمومة وتطور لمهنة الوراقة، كما أنها ساهمت في نشر الوعي والثقافة إلى حدّ كبير.

---

(1) السمعاني - الانساب/ مادة (الكاغذي) 10/ 326.

(2) ابن حوقل - صورة الأرض 2/ 465 - ط2 - ليدن سنة 1939م.

(3) المقدمة/ ص421 نشرة دار احياء التراث - ط4 - بيروت.

(4) رسائل اخوان الصفا 1/ 214 بعناية خير الدين الزركلي - الطبعة المصرية - القاهرة 1921م.

## الفصل الخامس

# صناعة الورق في بغداد

من إشارة ابن خلدون، المارة الذكر[1]، يمكن تحديد الفترة التي ظهرت فيها صناعة الورق في بغداد فالفضل بن يحيى البرمكي[2] هو الذي أنشأ منصعاً للورق في بغداد، وكان مولده سنة 147هـ ووفاته سنة 193هـ، يمكن الركون إلى أن الربع الاخير من القرن الثاني للهجرة هو المحط الزمني الذي يمكن اعتماده في تأرخة الحدث - صناعة الورق[3]، ولمّا تسنّم أخوه جعفر بن يحيى الوزارة في أيام الرشيد، أحلّ الورق محل الرقّ في دواوين الدولة، وذلك لأن الورق قد كثر في زمان الرشيد، فأمر أن لا يكتب إلا في الكاغد[4] تجنّباً لحالة الغش والمحو والاعادة والتزوير التي تحدث في الرقوق، لأن الورق لا يقبل ذلك.

وعندما حلّ (ق 4هـ)، وقد زهت بغداد بآدابها وعلومها، ووصلت الحضارة فيها إلى أوجها، كانت مصانع الورق وحوانيته منتشرة في أكثر من مكان، وقد أشار الصولي إلى ذلك في معرض حديثه عن حريق الكرخ العظيم الذي وقع في شهر ذي القعدة من سنة 332هـ حيث قال[5] «ووقع في هذا الشهر بالكرخ حريق عظيم من حد طاق التكك إلى السماكين، وعطف على أصحاب الكاغد وأصحاب النعال. .». ولم تقتصر سكك الكرخ ودروبه على حوانيت الورق ومصانعه، بل تعداه إلى محال أخرى، حيث ذكر ياقوت الحموى أن محلة «دار القز» وهي محلة كبيرة ببغداد في طرف الصحراء، فيها يعمل الكاغد[6]، كما ذكر محال أخرى كانت تتعامل بالكاغد من أمثال (جهارسوج، والنصريّة،

(1) المقدمة/ ص421.

(2) أنظر ترجمته في وفيات الاعيان 4/ 27 - الترجمة رقم 527.

(3) راجع أيضاً - كوركيس عواد - المقال المذكور/ ص426.

(4) صبح الاعشى 2/ 475 - 476.

(5) أخبار الراضي والمتقي - الاوراق - للصولي/ ص261 - 262 بعناية ج. هيورش. دن - مطبعة الصاوى بمصر.

(6) معجم البلدان 2/ 422 - مادة (دار القز).

والعتابيّون، ودار القز)[1]، وهذه المحال كانت ضمن منطقة الحربية، ومتصلة بعضها ببعض، ظلت ماثلة في آخر خراب بغداد «المئة السابعة للهجرة» وفيها مصانع للورق.

ونظراً لكون بغداد، هي حاضرة الدولة الاسلامية في أيّام العباسيين فمن المنطقي أن تكون هي المركز التجاري، الذي تتعامل معه بقية أطراف الدولة لذلك شكّلت عملية تجارة الورق بينها وبين بقية الاقطار حالة دائمة التفاعل ومتطورة وقد طغت سمعة الورق البغدادي على الكثير من أقطار الخلافة الإسلامية، وظلّت هذه السمعة قائمة طوال عصور الخلافة العباسية وما بعدها، حتى أن المتأخرين من الكتّاب والمؤرخين، يذكرون أهمية هذا الورق وميزاته وجودته، وسيادة نوعيته على بقية أنواع الورق، من ذلك ما ذكره القلقشندي[2] من أن أحسن أنواع الورق ما كان ناصع البياض غرفا صقيلا، متناسب الاطراف، صبورا على مرور الزمان، وهو ما كان يتناسب ومواصفات الورق البغدادي حيث ذكر أنه: ورق ثخين مع ليونة ورقّة حاشية، وتناسب أجزاء، وقطعه وافر جداً، ولا يكتب فيه في الغالب إلاّ المصاحف الشريفة، وربما استعمله كتّاب الانشاء في مكاتبات القانات ونحوهما في المكاتبات السلطانية[3]، وهذا الأمر يكشف أهمية الورق البغدادي ونفاسته، فقد كان يستعمل للأمور الجليلة، كما هو موضّح أعلاه، وهذه الميزات الصناعية والفنية للورق البغدادي تكشف مدى التطور في صناعة الورق، وتوفّره في بغداد، وندرته في غيرها.

وثمة أفضلية للورق البغدادي على غيره، فقد كان بعض الوزراء يهدونه إبّان تسنّمهم مقاليد الوزارة وبعض الامور الاخرى كالشمع والثلج[4] نظراً لغلاء هذه المواد، وقد ذكر ابن الطقطقي أن ابن الفرات - الذي تولى الوزارة للمقتدر ثلاث مرّات - كلّما ولي الوزارة يغلو الشمع والثلج والكاغد، لكثرة استعماله لذلك، لأنه ما كان يشرب أحد - كائناً من كان - في داره إلاّ الماء البارد، ولا كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب، إلا وبين يديه شمعة كبيرة نقيّة، صغيراً كان أو كبيراً، وكان في داره حجرة معروفة بـحجرة الكاغد، كل من دخل واحتاج إلى شيء من الكاغد أخذ حاجته منها[5] وأضاف الصابيء إلى ذلك أن

(1) معجم البلدان 2/ 193 - 194 - مادة (جهارسوج).
(2) صبح الاعشى 2/ 476.
(3) المصدر السابق.
(4) مسكويه - تجارب الامم 1/ 120 طبعة آمدروز - وكوركيس عواد - المجلة المذكورة/ ص429.
(5) ابن الطقطقي - الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية/ ص196 - بعناية محمد توفيق الكتبي - منشورات المطبعة الرحمانية بمصر.

ابن الفرات كان قد خصص مبالغ للصحف والقراطيس والكاغد[1].

نظراً للإقبال الشديد من لدن عامة الناس وبقية أصحاب المِهَنْ، لا سيما تلك التي تحتاج في حملها إلى الورق، أصبحت الحاجة مُلحّة إلى توفير كميات كبيرة من الورق، الأمر الذي لا تستطيع معهُ «معامل الورق» في بغداد من تسديد الحاجة والطلب، لجأ الناس إلى «صناعة الورق المحليّة» داخل البيوت أو الدكاكين الخاصة بهم، تمشية لأمورهم العملية – الحياتية. الأمر الذي لفت انتباه ذوي الخبرة من الورّاقين وشيوخ صنعة الكتابة، فدوّنوا أمرَ تلك الصناعة المحليّة للورق، كي يستفاد منها الجمهور، وقد أطلعتنا «مخطوطة» بعنوان «المخترع في فنون من الصنع» مجهولة المؤلف وهي عبارة عن «فصل من كتاب» أوردها «محمد بن قوّام بن صفي بن محمد ضياء ترك فاكوري، المعروف بقاضي خان» وذلك في سنة 876هـ الموافق لعام 1471م. وقام الأستاذ «بروين بدري توفيق» بتحقيقها، ونشرها بمجلة (المورد العراقية)[2]، وبغية إتمام الفائدة للموضوع الخاص بصناعة الورق، نوردها هنا كاملة، كوثيقة أصلية تشير إلى مدى الوعي الحضاري عند أولئك الناس وشغفهم بحب المعرفة والثقافة:

## عنوان المخطوطة:

«في عمل الكاغد البلدي ووضع الأسرار في الكتب وما يمحو الدفاتر والرقوق»

### – صفة عمل الكاغد البلدي –

«يؤخذ لحاء شجرة المرخ[3] فييّبس وتقشّر الظاهرة، فيرمى بها وتؤخذ القشرة الداخلية البيضاء، التي خيوطها كانت متينة، فاغسلها بماء صائر[4] تشبه البركة، ويفرش تحته من ورق العشر[5] ما يقيه من التراب ووسخ البركة، ويكون الماء قدر ما يغمرهُ مواد كثيرة ويغطّى فوقه في وسط الماء بورق العِشر عيدان لطاف وعيدان صغار حتى يمنعه ويمنع

---

(1) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء/ ص26 – بعناية عبد الستار أحمد فرّاج – طبعة البابي الحلبي – مصر 1958م.

(2) راجع – المورد – العدد/ 4 مجلد 14 لعام 1985 – ص275 وص286.

(3) المرخ = شجر النار، سريع الورى، يتفرش ويطول في السماء، ليس له ورق ولا شوك وعيدانه سليّة، ومنه يكون الزناد الذي يقدح بو/ تاج العروس – مادة (مرخ).

(4) ماء حائر: أي ماء مجتمع في الحوض بسبب إليه مسيل ماء الأمطار القاموس – مادة (حَيَر).

(5) أورد المحقق كلمة (بالشعر) وهو غير مصيب لا من حيث المعنى ولا من حيث السياق، وما أوردنا هو الأدق، حيث تكرر ذلك في النص، مشيراً إلى (الشمس).

الورق من الصعود وحتى لا يبان منهُ شيء ولا يطفو فوق الماء، ويقيم في الماء منقعاً أربعة أيام بلياليها ثم يخرج من حوض الماء ويعصر ما فيه من الماء ويترك في زاوية البيت وهو مرصوف كدساً، شيئاً فوق شيء، ثم يُفرش لهُ من ورق العِشر ما يقيه من تراب البيوت ويبقى محمولاً في الزاوية، مغطى عليه أيضاً بورق العشر، ثلاثة أيام بلياليها من مَرَزْ، لأنه إن زاد عليه الرصف بالزاوية تلف،، وكان ورقه ينقص، ثم يخرج من البيت ويُضحى [بالشمس][1] صفّاً أو سَفف [ثم] يخضخض ما بقي من التراب في الشمس حتى يجف ولا يبقى فيه من رطوبة الماء شيء ويجف ثم تغمر القِشرة الداخلةِ بالماء ثانية وتعصرهُ من الماء وتُكبِّبُهُ[2] كِبباً صغاراً ثم تخلى في ركن خزن الكتب، بعضها فوق بعض وتسوى كبّة واحدة بعد واحدة وتنقى ما تبقى فيها من قشور اللّحاء الغليظ الأخضر ومن الوسخ ومن أثر ما تعلق من الماء حتى يصير نقيّاً من كل قشر وقش، هذا وهو رطب، وينعّم ما تكون بالظفر حتى يخلو من جميع ما فيه ولا يحتاج إلى أن تكبسه، لأن الدق يمسكه وينعّمِهُ ويخلطه ثم يضحى بالشمس ثانية، على موضع نظيف أو ثوب حتى لا ينشقهُ تراب ولا قش، ولا تنسى تذرهُ بالماء ثانية، ثم يطبق وتعصرهُ وتكببُهُ ثم يعاد عَملهُ الأول وتردهُ إلى وعائه الذي كان فيه وهو رطب ويخرج من الوعاء كبّة لينه وتضع الكبّة[3] الأرض مثل حجر الرحا نظيفة وتستعمل دقماقاً نظيفاً من خشب العتم[4] أو من خشب[5] يكون بوجهين ويكون بقدر ما وقعه الإنسان بيده، وتُتابع بهِ الضرب ولا تتعب ولا تترك الضرب بالدقماق، حتى يمتد ويصير مثل عجين ليّن في كل يوم تضربه مرّة واحدة وتعيدهُ إلى وعائه، لا يزال لذلك خمسة أيام وبعد الخمسة أيام ويقدّم بما في وعائه، فتنقعه على مصفا فيه خشونه نظيف فإن عدم المصفا كان على حجر مثل حجر[6] خشنة وترشه بالماء وتعجنه بيدك حتى يختلط شيئاً بشيء، ثم تنزله في الماء في حوض مجتمع فيه الماء من الوسخ وتخضّه حتى يختلط بالماء ثم تنشّفهُ بخرقة، وهي تجفف الماء حتى يذهب منه جميع اليشنة[7] التي فيه، وهي يبس

(1) ورد في أصل المخطوط (تكسه).
(2) فراغ في الأصل.
(3) خشب العتم: هو المأخوذ من شجر الزيتون الجبلي من الأشجار العظيمة الفائدة، راجع (معجم أسماء النبات - لأحمد عيسى/ ص27).
(4) فراغ في الأصل.
(5) ساقطة في الأصل.
(6) ساقطة في الأصل.
(7) في الأصل: الشنة، واليشنة، هي الأستنة، وهي أجزاء شعرية تتخلّق بأصول الأشجار، وأجودها ما على الصنوبر والجوز وكان أيضاً نقيّاً - تذكرة داود 1/ 46.

الشجر وهي اليشنة وتجمعه كبّة كبّة ثم تنزله إلى حوض مغضّض[1] أكثر من القالب عرضاً وطولاً، نظيفاً من الوسخ فيأخذ من الماء الصافي ما يملأهُ ولا تترك في الماء شيئاً من وعش أو كدر ولا منشور.

ثم ينزل الكبب في الحوض كلها ويخدشها بعود، رأسه فيه أربعة عيدان صلبة مزوجاً مثل مجدح[2] اللبن، ضرباً جيداً في الماء، حتى يختلط جميع الكبب في الماء ويبقى مثل الجُفر[3] الذي يُدق في القطن في الماء، ثم تنشّفه بالخرقة ثانية وتعملهُ كببا، كل كُبّة بقدر الأترجة أو كيفما تشاء، وتضع الكبب على حافة الحوض ثم يرجع ينزّل في الحوض من الكبب قطعة قطعة كل بقدر الليمون المركب أو النارنجة بشيء، تستعمل منه خمس أوراق، روّها ونقيّها وتخدشها من الساعة الثانية بالمخدش، حتى يختلط الشجر المذكور المدقوق في الماء وينزل فيه القالب ويطلع فيه الشجر بقدر، حتى يطلع متساوياً، وتكون الورقة متساوية من جميع جوانبها، وعلى قدر الحافة التي تريد، فإذا تساوت الورقة في القالب فيكون تحته على الأيسر لوح واطىء على قدر القالب بطوله وعرضه، فتصنعَهُ وتفرش فوقه ثوباً أبيض، وكلما طلع في القالب ورقة، قلب القالب على وجهه الذي فيه الورقة وامسحه بخرق بكفّك مسحتين أو ثلاث، حتى تسقط الورقة من القالب وتصير مُمتدّة فوق الثوب، كلما عمل ورقة حَطّها فوق الأخرى إلى حَدِ مائة ورقة فما فوقها، وكلما نقص الماء الذي بالحوض مُما تقدحَهُ بالقالب صُبَّ عليه ماءَ آخر حتى يكون الحوض ملآناً من الماء، لأن الشجر وهكذا إذا قل الماء متر نزله ماء آخر كلما نقص، فإذا فرغ من جميع الشجر الحاصل معهُ في الحوض من الذي رويته ويبقى الورق مرصوفاً بعضه فوق بعض، فتضع فوق الورق خرق نظيف تغطّهِ جميعَهُ، وتأخذ حجر مسنون الوجه فتضعه على الخرقة التي فوق الورق وهي ترزم بها جوانب الورق الذي تحت الخرقة، حتى يخرج ما فيه من الماء، ويبقى فيه رطوبة لا غير، ثم ترفع الحجر والخرقة من فوق الورق، ثم ترجع تفرد الورق، كل خمس ورقات أو ما يقابلها وحدها ثم تضعها في الشمس على مصفا نظيف، بحيث لا يناله تراب ولا وسخ وتخليه حتى يجف وتبقى فيه رطوبة هينة، فيرفع الورق من المصفا وترجع تفردهُ ورقة ورقة في موضع نظيف بحيث لا يصله الهواء ولا التراب ولا القش، فتفرش له فوق اللوح الأول خرقة نظيفة وتضعهُ عليها وهو يخلّصها ورقة ورقة، وتضعَهَا واحدة حتى يكمل الجميع، ثم يرجع نضحه على المصفا في الشمس كل خمس ورقات

---

(1) مُغضض = من غضوض، أي كثير الماء، كالقول «بئر غضوض» راجع (غضض) في لسان العرب.

(2) مجدح = من جدح الشيء، خلطه بشيء من الماء واللبن ونحوهما.

(3) الجفر - خيوط من القطن دقيقة مقصورة، تجعل حزمة.

وحدها حتى يجف وتضحى وتنشف من الماء ولا يبق فيها رطوبة بالجملة الكافية، ثم ترفعه وترصفه خمس ورقات حتى تكمله، وتضع عليه اللوح وفوق اللوح حجر ترزمهُ بها، ثم تُرهك[1] من الذرة البيضاء الرطبة، التي تُسمى الفياشي أو الأرزن أو الشريحي الرطب [لا يعلب قدر نصف الزبدي البقري][2] لمائة ورقة وعلى حساب ذلك تبدأ بدلك الذرة حتى يزول منشرها ثم تُرهك رهكاً ناعماً بالمرّة لما قدر سبع مرّات وتترك إلى أن يحمض إلى يوم ثاني، ثم يُشد بخرقة خشنة حتى يخرج منها دُقٌّ من الرهيك، ويبقى [المقدريزي][3] في قدره، ويوقد عليه لينضج ويصبح مثل طبيخ نشاء الغراء يترك إلى أناةٍ آخر، ويؤخذ خرقة، يكبب كبّة لها فتعصر وهو يصنعها في النشاء، ويأخذ منهُ ما علق بالخرقة وتمسح بهِ وجه الورقة وتغلبها وتمسح به قفاها، فلا يزال لذلك حتى جميع الورق وجهاً وقفا عملاً مستوياً بقدر لا يكثر ولا يقل وهو يضع الورق واحدة فوق أخرى، إلى حد عشرين ورقة أو ثلاثين ورقة.

ثم غرٌ مصلحاً الورق المنشا وروية بغراء النشا ثم ترفعها على عَقْده وتضعهُ في الشمس على شرشف مُقعّر نظيف من التراب وتلزق أطراف الورق القصّاص، ترطبهُ بالنشاء حتى لا يطيّرها الريح ولا نكمشها إلى أن تجف، وينشّف النشاء الذي فيها، ثم مَرّر عليها بسكين رأسَهُ حاد مثل المشرط وتقشع بهِ أطراف الملزقة على القفاص، حتى يخلّصها بسهولة ولا تنحرف من طرفها الملزق إلى طرفها السائب، ثم ترفع الورق سوَيّاً ثانية، ثم تصقلِهُ ورقة ورقة على حجر ملساء مثل الرخافة بحجر أخرى يكون مَسنَدَهُ ملساء مدوّرة مثل المصقلة أو [الخرزة].

أيضاً فِلْ الزجاج أو اللّوح بقدر ما يقبض عليها الصانع الورقة على طول وجهاً وقفاً. حتى يكمل صفاً لها ثم يعطفها على وجهها نصفين، ويمسك طرفها فتساوت حتى لا يَمْل طرفها، ثم تكسر وسطها بالمصقلة، ولا تزال تصقل الجميع وتكسرها ونضعها واحدة فوق واحدة حتى يكمل الجميع، ثم يأخذ عُوداً في قراءة الكتب المختومة، وفض ختامها، فصفتها إذا كان الكتاب طويلاً، طويت درجه حتى تقرأهُ بالرفق، وحتى يتبيّن منه فصل لك منه، فإذا قرأته نأعدهُ في طيّاته كما كان في حاله الأولى، وأمّا فض ختامه، فإذا كان الطالعُ طرفه فالحيلة فيه مَسِّهِ، فإن كان يابساً فبخّرهُ بُخَاراً بماء حار، فإنه يلين وينفتح عقد الرواة يسيراً يسيراً، إن شاء الله تعالى».

---

(1) تُرهك = أي تُطحن من مرحكة، طاحونة يد تستعمل لجش القمح وطحنه.

(2) هكذا في الأصل.

(3) هكذا في الأصل.

وهناك طريقة أخرى لصناعة «الكاغد البلدي» من مادة أخرى أكثر وفرة وأرخص سعراً، ذكرها صاحب كتاب «عمدة الكتّاب» تعتمد في صناعة الورق على مادة «القنّب الأبيض» وهذه الطريقة تكون «بأن ينقّع القنّب ويسرّح حتى يلين، ثم ينقع بماء الحبر ويفرك باليد، ويجفّف، وتكرر هذه العملية ثلاثة أيام، ويبدل الماء في كل مرّة، حتى يزول الجير منه، ثم يدق في هاون، وهو ندي، حتى لا تبقى فيه عُقد، ثم يُحلّل في الماء، ويصبح مثل الحرير، ويُصب في قوالب حسب الحجم المراد، وتكون قطع الورق مفتوحة الخيطان، فيرجع إلى القنّب ويُضرب شديداً، ويُغلى في قالبٍ كبير بالماء، ويحرّك على وجهيه، حتى يكون ثخيناً، ثم يُصبُّ في قالب، ويُقلب القالبُ على لوح، ويلصقهُ على الحائط حتى يجف ويسقط، ويؤخذ لهُ دقيق ناعم ونشأ في الماء البارد، ويغلى حتى يفور ويُصب على الدقيق، ويحرّك حتى يروق، فيُطلى بهِ الورق، ثم تُلف الورقة على قصبة حتى تجف من الوجهين، ثم يُرش بالماء ويجفف ويُصقل»[1].

ومن بغداد انتقلت صناعة الورق إلى بلاد الشام، فأُنشئت فيها معامل صنعت أنواعاً نفيسة من الورق، وقد كانت طرابلس الشام من عيون المُدن التي فاقت ما سواها من البلدان في صُنع الورق فقد ذكر ناصر خسرو أن أهل هذه المدينة يصنعون بها الورق.

ومن المعروف أن العرب كانوا قد أنشأوا في جزيرة صقلية «مصانع لصناعة الورق» ومنها وصلت إلى المدن الايطالية[2] كما عرفت بلاد الاندلس هذه الصناعة فقد كانت مدينة «شاطبة» أشهر المدن الاندلسية الواقعة في شرق الاندلس: مشهورة في صناعة الورق، ذكرها ياقوت الحموى مشيراً إلى أن فيها يعمل الكاغد الجيّد، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الاندلس[3]، أما مصر، فمعروفة بقراطيسها المشهورة.

وعلى ما يبدو أن بغداد تميّزت عن بقية الأمصار الإسلامية، بالمحافظة على جودة ورقها، فقد عدّه القلقشندي[4] في المرتبة الأولى: فيما يكون دونه في المرتبة الورق

(1) راجع مخطوطة «عُمدة الكتّاب وعُدّة ذوي الألباب» للأمير المُعز بن باديس في مكتبة العطارين بتونس - ورد فيها «فصل في صناعة الكاغد» وقد أشار مشكوراً د. علي جمعان الشكيل إليها بمقالهِ الهام (صناعة الورق في الحضارة الإسلامية) والمنشور بمجلة «آفاق الثقافة والتراث - الإماراتية - العدد/ 31 السنة الثامنة رجب 1421هـ/ اكتوبر 2000م، ص118 - وص123. وناصر خسرو - سفرنامه/ ص 13 - ترجمة يحيى الخشاب، طبعة القاهرة 1945م.

(2) كوركيس عواد/ ص432.

(3) معجم البلدان 3/ 309 - مادة - شاطبة.

(4) صبح الأعشى 2/ 476.

الشامي، ثم يلي ذلك الورق المصري، وهو على نوعين، أو قطعين، المنصوري والعادي، والمنصوري أكبر قطعا وقلّما يصقل وجهاه جميعاً، وهذا الذي يصقل وجهاه يسمى بعرف الورّاقين بـ«المصلوح» وغيره عند المصريين على رتبتين: عالٍ وسط، وفيه صنف بالغوّى، صغير القطع، خشن غليظ، خفيف الغرف، لا ينتفع به في الكتابة، فيتخذ للحلوى والعطر ونحو ذلك[1].

والورق في الغرب والفرنجة فهو رديء جداً كما يقول القلقشندي[2]، سريع البلى، قليل المكث، لذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الاولى طلبا لطول البقاء.

## صبغ الورق وتلوينه:

لم يكن خافياً على العرب والمسلمين البُعد الجمالي الذي تشكلهُ الألوان في صناعاتهم اليدوية المختلفة، لا سيما تلك التي تكون للعين بمثابة الشاخص اليومي الذي يتعاملون معهُ، لذلك إنعكس هذا الوعي الجمالي على صناعة الورق، الأمر الذي أعطاه صفة الخروج من المألوف، لما هو مصنوع من الكتان والقطن والقنّب، ولذلك عَمَدَ الصُنّاع إلى إضافة «بعض المواد الطبيعية» على عجينة الورق، بغية صبغه إلى ألوان تعشقها النفوس قبل العيون، ولكسب رضا الناس من سلاطين وأمراء وعامة الخلق، بمعنى آخر، كان الصُنّاع يفكرون في «ذوق» المستهلك لنوعية الورق ولونه، لذلك عمدوا إلى عدّة «وصفات» يتعاملون بها عند تلوين الورق.

وقد وصف «أحمد بن عوض المغربي - أحد تلاميذ داود الإنطاكي» كيفية صباغ الورق في كتابه الهام: «قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار ونتائج المعارف والأسرار»[3] يقول في هذا الصدد:

«إذا أردت ذلك - أي صبغ الورق - خذ الورق، بلّه بماء الشب، ثم يلقى في ماء البقم «للأصفر» أو ماء الزعفران «للأحمر» أو ماء زهرة النيلة «للأزرق» وإذا أردت لونه خمريّاً سحقْت اللك والتبن، عليه نيلة هندي. وإن أردت فاختي، إلقِ شيئاً من الحِبر أو شيئاً من النيلة الهندي، على درهم من السيلقيون[4] وإن أردت لونه عوديّاً، «أي اسود ثقيل»

---

(1) صبح الأعشى 2/ 477.

(2) نفسه.

(3) قام الأستاذ بروين بدري توفيق بتحقيق الكتاب ونشره بمجلة «المورد العراقية» في العدد/ 3 مجلد 2، لعام 1983، ص251 وص280.

(4) السليقيون، هو الإسرنج، أو خلاّت الرصاص - انظر - تذكرة داود 1/ 198.

فاسحق الزرنيخ الأحمر ناعماً، والقِ عليه أدنى ما يكون من الحبر، وكذلك ماء السلق المروّق «المصفى» أو في ماء قشور البصل، أو في ماء قشور العصفر. المراد أحمر كان أو أصفر، أو في ماء حطب السنط[1] المغلي».

والطريقة المُثلى للحصول على تلك الأصباغ، يبيّنها المغربي على النحو التالي: «يؤخذ البقم فيُغلى حتى تخرج خاصيّته ويصفى، ويضاف إليه قطعة نطرون مصري، ويُعاد الورق مراراً حسب اللّون المطلوب. أما اللّون الوردي المفتوح فيكون من الزعفران والبقم، وأمّا قشر البصل مع النشأ فهو صباغ غريب، وأمّا هِباب الكوانين «المواقد» يُؤخذ ويُعجن عجناً محكماً، ثم يذاب بعد العجن في ماء كثير، بحسب ما تريدهُ من اللون في الحقّة «الإنا» والتفل، ثم يُروّق ويصبغ بهِ على العادة. وأمّا تبن الحمّص فلونهُ أصفر مخضرّ مُفرح. واعلم أن جميع الألوان يتولّد بعضها من بعض، ولا بُدَّ من بَلِّ الورق بماء الشبّ، لقبول الألوان، وينشر على القصب الفارسي الغليظ أو على قفص جريد، وينشّف في الظِل، فإذا جَفّ أصقلهُ»[2]

وثمة إشارة هامة تستوجب الإشارة والعودة إليها، هي ما ذكرهُ صاحب مخطوطة «أنواع اللّيق وكيفية إعمالها»[3] حيث ذكر الكيفية التي تُعد بها «صفة قطع أوراق الذهب» على النحو التالي: «يؤخذ قطعة جلدة حور[4] تخيطها شبه المخدّة الصغيرة، وتحشى قطن وتؤخذ ورقة الذهب بطرف السكين وتعمل على المخدّة وتقطع منها بالسكين قدر حاجتك، ثم تأخذ قطن وتبلّها بريقك بَلٌّ خفيف واعملها على الورقة فتشال في القطنة، أعملها على الغري أو الكلخ ووكدها[5] بالقطنة الناشفة، وخليها حتى تجف واصقلها تجيء فإنه وكذلك تفصل ورق القطنة فاعلم ذلك».

وله طريقة أخرى في ذلك تقول: «صفة صباغ الورق إذا أردت ذلك» تقول: «خُذ ما شئت من ورق ما قبله في ماء مشبب عود القسية أمّا في ماء البقم وأما الزعفران أو زهرة

---

(1) السنط = شجرة كثيرة النبت في مصر، ومنها يستخرج الصمغ العربي - أنظر - شرح أسماء العقار ص30.

(2) تجدر الإشارة بأن الدكتور علي جمعان الشكيل، قد أورد هذه الطريقة في صبغ الورق بمقاله «صناعة الورق في الحضارة الإسلامية» المنشور بمجلة/آفاق الثقافية والتراث - الإماراتية - العدد/ 31 - السنة 8 رجب 1421هـ/اكتوبر 2000 م، ص122.

(3) تمت الإشارة إليها في صناعة الورق المحلي في النقطة السابقة.

(4) الحور = جلد ضأن مدبوغ، تجلد به الكتب.

(5) وكدها = ثبتها.

النيلة الهندية، ثم انشر الورق على قصبة فارسية تكون غليظة وتكون في الظِل، فإذا جفَّ أصقلهُ واكتب فيه، فإن أعجبك لونه، وإلاّ غيّرهُ بعد أن تنشفُهُ قبل صَقلِه، فاعلم هذه الحكم واكتمها عن غير أهلها».

## الفصل السادس

# مقاطع ومقاسات الورق وأنواعه

لعب الورق دوراً هاماً في تجارته، فسمعة النوع البغدادي، مثلاً، تحقق ليس فقط ربحا ماديّا للتاجر، بل وتحقق راحة نفسية للكاتب أو الورّاق الذي يشتغل به، ويرتبط النوع بالمادة الاساسية في صناعة عجينته، وشكل ورقته ونعومتها وخشونتها. . . الخ، وكان القطن والمواد النباتية الأخرى من الأمور التي اتخذها العرب في صناعة الورق، وقد أوضح القلقشندي[1] أهمّ الصفات المطلوبة في الورق، من قبيل أن يكون ناصع البياض، غرفاً صقيلاً، متناسب الاطراف، صبوراً على مرور الزمان، وذكر ابن النديم[2] أن هناك أصنافاً منه، أشهرها الخراساني الذي يعمل من الكتان، وأنواع منه سمّاها بالسليماني والطلحي والنوحي والفرعوني والجعفري والطاهري، وقد اسند كوركيس عواد هذه الأنواع إلى من نسبت إليه في خراسان. والنوحي كأنه منسوب إلى «نوح» الساماني أحد أمراء الدولة الطاهرية التي حكمت تركستان وفارس، أما الورق الفرعوني، فضرب آخر، نافس ورق البردى في عقر داره، وأقدم النصوص العربية التي عثر عليها مدوّنة في هذا الورق، يعود تاريخها إلى سنة 180 - 200هـ/ 796 - 815م[3]. أما الورق الجعفري فمنسوب إلى جعفر البرمكي، فيما نسب ياقوت الحموى الورق الجيهاني إلى مدينة جيهان في خراسان[4] والورق المأموني إلى الخليفة العباسي المأمون بن الرشيد[5]، والعهدة على كوركيس عواد.

---

(1) صبح الاعشى 2/ 476.

(2) الفهرست/ ص31 - 32.

(3) دائرة المعارف الاسلامية - مادة (كاغد).

(4) معجم البلدان 2/ 202 - مادة (جيهان).

(5) كوركيس عواد/ ص423.

وذكر السمعاني[1] أن الكاغد المنصوري، ينسب إلى أبي الفضل منصور بن عبد الرحيم بن بنت ابن بحير الكاغذي من أهل سمرقند، وذكر أيضاً بأن الكاغد الحسني ينسب إلى أبي علي الحسن بن ناصر الكاغذي المعروف بـ الدهقان، وهذا الوراق لم يلحقه من سبقه في جودة الصنعة ونقاء الآلة وبياضها، وهو من أهل سمرقند أيضاً. ويقول المقريزي[2] أن الورق المنصوري تقع مصانعه بالفسطاط دون القاهرة.

أمّا بلاد فارس، فقد اشتهرت مدينة «خونج» فيها بجودة الورق المعروفة بـ «كاغد كنان» أي صنّاع الكاغد[3].

## مقاييس الورق:

خضعت مقاييس الورق، وحجوم قطعه، إلى حاجاته في الاستخدام، بين دوائر الدولة وحاجات سوق الورّاقين منه، ووفق قياسات معيّنة، أخضعها القلقشندي إلى واقع طبقي ملحوظ، كان سائدا في عصره/ المئة 9 هـ/ إضافة إلى الشكل الرسمي للقطع المستعمل في المراسلات الديوانية - السلطانية، ومراسلات الشعب، في إطار الأدب والاخوانيات، فقد ذكر[4] على لسان/ محمد بن عمر المدائني - صاحب كتاب «القلم والدواة»/ أن الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها في عهد معاوية بن أبي سفيان، وذلك أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار[5]، وإلى الأمراء من نصف طومار، وإلى العمّال والكتّاب من ثلث وإلى التجار وأشباههم من ربع، وإلى الحسّاب والمسّاح من سدس، ويضيف: فهذه مقادير لقطع الورق في القديم وهي: الثلثان، والنصف، والثلث، والربع، والسدس» ومنها استخرجت المقادير، متخذة القطع البغدادي أساساً في التقسيم والقطع والمفاضلة، لأنه يحتمل هذه المقادير، بخلاف الشامي، لا سيما وبغداد إذ ذاك دار الخلافة، فلا يحسن أن يقدر بغير ورقها مع اشتماله على كمال المحاسن[6].

وقد كانت أبرز المقادير للقطع حتى/ المئة 9 هـ/ والمستعملة في دواوين الدولة، هي

---

(1) الانساب 10/ 327 - مادة (الكاغذي).

(2) المقريزي/ الخطط - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار 2/ 189 مطبعة النيل بمصر سنة 1324هـ.

(3) ياقوت الحموي - معجم البلدان - 2/ 407 مادتي (خونا وخونسج).

(4) صبح الاعشى 6/ 189.

(5) الطومار = الورقة الكاملة.

(6) القلقشندي 6/ 189.

التي ذكرها القلقشندي وهي تسعة مقادير، مبيّنة على النحو التالي[1]:

1 - **قطع البغدادي الكامل**: وعرض دَرْجِهِ، عرض البغدادي بكماله، وهو ذراع واحد بذراع القماش المصرى، وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بالذراع المذكور وفي هذا النوع كانت تكتب عهود الخلفاء بيعاتهم، وعهود أكابر الملوك، والمكاتبات إلى الطبقة العليا من الملوك كأكابر القانات[2] من ملوك الشرق.

2 - **قطع البغدادي الناقص**: وعرض درجه دون عرض البغدادي الكامل بأربع أصابع مطبوقة، وفيه يكتب للطبقة الثانية من الملوك، وأحيانا يكتب فيه للطبقة العليا منهم، إذا حصل عوز في البغدادي الكامل.

3 - **قطع الثلثين من الورق المصري**: والمراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري، وعرض درجه ثلثا ذراع بذراع القماش المصري، وفيه تكتب مناشير الأمراء المقدّمين، وتقاليد النوّاب الكبار والوزراء، وأكابر القضاة ومن في معناهم، ولم تجر العادة بكتابة مكاتبة عن الابواب السلطانية فيه.

4 - **قطع النصف**: والمراد به قطع النصف من الطومار المنصوري، وعرض درجه نصف ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب مناشير الأمراء الطلبخاناه، ومراسيم الطبقة الثانية من النوّاب، والمكاتبات إلى الطبقة الثانية من الملوك.

5 - **قطع الثلث**: والمراد به ثلث القطع المنصور، وعرض درجه، ثلث ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب مناشير أمراء العشرات، ومراسيم صغار النوّاب والمكاتبات إلى الطبقة الرابعة من الملوك.

6 - **القطع المعروف بالمنصوري**: وعرضه تقدير ربع ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب مناشير الممالك السلطانية ومقدمي الحلقة ومناشير عشرات التركمان ببعض الممالك الشامية وبعض التواقيع وما في معنى ذلك.

7 - **القطع الصغير**: ويقال فيه قطع العادة، وعرض درجه تقدير سدس ذراع بالذراع المذكور، وفيه تكتب عامة المكاتبات لأهل المملكة وحكّامها، وبعض التواقيع والمراسيم

---

(1) صبح الاعشى 6/ 190 - 192.

(2) سياق العبارة يوضّح أن المعنى المقصود هو (أكابر الملوك - الامبراطور) ولم أجدها في القاموس التركي - العربي - مادة (قان)، إلا أنه أوضح أن (خاقان) تعني السلطان الاعظم - نفس القاموس - مادة - خاقان - أنظر/ الدراري اللامعات في منتخبات اللغات - أو - قاموس اللغة العثمانية - طبعة بيروت - 1318هـ.

الصغار، والمكاتبات إلى حكّام البلاد بالممالك، وما يجرى هذا المجرى، وقد كان هذا القطع والذي قبله في أول الدولة التركية/ على حد تعبير القلقشندي[1]، طول كل وصل منه شبران وأربع أصابع مطبوقة.

8 - **قطع الشامي الكامل**: وعرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله، وهو قليل الاستعمال بالديوان، إلا أنه ربما كتب فيه بعض المكاتبات.

9 - **القطع الصغير**: وهو في عرض ثلاث أصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية، وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام.

ونظراً لكون بلاد الشام ومصر، توازي بغداد العباسية، فقد خصّها القلقشندي، بوقفة صغيرة في مضمار استخدامات الورق ومقاديره المستعملة في كل بلد أو مدينة، مشيراً إلى أنهم كانوا يستخدمون أربعة مقادير: هي: قطع الشامي الكامل، وقطع نصف الحموي، وقطع العادة من الشامي، وقطع ورق الطير[2] ثم ذكر أن بقية البلدان/ غير الشامية والمصرية/ فالحال فيها مختلف، فبلاد المشرق تأخذ بالمقادير التسعة المارة الذكر، أما بلاد المغرب والسودان والفرنج فجرت العادة عندهم في الكتابة في طومار واحد يزيد طوله على عرضه قليلاً، ما بين صغير وكبير، بحسب ما يقتضيه حال المكتوب[3].

أما المؤلفات التي تناولت كيفية صناعة الورق فقد أشار إليها كوركيس عواد في بحثه المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية - المجلد 23 - ج3/ تموز/ 1948[4].

---

(1) صبح الاعشى 6/ 191.

(2) صبح الاعشى 6/ 192 - 193.

(3) صبح الاعشى 6/ 193.

(4) من هذه المؤلفات القليلة في مصادرنا العربية الإسلامية، مخطوط في خزانة كوركيس عواد يقع في 53 ورقة عنوانه (كتاب فضل القلم والخط وأعمال المداد) لا يعلم اسم مؤلفه، أشار في الباب الحادي عشر منها عنوان «في عمل الكاغد وصقله وترتيب الاقلام» استغرق هذا الباب 4 صفحات.

- وفي دار الكتب المصرية - رسالة مخطوطة عنوانها «صناعة الورق والليق والحبر» تأليف محمود خليفة ابن سليمان بن عبد الرحمن بن مصطفى أفندي، تقع في 4 ورقات.

- وفي الخزانة الآصفية - بالهند - مخطوطة برقم (221) وهي نسخة فريدة من كتاب «المخترع في فنون من الصنع» كتبها محمد بن قوام بن صفي بن محمد ضياء ترك ناكوري، المعروف بقاضي خان في سنة 876هـ/ 1471م، مؤلفها غير معروف، ويقوم هذا الكتاب من خمسة عشر باباً، خامسها يحمل عنوان «في عمل الكاغد البلدي على اختلاف أصنافه، ووضع الاسرار في الكتب، وما يمحو الدفاتر والرقوق».

- كل هذه الحاشية أخذت من مقالة كوركيس عواد ص 435 - 436 من المرجع المذكور.

## علاقة حجوم الورق بالأقلام (الخطوط):

لم تفت ورّاقي ذلك الزمان وكتّابه، مسألة علاقة القلم بالورقة، هذه العلاقة السرمدية، والتي لا ينفصل بعضها عن بعض مطلقاً، ونظراً للتطور المستمر الحاصل في صناعة الورق، من جهة، وتحسّن أداء القلم، وبروز مدارس للخط العربي[1]، من جهة ثانية، فإن مصانع الورق، أخذت تستيجب لطلب سوق الورّاقين من المقادير المطلوب توفرّها من الورق، والنوعية المحبّذة في ذلك، وهو أمر يشير إلى الايقاع المتصاعد للحضارة العربية - الإسلامية في تلك العصور، وهذه الناحية تكشف رهافة الحس، وجمالية الذوق الفني عند كتّاب تلك الفترة، بحيث أنهم جعلوا لكل قطع من الورق، قلم خاص به، فقد ذكر المقرّ الشهابي بن فضل الله في كتابه (التعريف) ما يناسب كل مقدار من مقادير الورق من أقلام الخط المنسوب[2].

فقال: إن لقطع البغدادي، قلم مختصر الطّومار، ولقطع الثلثين، قلم الثلث الثقيل، ولقطع النّصف، قلم الثلث الخفيف، ولقطع الثلث، قلم التوقيعات، ولقطع العادة، قلم الرقّاع، ثم يضيف: ومن ذلك يعلم ما يناسب كل قطع من مقادير القطع المستعملة بدواوين الانشاء في (مصر) والممالك الشامية، فيناسب الشامي الكامل قلم التوقيعات لأنه في مقدار قطع الثلث البلدي أو قريب منه، ويناسب نصف الحمويّ والعادة، من الشامي قلم الرّقاع، لأنهما في معنى القطع المنصوري، والعادة في الديار المصرية، أما قلم الجناح لكتابة بطائق الحمام به، أما ما يكتب به الخلفاء أسماؤهم في الزمن القديم فبقلم الطومار، وهو القلم الجليل الذي لا قلم فوقه[3].

ولم يتوقف كتّاب وورّاقو تلك الفترة الزاهية عند هذا الحد، بل أضافوا إلى الجميل ما هو أجمل، في علاقة الورق بالقلم، حيث أنهم أسقطوا رؤيتهم الجمالية - النفسية على تلك العلاقة، فأعطوها دفقا آخر، ينطلق من بعد معرفي - مهني، وذلك بأن جعلوا قواعد فنيّة لشكل ومساحة الكتابة على الورق، من حيث المساحة المتروكة للبياض، وكيفية البدء بالبسملة، وما يترتب على الحاشية، وموضع التوقيع، وغير ذلك من الأمور الفنية المتعلقة بسطور الكتابة. يقول القلقشندي[4] في هذا الباب: أمّا مقدار البياض قبل البسملة،

(1) راجع باب «الخطاطون» من هذه الدراسة.
(2) نوع من أنواع الخط - سيجده القارىء في ج4 «الخطاطون» مع بقية أنواع الخطوط.
(3) صبح الاعشى 6/ 194 - 195.
(4) المصدر السابق 6/ 195.

فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق، فكلّما عظم قطع الورق، كان البياض فيه أكثر، فقطع البغدادي يترك فيه ستة أوصال بياضاً، وتكتب البسملة في أول السابع، وقطع الثلثين يترك فيه خمسة أوصال، وقطع النصف يترك فيه أربعة أوصال، وقطع المثلث يترك فيه ثلاثة أوصال، وقطع المنصوري والعادة تارة يترك فيه ثلاثة أوصال، وتارة يترك فيه وصلان، بحسب ما تقتضيه الحال، وقطع الشامي الكامل في معنى قطع المثلث، وقطع نصف الحموي والعادة من الشامي، في معنى القطع المنصوري والعادة في البلدي. وربما اجتهد الكاتب في زيادة بعض الاوصال ونقصانها، بحسب ما تقتضيه الحال.

ثم يضيف[1] وفي المكاتبات الصادرة عن سائر أرباب الدولة في مصر والشام، يترك في جميعها، قبل البسملة، وصل واحد فقط، وفي كتابة الادنى إلى الاعلى، يترك بعض وصل.

أما في حاشية الكتاب، فبحسب اجتهاد الكاتب فيه، في السعة والضيق، ويشير القلقشندي[2] إلى أنه رأى بعض الكتّاب المعتبرين، يقدّر حاشية الكتاب بالربع من عرض الدّرج، وهو اعتبار حسن لا يكاد يخرج عن القانون.

وأما البعد ما بين السطور فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق، ففي الكتب الرسمية «السلطانيات» كما يسميها القلقشندى[3] على اختلاف قطع الورق تكتب فيها البسملة في أولّ الفصل، بعد ما يترك من أوصال البياض في أعلى الدّرج، بحسب ما تقتضيه الحال، ثم يكتب تحت البسملة سطر ملاصقاً لها بحسب ما يقتضيه وضع القلم المكتوب به في القرب والبعد، بحسب الدقّة والغلظ، ثم يكتب السطر الثاني في آخر الوصل الذي كتبت البسملة في أولّه، بحيث يبقى من الوصل ثلاث أصابع مطبوقة أو نحوها في القطع الكبير، وقدر اصبعين في القطع الصغير وما بينهما بحسبه.

أما في المسافات المتروكة في البياض لما بين السطور، فقد أشار ابن شيت[4] في «معالم الكتابة» إلى أن مقدار ما بين كل سطرين يكون ثلاث أو أربع أصابع، ويعلّق القلقشندي على ذلك بالقول[5]: والذي جرت به عادة الكتّاب في زماننا (ق 10هـ) أن يكون في قطع العادة والمنصوري في كل وصل من أوصاله، ثلاثة أسطر، وفيما عداه سطران،

(1) صبح الاعشى 6/ 195.
(2) نفس المصدر/ نفس المكان.
(3) نفس المصدر 6/ 196.
(4) كان في آخر الدولة الأيوبية – القلقشندي 6/ 196.
(5) المصدر السابق/ نفس المكان.

وربما وقع التفاوت في القطع الصغير، بحسب الحال، حتى يكون في التواقيع التي على ظهور القصص «العرائض» ونحوها بين كل سطرين، بعد بيت العلامة قدر اصبعين، وربما تواصلت الاسطر، كما في الملطفات ونحوها.

أما ما يكتب عن النوّاب في الولايات والمكاتبات، من سائر أعيان الدولة، فدون السلطانيات، في مقدار خلوّ موضع العلامة، وهو ما بين قدر خمس أصابع مطبوقة ونحوها، وقدر بعد السطور، فيما بعد بين العلامة من قدر اصبعين إلى ما دونهما[1].

إن للعرب والمسلمين الفضل والمبادرة في شيوع مصانع الورق في العالم الاسلامي أولاً، وفي العالم الاوربي ثانياً، فهم الذين عنوا بنقله منذ عهد بعيد، أي منذ المائة الثانية للهجرة/ كما يقول كوركيس عواد[2]، فقد جاءوا به من بلاد الصين إلى سمرقند، فبغداد فالشام فمصر فالمغرب فالاندلس، وأدخلوا عليه من فنون التحسين والتجويد، كما أن معامل الورق، قد ازدهرت في كثير من البلدان الإسلامية، واختلفت باختلاف البلد الذي هي فيه من حيث الجودة والصقل والخشونة واللين، والقطع وغيرها، وهي تعتمد في ذلك على العمل اليدوي، وظلت كذلك حتى القرن التاسع عشر الميلادى حيث أدخلت الماكينات لصناعة الورق[3]، وقد كانت الدفعة القوية الثانية لصناعة الورق، عندما أمكن استخدام الطرق الكيميائية، حيث تستخلص الألياف السيليلوزية من النباتات، وخاصة من أخشاب المناطق الباردة، وقد أدى اختراع الطباعة هذا[4] إلى ازدياد الكتب والمطبوعات بأعداد كبيرة، وفتح الآفاق الجديدة للتطور المعرفي فنشرت الاعمال الادبية وبعثت حضارات الشعوب وبرزت آدابها القومية وراحت الحضارة تتقدم خطوة إلى الإمام بهذا الاختراع، وبرزت مهنة النشر وبيع الكتب، وشكلت عملاً تجارياً إضافة إلى محموله الثقافي حيث أصبحت الثقافة في متناول كل طبقات الشعب.

---

(1) كان في آخر الدولة الأيوبية – القلقشندي 6/ 196.

(2) مقالته/ الورق أو الكاغد – المتقدمة الذكر/ ص438.

(3) ننوّه هنا بدراسة د. حسين كمال الدين زكي/ صناعة الورق، نشأتها وتطورها/ المنشورة في مجلة الناشر العربي/ ليبيا/ العدد 2 فبراير – شباط 1984، ص72 – 75 – وكذلك مقالة الاستاذ مفتاح محمد دياب/ قصة الطباعة وتطورها/ المنشورة بنفس العدد/ ص 76 – 79، حيث فيهما جهد مشكور لمتابعة تطور صناع الورق والطباعة.

(4) على ذمة الباحث الراحل الأستاذ هادي العلوي (الطباعة اخترعها أهل الصين وترجع إلى القرن التاسع الميلادي وهناك كتب صينية مطبوعة قبل ظهور كوتنبرغ بأكثر من ستة قرون).

# الباب الثاني

# ولع الناس بالكتب والمكتبات

## الفصل الأول

## تمهيدات تاريخية من أيام سومر الى قيام بغداد العباسية

ليس من قبيل المجاملة أو الانحياز عندما نقول بأن للعراقيين ولعاً تاريخياً بجمع الكتب، فحضارة سومر وبابل وآشور، هي من الأوابد الحضارية التي سطعت قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين، في أراضي العراق، من أقصاه إلى أقصاه، فبهذه الأماكن، وجدت الحروف المسمارية والرقوم القديمة، والاسطوانات الطينية لمواد الكتابة الاولى، ولا ينكر أحد «مسلة حمورابي» في تلك الديار وهو أمر يشير إلى تطور مدني ملحوظ، في أفقه القانوني، لما احتوته تلك المسلة من قوانين وحقوق مدنية، لا زالت أصداؤها ماثلة حتى اليوم، فعلى هذا الركام الحضاري توالت الدول الكبرى العظيمة، وشيدت صروحاً من المجد الحضاري والتاريخي.

ومن يقرأ ملحمة «كلكامش»، يذهل أمام نصوصها السومرية، حيث فيها اختراق للماورائية وتجسيد للحس المادي، ولو لم يكن عند هؤلاء الأقوام الذين دلت حضاراتهم عليهم، شي من مقاييس الحضارة، لما وصلت إلينا مدوناتهم، ولما استطعنا أن نحكم على تلك الحضارات وتاريخها، صحيح أنها لم تكن من الدقة والتنظيم، بمثل ما نحن عليه الآن، إلاّ أنها كانت حتما، وفق نظام معلوم لديهم.

فقد كشفت لنا المدونات القديمة، أن هناك دوراً للسجلات (Arshefs) على شيء من السذاجة والبداهة، فقد كانت مدوناتهم الرسمية عبارة عن نصوص دينية، وقطع أدبية وتاريخية، وما يتعلق بالحياة اليومية، من معاملات بيع وشراء، وما إليه من ذلك، وكانوا يجمعون هذه المدونات في مواضع معلومة من «المعابد والقصور الملكيّة» وبعض دور

الخاصة، يطلقون اسم «دور السجلات أو بيت الرقم»[1].

وقد كان أمر الثقافة عند البابليين منوطاً بالكهنة الذين يستمدون علمهم من (نبو) مبتدع الكتابة والرسائل، وصنوف أبواب المعرفة، «وسيد» أي بيوت الألواح، أي الكتب أو خزائنها كما يقول عوّاد[2].

وقد كانت المعابد تحتوي على حُجَرٍ تضم مجموعة من الالواح يستعملها تلامذة الكهنة، وإلى جانب هذه الحجر، هناك حجر أكبر وأوسع تخزن فيها مجاميع الألواح المكتوبة، وتحتوى عادة على مدونات الرقى والكهانة والفأل ونصوص دينية وسحرية شتى[3].

ومن مشتملات المعبد ما نسميه (ديوان السجلات) فيه تجمع الوثائق المتعلقة بشؤون المعبد، كقوائم الأوقاف والحاصلات العائدة له، إضافة إلى نسخ من المناشير والأوامر الملوكية ومراسلاتهم، وجداول بالضرائب، والقرارات القضائية والوثائق الرسمية من مختلف الصنوف[4].

يبدو أن وظيفة الكاهن في المعابد السومرية، تتخطى حاجزها الروحي - الديني، كما تصل إلى المعرفي - الإداري، فهو يتولى أمر خزانة الكتب في المعبد، ويعنى بحفظ الالواح، من تبديل التالف بجديد، ثم عليه تقع مسؤولية توسيع الخزانهة، بالحصول على نسخ الوثائق القديمة من الخزائن الأخرى، أو بايفاد النسّاخ إلى المدن البعيدة لينسخوا له الالواح، ويأتوا بها إليه. وقد كانت دور السجلات هذه، مكتوبة على رقم طينية وبخط مسماري[5] ويوازى المعبد في هذه المسألة القصورالملكية، إلاّ أنها تأخذ الحيّز الثاني في الترتيب، ففي كل قصر، دار للسجلات، تجمع فيها ما يرد إلى القصر من رسائل إلى ملوك سومر، وما يتعلق به من حسابات وأخذ وعطاء، وغير ذلك ممّا يصعب تحديد مضامينه، وقد استطاع المحقق الكبير كوركيس عواد، من رصد أعمال الحفريات عند علماء الآثار الأجانب، ويطلع على مؤلفاتهم بهذا الصدد وأوجد لنا ثبتا هاماً بخزائن الكتب، وقتذاك

---

(1) كوركيس عواد (خزائن الكتب القديمة في العراق) ص42 - مطبعة المعارف - بغداد 1948م.

(2) المرجع السابق/ نفس المكان.

(3) نفسه.

(4) كوركيس عوّاد/ المرجع السابق/ ص43. وقد اعتمد في ذلك على الكثير من علماء الآثار المستشرقين الغربيّين الذي سطوا على آثار العراق، وتخصصوا فيها. ويكاد الباب الثاني عنده ص42 وما بعدها يعتمد عليهم كُليّا.

(5) كوركيس عواد/ المرجع السابق/ ص43.

وهو بهذا يكون قد أسدى فائدة كبيرة للعلماء والمهتمين بكل صنوف المعرفة، وعوّض علينا تعبا مضنيا، فله الفضل في ذلك.

ومن هذا الثبت نتعرف على (خزانة نُفَّر)[1] فقد عثر المنقبون فيها سنة 1889م على نيف وألفين من ألواح الطين[2] - وهناك خزانة دريهم/ سقط ذكرها عند كوركيس عوّاد، حيث أن الصفحات 46 - 47 - 48، غير موجودة في طبعة المعارف البغدادية 1948/ . وقد ورد ذكرها في فهرس الكتاب ص 336.

وقد حصرت بين ص47 - 48/ من نفس الطبعة - ثم هناك/ خزانة نينوى/ التي ازدهرت في أيام آشور بانيبال، رغم أن سرجون الأكدي/ 721 - 705 ق.م/ كان قد قام بجمع خزانة له، فقد وجدت ألواح كتبت في عهده، وعليها ختم خزانته[3]، إلاّ أن آشور بانيبال كان الاشهر والأعرف في جمع الكتب وتأسيس مكتبة (خزانة نينوى) حيث أن هذا الملك الآشوري كان محباً للعلم، شغوفاً به، فقد كان أكثر الملوك الآشوريين الذين سبقوه منصرفين في الغالب إلى شؤون الحرب توسيعا لملكهم، أو منهمكين في تشييد القصور والمباني الفخمة، أما هذا الملك/ بانيبال/ فكان قد امتاز عليهم جميعاً بحسن ذوقه الأدبي لأنه تعلّم كثيراً ممّا كان لدى الآشوريين، من علوم وفنون وحكايات وأقاصيص.

وقد ورد في «أخبار آشور بانيبال» والتي وجدت مسطورة على اسطوانة طينية من عهده ما معناه «أنا آشور بانيبال، قد اختزنت في قصرى حكمة نبو، استوعبت ما في الألواح المدونة، وكل ما في ألواح الطين من خفايا ومشاكل»[4].

كما يؤخذ من بعض الألواح، الموجودة في هذه الخزانة، أن جانباً من هذه النصوص كان يقرأ بحضرته قبل الموافقة على إيداعه الخزانة، فلا غرو أن يعد عصره بالعصر الذهبي للفن والآداب الاشورية[5] كما عرف عن هذا الملك العظيم، فرط اهتمامه بشأن العلوم والفنون وإيداعها في مكتبته، فقد أشير إلى أنه بعث بنساخه إلى مظان العلم والآداب

---

(1) أثبتها ياقوت - نِفّر - بكسر أوله وتشديد ثانيه، وقال - قرية من نواحي بابل بأرض الكوفة وأورد عنها اسطورة خرافية، راجع - معجم البلدان - 5/ 295 - مادة نفرّ - وإلى هذه القرية ينسب - النفرّي - الصوفي من أعلام القرن الرابع الهجري.

(2) كوركيس عوّاد/ خزائن الكتب/ ص44. وننوه هنا إلى سقوط أربع صفحات من طبعة هذا المرجع الهام حيث لا وجود للصفحات 45 - 46 - 47 - 48.

(3) كوركيس عوّاد/ المرجع السابق/ ص49.

(4) المرجع السابق ص49.

(5) نفس المرجع/ ص49 - 50.

المختلفة في زمانه، كبابل وبروسيا، وأكّد، وكوثى ونفّر وآشور وغيرها، فنسخوا له كل التآليف المهمة، وجمعوا له اشتات العلم ودونوها وحفظوها في خزانته، وقد كانت هذه الخزانة (خزانة نينوى) جليلة القدر والمقدار، تضم كثيرا ممّا عرفه البشر يوم ذاك، من أفانين العلم والادب والدين، وفيها المصنفات التاريخية، والاخبار والرسائل والسحر، والصرف والنحو والادب والشعر والقانون، والتنجيم والفلك والجغرافية والطب والتاريخ الطبيعي، والصلوات والطقوس، والأساطير والقصص، كقصة الخلق، والطوفان وأمور أخرى[1].

كما لوحظ أن هذا الملك كان يعيد ما نقل إلى خزانته من ألواح الخزائن العتيقة البالية وغيرها بعد أن يدونها بالاشورية، وتوضع عليها (أقصد النسخ المنقولة) ملاحظات وصفية، تاريخية أو إيضاحية، وبهذا الوجه، اشتملت الخزانة على بضعة آلاف كتاب[2].

ومن الخزائن القديمة الأخرى (خزانة مدينة أدب) وتعرف في بعض المصنفات العربية باسم (بسما) أو (بسمى) وأغلب أهل العراق يسمونها (بسماية) وهو الغالب المتداول - الآن - وهي مدينة عراقية ذات شأن في التاريخ - لم يذكرها ياقوت في معجمه - اندثرت معالمها، ولم يبق منها إلاّ أخربة، تقع في فلاة، على خمسة وعشرين ميلا من جنوب غربي (نفّر) وعلى مثل هذه المسافة في غربي شط الحي (منطقة من واسط)، كشف هذا الموقع سنة 1904، وقد اهتدى إليها الأمريكي (بنكس E.J.Banks)، وقد اسفرت التنقيبات اللاحقة عن كشف (2500) لوح، ومعظمها مثلم الاطراف ومشطور شطرين، وقد وجدت (500) عادية سالمة من العطب، صحيحة الكتابة، عرفت فيما بعد بأنها صكوك وعقود ووصلات وسندات تنبىء عن بيع حبوب وحيوانات داجنة وصوف وغير ذلك. وبينها رسائل، ولا أثر للقيود التاريخية، ولا للترانيم والمزامير والقصص والأمثال[3].

وقد تعرّضت (خزانة أدب) إلى السرقات الاستعمارية، وانتزع منها آثار مخطوطاتها الحجرية الثمينة، وترك بعض أجزائها، لقلة أهميتها في علم التاريخ[4]، إن تراث خزانة أدب أو بعضه يعود إلى زمن (جميل - سن) ملك أور، وبعضها الاخر أقدم من ذلك، فقد

---

(1) نفسه/ ص50.

(2) نفسه ص 50 - 51، ويذكر أن الرحالة الاثاري الانجيليزى (السير هنرى لايرد) هو الذي عثر عليها أثناء تنقيباته في قصر آشور بانيبال في نينوى وذلك سنة 1851 - 1852 كما عثر الموصلى (هرمزد) في أثناء تنقيباته في نينوى على بعض مئات من ألواح هذه الخزانة (كوركيس عواد) ص51 - 52.

(3) كوركيس عوّاد - المرجع السابق - ص55 - 56.

(4) كوركيس عوّاد/ ص56.

وجد بعض القطع وعليها اسم (نرام سن) أي سنة 2400ق.م، وهذا يعني، أن هذه الخزانة من مخلفات الألف الثالث قبل الميلاد[1].

ومن الخزائن القديمة الأخرى (خزانة سبار)، وسبار، تعرف أطلالها اليوم باسم (أبو حبّة) تقع على نحو عشرين ميلا من جنوب غربي بغداد، وهي من أقدم مدائن العراق[2].

ترأس (هرمزد رسام الموصلي)، بعثة انجيليزية سنة 1878م، ونقّبوا في تلك الاماكن، فأسفر التنقيب عن إكتشاف عشرات الألواح المكتوبة وعدد كبير من اللقى الأثرية، ثم وُفّق الأب شيل عام 1891 في تنقيباته، حيث عثر على قسم من سبار وعلى أكثر من ألف لوح، وقد امتدت يد الآثاريين الاستعماريين اليها، فقد ذكر العلامة بج، أن جورج سمث الاثارى المشهور، اقتنى طائفة صالحة من هذه الرقم سنة 1876م وبعث بها إلى المتحف البريطاني[3].

(وخزانة سبار) هذه عثر عليها في (دار سجلات المعبد) وفي مدرسة المعبد ذاته، ويذكر شيل، أن هذه الخزانة اشتملت على ألواح فيها تمارين كتابية، وجداول علامات الكتابة ومقاطع لغوية، وموازين تصريف الافعال، وجداول المقاييس، وجداول الضرب في علم الحساب، وغيرها من الجداول الرياضية، كما وجد فيها جملة من (الالواح الفلكية) إضافة إلى عدد وافر من النصوص التي تغلب عليها المسحة الأدبية، كالتاريخ والصلوات والرقى، من قصة الطوفان، وقطعة من نص ديني خطير، وغير ذلك[4].

وقد كانت هذه الكتابات تتوزع إلى ضربين، الأول: وثائق تتعلق بأمور الأخذ والعطاء بعضها يخص المعبد، وبعضها الآخر يخص أناسا مختلفين، والثاني: ما يبلغ به للتوصل إلى درجة الكهنوت ودروس عن أداء الطقوس الدينية وغيرها[5].

وهناك (خزانة الجمجمة) والجمجمة قرية على الضفة اليسرى لشط الحلة (بابل) وهو أحد فرعي نهر الفرات، تقع في الطرف الجنوبي من رقعة مدينة بابل[6]، كان في هذه الخزانة كميات كبيرة من رقم الطين المطبوخ، عبث بها أعراب تلك المنطقة وباعوها إلى

---

(1) نفس المرجع والمكان.

(2) المرجع السابق/ ص56 - 57.

(3) راجع: Budge, Rise and progrees of Assyriology. (P. 132)
وكذلك كوركيس عواد المرجع السابق/ ص57.

(4) كوركيس عوّاد/ ص59.

(5) المرجع السابق/ ص60.

(6) نفسه.

تجار الآثار الاجانب، ومنهم انتقلت إلى المتاحف العالمية، ويعود عصرها إلى الملك الكلداني نبوخذ نصر (604 - 561 ق.م) وهذه الخزانة كانت تضم كتبا في الأدب واللغة والدين والاساطير وأمور التجارة والادارة وغيرها من المواضيع[1].

وفي تلك البقاع البابلية هناك (خزانة كيش) ذلك الموضع الأثري الخطير الشأن والذي يرى على مسافة تسعة أميال من شرقي بابل ويسميه الاهالي هناك باسم (تل الاحيمر)[2]، بدأت عمليات التنقيب في هذا المكان سنة 1923م، واتضح من سير التنقيب في كيش أن هذه المدينة العريقة في القدم، قد كان فيها (خزانة كتب) فقد وجد المنقب (لنكدن) في شباط 1924، مجموعات أدبية من رقم الطين في أحد تلول كيش، حيث عثر أحد العمال على رقيم من الطين المطبوخ يتضمن وثيقة تجارية من عهد نبوخذ نصر، والخزانة الاساسية تقع تحت مبان عظيمة متأخرة من العصر البابلي الحديث، أي إلى عصر (إسن ISIN) وحمورابي، والالواح الكثيرة التي عثر عليها في هذا التل، يغلب على مواضيعها علوم النحو واللغة، كما أن عدد الكسر المشتملة على جداول العلامات الكتابية والنصوص المدرسية، بلغ من الكثرة حداً مدهشاً، وقد وجدت هذه الكسر في خوابي فخارية كبيرة، كل واحدة منها كانت في موضوع ما[3].

وهناك على الضفة الشرقية من شط الحي، تتربع شامخة (خزانة تلّو) ذلك المكان الاثرى العريق الذي يعرف باسمه الغابر (لجش) كما يقرأ سابقا (شربوله)[4]. يقع هذا الموقع على مسيرة ثماني أو عشر ساعات، من المكان الذي يربط دجلة بالفرات بينه وبين الناصرية (ذى قار).

كشف هذا المكان قنصل فرنسا (آرنست ده سارك) عام 1877م. ونقل أغلب محتوياته إلى متحف (اللوفر) في باريس، وكان فيها تماثيل (لجودّيه) عديدة[5]، وقد وجد المنقبون في التلول هناك على سلسلة من الغرف المحتوية على ألواح من الطين المشوى، ويسميه أهل المكان (الطين المفخور) ذات النقوش المسمارية، ويقدر عدد ما وجد بها من الالواح زهاء (35000 - 40000) سرقت أغلب هذه الالواح، وتناثرت في أكثر من متحف عالمي، وقد نشر (ج - رسنر G.Reisner) سنة 1901م ما هو محفوظ في متحف

(1) كوركيس عواد/ ص60، وقد ذكر أن المستشرق الفرنسي (هنري بونيون) قد عنى بوصف هذه الخزانة في مقال نشره بالمجلة الاسيوية الفرنسية Journalasitigue. 1880, p 543.)

(2) كوركيس عواد ص61.

(3) المرجع السابق/ ص62.

(4) نفس المرجع والمكان ومجلة سومر 1/ 1949. مجلد 5 صفحة 92 - 94.

(5) دائرة المعارف الاسلامية 5/ 465 - مادة (تلة).

برلين من ألواح خزانة تلو، ونشر (بارتن G.A.Bartan) سنة 1907م - 1914م ما في خزانة (هفرفرد الامريكية) من ألواح خزانة تلو، ونشر غيرهما من العلماء نصوصاً أخرى من هذه الخزانة، ظهرت في مقالات في بعض المجلات الاثرية الغربية[1].

وفي (الوركاء) تلك المدينة العريقة الموغلة في القدم، والتي ورد ذكرها في التوراة[2] باسم (أرك) في تلك الاخربة من جنوبي العراق وعلى الضفة الغربية منه عقيق الفرات القديم.

عثر في أطلال (الوركاء) على (خزانة الوركاء) حيث كانت آخر التنقيبات الالمانية عام 1939م، قد وفّقت إلى كشف طائفة كبيرة من آثارها، حيث عثر على بعض السجلات، الأمر الذي يحمل على الاعتقاد بأن هذه المدينة قد كانت موطن الالواح، وذلك لوجود جملة من المعابد خطيرة الشأن هناك، وما عثر عليه من هذه الالواح، يتضمن وثائق ادارية وقانونية وتجارية، وعهوداً مختلفة، وصلوات وأدعية وغير ذلك، وهناك بعض ألواح من خزانة الوركاء محفوظ في المتحف العراقي، وما سرقه الغرب كثير جداً[3].

(خزانة تل حرمل) تل حرمل، موضع أثري قديم، قريب من معسكرالرشيد ببغداد/ الرصافة تم التنقيب فيه سنة 1945م من قبل مديرية الاثار القديمة العراقية، حيث عثر على مبان مختلفة، منها: معبد كبير، وأربع معابد صغيرة ودور مختلفة، وعثر فيها على أكثر من 1500 لوح، من مختلف الانواع والحجوم، وهذه الرُقَمْ جميعها من الطين، وقد أوحت نصوص هذه الالواح التي فحصت، إلى أن (تل حرمل) كان أيام عمرانه مركزا اداريا، محصنا بسور ضخم، شيد في بداية الالف الثاني قبل الميلاد، والكتابات التي على هذه الالواح تدور مواضيعها على أمور قانونية وتجارية مختلفة، ففيها صكوك وعقود تجارية كالبيوع والمداينات، وفيها عقود التبني والزواج والدعاوى والرسائل الرسمية المتبادلة بين موظفي حرمل ومملكة (أشنونا) - 2000 - 1800ق.م - ويلاحظ على هذه الوثائق أنها مؤرخة بحادثة ما، سياسية أو دينية[4]، كما وجد في المدونات لهذا التل، اثبات وسجلات باسماء موظفين، وما كانوا يتقاضونه من رواتب، ومدونات في اللغة، موضوعة باسلوب معجمي، وألواح حاوية لاسماء الطيور ذات لغة علمية، وأسماء مواد تصنع من الخشب

---

(1) كوركيس عواد/ ص65.

(2) سفر التكوين 10/ 10.

(3) كوركيس عواد/ ص65 - 66.

(4) المرجع السابق/ ص66 - 67 وراجع مجلة سومر المجلدات 2، 3، 4 للسنوات 1946 - 1948م حول تل حرمل.

والقصب، وأسماء الاشربة المختلفة، واسماء آلهة، ومن أغرب ما وجد بينها لوح فيه اشارات، يظن أنها صورة بدائية للعلامات الموسيقية (النوطة)[1].

وعلى ما يبدو أن أهالي تل حرمل السومريين، قد خَطوا في سلم الحضارة خطوات متقدمة، فقد عثر في مدوناتهم على أشياء نفيسة من الناحية العلمية، حيث وجد لوحان فيهما ثبت جغرافي يحوى اسماء 210 مواضع، أغلبها مدن وأنهار، وبعض هذه المواضع يجهل أمره، فهي مما تفرد بذكره هذان اللوحان. كما وجد من بين هذه الرقم جزء من قانون، مدون باللغة الاكدية (السامية) يسبق زمن حمورابي بنحو نصف قرن[2].

كما تضمنت بعض هذه الالواح مجموعات حقوقية، اشتملت على أقضية وأحكام في بعض القضايا، مما يلقي ضوء جديداً على أصول المرافعات والتقاضي السومري، وكذلك يفصح الامر عن وجود الشرائع الموضوعة قبل حمورابي.

أما الالواح التي تضمنت مواد لغوية، فهي على جانب كبير من الاهمية، لوفرتها أولاً ولثروتها اللغوية، حيث أنها كانت من نوع المعاجم السومرية الصرفة، فهي تعني بتفسير جمل وعلامات سومرية بما يرادفها في اللغة السومرية نفسها، دون اللغة الاكدية، وقد كان أكثر هذه السجلات رقيم كبير الحجم (40 - 50 × 40 - 50 سم) وهو يعد أول معجم باسماء النبات والحيوان والطير والاشربة[3].

وهناك، في شمال العراق، كانت مملكة الاشوريين (آشور) وجدت خزانة باسم (خزانة آشور) تقع اطلال آشور على ضفة دجلة اليمنى، وعلى أربعة أميال من شرقي ناحية (الشرقاط). نقبت عن هذه المدينة الجمعية الشرقية الالمانية برئاسة الآثارى (ولتر أندريه) بينن سنة 1900 - 1914م، وعثرت على الكثير من الاثار فيها، ونقلتها إلى متحف برلين ومتحف استنبول وقد كان فيها الكثير من المعابد والقصور، التي كانت تحوى آلاف الالواح الطينية، والتي كان يقوم منها (خزانة كتب) حافلة بالمواضيع النفيسة، وقد عُنيت الجمعية المذكورة بنشر نصوص كثيرة منها، تبحث في التاريخ والقضاء والدين والطب والسحر والتنجيم، إضافة إلى مواضيع أخرى متنوعة[4]. أهمها مجموعة من الالواح كتبت بمواد

---

(1) كوركيس عواد/ ص67.

(2) طه باقر - قانون جديد من تل حرمل - مجلة سومر 4/ 1948م، ص142 - 143 وكوركيس عواد/ ص67.

(3) كوركيس عواد/ ص48، وقد كان من حسن الصدف، أن الاثاريين العراقيين هم الذين وجدوا هذه الالواح.

(4) ظهرت هذه النصوص/ كما يقول كوركيس عواد ص68/ في المجلدات (16، 28، 34، 35، 37، =

قانونية من الشرائع الاشورية، من العهد الآشوري الوسيط (ق 15 - ق 13، ق. م)[1].

وعلى مسافة 12 ميل من جنوب غربي كركوك، كانت هناك (خزانة نُوزي) حيث وجود تل يعرف بـ (يورغان تبه) وهو يبعد ثلاثة أميال من مجموعة تلول تعرف باسم (ويران شهر) وفي هذه التلول وجدت ألواح بالخط المسماري، قام الاهالي هناك بتنقيبات غير علمية ولا مشروعة، واستخرجوا كثيرا من هذه الالواح - أوائل ق 20 - وباعوها لتجار الآثار، والأطلال المندرسة تشير إلى موضع مدينة (نوزى) القديمة، التي خربت بحريق داهمها في أواسط الالف الثاني قبل الميلاد، وقد اشتغل علماء الاثار الاجانب في التنقيب في هذا المكان عدة سنوات/ من سنة 1925 - 1931م/ فعثروا على آلاف الالواح الطينية، وقد سرقت أغلب هذه الالواح وأودعت في المتحف البريطاني، وفي متحف اللوفر، وبعض المؤسسات الامريكية، وأودع قسم منها في المتحف العراقي[2].

وقد كشفت هذه الالواح، أن تاريخها يرجع إلى المئة الخامسة عشرة ق. م، واستدلّ أن اسم (نوزى) كان في العصر الاكدى/ صدر الالف الثالث ق. م/ بصيغة (كاسو) وقد بلغ عدد هذه الالواح نيف وأربعة آلاف لوح، تناولت كتاباتها شؤوناً مختلفة في أمور الحياة العائلية وأمور الدولة، من ضرائب وأجور والوضع الاجتماعي للشعب النوزي (Harrians) وقد اهتدى الباحثون إلى أن ألواح نوزى كانت منبعاً للشرائع القديمة، حيث أنه وجد مكانا مدونا فيها من أعمال المحاكم في نوزى، والالواح المتعلقة بالسرقة وأحكامها، إضافة إلى وجود قرارات المحاكم والدعاوى القضائية، والوثائق المتعلقة بالمقايضة، والتجارة، والكفالة، والديون، وقوانين العائلة، والزواج، والرقيق، إضافة إلى رسائل متنوعة، وثبت بنذور المعابد، وجداول بأجور العمال والمستخدمين في المعبد، وجداول أخرى بأسماء الاعلام التي تمدنا بمواد لدراسة الانتقالات السلالية حوالي نوزى في أوسط الألف الثالث ق. م.[3]، كما ورد في هذه الالواح جملة أسماء جغرافية، من أبرزها اسم (آرافا Arrapha) وهو الاسم القديم لمدينة كركوك كما يقول المختصون[4].

خزانة المدائن (طيسفون) - مدائن - جاء اسمها من مَدَنَ بالمكان، إذ أقام به، همزت

---

= 50) من منشورات الجمعية الشرقية الالمانية WVDOG بعنوان: Keilschrifttextaus Assur. Leipzig 1911 - 1927.

(1) كوركيس عواد/ ص68 - 69.

(2) المرجع السابق/ ص70.

(3) كوركيس عوّاد/ ص 71.

(4) راجع الهامش رقم 2 كوركيس عوّاد/ ص72.

لأن ياءها زائدة، فهي مثل قرينة وقرائن[1]، وطيسفون من مدائنها، فتحت على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة 16هـ أيام عمر بن الخطابه واسم المدائن بالفارسية (توسفون) وعرَّبوه إلى طيسفون، وسَمّتها العرب بالمدائن، لأنها سبع مدائن، بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة، وأسماؤها لا تزال باقية[2].

ويلاحظ على أن هذا المكان كان من أهم حواضر الدولة الفارسية بالعراق، وقد كانت كتب تلك الدولة قد قضى عليها الدهر من جهة، ومن جهة ثانية، أجهز المغول على البقية الباقية من تلك الحواضر وخزائنها، بعد أن أسقطوا بغداد عام 656هـ/ 1258م[3]، وقد ذكر طيفور[4] أن كتب المدائن نقلت إلى مدينة مرو وأثرتها كثيراً، وأورد خبراً مفاده أن العتابي قال لأحد محدثيه: «قدمت بلدتكم هذه - يقصد مرو - ثلاث قدمات، وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو، وكانت الكتب - سقطت إلى ما هناك مع يزدجرد، فهي قائمة إلى الساعة». وقد علم من ياقوت الحموي أن في مرو أكثر من عشر خزائن لم ير في الدنيا أحسن منها[5].

وهناك بعض الآثار العراقية القديمة عثر فيها على ألواح من الطين، عبث بها العابثون وسرقوا الاثار الجهلة، وباعوها بأبخس الاثمان، كما هو الحال في (أور والوركاء) ومدينة (أما) المعروفة اليوم باسم (جوخى) ومدينة (شروباك) ودلبات ولارسا (سنكرة).

و(كوثى) و(الدير) وهذه المدن كلها في النصف الجنوبي من العراق[6] ومن الملفت للانتباه أنه لم يتم العثور على خزائن مدينة بابل، رغم أن الاهالي عثروا على الالاف من ألواحها بحفرياتهم غير المشروعة وسرّب إلى بلاد الغرب[7].

أما خزائن الكتب التي عرفت بعد الميلاد، فكان أشهرها (خزانة النبي حزقيال) ذلك المرقد المقدس عند اليهود في العراق، والواقع في قرية (الكفل) في محافظة بابل، حيث كان في هذا المرقد خزانة كتب تشتمل على مؤلفات كثيرة بالعبرية، ذكرها الرحالة الاندلسي (بنيامين التطيلي) قائلاً: وتجاور المرقد دار من أوقاف النبي، فيها خزانة كتب

(1) ياقوت الحموي - معجم البلدان 5/ 74 - مادة (مدائن).
(2) ياقوت المصدر السابق 5/ 75.
(3) ابن خلدون كتاب العبر 3/ 537، طبعت بولاق المصرية سنة 1284هـ.
(4) كتاب بغداد لطيفور 6/ 157، بعناية كلر، طبعة ليبسك 1908م، وراجع كوركيس عواد/ ص74.
(5) معجم البلدان 5/ 114 مادة (مرو).
(6) كوركيس عواد/ ص75 - 76.
(7) المرجع السابق/ ص76.

يقال أن بعضها يرتقي تاريخها إلى عهد الهيكل الثاني، ويشير إلى أن أهل ذلك العهد قد جرت العادة عندهم، أن من يموت بلا عقد، يقف كتبه على خزانة الدار هذه[1].

وهناك الديارات، التي اشتهر بها العراق أكثر من سواه، حيث أنها كانت تعد بالمئات ذكرت بعضها المصادر العربية[2] والبعض الاخر ذكرته المراجع الارامية، وقد كانت هذه الديارات غاية في السعة والازدهار، ونشأ فيها جماعة من العلماء والمؤلفين والادباء والشعراء، حيث أنها كانت معاهد علمية إضافة إلى كونها أماكن للزهد والعبادة، وقد اقتضى نظام هذه الديارات أن يكون في كل دير (خزانة كتب) تودع محلا ما من الدير، ويتعهدها الرهبان بالمحافظة عليها وتوسيع نطاقها، وتتكون خزينة الدير من: أولاً: ما يؤلفه ويستنسخه الرهبان أنفسهم في مختلف الأزمنة، حيث أن بعضهم متفرغ للبحث والنسخ والتأليف.

ثانياً: ما يهدى إلى الدير من كتب، ويدخل في ذلك النذور والوقوف والهدايا الواردة من مختلف الجهات.

ثالثاً: ما يقتنيه الدير من كتب[3].

ومن أشهر هذه الخزائن هي:

1 - خزانة دير متّي في شمال شرق الموصل، أسّسه مار[4] متي الشيخ، في أواخر المئة الرابعة للميلاد.

2 - خزانة دير ميخائيل، انشأها مار ميخائيل في أواخر المئة الرابعة للميلاد، في أعلى الموصل[5].

3 - خزانة دير ماربهنام، يقع هذا الدير في جنوب شرق الموصل، بين دجلة والزاب الأعلى[6].

4 - خزانة دير يونس، ينسب الدير إلى يونس بن متي (النبي) يقع في الجانب الشرقي من الموصل، وموضعه يعرف بنينوى، أغلب الظن أن تأسيسه كان في اول انتشار النصرانية في تلك البقعة[7].

---

(1) رحلة بنيامين/ ص144 من الترجمة العربية نقلاً عن كوركيس عوّاد/ ص77 - 78.

(2) ذكر الشابشتي في كتابه (الديارات) أكثر من 35 ديرا. طبعة كوركيس عواد طبعة 1951م.

(3) كوركيس عواد/ ص79.

(4) (مار) أو (مر) لفظة آرامية تعني السيد أو الولي أو القديس.

(5) المرجع السابق/ ص84.

(6) نفسه/ ص86.

(7) ذات المرجع/ ص88.

5 - خزانة دير بيث عابي، يعود تاريخ لتأسيس هذا الدير إلى أواخر المئة السادسة للميلاد، انشأه الراهب يعقوب اللاشومي/نسبة إلى لاشوم - وهي قرية جنوب كركوك بالقرب من داقوق/ في أيام الجاثليق النسطورى اثوعياب الأرزني (582 - 595م) ظل عامرا هذا الدير حتى أيام تيمور لنك في المئة الرابعة عشرة للميلاد ولا زالت آثاره باقية[1].

6 - خزانة دير الربان هرمزد، يقع هذا الدير في أعلى جبال القوش من شمال الموصل، أسسه الراهب هرمزد، الفارسي النسطورى في المئة السابعة للميلاد[2].

7 - خزانة دير باقوقا، كان هذا الدير بأرض حدياب بالقرب من الضفة اليسرى للزاب الاعلى، أسس هذا الدير (الراهب سبريشوع الاواني) نسبة إلى أوانا[3]/ في المئة السابعة للميلاد، ويعرف أيضاً بدير سبر يشوع موقعه في أربل (أربيل)[4].

8 - خزانة الدير الاعلى: أنشأ هذا الدير الراهب كوربيل (جبرائيل) والمتوفي في باجرمي سنة 738م، ولهذا عرف بدير ماركويل، ويقع في أعلى الموصل. ويعرف اليوم باسم (باش طابية) وهذا الدير يعتبر مركزاً خطيراً لطقوس الكنيسة الكلدانية، وقد ذكره ياقوت بمعجمه[5].

إن هذه الاطلالة التاريخية على حواضر العراق القديمة، تكشف لنا عن شمول العراق، من أقصاه إلى أقصاه، على معالم ثقافية أفرزتها مختلف الحضارات التي ترعرعت فيه قبل وبعد الميلاد، وهو أمر لا مناص من الاعتراف به كونه يشكل حالة متطورة بشكل مضطرد، تؤكد حضورها التاريخي، وبالتالي تعلّم على كونها نمت في هذا الحاضن الجغرافي - العراق - الأمر الذي يعكس حالة التطور والوعي عند أهله، فالثقافات اللاحقة على هذه العصور القديمة، لم تأت من فراغ، بل جاءت متراكمة بشكل حضارى كان أوج انفجاره بالعصر العباسي، عندما أصبحت بغداد حاضرة الدولة الإسلامية، وموئل العلم والعلماء.

إن هذا التواصل التاريخي في المناحي الثقافية والاجتماعية يؤكد استمراره الحضاري

---

(1) المرجع السابق/ ص90.

(2) كوركيس عواد - المرجع السابق/ ص94.

(3) أوانا - بليدة كثيرة البساتين والشجر، من نواحي دجيل بغداد - ياقوت - معجم البلدان 1/ 274 مادة (أوانا).

(4) كوركيس عواد/ ص97 - 98.

(5) المرجع السابق/ ص99.

الصاعد ويؤكد من الوجهة الاجتماعية، أن سكان هذه البيئة، هم أقبل للفعل الحضاري وللثقافي بآن معاً.

وما الكشوفات الأثرية لتلك الأوابد إلاّ دليلاً على ما نقول، فهو الشاهد المتروك حيا عبر آلاف السنين.

## الفصل الثاني

## الحالة الثقافية في بغداد في العصرالعباسي ونشوء المكتبات

تطرقنا في/ الباب الثاني/ من هذه الدراسة، إلى تطور صناعة الكتابة، وكيفية ظهور الكتّاب كطبقة، وقد ترافقت الحالة، مع حالة مكمّلة أخرى، هي ازدياد الاهتمام بالثقافة والشغف بالعلوم المختلفة، فقد راجت الثقافة، وانتشرت أسواق الكتب، وبرز النوابغ من العلماء، وظهرت المدارس الفكرية، وراحت المذاهب الفقهية والكلامية تحرّك ساحة العقل، ففي العلوم الدينية راحت أسماء أئمة المذاهب تظهر على السطح كأحمد بن حنبل، والبخارى ومسلم والشافعي وأبو حنيفة، وجعفر الصادق وتيارات مدرسته الشيعية، فيما كان المعتزلة يعتلون صهوة علم الكلام والفلسفة، ولحقهم اخوان الصفا، ناشرين جملة من المعارف في (رسائلهم) الغنية المتنوعة فيما كانت أعلام الفلاسفة تظهر دائماً على علوم الأوائل كالفلسفة والمنطق والطب والرياضيات فقد عاش في هذه الفترة أشهر فلاسفة الإسلام، كالكندي، ومتي بن يونس، والرازي، وابن سينا والفارابي، ويحيى بن عدى، وأبي سليمان المنطقي وغيرهم، فيما كانت علوم اللغة والادب، يزداد إيقاعها الابداعي، حيث أنها ما فتأت تظهر لنا كل يوم، علماً من أعلامها، فهناك ابن السكيت وثعلب والمبرد والفرّاء وسيبويه وغيرهم من علماء اللغة، فيما كان الادب يظهر شخصيات هامة كالجاحظ وأضرابه، وتلاميذه من أمثال أبي حيان التوحيدى وغيره، فيما راح التاريخ يبرز علماءه، حيث يريك الشوامخ في بابه من أمثال الطبرى واليعقوبي والبلاذرى وأضرابهم، وراحت الموسيقا تتباهى هي الاخرى بأعلامها الاوائل كالموصلي وابن سريج ومن في طبقتهم، حتى حمل لواء الغناء إلى الاندلس من بغداد زرياب، فيما كان أبو الفرج الاصفهاني يدوّن أخبار هؤلاء المغنيين ونوادرهم بموسوعته الهامة (الأغاني)، وكان الشعراء هم الصدى الأوضح والأكبر في ثقافة ذلك العصر، فهم الفئة الأكثر عددا والأكثر حضورا في النواحي الأدبية ومنادمات الخلفاء العباسيين في قصورهم من أمثال أبي نواس، وابن أياس،

والبحترى، والمتنبي ودعبل، والكميت وقريض الجراحي، وجحظة البرمكي، وبشار بن برد، وغيرهم الكثير.

إن هذا الكم المتعدد المناهل والمشارب من العلماء والادباء والفنانين، يمثل فئات المجتمع البغدادي في ذلك العصر الزاهي، وهذا الموج المتلاطم في ثقافات تلك الفنون، من البديهي أن يفرز رجاله أدباً في كل نوع، وربما انبرت تيارات ثقافية لمنازلة تيارات أخرى، في الأدب والفن والسياسة والعلوم المختلفة، وتلك مسألة ايجابية حركت العقل، وانتجت فكرا متعدد الاتجاهات، لا زلنا حتى اليوم ندرسه، وهو أمر يشير إلى الكثافة في الانتاج الفكري لتلك المدارس، وقد عرف ذلك العصر رجالا عرفوا بغزارة الانتاج وكثرة المُؤلفات، والتي يربو بعضها على المئات[1]. وهذا النتاج الغزير يوضح لنا مدى الصدق والاندفاع عند هؤلاء العلماء والادباء، ليخدموا أُمتهم في تلك الاحقاب، فكأنهم نذروا أنفسهم ووقتهم لخدمة ابداعهم من جهة، ومن جهة أخرى يؤكد الواقع أنهم كانوا حقاً دعائم الثقافة العربية - الإسلامية، فمن هؤلاء يبرز شيخ الادباء في ذلك العصر، عنيت به أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذي زادت مؤلفاته على (360) كتاباً، ذكر أغلبها ياقوت الحموى[2]. وكان العشق الذي يتملك الجاحظ للكتب قد غلب على كل حواسه، حتى أن طموحاته تعدت أحاسيسه تلك، فراح يعتمد على وراقين يساعدونه في عمله، ومن أشهر وراقيه كان زكريا بن يحيى، ذكرهُ ياقوت ونقل عنه أخبارا كثيرة عن الجاحظ[3].

والوراق الثاني هو عبد الوهاب بن عيسى بن أبي حيه الوراق، ذكره الخطيب البغدادي بـ «ورّاق الجاحظ»[4]، وثمة عَلَمٌ فكري آخر، كان قد برز في عصر الجاحظ هو أبو عُبيدة معمر بن المثنى البصري، كان هذا واحداً ممن جلس إليهم الجاحظ[5] وسمع منهم. قال الجاحظ عنه: «لم يكن في الارض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم

(1) راجع: عصر الكتب، عند الدكتور مزهر السوداني في كتابه/ جحظه البرمكي - الاديب الشاعر/ ص39 طبعة النجف الاولى - 1977م.

(2) معجم الأدباء 16/ 106 وما بعدها، ومقدمة عبد السلام هارون لكتاب الحيوان 1/ 5، ط2، الباب الحلبي.

(3) معجم الأدباء 16/ 106.

(4) تاريخ بغداد 11/ 28 - 29، وتاج العروس للزبيدى 10/ 108 - مادة «حيي» ط1، مصر 1306هـ. ومقدمة عبد السلام هارون لكتاب الحيوان 1/ 13.

(5) البيان والتبيين 3/ 265 - فصل خطباء الخوارج - بعناية عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة 1368هـ/ 1949م.

منه»[1]، وقد بلغت تصانيفه أكثر من مئتي تصنيف كما يقول ابن خلكان[2]. ذكرلا منها ابن النديم 105 مصنف[3]، وهناك شخص آخر عرف بوفرة الانتاج والتآليف هو:

أبو الحسن علي بن محمد المدائني، بلغت كتبه التي ألفها نحو مئتين كتاب، أوردها ابن النديم ضمن ترجمته المطولة له[4]، كما عاصر هؤلاء القوم عَلَمٌ رابع في الكتابة والتأليف هو هشام بن محمد الكلبي الكوفي، حيث بلغت مؤلفاته أكثر من 130 كتاباً، ذكرها ابن النديم في ترجمته[5]، وعلى منوال هؤلاء كان رهط الاسلاف يسير ويحث الخطى، ليزيد في رفد الناس بمؤونة الكتاب.

وإلى جانب هؤلاء المنتجبين للثقافة، كان هناك المتلقون لهذه الثقافة ولغيرها، فكانوا مغرمين بالدرس والمواكبة، موصلين الليل بالنهار، ينقحون العلوم، وينقلون أجودها، ويختارون ما كان أفضلها، يتحدث ابن النديم عن أبي بكر محمد بن زكريا الرازي، الفيلسوف الطبيب، قال[6]: قال لي محمد بن الحسن الوراق: أنه أخبر بأن الرازي لم يكن يفارق المدراج والنسخ، ما دخل عليه قط إلاّ وشوهد وهو ينسخ، أما يسود أو يبيض، وعلى هذا المنوال كان محمد بن الجهم[7] ينقل عنه الجاحظ قوله: إذا غشيني النعاس في غير وقت النوم، تناولت كتاباً، فأجدد اهتزازي للفوائد الاريحية التي تعتريني من سرور الانتباه وعز التبين، أشد ايقاظا من نهيق الحمار[8] وما أن ازداد حب الناس بالكتب والمعرفة، حتى راح أكابر الكتاب يجمع نفائس الكتب والعلوم في خزائنهم، فهذا أبو بكر الصولي، كان عالما بفنون الادب والمعرفة، قد حوى بيتا مملوءاً بالكتب، كان قد صنّفها وجلدها بجلود مختلفة الالوان، وهو يقول: هذا كله سماعي، فإذا احتاج إلى معاودة شيء منها قال: يا غلام هات الكتاب الفلاني. وقد هجاه أبو سعيد العقيلي على هذا المسلك بقوله[9]:

---

(1) ابن خلكان - وفيات الاعيان 5/ 235 - ترجمة رقم 731 - من نشرة إحسان عباس.

(2) المصدر السابق 5/ 238 وراجع ترجمته في الوفيات 5/ 235 - 243 من نفس الطبعة أعلاه.

(3) الفهرست/ ص79 - 80 الطبعة المصرية.

(4) الفهرست/ ص147 - 152.

(5) المصدر السابق/ ص140 - 144.

(6) الفهرست/ ص415 - 416.

(7) هو محمد بن الجهم البرمكي. ولاّه المأمون عدة ولايات بعد أن أختبره بأسئلة طريفة في الادب والشعر، أنظر البيان والتبيين للجاحظ 1/ 38، الهامش رقم 3 بعناية عبد السلام هارون.

(8) المحاسن والاضداد/ ص3 - 4، وراجع كذلك: د. مزهر السوداني/ جحظه البرمكي/ ص40 - 41.

(9) تاريخ بغداد 3/ 431 - 432.

إنــمــا الــصــولــي شــيــخٌ أعــلــم الــنــاس خــزانــه
ان ســألــنــاه بــعــلــمٍ طــلــبــا مــنــه إبــانــه
قــال يــا غــلــمــان هــاتــوا رزمــة الــعــلــم فــلانــة

إن القراءة والكتابة أصبحت ديدناً لرجالات ذلك العصر النيّر، حتى أنها صارت ظاهرة تمس مختلف الطبقات الاجتماعية، حيث الجميع ينصرفون إلى طلب العلم والتأليف، ولا فرق في ذلك بين كبير وصغير، فقد كان الناس، حتى الخلفاء والوزراء ممن أولع بتأليف الكتب وتصنيفها، فعبد الله بن المعتز، ألّف كتاب البديع وكتاب أشعار الملوك وطبقات الشعراء، وكتاب الزهر والرياض، وكتاب مكاتبات الاخوان للشعر، وكتاب الجوارح والصيد، وكتاب السرقات، وكتاب الآداب، وكتاب حلي الاخبار، وكتاب الجامع في الغناء، وكتاب ارجوزته في ذم الصبوح، وقد عرف عنه أنه كان يقصد فصحاء الاعراب ويأخذ عنهم[1]، ثم هناك أبو دلف (القاسم بن عيسى بن معقل بن ادريس العجل) سيد قومه، كان أميراً، أخذ عنه الادباء والفضلاء والشعراء المجودون وله صنعة في الغناء، ألّف الكتب، منها: كتاب البزاة والصيد، وكتاب السلاح، وكتاب النزه، وكتاب سياسة الملوك[2] ومن الوزراء المشهورين بالادب والفصاحة والتأليف وحب القراءة، الفتح بن خاقان - وزير المتوكل - الذي قتل معه سنة 247هـ. كان في نهاية الذكاء والفطنة وحسن الادب، من أولاد الملوك، اتخذه المتوكل أخاً له، وكان يُقدمهُ على سائر ولده وأهله، كان له خزانة جمعها علي بن يحيى المنجم، لم يُرَ أعظم منها كثرة وحسنا، حتى أن داره كانت محضراً لفصحاء الاعراب وعلماء الكوفيين والبصريين من علماء النحو وغيرهم، يقول أبو هفان عن المشهورين الثلاثة في القراءة والتبصر في الكتب ما يلي[3] (ثلاثة لم أر قط ولا سمعت أحب اليهم من الكتب والعلوم، الجاحظ، والفتح بن خاقان، واسماعيل بن إسحاق القاضي فأما الجاحظ فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلاّ استوفى في قراءته، كائنا ما كان، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر. والفتح بن خاقان، فإنه كان يحضر لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجة، أخرج كتاباً من كمه أو خفه وقرأه في مجلس المتوكل إلى عوده إليه حتى في الخلاء. وأما إسماعيل بن اسحاق، فاني - والكلام لأبي هفان - ما دخلت إليه إلاّ رأيته ينظر في كتاب أو يقلب كتبا، أو ينفضها، واضافة إلى هؤلاء الوزراء والامراء، كان هناك آل طاهر، ومنهم طاهر بن الحسين - وزير المأمون -

(1) الفهرست/ ص168 - 169.
(2) المصدر السابق/ ص169.
(3) الفهرست/ ص169.

وأولاده، منصور بن طلحه، له كتب في الفلسفة منها كتاب المؤنس في الموسيقى، قرأه الكندي فقال عنه: هو مؤنس كما سمّاه صاحبه، وله كتاب الأبانة عن أفعال الفلك، وكتاب الوجود ورسالته في العدد والمعدودات، وكتاب الدليل والاستدلال. أما عبدالله بن عبدالله بن طاهر، فكان شاعراً مترسلاً، انتهت إليه رياسة أهله، له من الكتب كتاب الاشارة في أخبار الشعر، وكتاب رسالته في السياسة الملوكية، وكتاب مراسلته لعبد الله بن المعتز، وكتاب البراعة والفصاحة[1].

إن هذا الازدياد والتزاحم في طلب العلم من لدن كل طبقات المجتمع العباسي، كان له ما يحفزه على الاستمرار والنمو، حيث كان خلفاء بني العباس رعاة له، ومن أكبر المشجعين عليه فقذ بذلوا الاموال الطائلة في سبيله، وأسسوا المدارس، وأعمروا الخزائن بالاسفار النفيسة، ووصلوا العلماء والادباء والشعراء بالصلات السنية، فقد تحولت قصور الخلفاء إلى منتديات يتبارى فيها الادباء والشعراء. ومن كان مجلسه يحفل بمثل هذه الطبقة المتعلمة من الناس، لزم أن يكون ذا موقف واضح من هذه العلوم وآدابها، كي يعرف ما يجري في مجلسه بل أن يدرك خفايا ما يدور فيه، من مواضيع، ولا يتسنى للخليفة أن يكون في ذلك المقام إلاّ بالقراءة والدرس ما يدور فيه، من مواضيع، وقد مر بنا كيف كان الخلفاء يعهدون بابنائهم إلى أكابر العلماء للاشراف على تربيتهم وتثقيفهم وتعليمهم. ولقد كانت الرغبة في العلم لدى الخلفاء ظاهرة ملموسة، تدرك بمشاهدة خزائن الكتب العامرة في دار الخلافة[2]. وقد كان الخلفاء يتوارثون الكتب حيث كانت تجمعُ خزائنهم أنفس الكتب وأثمنها، ولم يكن هناك كتاب يعز عليهم إحرازه، فقد كانوا يوفدون الوفود والسفراء في جلب الاسفار والكتب التي كانت تذكر لهم.

ومن هذه الاهتمامات، الارصادات المالية، التي كان الخلفاء يوقفونها على شراء الكتب، فلقد ذكرالمسعودي أنه عرض على المهتدي دفاتر خزائن الكتب، وفيها آثار لكتابات ابن المعتز وبخطه، منها[3]:

| | |
|---|---|
| اني عرفت علاج الطب من وجعي | وما عرفت علاج الحب والخدع |
| جزعت للحب، والحمى صبرت لها | اني لاعجب من صبري ومن جزعي |
| من كان يشغله من إلفهِ وجعٌ | فليس يشغلني عن حبكم وجعي |

(1) المصدر السابق/ ص170.

(2) كوركيس عوّاد/ خزائن الكتب القديمة في العراق/ ص101.

(3) المسعودي: مروج الذهب 4/ 192 - 193، تحقيق محي الدين عبد الحميد، طبعة دار المعرفة بيروت 1402هـ/ 1982م.

وما أملّ حبيبي ليتني أبداً مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي

وقد كان أمر خزائن دار الخلافة العباسية معروفاً ومشهوراً، فعندما جاء المغول إلى بغداد وأسقطوها سنة 656هـ، تلقت هذه الخزائن أبشع الضربات، فبعضها نقل، وبعضها أغرق، حتى أن ابن الساعي - أحد مؤرخي بغداد المشهورين في (ق 7 هـ) يذكر أن المغول (بنوا اسطبلات الخيول وطولات المعالف بكتب العلماء عوضا عن اللبن)(1).

وقد أشار ابن الفوطي إلى أن نصير الدين الطوسي، الذي كان مرافقا لهولاكو، جمع من العراق كتبا كثيرة لأجل مرصده الذي شيده بمدينة مراغة(2) حتى أنه شيد (دار حكمة) في مدينة مراغة من هذه الكتب وغيرها، التي نقلها من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد كما يقول ابن كثير(3).

وقد عدّت خزانة كتب الخلفاء العباسيين واحدة من أعاظم خزائن الكتب الثلاث في الاسلام. العباسي في بغداد والفاطمية في مصر، والاموية في الاندلس. فقد ذكر القلقشندي(4) أن خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد كان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقوم عليه نفاسة، ويضيف: ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد، وقتل ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها. ومن هنا يتضح مقدار الاهتمام بالكتب والمكتبات من الخلفاء العباسيين قبل غيرهم من الناس، ونظراً لأهمية خزائن الخلفاء العباسيين، سنحاول في الفصل القادم ذكر هذه الخزائن، والتوقف عند أهمها، استطرادا للموضوع وتعميما للفائدة.

قبل أن ندخل إلى وصف «مكتبات بني العباس» بكامل قضّهم وقضيضهم لا بُدّ من التوقف/ ثانية/ مع الحركة الثقافية العامة، التي أوجدتها الحضارة العباسية الناهضة، من جهة، ومن جهة أخرى، تُملي علينا منهجية البحث، أن لا نتجاوز الأركان الأساسية لحوامل هذه الثقافة، عنيت بها ظاهرة «الوراقة والورّاقون» حيث أن جهدهم المعرفي

---

(1) مختصر أخبار الخلفاء، منسوب لابن الساعي/ ص127 طبعة بولاق سنة 1309هـ، وانظر كذلك كوركيس عواد/ خزائن الكتب القديمة/ ص102.

(2) ابن الفوطي (أبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي/ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة/ ص350 طبعه المكتبة العربية - بغداد - 1351هـ بعناية د. مصطفى جواد.

(3) البداية والنهاية 13/ 215 - حوادث سنة 657هـ - ط1، 1966م بمكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر في الرياض.

(4) صبح الاعشى 1/ 466 - 467.

والمهني، خلق حالة دافِعة، توازي بقوّتها مقدار القوة الإقتصادية والسياسية عند الخلافة العباسية، وقد علمنا - من سياقات البحث - أن «سوق الورّاقين» كان فيه أكثر من مئة حانوت للوراقة، وفي كل «حانوت» أكثر من ورّاق - ناسخ كان أو مجلّد، أو صاحب حانوت، بمعنى آخر، أن قوام حانوت كل ورّاق بين 3 - 5 ورّاقين، وهذه الوِرَشْ، تشتغل بمعدلات إنتاج عالية، حيث «الطَلَبْ» دائماً متفوّق على «العرض» وهذا يؤشّر على مَدى حُبّ الناس للقراءة والمطالعة، وعلى حركة السوق وفعاليته العالية في الإنتاج الثقافي للكتاب، وبغية الوقوف بدقّة على هذاالإنتاج الثقافي للكتاب، سنستعرض في الصفحات التالية «حالة المكتبات - كنتاج ثقافي للورّاقين، ليس على صعيد المهنة فقط، بل على شرط المسؤولية الثقافية التي انبرى لتحملها هؤلاء الورّاقين بكل صدق وأمانة.

## الفصل الثالث

# المكتبات الإسلامية كنتاج ثقافي - حضاري للوراقين

لقد تابع القارىء معنا الكيفية التي طَوَّر بها الورّاقون أساليب عملهم، ورفعوا من شأن خبرتهم الحرفية في مجال «إنتاج الكتاب» وفق ضوابط دقيقة، تخضع للشرط المعرفي والمهني بانٍ معاً، كل ذلك ليؤكدوا إنسجامهم مع النهوض الحضاري، باعتبارهم الركائز الأساسية التي استند عليها هذا النهوض من الناحية الثقافية، أولاً، ومن الناحية الإبداعية ثانياً، وهذا يعني أن هناك شعوراً عالياً بالمسؤولية التاريخية في وعي كل ورّاق من الناحية الشخصية - كمثقّف، ومن الناحية الإخلاقية - كمسلم، وعلى هذا الأساس، يمكننا قراءة هذا الكم الهائل من المخطوطات العربية - الإسلامية، التي عاندت الزّمن وعواتيهُ، وبقت سليمةً حتى هذه اللحظة، الأمر الذي يثير السؤال التالي: ما مقدار الجُهد المبذول «العقلي والمهني والأخلاقي» من قبل هؤلاء المجهولين، الذين تركوا لنا هذا التراث؟! وما هو الدافع الذي حَفَّزهم لينتجوا هذا الكتاب، بهذا المستوى الرفيع؟!

إن المحمول النفسي الذي كان يخالج أفئدة الأوائل من العرب، ثم بعد أن أسلموا، كان يدفعهم لتمثّل ثقافات كانت تمر على جزيرتهم العربية، فيأخذوا منها ما يؤائم روحهم، ويسقل إبداعهم الفطري لا سيما في مجال الشعر والنثر، لذلك نراهم قد أخذوا من ثقافات الشعوب التي تمازجوا معها، أثناء الفتوحات الإسلامية، أو من خلال التجارة التي كانوا يتبادلونها مع تلك الثقافات، الهندية والفارسية والرومانية والصينية وغيرها.

لقد كان العرب أصحاب منطق لغوي وبلاغة وفصاحة، تُميِّزهم عن غيرهم من بقية الشعوب، وعندما تحضّروا واستقرّوا في البلاد المفتوحة كان تأثير البلاغة والفصاحة إليهم أسرع، حتى أنهم كانوا يحملون معهم كتابهم الأول (القرآن) أينما حَلّوا، باعتباره المُحفِّز الأراس لثقافتهم الجديدة، وأحّد المعجزات البيانيّة في خطابهم الإسلامي، والذي تمحورت حَوله كثير من الدراسات الجدليّة ليثبتوا بهِ، شخصيّة الشرق، باعتباره وثيقة الإسلام الأولى، من ناحية، ومن ناحية ثانية، لقد نقل العرب والمسلمون تراث الأمم القديمة دون تفريق من يونانية وقبطية وهندية وآشورية وفارسية وكلدانية وسريانيّة إلى اللغة العربية، ثم تمثَّلوا ما عَرَّبوا وأبدعوا بعد ذلك تفكيرهم فيه، لخلق وحدة موضوع معرفي مُتماه[1] مع ثقافتهم الأصلية، وفق محمولهم الروحي.

لقد شاهد المسلمون الأوائل كتب الفُرس ومكتباتهم وأعجبوا بها، وعندما بدأ العرب بتأسيس مكتباتهم صاغوها على النمط الفارسي إلى حَدٍّ ما، وتأثّروا بالفرس في جمعهم للكتب، إذ أن الحضارة الفارسية كانت معروفة للعرب زمن الجاهليّة، حيث كانت للفرس حركة أدبيّة وعلمية وفلسفية كبرى، بلغت ذروتها أيّام السُلالة الساسانية وتحديداً في عهد كسرى أنو شروان[2] وقد أشار المؤرخ البغدادي المشهور (طيفور) إلى أن «كتب العجم كانت موجودة في خزانة مرو حتى وقته/ العصر العباسي/»[3].

فيما كان تأثر العرب بالثقافة اليونانية في مصر وسوريا، إذ احتَلّ الإسكندر المقدوني هذه البلدان ونشر فيها النفوذ اليوناني وبنى مدينة الإسكندرية، وجعل فيها أشهر المكتبات في العالم حتى غَدَت الإسكندرية عاصمة الدُنيا الفكرية والثقافية لأكثر من ثلاثة قرون/ من القرن الثالث ق.م - القرن الأول ق.م)[4].

وقد كان اتصال المسلمين الأوائل بالفكر الإغريقي عن طريق مدرسة الإسكندرية هذه، حيث كان لتعاليمها الفلسفية الإغريقية تأثير عظيم في بُنية التفكير الإسلامي، لا سيما المتأثر بالإتجاه الإفلاطوني الجديد المُحدث[5].

ذكر ابن النديم في «الفهرست»: «أن إسحاق الراهب حكى في تاريخه أن بطولوماوس

---

(1) راجع مُقدمة د. محمد ماهر حماده، لكتابه: المكتبات في الإسلام/ ص10، منشورات مؤسسة الرسالة - ط6 - بيروت 1414هـ/ 1994م.

(2) المرجع السابق/ ص15.

(3) أحمد أمين/ ضُحى الإسلام 3/ 176.

(4) انظر: حماده - المكتبات في الإسلام/ ص17.

(5) المصدر السابق/ نفس المكان.

فيلادلفوس، من ملوك الإسكندرية، لمّا ملَكَ، فحصَ عن كتب العلم، ووَلّى أمرها رجُلاً يعرف «بزُميرة» فجمع من ذلك على ما حكى أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين كتاباً، وقال: أيها الملك، قد بقي في الدُنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم»[1].

إذن، كان للتأثير الثقافي - الخارجي مفعولَه على العرب، إذ أن الثقافة نتاج إنساني بحت، يفرض قانونيته على الإجتماع بحكم الحاجة، وبحكم التنافس الحضاري أيضاً، فالتطور الثقافي عند العرب كان سابق على الإسلام في الخطابة والشعر وغيرها، وعندما اعتنقوا الإسلام، أصبحت الضرورة المعرفية، أن يتطوّروا ويطوّر الإسلام ذاته لأنه فكر ثقافي، وللثقافة موجباتها، وأوّلها حريّة التفكير، وإنتاج المعرفة، بمعنى إيجاد الحاضر المنظّم لهذا التفكير، أي «وجود كتاب» يُقرأ فيه هذا الفكر، وبالتالي، أوجدت الضرورة أيضاً المكتبة.

وقد ظهرت المكتبات الإسلامية نتيجة التطور وانتشار العلم والمعرفة في العالم الإسلامي، وقد أوضحنا، في أكثر من مفصل من هذه الدراسة الموسوعية، البدايات الأولى لفن النسخ والتوريق، وتأثير العوامل الداخلية والخارجية على حالة الوسط الثقافي، والذي أخذ على عاتقه تفعيل فعل الكتاب - كمنجز ثقافي، على كل نواحي الحياة العربية - الإسلامية، بغية خلق ثقافة تليق بهذا الإنسان، والذي من أجله وُجد الوجود، وتفاعلت الثقافات.

لقد أشرنا - في أكثر من مكان - من هذه الدراسة، بأن العامل الديني الإسلامي، كان محفّزاً رئيسيّاً، وكان للقرآن الدور الأبرز في إيقاظ فكر المسلم، للتفكير في شأن الوجود، ومعرفة حدود الإسلام - كديانة - وكثقافة، نزلت للعرب أولاً، ومن ثم بقية الشعوب، ومن هنا ندرك جسامة المُهمّة التي أُنيطت بالعُلماء العرب الأوائل لينهضوا بها، إذ أن هناك الكثير من الآيات القرآنية كانت تحض المسلم على التعلم والتفكّر والإستدلال، وأن القرآن أشار في أكثر من عشرة مواضع على العِلم والتعلّم، وقد أُفْتُتِحَ القرآن بالقول: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[2].

إذن أوّل مفردة في الخطاب القرآني [إقرأ] وهذا واجب شرعي فرضهُ الإسلام على

(1) الفهرست/ ص334 - طبعة القاهرة 1348هـ. وراجع كذلك، المكتبات في الإسلام/ ص17.
(2) سورة العلق/ الآيات 1 - 5.

المسلم، بمعنى أن الدافع القرآني الأول يشترط المعرفة، لأنّه سَيتعلَّمْ أشياء أخرى ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [الآية 5 من السورة]، وهي فتح الآفاق للعلم، ما زال فعل القراءة قائماً، ومن هنا أدرك الأوائل أهمية تدوين ونسخ القرآن بغية مواكبة أسرار المعرفة التي تضمنها الخطاب القرآني.

وحتى تستمر النزعة المعرفية في عقول المسلمين كافة فكان القرآن يحمل الدافع الأقوى في خلق المنافسة المعرفية في شرطها الثقافي، إذ تقول الآية: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وقد شكلت هذه إحدى العلامات الدالة في الفكر الإسلامي، وكانت واحدة من أهم الدوافع في بُنية الثقافة الإسلامية، على كافة الصُعد، وعلى ضوء العِلم هذا كانت تحدد فضيلة العالِمْ، تلك المرحلة الثقافية العالية التي سايرت العلماء المسلمين وخلقت لهم الشخصيّة المعرفية، إذ أن الخطاب القرآني أيضاً أوجد سمة تعظيم للعلماء، تجسد في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾[2]، وزاد في موضع آخر هذا التعظيم إذ قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾[3]. وهذا يعني بالضرورة أن يكون المسلم عالم بشؤون دينه أولاً، وعارفاً حالَ وجوده ثانياً، بشكل معرفي، يتواشج الإيمان بالعلم، كشرط ديني - أخلاقي، ثقافي، حتى يكتسب رجل الدين صفة العالم، وكان القرآن واضحاً في هذه المسألة، وأشار إليها في أكثر من مكان[4] ومن ذات المحمول نفهم التأكيدات الحريصة للرسول محمد ﷺ على تشجيع العلم وإكرام العالم، وتواترت عنهُ أحاديث جليلة تؤكّد حرصَهُ على التعليم منها[5]:

1 - أغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محبّاً ولا تكن الخامسة فتهلك.

2 - إطلب العِلمَ ولو بالصين.

3 - طلب العِلم فريضة على كل مسلمٍ ومسلمة.

4 - لا يزال الرجلُ عالماً ما طلب العِلم، فإن ظَنَّ أنّه قد علم فقد جهل.

---

(1) سورة الزُمر، الآية: 9.

(2) سورة فاطر، الآية: 28.

(3) سورة المجادلة، الآية: 11.

(4) راجع على سبيل المثال لا الحصر، سورة البقرة، الآية: 151، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ وسورة الرحمن، ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: 1-4] وغيرها من الآيات العديدة.

(5) راجع إسناد هذه الأحاديث عند د. محمد ماهر حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص28، وقد سبقنا إليها في الإشارة والتخريج فلهُ الفضل في ذلك.

5 - الناس عالِم ومُتعلّم وسائرهم همج.

6 - إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب، ولمدادٍ جرت به أقلام العُلماء خيرٌ من دماء الشهداء في سبيل الله.

ومن هنا كانت النوازع العلمية هي التي أحكمت مسارات العقلية الإبداعية في الثقافة العربية - الإسلامية، كصدىً لدوافع ركني الشريعة الإسلامية - القرآن والسنة - وعلى هذا الأساس المعرفي كانت مناهج الوراقة في الإسلام، تتقيّد بشرطي العِلم والإيمان في صناعة الكتاب العربي الإسلامي.

## الفصل الرابع

# شغف العُلماء بالكتب

بعدَ أن أرست تعاليم الإسلام قواعد فهمها الصحيحة في النفوس، وبعد أن ترسَّخت الثقافة في عقول العلماء، أصبح من اللاّفت للإنتباه أن هناك بدأت تظهر «مجالس للعلماء» في مختلف الأمكنة، في البيوت، والمساجد، ودار الخلافة، وعند الوزراء والأمراء، وكان الأوضح ظهوراً في تلك المجالس هو سوق الورّاقين ببغداد[1] حيث كان الورّاقون هم أهل الصنعة في هذا الميدان، فجمعوا من حولهم كبار العلماء، وخيرة المثقفين، وأبرز رجالات الفن والأدب، وكانت تعقد هذه المجالس في وسط السوق للمناظرات العلمية والفلسفية والتاريخية والأدبية وغيرها وبرزت شخصيات من هذا الوسط الثقافي تعشَّقت الكتاب، وأصبح هو شغلها الشاغل دون الأهل والولد، وكان الجاحظ هو العَلَمُ الأبرز في هذه الناحية، حتى عُرفَ عنه «أنّه كان يكتري أسواق الورّاقين ويبيت فيها للنظر»[2] الأمر الذي نقل عدواه هذه إلى الكثير من العلماء والأدباء، بل أصبحت ظاهرة عشق الكتاب من الأمور المعكوسة بالأدب، ومدوّنة بالكتب، فقد قيل: «الكتاب هو الجليس الذي لا ينافق، ولا يُمَلُّ، ولا يُعاتِبُك إذا جفوته، ولا يُفشي سرّك»[3]. وبعد فإن أفضل مما نظر فيه من خواص الملوك وسلكوا إليه أفضل السلوك، بعد نظرهم في أمر الأمّة وقيامهم فيما

(1) راجع/مجالس العلماء في سوق الورّاقين - في هذه الموسوعة - ج2 - ظهور مهنة الوراقة.

(2) راجع - ياقوت الحموي - معجم الأدباء 16/ 106 وما بعدها، في ترجمة الجاحظ.

(3) إبن الطقطقي/الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية/ص4، طبعة القاهرة 1923م.

إستودعوه بالحُجّة هو النظر في العلوم والإقبال على الكتب التي صدرت عن شرائف المفهوم. فأمّا فضيلة العلم فظاهرة ظهور الشمس، عريّة عن الشَكّ واللبس[1].

ثم مال الشعراء إلى الكتاب فوصفوه تغزلاً ومحبّة، لأنهم وجدوا فيه ما لم يجدوه بسواه، فقد قال أحدهم[2]:

نعمَ الأنيسُ إذا خلوتَ كتابٌ ... تلهو بهِ إن ملَّكَ الأحبابُ
لا مفشياً سرّاً إذا استودعتهُ ... وتفادُ منهُ حكمةٌ وصوابُ

وقال آخر[3]:

ولكل صاحب لذّةٍ متنزّه ... أبداً ونزهة عالمٌ في كُتُبَه

والمتنبي يقول[4]:

أعُزُّ مكانٍ في الدنا سرجُ سابحٍ ... وخيرُ جليس في الأنام كتابُ

ولكن حُب الكتاب عند الجاحظ مسألة أخرى، أكثرُ شغفاً من الجميع، فهو ديدن عقله، وقبلةِ أحلامه وأمانيه لذلك يصفهُ بالقول: «لا أعلم ما جاء في حداثة سِنّه، ولا قرب ميلاده ورخص ثمنه، وإمكان وجوده، يجمع بهِ السِيَّر العجيبة والعلوم الغريبة، ومن آثار العلوم الصحيحة والتجارب الحكيمة والأخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة، ما يجمعَهُ كتاب، ومن لَكَ بزائرٍ إن شئت كانت زيارته غِبّا، وإن شئت لزمكَ لزوم الظل، وكانَ مِنكَ كما كان بعضَك»[5].

والجاحظ هو القائل في «البيان والتبيين» في معرض شرحه لقوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[6] فقال: «ولذلك قالوا: القلم أحَدُ اللسانين، كما قالوا قلّة العِيال أحد اليسارين، وقالوا: القلم أبقى أثراً واللسان أكثرُ هذراً. وقال عبد الرحمن بن كيسان: إستعمال القلم أجدر أن يحضَّ الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح القلم، وقالوا اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر، والقلم مُطلق في الشاهد

---

(1) إبن الطقطقي/ المصدر السابق ص3.
(2) راجع محمد ماهر حمادة/ المكتبات فيه الإسلام/ ص30.
(3) إبن عبد ربّه/ العقد الفريد 4/ 201.
(4) انظر ديوانه - قافية الباء. . .
(5) انظر الجاحظ - المحاسن والأضداد/ ص4. طبعة القاهرة 1932م.
(6) سورة القلم، الآية: 1.

والغائب، وهو للغابر الكائن مثلهُ للقائم الراهن. والكتاب يُقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزهُ إلى غيره»[1].

كان هذا كلام الجاحظ في معرض المفاضلة بين اللسان والقلم، ومدى بلاغة كل منهما في البيان، إلاّ أنَّهُ يتماهى في وصف الكتاب، في موسوعته الرائعة «كتاب الحيوان» فهو يُطنب في الدفاع عنه والإنحياز له، من موقف معرفي نادر الغِرار، وقِلَّةٌ هم الذين يدركون قيمة الكتاب كما يدركها أديب العرب الأول، لا سيما في آننا المعاصر. فالجاحظ توحّد مع الكتاب روحاً ومعنى وبدفاعه عن الكتاب يثبت خطَل النظرة اللاّعلمية لدى الذين لا يفهمون قيمة المعرفة وقيمة الكتاب، إسمع ماذا يقول عن الكتاب:

«ونعم الذخر والعقدة هو، ونعم الجليس والعدّة، ونعم العِشرة والنزهة، ونعم المُشتغل والحرفة، ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعمَ المعرفة ببلاد الغُربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل. والكتاب وعاءٌ مُلىء علماً، وظَرْفٌ حشي ظُرفاً، وإناء شحن مِزاحاً وجدّا، إن شئت كان أبين من سحبان وائل، وإن شئت كان أعيَ من باقل، وإن شئت ضحكت من نوادرهِ، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألْهتْكَ طرائفهُ، وإن شئت أشجتك مواعظهُ، ومن لكَ بواعظٍ مله، وبزاجرٍ مُعز، وبناسكٍ فاتك، وبناطقٍ أخرس، وببارِدٍ حار... ومن لك بطيب إعرابي، ومن لك بروحيٍّ هندي، وبفارسيٍّ يوناني، وبقديمٍ مولّد، وبميّتٍ ممتنع، ومن لك بشيء يجمع لك الأول والآخر والناقص والوافر، والخفيّ والظاهر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع، والغثّ والسمين والشكل وخلافه، والجنس وضدّه... ومن لكَ بمؤنسٍ لا ينام إلاّ بنومك ولا ينطق إلاّ بما تهوى، آمنُ من الأرض، وأكتم للسر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة، وأحفظ لما استحفظ من الآدميين ومن الأعراب المستعربين... وقال ذو الرمّة لعيسى بن عمر: أكتب شعري فالكتاب أحبُ إليّ من الحفظ، لأن الإعرابي ينسى الكلمة وقد سهرَ في طلبها ليلَتَه، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس، والكتاب لا يُنسى ولا يُبدّل كلاماً بكلام»[2].

ويرد الجاحظ بنفس الخطاب على الذين يعيبون الكتاب، وهم لا يدركون أسراره وحكمته، فيخطّل رأيهم بالقول: «وعبت الكتاب ولا أعلمُ جاراً أبَرّ، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع، ولا مُعلّماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية ولا أقل جناية ولا أقل إملالاً

---

(1) انظر - البيان والتبيين 3/ 103 - طبعة حسن السندوبي - القاهرة 1956م، وانظر كذلك/ حماده: المكتبات في الإسلام/ ص31 - حيث أورد النص.

(2) الجاحظ - كتاب الحيوان 1/ 33 - طبعة فوزي عطوي - منشورات مكتبة النوري بدمشق 1968م.

وإبراماً ولا أحفل أخلاقاً ولا أقلُّ إخلافاً وإجراماً ولا أقلُّ غيبه ولا أبعد عن عُفيهة، ولا أكثر اعجوبة وتصرفاً. . . الخ»[1].

ثم يدخل الجاحظ في روح الكتاب وسايكولوجيّتِهِ - إن صح التعبير - فهو يعامله كعيّنةٍ نموذجيّة تخضع للتمسطُرِ بإمتياز، فيقول: «والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملُكَكَ والمستميح الذي لا يشتريك، والجار الذي لا يستطيبك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملُكَ بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق، ، ولا يحتال لك بالكذب، والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال متاعك، وشحذَ طباعك، وبَسَطَ لسانك، وجَوّد بنانك، وفخَّمَ ألفاظك. . . ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك وعرفت بهِ في شهر ما لا تعرفهُ من أفواه الرجال في دهر، مع السلامة من العزم ومن كدّ الطلب، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم، ومن الجلوس بين يدي مَنْ أنتَ أفضل منه خلقاً وأكرم منه عِرقاً، ومع السلامة من مجالسة البغضاء، ومقارنة الأغبياء والكتاب هو الذي يُطيعك بالليل كطاعتهِ بالنهار.

ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر، ولا يعتل بنوم، ولا يعتريه كلال السَهر، وهو المعلّم الذي ان افتقرت إليه لم يخفرك، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك العائدة، وإن عزلت لم يدع طاعتك، وإن هبّت ريح أعاديك لم ينقلب عليك، ومتى كنت منه متعلقاً بسبب أو معتصماً بأدنى حبل، كان لك فيه غنىً عن غيره، ولم يضطرك وحشة الوحدة إلى جليس السوء، ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلاّ منعه لك من الجلوس على بابك والنظر إلى المارّة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم، ومن فضول النظر، ومن عادة الحرص، ومن ملابسة صغار الناس وحظور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الرديئة وجهالاتهم المذمومة، لكان في ذلك السلامة، ثم الغنيمة وإحراز الأصل مع استفادة الفرع، ولو لم يكن في ذلك إلاّ أنه يشغلك عن سخف المُنى وعن اعتياد الراحة، وعن اللعب وكل ما أشبه اللّعب، لقد كان على صاحبه أسبغ النعمة وأعظم المنّة»[2].

ولقد أحسن الوصف والتقريض لهذا القول، ما قاله د. محمد ماهر حمادة، «لا نعتقد أن كاتباً وصف الكتاب بأبلغ من هذا الوصف، ولا دافع عنه بأحرّ من هذا الدفاع، ولا بيّن محاسنه ومزاياه بمثل هذه القوة»[3].

---

(1) المصدر السابق - نفس المكان، وقد أحسن الأستاذ محمد ماهر حمادة في نقله لهذا النص الجميل على صفحات كتابه الهام/ المكتبات في الإسلام/ ص 31-34، فليراجع بقية النص هناك.

(2) الجاحظ - كتاب الحيوان 1/ 41 - 42.

(3) انظر كتابه/ المكتبات في الإسلام/ ص34.

ولقد أصبحت ظاهرة عشق الكتاب حالة عامة عند أغلب المشتغلين في العلوم والآداب، وبعضهم فضل الكتّاب على مجالسة الأمراء والسلاطين والخلفاء والوزراء، فهذا الجاحظ رفض رئاسة ديوان الرسائل للمأمون[1] لأنها تبعدهُ عن الكتاب، ويذكر ابن الطقطقي حكاية طريفة عن هذا الموضوع، مفادُها «أن أحد الخلفاء طلب أحد العلماء وأرسل في طلبه أحد حجّابه، وعند وصول الحاجب للدار قال: إن أمير المؤمنين يطلبك، فردَّ عليه بالقول، ودون أن يرفع رأسه من الكتاب: قُل لهُ عندي قوم من الحكماء أحادثهم، فإذا فرغت منهم حضرت. وعاد الحاجب وأخبر الخليفة بما سمع وما رأى. فقال الخليفة: إحضرهُ الساعة، ولما وصل العالم قال لهُ الخليفة: من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك؟! فقال: يا أمير المؤمنين:

| | |
|---|---|
| «لنا جُلساء ما نَمِلُّ حديثهم | أمينونَ مأمونون غيباً ومشهدا |
| يفيدوننا عن علمهم علم ما مضى | ورأياً وتأديباً ومجداً وسؤددا |
| فإن قلت أموات فلم تعد أمرهم | وإن قلتَ أحياء فلست مفنّدا |

فعلم الخليفة أنَّهُ يشير بذلك إلى الكتب، ولم ينكر عليه تأخره»[2].

كما أن الكثير من جمهور المسلمين أدركوا قوة الحاجة للكتاب وأهمية معرفة أسرار الكتب ومحمولاتها، فأقبلوا على قراءتها بشغف، لا سيما كتب التاريخ والآداب والنوادر والسِيَر والعلوم واللغة والشعر والفقه وغيرها[3]، ولقد كان ياقوت الحمَوي، قد انحاز إلى تجارة الكُتب دون تجارة السلع، فعرف أسرار قيمة الكتاب وَوَجد الناس فيه، وهو الخبير المطّلع والورّاق المشهور، حتى أن كتابه (معجم الأدباء) يُعد سيرة ذاتية لعشّاق الكتب لأنهم أدباء وعُلماء وفلاسفة وشعراء وورّاقين وجمّاعين كتب، وقد عَلِمَ عنهم الشيء الكثير في تطوافه ورحلاته، وهو يسرد القصة التالية لأحد هؤلاء الذين تعشّقوا الكتب، قال: «كان الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون من محبّي الكتب ومقتنيها وأنه كان يبالغ في تحصيلها وشرائها، وحصل عن أصولها المتقنة، وأمَّهاتها الثمينة ما لم يحصل الكثير من الناس، ثم تقاعد بِهِ الدهر، وافتقر بعد غنى، وبَطُلَ عن العمل» وذكر ياقوت: أنَّهُ رآه يُخرجها ويبيعها، وعيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله الأعزاء والمفجوع بأحبائه

---

(1) راجع ذلك عند ياقوت الحموي في ترجمة الجاحظ بكتابة معجم الأدباء 16/ 126.

(2) الفخري في الآداب السلطانية/ ص3 وانظر كذلك - المكتبات في الإسلام ص34 - 35.

(3) إبن الطقطقي - المصدر السابق/ ص5.

الأودّاء، فقلت له: هوّن عليك - أدام الله أيامَك - فإن الدهر ذو دولٍ، وقد يسعف الزمان ويباعد وترجع دولة العِز وتعاود فتستخلف ما هو أحسَنَ منها وأجود. فقال: حَسْبُكَ يا بني، هذه نتيجة خمسين سنة من العُمر أنفقتها في تحصيلها، وهب أن المال تَيَسَّرَ والأَجَلُ يتأخر - وهيهات - فحينئذ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلاّ على الفراق الذي ليسَ بعدة تلاق... قال: ثم أدركتهُ منيّته ولم يَنَلْ أمنيته، حيث توفي سنة 608هـ»[1].

إن هذا الحبّ السرمدي عند هؤلاء الناس للكتاب لم يأتِ صدفة بل كان لظاهرة الوراقة والتدوين والتأليف والنقل والترجمة وهمّة العلماء وتشجيع الخلفاء والوزراء وغيرهم، واندفاع الناس/ في العصرالعباسي/ للتعلم، حيث كان الدافع الحضاري مؤثّراً إيجابياً في رفع هذه الظاهرة الثقافية في المجتمع العباسي، الأمر الذي ترك بصماته على كامل فترة العصور الوسطى وما تلاها، بل حتى هذه اللحظة وليس اعتباطاً أن يتوقف «وول ديّورانت» مع مسيرة الكتاب العربي وعشق الناس له إذ يقول: «ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلدٍ آخر من بلاد العالم، اللُّهُمَّ إلاّ في الصين، في عهد منج هوانج ما بَلَغَهُ في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر»[2].

وهذا ما يؤكّد جذريّة الموقف المعرفي عند المثقفين العرب والمسلمين، في تلك الأحقاب الزاهية، ولذات السبب المعرفي توقّف الكثير من المستشرقين الأجانب حول رحلة الكتاب العربي وأشادوا بفضل العلماء العرب الذين أوصلوا كتابهم إلى هذه المرحلة من الرقي المعرفي والعناية الفائقة بالكتاب وبشخصية الكتاب الإعتبارية[3].

---

(1) معجم الأدباء 9/ 185 - 186 - وكذلك راجع - محمد ماهر حمادة/ المكتبات في الإسلام ص36 حيث أورد تلك الحادثة.

(2) وول ديورانت/ قصة الحضارة 23/ 171 - تعريب أحمد بدران منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1950م.

(3) راجع مقدمتنا - في الجزء الأول - من هذه الموسوعة، حيث استعرضنا كثير من آراء المستشرقين وناقشناها بعلمية وحياد.

## الفصل الخامس

# الدولة العباسية والكتاب

يُخطىء كل باحثٍ أو دارسٍ الإعتقاد بأن التدوين سبق العصر العباسي إذ كل المُعطيات تشير إلى أن العصر العباسي هو العصر الذهبي للثقافة العربية الإسلامية دون منازع، وقد أثبتنا في سياقات البحث/ من خلال هذه الموسوعة/ كيف بدأ التفكير المعرفي عند رجالات العِلم ورجالات الحكم[1]، فما أن أنشأ المنصورمدينة السلام «بغداد» سنة 145هـ[2] حتى استقرّت ركائز الدولة فيها، وتعاقبت خلفاء بني العباس الحكم فيها - رغم تحول «المعتصم بالله العباسي» منها إلى «سُرَّ من رأى» - سامراء - فِراراً بجنوده الأتراك من أهل بغداد سنة 221هـ/ 836م، إلاّ أن بغداد لم تفقد بريقها[3].

وظلّت بغداد كما هي عليه، إذ التفاعلات الثقافية - الإجتماعية الأولى كانت عاملاً إيجابياً، فلقد انطلقت الثقافة العربية - الإسلامية من مكوناتها الأولى/ القرآن والحديث والسُنّة/ وشكّل المسجد نقطة التجمع الأولى للنشاط الثقافي، كما أن بناء الدولة العباسية قد شارك فيه أكثر من عنصر قومي، كالفرس والسريان وغيرهم، بما يحملونه من تراثٍ فكري، وكان صدر الدولة العباسية والمجتمع البغدادي أرحب لهذا التنوع والاختلاف الثقافي لكل هذه الأطياف، وقرّبت الدولة رجالات العِلم والأدب، وأغدقت عليهم الهبات والعطايا والجرايات، وعُرف ذو الفضل بفضله، فرفع الأديب وأكرم العالم، وجالت صولة الأدب، واختلط العالِم بالفقيه، وتناظروا، واختلفوا، وتوسّعت دائرة المعرفة بالتناظر، وعرفت الدولة العباسية مجالس المناظرة والمنادمة، وأكبَّ كثيرون على العِلم والتأليف،

(1) راجع - الجزء الأول من هذه الموسوعة/ المقدمات الحضارية/ لتقف على البدايات الأولى للتفكير الإسلامي في إيجاد الكتاب العربي - الإسلامي.

(2) راجع - ابن الفقيه/ بغداد مدينة السلام/ ص30 - 31.

(3) أنظر كتابنا/ ورّاقو بغداد في العصر العباسي/ ص25/ منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - ط1 - الرياض 1421هـ/ 2000م.

وقد قامت الترجمة بدور بارز في تلاقح الثقافات وظهرت الفلسفة وعلم الكلام، وبرزت آراء المذاهب والفِرق، وفُلسِف الدين، وراحت ملامح» الآيديولوجيات النظرية - السياسية والمذهبية»[1]. تظهر بجلاء وقد كان للمعتزلة الدور البارز في تحريك الوعي الثقافي العام في كل أرجاء الدولة العباسية، لا سيما بعد تبنّي المأمون فكرهم الإعتزالي، وأصبح هو المذهب السائد في الدولة في مستهل (ق 3هـ)[2]، وقد أثّر نشاط المعتزلة هذا على الساحة الفكرية، في بغداد أولاً، ثم انتقل إلى بقية أجزاء الدولة العباسية، المترامية الأطراف، وقد أبرز الفكر الإعتزالي مفكرين وأدباء أمثال - النظّام والجاحظ - الأمر الذي أثار غيرة بقية المذاهب لأن ينتجوا رجالاً مثلهم، فقد برز ابن قتيبة بموازاة الجاحظ، كندٍّ له، ولكنه فقيه مُتأدّب، وكان بعيداً عن الميل نحو الثقافة الإغريقية - بحكم ثقافته الدينية، وابن قتيبة هذا وضع النقاط على حروف الشريعة الإسلامية، واجتهد في تنسيق الأسانيد وتصنيفها وأعطى الأولوية للسُنّة على بقية فروع المعرفة، وقد إستطاع أن يجد للكُتّاب طريقا من طُرق الأساليب الكتابيّة، يحدّد لهم عملهم في الدواوين، وذلك في كتابه الهام «أدب الكاتب» والذي يعدُّهُ ابن خلدون من أصول كتب الأدب الأربعة الأساسية في الثقافة العربية الإسلامية[3]. كما وضع ابن قتيبة موسوعة أدبية أخرى، تُعدُّ من أهم المصادر في المجال الأدبي هي «عيون الأخبار، وكتاب الشعر والشعراء»[4]. وإلى جانب ابن قتيبة، ظهر معاصرهُ «اليعقوبي» ذلك الأديب المؤرخ، الذي أسَّسَ للتاريخ العام بإسلوب أدبي رشيق وما أن تطورت صناعة الورق، وتبنّت الدولة رسمّياً أمر الترجمة وأغدقت بسخاء على المترجمين - لا سيما في عهد المأمون، حتى أخذ التأليف يشقُّ طريقهُ بقوة، وانتشرت الوراقة في أغلب الأمصار الإسلامية، منطلقةً من بغداد العاصمة للخلافة العباسية حتى شهدت نهاية (ق 4هـ)، أعمالاً ضخمة من الكُتب والتصانيف وقد برز إسم «إبن النديم» ذلك الورّاق المشهور والحاذق، وصَنَّف كتابَهُ الذائع الصيت «الفهرست» مؤسِّساً بِهِ لمنهجٍ جديد في الكتابة العربية تخص «سيَر الرجال وفهرسة الأعلام» مؤذنٍ بذلك إلى ظهور كتاباتٍ لاحقة نحت منحاه. فيما راح المسعودي يختط منهجاً وصفيّاً جديداً في الجغرافية، مُمازجاً بين الأدب والتأريخ بصيغ جميلة، وراحت تصنيفات المؤرخين تُوجد مدرسة خاصة لها في

(1) انظر كتابنا - النظام الداخلي لحركة إخوان الصفاء/ الفصل الأول/ منشورات دار كنعان - ط1 - دمشق 1992م.
(2) انظر كتابنا/ ورّاقو بغداد في العصر العباسي/ الفصل الثاني/ ص42.
(3) إبن خلدون - المقدمة/ ص553 - 554 - منشورات دار إحياء التراث - بيروت. بدون تاريخ.
(4) أنظر كتابنا - ورّاقو بغداد في العصر العباسي/ ص44.

المنهج والإسلوب، تَرَبَّع على عرشها بامتياز «الطبري والبلاذري» وظهر ترسُّل الكُتّاب على يد «الصّولي».

فيما أخذ يظهر شكل جديد آخر من التاريخ يُمثّلهُ «أبو الفرج الأصفهاني» في كتابه الهام «الأغاني» والذي جمع فيه أخبار الشعراء والمغنيّن والموسيقيّين، وشخصيات المجتمع الهامّة وحوى هذا الكتاب من المعلومات التاريخية والأدبية والفنيّة ما لم يحوِ أيّ كتاب آخر موازٍ له[1]، فيما قَدَّم «قُدامة بن جعفر» نقد الشعر، وقدّم «أبو هلال العسكري» كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، مستوحياً فيه إسلوب الجاحظ، وعارضاً بطريقة منهجية قواعد البلاغة العربية، فيما قدَّم معاصرة «الباقلاّني» الدليل على إعجاز القرآن، فيما عكست الحياة الاجتماعية ظلالها على بعض الأدباء، فصوَّروا حياة العامة والخاصّة، فهذا «الوشّاء» يستلهم إسلوب الجاحظ، ويضع كتابه «الموشّى» مسلطاً الضوءَ فيه على الأوساط المتميّزة وظُرّاف عصره ومتأدبيه، فيما استطاع «أبو المطهر الأزدي» تبيان لوحة الحياة البغدادية بكتابه النادر «حكاية أبي القاسم البغدادي»[2]، فيما أظهر «أبو حيّان التوحيدي» متانة الإسلوب المتفرّد في كتاباتهِ، والبلاغة العالية في النثر العربي والعبارة المُفخّمة ذات الطابع الفلسفي، والتي لا تخلو من نقدٍ لاذع لمعاصريه من عُليّة السلطة وغيرهم، وهو ما يتضح في كتابه «أخلاق الوزيرين» فيما تجلّت إبداعاته الأدبية في «الإمتاع والمؤانسة» فيما حفل كتاب «المقابسات» بالإسلوب الفلسفي الموشّى بالأدب[3].

أمّا في باب الفلسفة، فقد شهد القرنان/ 3 و4 هـ/ تطوراً ملحوظاً، أثبت جدارته وخطورته وعلوّ شأنه على يد «الكندي والفارابي والرازي وإبن سينا» وغيرهم، فيما طغت فلسفة إخوان الصفاء بشعبيّتها على كامل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي/ فيما برز «الخطيب البغدادي» في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، ليدّوّن كل أحداث بغداد وتواريخها بموسوعتهِ الشهيرة «تاريخ بغداد»[4] وهو وثيقة هامة لعلمائها وشعرائها وسادتها وخلفائها.

---

(1) انظر - ورّاقو بغداد في العصر العباسي/ ص45.

(2) لقد أشار الباحث المعروف «عبود الشالجي» إلى أن «حكاية أبي القاسم البغدادي» هي الرسالة البغدادية المفقودة من رسائل أبي حيان التوحيدي وحقّقها وأصدرها - مؤخراً - بعنوان «الرسالة البغدادية» للتوحيدي.

(3) انظر كتابنا/ ورّاقو بغداد في العصر العبّاسي/ ص45.

(4) وعلى نفس الطريقة والإسلوب تتلمذ «إبن عساكر» في موسوعته الشهيرة «تاريخ دمشق» وهي ثمانين مجلداً، مشايعاً فيها اسلوب شيخه الخطيب البغدادي.

إن هذا التراكم المعرفي - بالضرورة - سيؤثّر على كل مناحي الحياة العباسيّة، لا سيما بنائها الفوقي، إذ عمل الخلفاء العباسيون على تشجيع الثقافة والفنون والآداب، وتعاطوها، ثقافةً ومسلكاً، ورعوا العلماء والفلاسفة والأدباء، فقد كان المأمون ذواقة للأدب والفلسفة، وكان لا يقبل أن يخاطب بكلامٍ فيه لحن إعرابي، فقد نقل «ثعلب النحوي» في «مجالسهِ» الحكاية التالية.

قال: «أن ابن قادم قال: كتب فلان إلى المأمون كتاباً فيه (وهذا المالُ مالاً من حاله كذا) فكتب إليه المأمون: أتكاتبني بكاتبٍ يلحن في كلامه؟ فقال: ما لحنت، وما هو إلاّ الصَواب» قال ابن قادم: فدعاني المأمون، فلما أردت الدخول عليه قال لي ذلك الرجل: ما تقول لأمير المؤمنين إذا سألك؟ قال: أقول له: الوجهُ ما قال أمير المؤمنين، وهذا جائز. فلما دخلنا قال لي: ما تقول في هذا الحرف؟ قال: فقلت: الرفعُ أوجه، والنصبُ جائز، قال: فقال لي: مُرْ، كل شيء عندكم جائز.. ثم التفتَ إلى ذلك الرجل وقال له: «لا تكتُبنَّ إليَّ كتاباً حتى تعرضه»[1]، أي يجب أن يطلع عليه من هو أرأسُ منهُ في العِلم وفي اللغة، وهذا الموقف يصدر من خليفة، فكيف ستكون دولته!

ويكفي أن نذكر «الحُلُم» الذي رآه المأمون في منامه، وشاهد فيه «أرسطوطاليس» وعلى الفور أرسل وفداً إلى «القسطنطينية» ليجلب من ملك الروم كتب الفلسفة، ويأمر المترجمين بنقلها إلى العربية برئاسة حنين بن إسحاق[2].

إن تحويل الحُلم إلى واقع ليس مسألة سهلة، ولكن العقل المعرفي هو الأقدر على مثلِ هذه المهمة، ولولا وجود مثل هذا العقل عند المأمون لما طُبّق هذا الحُلم، فلو كان غيره، فلربما استدعى المنجمين ليفسروا لهُ مثل هذا الحُلم.

هنا نلاحظ أن رأس السلطة العباسية، كان بمثابة العقل الموجّه لمسارات الثقافة، بل كان المأمون حريصاً على متابعة عملية النقل والترجمة بنفسه، فلقد نقلت الأخبار عنه «أنه كان يعطي حنين ابن إسحاق من الذهب زِنَة ما ينقلهُ من الكتب إلى العربية مثلاً بمَثَل، ويقول أبو سليمان المنطقي: «إنَّ بني شاكر[3] وهم محمد وأحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة والمترجمين» منهم حنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرّة

---

(1) انظر - مجالس ثعلب - ص12، بعناية عبد السلام هارون.

(2) راجع تفصيلات ذلك في كتابنا «وراقو بغداد في العصر العباسي» ص51 - 52.

(3) هم بنو موسى بن شاكر - ثلاثة إخوة اشتهروا بعلم الحساب والهيئة والآلات في عهد المأمون إلى عهد المتوكل، وكانوا يشرفون على حركة الترجمة وجلب المخطوطات من آسيا الصغرى إلى بغداد - انظر: طبقات الأطباء/ ص260 الهامش رقم 1.

وغيرهم، في الشهر خمسمائة دينار للنقل والملازمة»[1]، كما ذكرت تلك المصادر[2] أنَّهُ «نقل من كتب الفلسفة سبعة وعشرون كتاباً، وفي الطب وفروعهِ ثمانية وخمسون كتاباً، وكتب الرياضيات والنجوم وسائر العلوم أكثر من عشرة كتب، وهذه الكتب نُقلت عن اليونانية، فيما نقلت عن الفارسية كتبُ في الأدب والأخبار والسيّر والأشعار» وبعضها في النجوم.

وقد نقل «آل نوبخت» وعلي بن زياد التميمي وغيرهم أكثر من عشرين كتاباً، ونقل عن الهندية «السنسكريتيّة» من كتب الطبّ والنجوم والرياضيّات والحساب والأسمار والتواريخ وكتب الطب، كما استقدم يحيى بن خالد البرمكي بضعة أطبّاء إلى بغداد منهم «كنكه وبازيكر وقليرفل وسندباز» وغيرهم. وقد استطاع المترجمون نقل عشرة كتب في الطب، من الهندية إلى العربية وذلك عن طريق ترجمتها إلى الفارسية أوّلاً، ثم إلى العربية[3].

هنا، تستوقفنا تلك المعطيات عن الظواهر الثقافية التي حَفِلَ بها العصر العباسي، وكيف أنّها رسّخت قدمها عميقاً في وعي الناس، الأمر الذي أوضح للعيان تطوّر صناعة الكتاب في العصور العباسية المختلفة، وظهرت المكتبات الرسمية والشعبية والعامة[4]، ولا أدلُّ من ذلك عليها، ما وقع لبغداد - أيام اجتياح المغول لها عام 656هـ/ 1258م، حيث «ألقيتت كتب العِلم التي كانت في خزائنهم بدجلة - كما يقول ابن خلدون[5] فيما ينقل ابن تغري بردي بأن «بغداد خُرّبت الخراب العظيم، وأُحرقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون، وقيل: بنوا جسوراً من الكتب بدلاً من الآجر والطين[6]. وهذا الأمر يكشف لنا مقدار الكتب المنتجة في تلك المرحلة الزاهية والتي ما زلنا نقتاتُ عليها، حتى هذه اللحظة.

وبغية أن يكون البحث في المكتبات الإسلامية، منسجماً مع خطّة البحث الموضوعة لهذه الموسوعة، فقد ارتأينا أن نقسّم موضوع المكتبات وظهورها محصوراً في كل بلدٍ على حدا، كي تكون هناك وحدة موضوع جغرافية وتاريخية، تسهل للباحث رصد المكتبات في

---

(1) طبقات الأطباء/ ص260.
(2) راجع عصر المأمون 1/ 381 - 394 - حيث فيه تفصيلات بأسماء الكتب المترجمة.
(3) عصر المأمون 1/ 388 - 390.
(4) سوف نستعرضها بالتفصيل في هذا الجزء من الموسوعة.
(5) كتاب العِبر 5/ 543 - طبعة بولاق المصرية.
(6) النجوم الزاهرة في أخبار مضر والقاهر 7/ 51.

هذا البلد أو ذاك من جهة، وتنسجم مع موضوعة الورّاقين الجغرافية، من جهة ثانية. ماخذين بعين الإعتبار «التأريخ» كنقطة مفصلية تحدد «نوع المكتبات» وأسبقية كل نوع على آخر، فمثلاً، مكتبات المساجد، هي أول النواتات المكتبية ظهوراً في الثقافة العربية - الإسلامية، فمن المنطقي أن تتصدر هذه المكتبات واجهة الحديث والبحث، ثم تليها المكتبات الأخرى، كالمكتبات العامة والمكتبات الخاصة، ومكتبات الخلفاء والوزراء والأدباء والعلماء... الخ، وكل نوع من هذه المكتبات حصرناهُ في الحاضن الجغرافي الذي انولدت فيه هذه المكتبات، كي نعطي فكرة عامة للقارىء حول مقدار التطور الثقافي لهذا البلد أو ذاك، من خلال تلك المكتبات، باعتبارها مؤشّراً موضوعياً ذا دلالات حضارية، ونمو اقتصادي واجتماعي، وعلامة دالة بمحمولها الثقافي ولذا سوف تكون محطتنا الأولى في بحث المكتبات، في هذا الجزء من الموسوعة مع مكتبات المساجد، والمكتبات الأخرى في كل مصرٍ من الأمصار الإسلامية.

## الفصل السادس

# مكتبات المساجد ودور العبادة.. الأخرى

المسجد: هو المكان الذي يأمّهُ المسلمون لأداء الصلاة بأوقاتها الخمس المعلومة، إضافة إلى تواجدهم (المسلمون) فيه، لأمور أخرى[1].

وقد كانت بدايات الوراقة والتوريق، قد تبرعمت داخل المساجد نظراً لكون أغلب مجالس الإملاء وقراءة الختمات كانت تُقام فيه ليشكل ذلك بُعداً إعلامياً - إسلامياً، يُشير إلى الإشهار بالشيء[2] كأن يكون إملاء كتاب على الورّاقين والمستملين، ومن ثم إجراء المطابقة على ما قاله «الشيخ» وما نسخَ بهِ الورّاقون، وبالتالي، تشكّل هذه العملية وحدة منظومة أخلاقية دينية، تحكم وعي المشتغلين بالمِهَن الإسلامية، والوراقة مهنة إسلامية خالصة، كان مبعثها الأول نسخ كتاب الله «القرآن» والتقرّب به إليه، باعتبار ذلك جزءاً من إلتزام المسلم بعقيدته الدينية، واعتبار المسجد «بيت الله» لذلك كان المسجد يحضى بقدسية

---

(1) للإستزادة - راجع د. حسين نصّار - المساجد في الإسلام - بغية معرفة دورها وتاريخها وشؤونها.
(2) راجع - الجزء الثاني من هذه الموسوعة «ظهور مهنة الوراقة» فصل خاص بمنهج الوراقة.

دينية خاصة في روح المسلم، باعتبار الوازع الديني الإسلامي، ومن ثم أصبحت للمسجد شخصيتهُ الخاصة المبجّلة، بوصفهِ مكاناً مقصوداً للعبادة، ومن ثم أصبح معلماً حضارياً دالاً على ثقافة معيّنة «الثقافة الإسلامية» وبالتالي أصبح لزاماً على المسلمين أن يطوّروا هذه الشخصية الإعتبارية - الدينية، فكان «القرآن» نزيل المسجد الدائم، باعتباره كتاب العرب والمسلمين الأول، وبذا شكّلَ هذا الكتاب المقدّس الركيزة الأساسيّة لوجود مكتبة في المسجد، وعلى هذا الإعتبار الديني والمعرفي، نشاهد عِدّة مصاحف للقرآن في كل مسجد عليها النقوش والزخارف الإسلامية، وقد خُطّت بأجمل الخُطوط العربية، بغية زيادة في القدسية، وجُلّدت بأفخر مواد التجليد وناسخهُ يعتبر عملهُ فيه تقرُّباً لله، وليس اعتباطاً أن تبدأ الوراقة بنسخ القرآن وعلوم الدين بدون مقابل مادي، إلى أن خرجت الوراقة من رحاب المسجد إلى السوق، وهنا تغيّر المنحى، وأصبحت الوراقة - مهنة عمل - يعتاش منها الورّاق[1].

ومكتبة المسجد، تتشكّل ذاتياً من رواد المسجد، وقد اعتاد المسلمون، مُذ عرفوا المسجد وعرفوا أهمية وجود القرآن فيه أن يُودّعوا في المسجد كُتباً أُخرى إلى جانب الكتاب المقدّس، والذي يكون عادة برفٍّ علوي، لا يعلو عليه كتاب، وأحياناً يوضع في خُريدة مُعلّقة وداخل «سفطٍ أخضر» في الغالب، وقد شكّل هذا العُرف شبه ناموسٍ ثابت في ترتيب مكتبات المساجد والتي كانت هي أوّل ظهوراً للمكتبات في الثقافة العربية - الإسلامية[2].

لقد كان هدف المسلمين - في البدء - أن تكون مكتبة المسجد، ذات صبغة دينية - إسلامية، ولكن تطور الحالة المعرفية، وبدء تشكيل الحلقات العلمية والفكرية داخل أروقة المساجد فرض هذا التنوع المعرفي في مكتبة المسجد، إذ كانت حلقات دروس اللغة العربية، والفقه والحديث والتاريخ وحتى الفلسفة، باستثناء الطب[3] لكونه علماً تطبيقياً يحتاج إلى مباضع ومشارط، الأمر الذي تجري مَعهُ الدماء، ممّا يشكل وجود أثر «للنجاسة» تحرّم على المكان الصلاة فيه.

وقد كانت تُدرّس في المسجد مختلف العلوم النقلية والعقلية، وقد إزدهرت هذه

---

(1) راجع - الجزء الثاني - من هذه الموسوعة - كتاب ظهور مهنة الوراقة. لتقف على البدايات الأولى للوراقة، وكيف انطلقت من المسجد.

(2) راجع - حمادة - د. محمد ماهر/المكتبات في الإسلام - ص82، مصدر سبقت الإشارة إليه.

(3) المصدر السابق/ ص83.

الظواهر الثقافية الفكرية، ممّا يستوجب وجود المصادر المختلفة لتلبية حاجة هذه الظواهر الثقافية داخل مكتبة المسجد، وقد اشتهرت بعض المساجد المُهِمّة وأصبحت من أكبر مراكز التعليم والتدريس، وكانت مقصد الطُلاّب من جميع أنحاء العالم الإسلامي، إذ كانت تُعقد في هذه المساجد حلَقات للدراسة والمناظرة وإلقاء المواعظ والإرشادات وحتى/ قرارات الدولة - أحياناً - كما كان يحدث في جامع بني أميّة بدمشق وجوامع مكة والمدينة وفي الجامع الأزهري القاهرة، وجامع المنصور في بغداد، وجوامع قرطبة وطُليطلة التي ذاع صيتها وعلت شهرتها وجذبت إليها طُلاّباً من المسلمين والنصارى من جميع أنحاء أوربا، بما فيها إنجلترا واسكوتلندا[1].

وعندما سقطت طليطلة بيد الأسبان عام 1085م وُجد في أحد مساجدهم مكتبة غنية عامرة، بلغت شهرتها أقصى البلاد النصرانية في الشمال[2].

---

(1) أنظر: آرنولد، سيرتوماس (تراث الإسلام) بالإنجليزية «مُحرّر» ص336 إكسفورد، مطبعة كليرن سنة 1931م، وراجع كذلك حمادة - محمد ماهر/ المكتبات في الإسلام/ ص83.

(2) ديبور، ت. ج: تاريخ الفلسفة في الإسلام/ ص417، الطبعة الرابعة، ترجمة أبو ريده - إصدار لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة 1957هـ.

# الباب الرابع

# المكتبات العباسية

## الفصل الأول

## مكتبات الخلفاء العباسيين

أوضحنا في الفصول السابقة الخطوط العامة للحالة الثقافية التي نشأت في بغداد، وكيف أصبحت ظاهرة المكتبات من الثوابت في ثقافة المجتمع العباسي، كما أوضحنا في السياق أثر الخلفاء العباسيين في تطور هذه الظاهرة، وبغية التفصيل في الموضوع، نرى من الضروري، التطرق إلى أهمّ المكتبات العباسية التي أسست في العصر العباسي، منذ نشوء بغداد، وحتى سقوطها على يدي التتر في منتصف القرن السابع الهجري، ونتطرق أولاً إلى «مكتبات الخلفاء» التي أنشأها هؤلاء.

### 1 - خزانة المنصور:

تولّى أبو جعفرالمنصور،باني مدينة بغداد، الخلافة بعد السفاح، واستمرّ بالخلافة نيّفا وعشرين سنة (136 - 158هـ/ 754 - 775م) وقد أسّس في قصره خزانة كتب لولده المهدي[1]، حيث طلب من ابن إسحاق أن يصنّف له/ كتاباً منذ خلق الله آدم إلى يومه ذاك/ فصنّف له السيرة النبوية. وقد عرف عن المنصور أنه كان من الذين يعنون بالعلوم مع براعته في الفقه والفلسفة، وكان ذا كلف في علم صناعة النجوم وبأهلها[2]، إضافة إلى أنه طلب

(1) راجع تفاصيل ذلك عند الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 1/ 220 - 221 في ترجمة/ محمد بن اسحاق/ صاحب السيرة - لا سيما في خبر دخول ابن إسحاق على المنصور وليس على المهدى - راجع كوركيس عواد/ خزائن الكتب، ص103 - 104.

(2) صاعد الاندلسي - طبقات الامم/ ص48 - طبعة الاب لويس شيخو اليسوعي - بيروت 1912م.

من طبيبه الخاص جورجيوس بن جبرائيل أن ينقل له كتب اليونان، فنقل له الكثير منها إلى العربية[1].

## 2 - خزانة الحكمة/ للرشيد والمأمون/ :

كانت هذه الخزانة من أعظم خزائن الكتب في الإسلام، على اختلاف عصوره ودوله[2]، حوت هذه المكتبة والتي كان يطلق عليها اسم «بيت الحكمة» الكثير من الاسفار النفيسة والجليلة لكثير من الثقافات الشرقية والغربية، العربية والفارسية والسيريانية واليونانية وغيرها.

أسست هذه الخزانة في عهد الرشيد (خلافته سنة 170 - 193هـ/ 786 - 809م)، فقد اعتنى الرشيد بها أيما عناية ووضع فيها أبرز العلماء في عصرهم من المنجمين والمترجمين والورّاقين، والنقلة، والعلماء، فقد ذكرابن النديم[3] أن أبا سهل الفضل بن نوبخت كان يعمل فيها، وقد عرف عنه نقولاته من الفارسية إلى العربية، كما ذكر أن من أشهر ورّاقيها كان علاّن الشعوبي، حيث كان ينسخ فيها للرشيد والمأمون[4].

وازدهرت هذه المكتبة أيما ازدهار، وبلغت أوجّها في عصر المأمون (198 - 218هـ/ 813 - 833م) حيث أنها أصبحت تحتوي على أروقة وأقسام، وقاعات كل منها يختص بعلم معيّن، ونظراً لما يمتاز به المأمون من حبّ وشغف بالثقافة والعلوم، فقد كان راعياً لها وللعلماء عامّة، في عصره، فقد عرف عنه ميله إلى الفلسفة، لذلك سعى بكل جديّة لتوطيد أركانها، وتوسيعها واغنائها بما استطاع من جمعه للكتب المختلفة[5]، ثم أنه جعل كبار العلماء قيّمين عليها، من مثل سهل بن هارون، حيث جعله كاتبا عليها، وسهل هذا كان حكيما فصيحا شاعرا، فضّله الجاحظ على غيره، ووصف براعته، وله كتب عديدة[6]، وشارك سهل بن هارون في ادارة بيت الحكمة، كل من: سعيد بن هارون الكاتب، وسلم، الذي كان ينقل من الفارسية إلى العربية[7] كان قبل هؤلاء - في قسم

(1) طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة/ ص183 - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت 1965م - شرح نزار رضا.
(2) كوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص105.
(3) الفهرست/ ص282 - 283 - وقد ذكر ابن النديم جميع مؤلفاته.
(4) الفهرست/ ص153 - 154.
(5) كوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص106 - 107.
(6) الفهرست/ ص174.
(7) المرجع السابق/ نفس المكان.

الترجمة، يوحنا بن ماسوية، ذلك السرياني الشهير، الذي قلّده الرشيد ترجمة الكتب القديمة، مما وجده بأنقرة وعمورية، وسائر بلاد الروم حين غزاها المسلمون، ووضعه أمينا على الترجمة، وظل كذلك في مكانه أيام الرشيد والامين والمأمون إلى أيام المتوكل، إضافة إلى كونه طبيباً بارعاً[1].

لقد جعل المأمون هذه المكتبة من صلب أعماله اليومية، فكان يرعاها بمن فيها، ويغدق عليها الاموال، ويحثّ على جمع المصادر النفيسة فيها، من كل أنحاء العالم، فقد عرف عنه أنه لما هادن صاحب جزيرة صقلية، أرسل إليه وفداً من جلّ العلماء لديه، ليطلبوا له خزانة كتب اليونان، وكان عندهم في بيت لا يظهر عليه أحد أبداً، وإزاء هذا الطلب من خليفة المسلمين ببغداد، فإن حاكم قبرص، جمع بطانته وذوي الرأي عنده، واستشارهم في حمل الخزانة إلى المأمون، فكلهم أشاروا بعدم الموافقة، إلا مطرانا واحداً، فإنه قال: الرأى أن تعجّل بانفاذها إليه، فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعيّة إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها.

فأرسلها إليه، فاغتبط المأمون بها، وجعل سهل بن هارون خازناً لها[2]، ويكمل ابن النديم هذا الخبر بقوله[3]، أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ ما هو مختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة، منهم الحجاج بن مطر، وابن البطريق، وسلّم - صاحب بيت الحكمة - وغيرهم، فأخذوا مما وجدوا ممّا اختاروه، ثم يضيف: وقد قيل أن يوحنا بن ماسويه ممّن نفذ إلى بلاد الروم، وأحمد والحسن (بنو شاكر) وكذلك حنين بن إسحاق[4].

وقد رأى المأمون أنه من الحكمة أن يقسم «بيت الحكمة» إلى مختلف العلوم، وينصّب عليها الحكماء، كل في مجاله، ثم وجّه عنايته إلى ترجمة الكتب التي حملت إليه من بلاد الروم، لا سيما في الفلسفة والطب والمُوسيقى والرياضيات والطبيعيات وغيرها[5]، فانبرى المترجمون إلى ذلك بجديّة واجتهاد، وقد كان المأمون يتعهدهم بنفسه

---

(1) طبقات الاطباء/ ص246.

(2) جمال الدين بن نباته المصري/ سرح العيون، شرح رسالة بن زيدون/ ص166، ترجمة سهل بن هارون/ طبعة المليجي الكتبي/ ط4 - مصر/ 1357هـ.

(3) الفهرست/ ص339 - 340.

(4) الفهرست/ ص340.

(5) لنا دراسة لاحقة، على موضوعنا هذا، تحت اسم (مترجمو بغداد في العصر العباسي) سوف نتطرق =

ويجزل لهم العطاء المضاعف لما ينقلونه من هذه العلوم إلى العربية، فقد كان حنين بن إسحاق قد عهد إليه المأمون، رغم حداثة سنّه، نقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى العربية واصلاح ما ينقله غيره[1]، أي أنه جعله على رأس المترجمين من اليونانية إلى العربية، وليس هذا فحسب، بل أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلاً بمثل[2]، ولم يتوقف المأمون عند هذا الحد، بل أوجد طاقماً من المترجمين في «بيت الحكمة» للعمل، ليل نهار، في نقل كافة العلوم إلى العربية، فقد ذكر أبو سليمان المنطقي السجستاني، أن بني شاكر وهم/بنو موسى بن شاكر - محمد وأحمد والحسن - ثلاثة اخوة اشتهروا بعلم الحساب والهيئة والآلات، من عهد المأمون إلى عهد المتوكل/كانوا يشرفون على حركة الترجمة وجلب المخطوطات من آسيا الصغرى إلى بغداد/ ، وهؤلاء - كما يقول أبو سليمان المنطقي: كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرّة، وغيرهم، في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة، وكان المأمون يضع علامته على تلك الكتب المنقولة[3]، فأغنى هؤلاء المترجمون الثقافة العربية، ووسعوا محتويات خزانة الحكمة توسيعاً منقطع النظير، فصار فيها من الكتب ما تفردت به وفاقت ما سواها[4].

لقد ضمّت خزانة الحكمة كتبا مؤلفة بلغات مختلفة، فكان فيها أسفار باليونانية والفارسية والآرامية والهندية والقبطية، فضلاً عن العربيّة، وقد ذكر ابن النديم، أنه رأى جزءاً من الخط الحميرى في خزانة المأمون تلك[5]، وفي هذه المكتبة «بيت الحكمة» شاهد المسعودى مصورات الاقاليم السبعة أو ما يعرف بـ«الصورة المأمونية» حيث يقول[6]: ورأيت هذه الأقاليم مصورة في غير كتاب/يقصد خارطة/بأنواع الاصباغ وأحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافيا لمارينوس وتفسير جغرافيا قطع الارض، وفي الصورة المأمونية، التي عملت للمأمون، اجتمع على صنعتها عدة من حكماء أهل عصره، فيها

---

= فيها إلى دور الترجمة في عصر المأمون وغيره، لنقل العلوم والآداب العالمية إلى العربية، والدراسة قيد الانجاز.

(1) طبقات الاطباء/ ص260 - ترجمة حنين بن اسحاق.

(2) المصدر السابق/ نفس المكان.

(3) نفس المصدر السابق.

(4) للاستزادة راجع: كوركيس عواد/ خزائن الكتب القديمة/ ص109 - 110 عن هذه المكتبة القيّمة.

(5) الفهرست/ ص8 وص 29 - وكوريس عواد/ ص111.

(6) المسعودي/ التنبيه والاشراف/ ص30 - 31 - بعناية عبدالله إسماعيل الصاوي - القاهرة 1357هـ/ 1938م.

العالم بأفلاكه ونجومه وبرّه وبحره، وعامره وغامره، ومساكن الأمم والمدن، وغير ذلك، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرها.

وقد كان في هذه المكتبة ورّاقون متخصصون بتجليد الكتب، فقد ذكر ابن النديم[1] أن ابن أبي الحرش كان يجلّد في خزانة الحكمة للمأمون، ولم تقف رعاية المأمون لمكتبته على هذا الحد، بل أنه كان يطالع فهرست كتب الخزانة بنفسه، حتى أنه استغرب ذات مرة، وهو يقلب هذا الفهرست ولم يعثر على كتاب «جاوبذان خرد»، فقال: كيف يسقط ذكر هذا الكتاب عن الفهرست؟[2]، وعلى هذا النحو كانت هذه المكتبة، ولكن تبدّل الظروف السياسية في العراق، بعد المأمون، انعكس عليها بلا ريب، فقد انتقلت الخلافة أيام المتوكل إلى سامراء، الأمر الذي جعل للعاصمة الجديدة للخلافة، الدور الاول في العناية والعمران، ولكن صدى هذه الخزانة التاريخي لا يزال يقرع أسماعنا، حتى في هذا الأوان.

## 3 - خزانة المعتضد:

المعتضد بالله العباسي، خلافته من سنة 279 - 289هـ/ 892 - 902م، دلالات المصادر التاريخية تشير إلى أن خزانة المعتضد كانت معروفة عند الكثير من علماء ذلك العصر، فقد أشار ابن النديم[3] إلى أن الزجّاج النحوى فسّر كتاب جامع النطق، وكتبه بخط الترمذى الصغير أبي الحسن، وجلّده وحمله الوزير «القاسم بن عبيد الله» إلى المعتضد فاستحسنه، وأمر له بثلثمائة دينار، وهذه النسخة لم يخرج منها الزجاج نسخة أخرى إلى أحد إلاّ إلى خزانة المعتضد.

وهناك اشارة وردت في حديث القاضي التنوخي عن الرجل الذي جاء إلى المعتضد بِرُقْيَةٍ تحبس السمّ عن الملسوع في الحال، وكيف أنه نجح في تطبيقها من وقته إلى ملسوع، الامر الذي دعا المعتضد إلى كتابة الرقية وتخليدها في الخزانة، ثم أمر للرجل بجائزة سنيّة[4].

ويتضّح من سيرة أحمد بن الطيب السرخسي، أنّه ألّف الكتب العديدة، واختصر كتب

---

(1) الفهرست/ ص14.

(2) كوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص112.

(3) الفهرست/ ص90 - وكوركيس عواد/ ص113.

(4) نشوار الحاضرة 2/ 111 طبعة مرجليوث - وراجع كوركيس عوّاد/ ص113.

الفلاسفة اليونانيين وعهدها إلى المعتضد[1]، كما عثر في خزانة المعتضد على إجابات عّدة عن مسائل سأل عنها هذا الخليفة طبيبه أبا الحسن ثابت بن قرّه الحرّاني، لا سيما تلك الامور التي كان يسأل عنها، عندما كان في سجنه من قبل أبيه الموفّق، فقد كان ثابتا يزره في اليوم ثلاث مرّات، يحادثه ويؤانسه[2].

## 4 - خزانة المكتفي:

خلافته كانت بين سنة 289هـ - 295هـ/ 902 - 908م، نادرة هي المصادر التي جاءت على ذكر هذه الخزانة، إلا أن الأمر الهام كان يكشف أن لكل خليفة خزانته، فقد ذكر الشابشتي[3]، أن أبا بكر الصولي ذكر أن المكتفي أخرج إليهم مدارج مكتوبة بالذهب، من شعر المعتمد، من بعضها كان هذا الشعر:

عـجّـل الـحـبّ بـفـرقـه فـبـقـلـبـي مـنـه حـرقـه
مـالـك بـالـحـبّ رقّـي وأنـا أمـلـك رقّـه
انـمـا يـسـتـروح الـصـبّ إذا أظـهـر عـشـقـه

## 5 - خزانة الراضي بالله:

كانت خلافته من سنة 322 - 329هـ/ 934 - 940م، تحدث عنه الصولي في «الأوراق» قائلاً: «أن الراضي بالله كان أعلم الناس بالشعر، وكنت أتنخّل له الالفاظ وأختار علوي الكلام». ويعرف من سيرة الصولي ومعايشته للراضي والمتقي، أن الراضي كان ذكيّاً ومحبّاً للأدب، حتى أنه يقول: فحببت العلم إليهما واشتريت لهما من كتب الفقه والشعر واللغة والاخبار، قطعة حسنة، فتنافسا في ذلك، وعمل كل واحد منهما خزانة لكتبه، وقرأ عليّ الأخبار والأشعار، فقلت: إن الحديث أولى بكما وأنفع لكما من هذه، وهو أولى من أن يبتدأ به، وجئتهما بأعلى من بقي من الزمان إسناداً، وهو أبو القاسم بن بنت منيع، ونسخت لهما علو حديثه ومشايخه[4]، وفي موضع آخر[5]، يشير الصولي، إلى أن الراضي كان يجادل بالادب والأخبار والتاريخ، لا سيما في مسألة الشعر التي ذكر فيها

(1) راجع ذلك عند ابن أبي أصيبعة - طبقات الاطباء/ ص293 - 294.
(2) طبقات الاطباء/ ص295 - وكوركيس عواد/ ص114.
(3) الديارات/ ص65 - وكوركيس عواد/ ص114 - 115.
(4) المصدر السابق/ ص25.
(5) المصدر السابق/ ص39 - 40.

اسم «حبيش» والذي أخطأ فيه الطبري والمنسوب إلى «نهشل بن جزى النهشلي» حتى أن الراضي وجّه لطلب شعر النهشلي في خزانته فلم يجده، وبهذا الصدد يعلّق الصولي قائلاً: وهذا أيضاً عجب، يتحدث الناس بأن سيدنا «يقصد الراضي» مع جلالة علمه، وعلو نعمته، عمل خزانة كتب، كما عمل متقدمو الخلفاء، طلب فيها شعر هذا الشاعر المشهور، فلم يوجد، فرّد الراضي: فما الحيلة قد شغلنا بغيرها عنها، قلت: كتب عبيدك لك، فتبدىء عمل الاشعار من الخزانة، تبدأ بمضر، ثم ربيعة ثم اليمن، فما لم يكن فيها، حمله عبيدك من كتبهم، وما كان سماعا لعبيدك أو شيئا لا يعتاضون منه، نسخه ورّاقوك الذين تجرى عليهم، وجلّده مجلدو الخزانة، فسكت كالمفكر، فقلت له: إن الذي قلته ليس لشيء أجتلبه، انما هو حيف على كتبي، ولكن آنف أن يتحدث الناس بشيء يفعله سيدنا لا يكون في نهاية الجلالة» ويستطرد الصولي قائلاً[1].

فقال: ويحك، فإذا جاء ما يشغل كيف نصنع؟ قلت: يجعل سيدنا هذه الخزانة للاميرين - يقصد ولد الراضي - ويقتصر على ما يريد النظر فيه. قال: أما هذا فنعم، فأمر باخراج الكتب إليه يوماً يوماً، وأجلسنا، فميّزناها، وقسّمها بين يديه، بين ابنيه، واقتصر على ما أراد، ووهب لنا الباقي فاقتسمنا، وكان أكثره ما يباع وزنا.

وهذا الخبر، الآنف الذكر، يوضّح مدى أهمية هذه (الخزانة) لا سيما وأنه يوجد فيها ورّاقون من المجلّدين والنسّاخ، وهو أمر يشير إلى الاهتمام اليومي للخليفة بمكتبته.

ومن محتويات خزانة الراضي هذه رسالة وردت من ملك الروم، كانت الكتابة فيها بالرومية، ومخطوطة بالذهب، ومترجمة إلى العربية بالفضّة يطلبون فيها الهدنة[2].

## 6 - خزانة القائم بأمر الله العباسي:

هو الخليفة السابع والعشرون من خلفاء بني العباس امتدت خلافته من سنة 432 - 467هـ 1031 - 1075م، وكانت هذه الخزانة قد ورثها من سابقيه من الخلفاء، حوت هذه الخزانة الالاف من الكتب، ذكر أبو الفرج ابن العبرى أنه في سنة 443هـ/ وصل رسول

---

(1) الاوراق/ ص40.

(2) ابن الجوزي - المنتظم 6/ 293 - طبعة حيدر آباد سنة 1357هـ - والكامل في التاريخ لابن الاثير 8/ 320 وما بعدها - حوادث سنة 326هـ، طبعة دار صادر ودار بيروت - 1386هـ/ 1966م - والنجوم الزاهرة - لابن تغرى بردى 3/ 262 - 263 - طبعة دار الكتب المصرية 1963م/ حيث فيه نص الرسالة وجواب الراضي عليها. وكوركيس عواد/ ص117.

ملك الروم إلى القائم يحمل رسالة باليونانية يتخلل أسطرها، ترجمتها العربية بالذهب على قطيفة «مخمل»[1].

كما اشتملت هذه الخزانة على النسخة الاصلية من كتاب «رسوم دار الخلافة» لأبي هلال بن المحسن الصابىء، حيث أنه كان قد ذكر بمقدمته باهداء الكتاب إلى الخليفة القائم[2]، ويعتقد كوركيس عوّاد، أن هلال الصابىء أهدى كتابه (تحفة الامراء في تاريخ الوزراء) إلى القائم نفسه[3] رغم أنه لم يصرّح بذلك.

## 7 - خزانة المقتدى بأمر الله:

خلافته سنة 467 - 487هـ/ 1075 - 1094م، كغيره من الخلفاء العباسيين، كان المقتدى يحوى في خزانة كتبه أمهات الأسفار، فقد صنّف له أبو علي يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي كتاباً بعنوان «تقويم الابدان في تدبير الإنسان»، وكتاباً آخر بعنوان «منهاج البيان فيما يستعمله الانسان» وهما من الكتب الطبيّة، وقد كان هذا الطبيب له نظر في علم الادب، وكان يكتب خطاً جيداً منسوبا، كان في بادىء أمره نصرانيا ثم أسلم[4]، كما ألّف سعيد بن هبة الله كتباً عديدة في الطب والمنطق والفلسفة، وأودعها في خزانة المقتدى[5].

## 8 - خزانة الناصر لدين الله:

كان هذا الخليفة العباسي، الذي تولّى الخلافة سنة 575 - 622هـ/ 1180 - 1225م من أعظم خلفاء بني العباس، وأبعدهم نظراً، حيث أعاد إلى الخلافة هيبتها ورونقها، وقد كان له اهتمام بالعلم والعلماء، وخزانة كتبه كانت جليلة القدر حافلة بالاسفار والتصانيف، حتى أنها انشطرت إلى ثلاث خزائن مهمة هي: خزانة دار المسناة ببغداد، وخزانة الرباط الخاتوني السلجوقي ببغداد، وخزانة المدرسة النظامية ببغداد، وقد قام أبو الرشيد الحاسب،

(1) كوركيس عواد/ ص117.

(2) رسوم دار الخلافة/ أبي الحسن هلال بن المحسن الصابىء - تحقيق ميخائيل عواد - مطبعة العاني - بغداد 1383هـ/ 1964م.

(3) خزائن الكتب/ ص118 - وراجع ص6 - 7 من كتاب/ تحفة الامراء في تاريخ الوزراء/ طبعة بيروت للاباء اليسوعين 1904م.

(4) طبقات الاطباء/ ص343.

(5) المصدر السابق/ ص342 - وكوركيس عواد/ ص119.

مبشر بن أحمد بن علي بن أحمد بن عمرو الرازي، الملقب بالبرهان، بالاشراف على اختيار الكتب التي أوقفت على تلك الخزائن الثلاث بناء على طلب الخليفة[1].

## 9 - خزانة المستنصر بالله:

هو باني «المدرسة المستنصرية» الشهيرة، الخليفة التاسع والعشرون من بني العباس، تولى الخلافة من سنة 623 - 640هـ/ 1226 - 1242م، كانت له خزانة خاصة، عدا خزانة المدرسة المستنصرية، فقد أشار ابن الفوطي[2] أن الخليفة نقل إليها من خزانة كتبه الخاصة من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حمله 160 حمالاً.

## 10 - خزانة المستعصم بالله:

640 - 656هـ/ 1242 1258م، هو آخر خلفاء بني العباس، قتله المغول بعد أن أسقطوا بغداد سنة 656هـ/ 1258م، جمع الكثير من الكتب في خزانته، ذكر الموسيقي الكاتب صفي الدين عبد المؤمن الأرموى، أن الخلافة لما وصلت المستعصم، عمّر خزانة كتب، وأمر أن يختار لها كاتبان يكتبان ما يختاره، ولم يكن في ذلك الوقت أفضل من الشيخ زكي الدين، وكنت دونه في الشهرة فرتبنا في ذلك[3]، وقد ورد ذكر هذه الخزانة عند ابن الفوطي في أحداث سنة 641هـ[4].

11 - وهناك، إلى جانب خزائن الخلفاء، توجد خزائن الكتب للملوك والسلاطين، من البويهين والسلاجقة وغيرهم، من الذين ترادفوا على زمام الدولة العباسية، كخزانة عضد الدولة البويهي، والذي عرف عنه أنه كان محبّاً للعلوم وأهلها، ومقربا لهم محسنا اليهم، يجلس معهم ويعارضهم في بعض المسائل، فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب، منها الايضاح في النحو، والحجة في القراءات، والملكي في الطب، والتاجي في التاريخ، وغير ذلك[5].

(1) القفطي/ أخبار العلماء بأخبار الحكماء/ ص177 - مصر 1326هـ.
(2) الحوادث الجامعة/ ص53 - 54 - وكوركيس عواد/ ص 121.
(3) ابن شاكر الكتبي/ فوات الوفيات 2/ 411 - 412 - ترجمة صفي الدين المغني - تحقيق د. إحسان عباس، منشورات دار صادر - بيروت - وكوركيس عواد/ ص122 - 123.
(4) الحوادث الجامعة/ ص128.
(5) ابن الاثير - الكامل في التاريخ 9/ 21 - 22 طبعة دار صادر - بيروت - سنة 1386هـ/ 1966م.

## 12 - خزانة الملك العادل نور الدين:

ملك نور الدين بن عماد الدين زنكي، الموصل سنة 589هـ/ 1193م، وقد كانت له خزانة كتب قيّمة، عبثت بها الاقدار بعد وفاته، وجد فيها، كما تنقل المصادر «كتاب السموم» لشاناق الهندى وغيره[1].

## 13 - خزانة بدر الدين لؤلؤ بالموصل:

كان صاحب الموصل، وحكمها سنة 615 - 657هـ/ كان لبدر الدين لؤلؤ يد بيضاء على العلم والعلماء، فقد طلب من الشيخ عز الدين بن الاثير، أن يجمع تاريخا ويجعله باسمه ففعل، وعمل التاريخ، فأجزل صلته[2].

## الفصل الثاني

# مكتبات الوزراء العباسيين

لم تكن الحالة الثقافية محصورة بشريحة بشرية معينة، ولن تكون كذلك، ما دام هناك عقل يستوعب ذات حامله، ويهديه إلى الشرائع والمناهل المعرفية، وبغداد عندما صارت عاصمة للدولة الإسلامية، لم تغلق أبوابها بوجه مختلف الثقافات بل العكس كان هو السائد.

وكتب التاريخ العربي - الاسلامي، ومصادره، تذكر لنا، أن الوزير الذي ينصب للوزراة، تكون له القدرة على الخطابة والكتابة، والكثير من الوزراء، كانوا في الاساس كُتاباً[3] وعلى هذا الاساس، يكون التحصيل الثقافي الواسع، أحد الدرجات الرئيسة لسلّم الوزارة، فمن البديهي جداً، أن تكون لهؤلاء الوزراء مكتبات قبل واثناء وبعد وزارتهم. ومن جميل ما ينقله مسكويه عن ابن العميد - ذاك الوزير الأديب - أنه اشتبك مع قوم من الخراسانية، وباغتوه، ونهبوا داره واصطبلاته وخزائنه، إلى أن أتى الليل وانصرفوا، يقول

(1) كوركيس عواد/ ص128.

(2) الحوادث الجامعة/ ص237 - وكوركيس عواد/ ص128 - 129.

(3) راجع بهذا الصدد/ الجهشياري - الوزراء والكتّاب.

مسكويه: وكان التيّ خزانة كتبه فسلمت من بين خزائنه، ولم يتعرّض لها، فلما انصرف إلى منزله ليلاً، لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا كوزا واحداً يشرب فيه ماء، فأنفذ إليه ابن حمزة العلوى فرشا وآله، قال، واشتغل قلبه بدفاتره، ولم يكن شيء أعزّ عليه منها، وكانت كثيرة، فيها كل علم وكل نوع من أنواع الحكم والأداب، يحمل على مائة وقر[1] وزيادة فلما رآني سألني عنها، فقلت: هي بحالها لم تمسّها يد، فسرّى عنه وقال: أشهد أنك ميمون النقيبة، أما سائر الخزائن فيوجد منها عوض، وهذه الخزانة لا عوض منها، قال مسكويه: ورأيته قد أسفر وجهه وقال: باكربها في الغد إلى الموضع الفلاني، ففعلت وسلمت بأجمعها من بين جميع ماله[2].

وهذه الحادثة توضّح لنا مدى اهتمام هذا الوزير بكتبه وعنايته الفائقة بها، حيث أنه لا يبالي بجميع ما أخذ منه عداها، وليس هذا فحسب، بل أنه جعل مسكويه، هذا العالم الفذ مسؤولا عنها، لأن هذا الأخير أحرص من غيره على الكتاب.

وتنبئنا أحداث تلك الفترة العباسية، بأن الناس عموما كان لهم شغف واضح بجمع الكتب وتأسيس المكتبات، ففي حوادث سنة 357هـ/ 967م صودر حبشي بن معزّ الدولة، بعد أن عصى على أخيه بختيار - أمير بغداد - فأخذت أمواله بالبصرة، وكان منها كتب بلغت خمسة عشر ألف مجلّد سوى الاجزاء، والمسرّس[3] وما ليس له جلد[4].

ولهذه الظاهرة الهامة أشار ابن النديم إلى ولع ثلاثة من أدباء العصر، اشتهروا بحبهم للكتب هم: الجاحظ والفتح ابن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي[5]، ولم يقتصر الامر على هؤلاء فقط بل أن الوزراء جميعهم كان لهم هذا الهم، لكنه متفاوت بين وزير ووزير، إلا أن الاغلب الاعم، كانوا يشتركون بكونهم أدباء منشئين ومتبصرين بالتاريخ والاخبار، وواقفين على الكثير من أمور الدين واللغة[6]، وبالتفاوت الثقافي والمعرفي بين الوزراء، يتفاوت عندهم حبّ الكتاب، الأمر الذي يعكس ظلاله على خزائن كتبهم،

---

(1) الوقر (بالكسر) الحمل الثقيل - القاموس المحيط - مادة - وقر.

(2) مسكويه/ تجارب الأمم 6/ 224 - 225 - حوادث سنة 355هـ/ بعناية آمدروز - مصر 1333هـ/ 1915م.

(3) قال صاحب/ تاج العروس/ مشرز ومسرس/ المشرز = المشدود بعضه إلى بعض، المضموم طرفاه، فإن لم يضم طرفاه فهو مُسرّس.

(4) ابن الاثير 8/ 584 - ومسكويه/ تجارب الأمم 6/ 246 - وآدم ميتز - الحضارة الإسلامية في (ق 4هـ) 1/ 307.

(5) الفهرست/ ص169.

(6) كوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص177.

وسنحاول بهذا الفصل ذكر أشهر خزائن هؤلاء الوزراء في العصر العباسي، آملين اشباع الموضوع قدر الامكان.

## 1 - خزانة كتب يحيى البرمكي:

يحيى بن خالد البرمكي، واحد من أشهر رجالات البرامكة في العصر العباسي الأول، بايع أبوه خالد بن برمك، أبا العباس السفاح، في أيامه الاولى، وقيام الدولة العباسية[1] فيما كان المهدى/ أبو هارون الرشيد/ قد ضم إلى يحيى ابنه، هارون الرشيد، وجعله في حجره، ولما آل الأمر إلى الرشيد عرف ليحيى حقه، وكان يكنّ له الاحترام والتعظيم، وإذا ذكره قال أبي، وجعل إصدارالأمور وايرادها إليه، إلى أن نكب البرامكة، فغضب عليه، وخلده السجن ومات فيه سنة 190هـ/ 805م[2].

ذكر الجاحظ[3] أن ما كان في خزانة كتب يحيى، وفي بيت مدارسه كتاب الا وله ثلاث نسخ، وهذه المسألة تكشف مدى اهتمام هذا الوزير بالكتاب والعلم والعلماء.

## 2 - خزانة كتب الوزير ابن شاه مردان/ بالبصرة:

لم تشر المصادر التاريخية إلى بدء إنشائها وتكوينها، إلا أن ابن الاثير يذكر في أحداث سنة 483هـ/ 1090م وهي السنة التي نهبت بها البصرة وأحرقت أغلب محالها، يقول[4]: وأحرقوا مواضع عدّة، وفي جملة ما أحرقوا دارين للكتب، إحداهما وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه، فقال عضد الدولة: هذه مكرمة سبقنا إليها، وهي أول دار وقفت في الإسلام، والأخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان، وكان بها نفائس الكتب وأعيانها، وهذا يعني أنها كانت عامرة بما تحتويه.

## 3 - خزانة الوزير محمد بن عبد الملك الزيّات: / بسرّ من رأى/ :

كان هذا الوزير من أهل الادب الظاهر والفضل الباهر، أديباً فاضلاً، بليغاً عالماً بالنحو واللغة، وزّر للمعتصم والواثق، وأيّاماً قلائل للمتوكل[5]، قتله المتوكل في تنوّر

(1) الجهشياري - الوزراء والكتّاب/ ص89 - طبعة البابي الحلبي - القاهرة 1357هـ/ 1938م.
(2) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد 14/ 128 - 129 - وكوركيس عواد/ ص177.
(3) الحيوان 1/ 60 - طبعة البابي الحلبي الثانية - باشراف عبد السلام هارون.
(4) الكامل في التاريخ 10/ 184.
(5) انظر ترجمته في وفيات الاعيان 4/ 94 - الترجمة رقم 696.

الحديد، الذي كان هو نفسه ابتدعه لتعذيب الناس أيام وزارته/ سنة 233هـ/ 847م، كان في بادىء أمره كاتباً، تحت اشراف أحمد بن عمّار بن شاذي البصري، وزير المعتصم، وذات مرّة، ورد على المعتصم كتاب من بعض العمّال فقرأه الوزير عليه، وكان في الكتاب ذكر الكلأ، فقال له المعتصم: ما الكلأ؟ فقال الوزير: لا أعلم، وكان هذا الوزير قليل المعرفة بالأدب، فقال المعتصم، خليفة أمّي ووزير عامي؟! وكان المعتصم ضعيف الكتابة كما يقول ابن خلكان[1] ثم قال المعتصم: أبصروا من بالباب من الكتّاب، فوجدوا محمد بن عبد الملك، فأدخلوه إليه، فقال له: ما الكلأ؟ فقال: الكلأ = العشب على الاطلاق، فإن كان رطباً فهو الخلا، فإذا يبس فهو الحشيش، وشرع في تقسيم أنواع النبات، فعلم المعتصم فضله فاستوزره، وحكمه وبسط يده[2]، وهذه الحادثة، تنبئنا عن الحصيلة الادبية والثقافية لدى هذا الوزير، قبل تسلمه الوزارة، الأمر الذي جعله وزيراً لثقافته أولاً وهمته ثانياً، وعلى ما يبدو أن شهرته بعد أن أصبح وزيراً ملأت الآفاق، وراح أدباء العصر يقصدونه، فقد نقل الخطيب البغدادي خبرا عن الجاحظ قال فيه[3]: أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه، فقلت له: أردت أن أهدي لك شيئاً، ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أر أشرف من هذا الكتاب، وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفرّاء، فقال ابن الزيّات: أوظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب؟! فقال الجاحظ: ما ظننت ذلك، ولكنها بخطّ الفرّاء، ومقابلة الكسائي، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ - يعني نفسه - فقال ابن الزيّات: هذه أجلّ نسخة توجد وأعزّها، فاحضرها إليه، فسرّ بها ووقعت منه أجمل موقع[4]، وهذه الحادثة، تؤكد الاهتمام البالغ لهذا الرجل/ ابن الزيات/ بالعلوم والآداب، وحرصه على جمع الكتب النفيسة، كما أنه كان من المشجعين للترجمة، فقد عرف عنه «أنه كان يقارب عطاؤه للنقلة والنسّاخ في كل شهر ألفي دينار، ونقلت باسمه كتب عدة عن اليونانية وغيرها، وترجمت باسمه جماعة من أكبر الأطباء، يوحنا بن ماسويه، وجبرائيل بن يختشوع وغيرهم[5]، ومن هذه الوقائع، نستشف أنه كانت لهذا الوزير خزانة عامرة، إلا أن المصادر لم تذكرها، وربما صودرت فيما صودر من أمواله ابّان نكبته.

---

(1) وفيات الاعيان 4/ 94.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) تاريخ بغداد 12/ 196 - ومعجم الأدباء لياقوت 16/ 123.

(4) ابن الانباري/ نزهة الالباء في طبقات الادباء/ ص39 - تحقيق د. إبراهيم السامرائي - مطبعة المعارف - بغداد 1959م. وراجع كذلك: كوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص179.

(5) عيون الاطباء/ نقلاً عن كوركيس عواد/ ص179.

## 4 - خزانة الوزير الفتح بن خاقان:

هو واحد من ثلاثة اشتهروا بولعهم بالكتب وجمعها[1]، أسند مهمة جمع كتب خزانته إلى علي بن يحيى المنجم، فعمل هذا له خزانة حكمة نقل إليها من كتبه، وممّا استكتبه الفتح، أكثر مما اشتملت عليه خزانة حكمة قط[2]، وزر للمتوكل، وقتل معه في سامراء سنة247هـ/ 861م، قال عنه ابن الطقطقي[3]: إذا كان جالساً في حضرة المتوكل وأراد أن يقوم إلى المتوضأ، أخرج من سلق موزته/ كتاباً لطيفاً، فلا يزال يطالعه في ممرّه وعوده، فإذا وصل إلى الحضرة الخليفية، أعاده إلى ساق موزته. ومن هذه السليقة المعرفية، يعرف الرجل بمدى رعايته للعلم والعلماء، فقد كان راعياً لهم، إذ كان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء الكوفة والبصرة وله مواقف تدل على سموّ منزلته من العلم، الامر الذي دعا الكثير من الكتّاب المرموقين أن يؤلفوا الكتب ويجعلوا إهداءها إليه، فالجاحظ حرّر له كتابيه: «التاج في أخلاق الملوك، ومناقب الترك وعامة جند الخلافة» وأهداه إلى الحارث التغلبي كتابه المعروف بـ«أخلاق الملوك» وألف له محمد بن حبيب كتاب «القبائل الكبيرة والأيام»[4] ولم تخبرنا المصادر عما آل أمر هذه الخزانة إليه بعد مقتله.

## 5 - خزانة الوزير القاسم بن عبيد الله:

هو أبو الحسين القاسم بين عبيدالله بن سليمان - وزير المعتضد ثم المكتفي، توفي سنة 291هـ/ 903م[5] كان في أيّام صباه يتأدب على أبي إسحاق الزجاج النحوي، اقتنى هذا الوزير خزانة كتب أبي العباس ثعلب النحوي بأبخس ثمن[6].

## 6 - خزانة الوزير سابور بن اردشير:

أنشأ هذا الوزير ببغداد خزانة من أعظم الخزائن وأجلّها، عرفت بـ«دار العلم»[7].

(1) الفهرست لابن النديم/ ص169.
(2) الفهرست/ ص205.
(3) الفخري/ ص3 - 4.
(4) كوركيس عواد/ ص181.
(5) انظر ترجمته في المنتظم لابن الجوزى 6/ 46 - 47 - الترجمة رقم 68.
(6) كوركيس عوّاد/ ص181.
(7) سبق الحديث عنها في الفصل الرابع من هذا الباب/ المكتبات العامة.

## 7 - خزانة الوزير ابن هبيرة:

عون الله أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد الشيباني[1] وزير المقتفي وابنه المستنجد، كان أحد الوزراء العلماء، كانت له معرفة حسنة بالنحو واللّغة والعروض، وكان ممّن يسمع الحديث، ولا يقوم عنه، يروى ابن العماد الحنبلي خبراً عنه يقول[2]:

قال: صاحب سيرته: كنا عنده يوماً، والمجلس غاص بولاة الدين والدنيا، وأعيان الأماثل، وابن شافع يقرأ عليه الحديث، إذ فجأنا من باب الستر، ، وراء ظهر الوزير صراخ بشع، وصياح مرتفع، فاضطرب له المجلس، وارتاع الحاضرون، والوزير ساكن ساكت، حتى أنهى ابن شافع قراءة الاسناد ومتنه، ثم أشار الوزير إلى الجماعة أن على رسلكم، وقام ودخل الستر ولم يلبث أن خرج، فجلس وتقدم بالقراءة، فدعا له ابن شافع والحاضرون وقالوا: قد أزعجنا ذلك الصياح، فإن رأى مولانا أن يعرفنا سببه، فقال الوزير: حتى ينتهي المجلس، وعاد ابن شافع القراءة، حتى غابت الشمس، وقلوب الجماعة متعلقة بمعرفة الحال، فعاودوه فقال: كان لي ابن صغير مات، حين سمعتم الصياح عليه، ولولا تعين الأمر عليّ بالمعروف في الانكار عليهم ذلك الصياح، لما قمت من مجلس رسول الله ﷺ قال: فعجب الحاضرون من صبر رجل بمثل هذا الصبر وتحمّل الفاجعة لاجل العلم له قدوة بالضرورة، وحرّى بمثله أن تكون عنده نفائس الكتب والمصنّفات وأمهات المصادر، وليس ذلك فحسب، فقد كان من المصنفين في علوم اللغة والدين، قال عنه ابن رجب[3]: صنّف الوزير أبو المظفر - كتاب الافصاح عن معاني الصحاح - في عدة مجلّدات، وهو شرح صحيحي البخاري ومسلم، وآل به الكلام إلى ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين.

شارع ذكرى خزانة كتبه عند علماء المشرق والمغرب، فقد ذكر صاحب كشف الظنون. أن أبا محمد بن عبد الرحمن الاندلسي، ألّف سنة 556هـ/ 1160م كتاباً ذكر فيه (أنه سأله بعضهم أن يذكر له نسبه وبلاده، وما شاهده من عجائب البلدان، فأجاب قال: فرأيت أن أسمّي هذا المجموع «المغرب عن بعض عجائب المغرب» وأجعله برسم خزانة مولانا الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة، وأن أذكر إحسانه، قال: فلما وصلت

(1) أنظر ترجمته في شذرات الذهب 4/ 191 - 196.

(2) شذرات الذهب 4/ 194 - 195.

(3) شذرات الذهب 4/ 192.

إلى بغداد سنة 516هـ أنزلني أحسن دوره، فأقمت ضيفه أربع سنين، ولما رجعت إليها سنة 555هـ أنزلني أيضاً بأحسن مقامه، وأكرمني على عادته[1].

## 8 - خزانة كتب الوزير مؤيد الدين بن القصّاب:

مؤيد الدين أبو المظفر محمد بن أحمد بن القصاب، كان أبوه يبيع اللحم، على رأس درب البصريين ببغداد، فيما نشأ هو مشتغلاً بالعلوم والآداب، جمع بين رياستي السيف والقلم[2]، تقلد الوزارة للناصر لدين الله العباسي سنة 590هـ/ 1193م، ومحبته للعلم والأدب، قادته لانشاء خزانة للكتب في «دار الخياطين» ببغداد، ووقف على الطلاب كثيراً من الكتب النفيسة، والتي كتب وقفيتها بخطّه[3].

## 9 - خزانة الوزير الكندري:

عميد الملك أبي النصر محمد بن أبي صالح منصور بن أبي محمد الكندري، منسوب إلى كندر/ وهي قرية من نواحي نيسابور من أعمال طرنيت[4]، استوزره طغرل بك السلجوقي، ثم البارسلان، ومات مقتولا سنة 456هـ/ 1063م[5]، تشير المصادر إلى أنه كانت لديه خزانة كتب عامرة، وفي زمن وزارته، وقعت ببغداد أعمال شغب وحوادث أخرى، ففي سنة 451هـ/ 1059م شبّ حريق في بغداد - الكرخ - منطقة السورين، واحترقت خزانة الكتب المعروفة بـ«خزانة العلم» والتي أنشأها سابور بن أردشير[6]، ونهبت بعض كتبها، فجاء الكندري فاختار من الكتب خيرها، كما يقول ابن الاثير[7]، وعدّ ذلك في سوء سيرته، وفساد اختياره، إلا أنه اختار ما اختار من الكتب وأضافها إلى خزانته.

---

(1) حاجي خليفة/ كشف الظنون 2/ 1127 - 1128 - وكوركيس عواد/ ص183، وهناك اضطراب في التاريخ الوسط.
(2) ابن الطقطقي - الفخري/ ص236 - وابن الاثير/ الكامل في التاريخ 12/ 108 - 109.
(3) كوركيس عواد/ ص183.
(4) ياقوت الحموي/ معجم البلدان 4/ 482 - مادة كندر.
(5) وفيات الاعيان 5/ 138 - 143 الترجمة رقم 703.
(6) تحدثنا عنها في الفصل السابق - المكتبات العامة.
(7) الكامل في التاريخ 10/ 7 - وكوركيس عواد/ ص185.

## 10 - خزانة الوزير ابن العلقمي:

هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي، كان وزيراً للمستعصم، آخر خليفة عباسي، واشتهر أمره في حادثة سقوط بغداد بيد المغول سنة 656هـ/ 1258م، أنشأ هذا الوزير خزانة كتبه سنة 644هـ/ 1246م، ونقل إليها كتباً من أنواع العلوم، وقد ذكر بعض هذه الكتب العدل موفق الدين القاسم بن أبي الحديد من قصيدة طويلة منها[1]:

رأيت الخزانة قد زيّنت ... بكتب لها المنظر الهائل

بها «مجمع البحر» لكنّه ... من الجود ليس له ساحل

ومنها «المهذب» من فضلكم ... و«مغن» ولكنه نائل

ومنها «الوسيط» بما ترجيه ... وفيها «النهاية» و«الكامل»

وإن كان أعوزها «شامل» ... فقد زانها جودك الشامل

وان كان قد فاتها فائت ... أبوالفضل في علمه كامل

ينقل ابن الطقطقي[2] حديثاً عن ولد ابن العلقمي «شرف الدين أبو القاسم» قال: اشتملت خزانة والدي على عشرة آلاف مجلّد من نفائس الكتب، وصنّف الناس له الكتب، منهم الصنعاني اللغوي، حيث صنف له «العباب» وهو كتاب كبير في اللغة العربية، وصنّف له عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد كتاب/ شرح نهج البلاغة/ يشتمل على عشرين مجلّدا، فأثابهما وأحسن جائزتهما[3]. كان ابن العلقمي آخر وزير في الخلافة العباسية، مثلما كان المستعصم آخر خليفة فيها، الخليفة قتل والوزير مات بعد أشهر، وقد رأى بأمّ عينيه كيف تهاوت بغداد على يد المغول.

## 11 - خزانة الوزير المغولي عطا ملك الجويني:

الجويني هو علاء الدين عطا ملك، تسلّم أمر بغداد سنة 657هـ/ 1258م من هولاكو بعد أن أسقط الخلافة العباسية منها[4] وقد عرف عن الجويني شغفه في البحث والتأليف،

---

(1) راجع عن ذلك - ابن الفوطي - الحوادث الجامعة/ ص323 - 335 أحداث سنة 656هـ ففيها تفصيلات كثيرة.

(2) الفخري/ ص246.

(3) الفخري/ ص246 - وكوركيس عواد/ ص187.

(4) الحوادث الجامعة/ ص331 وما بعدها.

وهو مؤرخ هولاكو، وقد سطر سيرة حياته وفتوحاته في كتابه الشهير/ جهانگشاي/ حيث كانت له شهرة واسعة، وفضل لا ينكر على الكتّاب والمؤلفين.

أحرز الجويني خزانة كتب قيّمة وكتب له المؤرخون، منهم ابن الفوطي، وأهدى إليه ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، وأهدى ابن كمونة بعض مؤلفاته لآل الجويني، ومنها كتابه في شرح الاشارات، وقد استطاع الجويني أن يرافق هولاكو في كل فتوحاته، وعندما أسقط هولاكو قلعة «الموت» سنة 654هـ/ 1255م فإن الجويني أخذ من مكتبتها أنفس الكتب وأندرها[1] ثم أحرقوها.

## الفصل الثالث

# المكتبات العامّة في العراق

لم تقتصر حالة إنشاء المكتبات على الخلفاء والامراء فقط، بل تعدتها إلى أبعد من ذلك، حيث نشأت في العراق، مكتبات عامة، ساهم عامّة الناس في تأسيسها وانشائها، إضافة إلى ما رفدت به الخلافة، تلك المكتبات من المصادر والكتب، وقد كان للدين الاسلامي أثر واضح في ذلك، باعتباره الآيديولوجية السائدة في ذلك الوقت، كما أنه كان منهلاً رئيساً في بنية العقل العربي، على مرّ العصور، وقد كانت الفترة العباسية، من أخصب تلك الفترات، في نشوء هذا الفكر وتبلوره إلى نظريات سياسية وفكرية، ظهرت للسطح، وكان لمختلف الملل والنحل الإسلامية، دور هام في مثل هذه الظاهرة، من حيث التبلور والوجود. وقد ساعد ظهور الفرق الاسلامية في اغناء الثقافة العربية - الإسلامية، وزاد في الوقت نفسه من تشجيع ظاهرة اقتناء الكتب ونشوء المكتبات العامّة والخاصة، وهو ما سنبيّنه في سياق هذا الفصل.

ظهرت المكتبات العامة في بغداد وغيرها من المدن، في العصر العباسي، في أحضان المدارس والربط ودور العلم والاماكن المقدسة، كأماكن عامة يرتادها الجميع، لذلك كانت الخزانة من الثوابت الاساسية في مثل هذه الاماكن، ومن أشهر هذه المكتبات:

(1) كوركيس عواد/ ص188.

## 1 - الخزانة الحيدرية في النجف الأشرف:

النجف، هي المدينة التي يوجد فيها مرقد الإمام علي ﷺ، وقد لعب وجود هذا المرقد، دوراً بارزاً في إضفاء القدسية والهالة الدينية على تلك المدينة[1]، ويشكل هذا المكان بعداً روحياً عميقاً لدى الشيعة في العالم الإسلامي، لذلك ترى أن أغلب المصادر العلمية الشيعية متوفرة هناك، فقد أنشئت في صحن هذا المشهد خزانة كتب منذ عهد بعيد، وقد عني بأمر هذه الخزانة واغنائها بالكتب الخطيّة الثمينة، غير واحد من السلاطين والامراء والوزراء والعلماء، وذوى اليسار، وقد كان لعضد الدولة البويهي، اليد الطولى في ذلك. ويشير الشيخ جعفر آل محبوبة[2] أن في هذه الخزانة من الكتب الثمينة النادرة الوجود ما لم يوجد في غيرها، وأغلبها بخط مصنفيها أو عليها خطوطهم، بخطّ جيّد متقن، على ورق ثمين، أغلبها يعود إلى ما قبل القرن العاشر، وفيها مصاحف ثمينة لاشهر الخطاطين، محلاة بالذهب، وهي من هدايا سلاطين الشيعة ووزرائهم في مختلف العصور، وقد كتبت بالخطوط: الكوفي والاندلسي واليماني وغيرها. . وفيها قطعة مصحف بقطع سفينة[3] مكتوب على رق بخط كوفي، وفي آخره: «تمّ سنة أربعين من الهجرة، كتبه عليّ بن أبي طالب»[4]، وأكثر ما في هذه الخزانة مصاحف قديمة حوالي 400 مصحف، وفيها يظهر خط الاربعمائة من الهجرة، وهذه المصاحف من الاعلاق التي لا تقدر بثمن.

تعرّضت هذه الخزانة في سنة 755هـ/ 1354م، إلى حريق، كما أن الاهمال مدّ سطوته إلى هذا المكان الجليل، فتراخى الناس عن الاهتمام به، وغزته الارضة، وامتدت إليه يدّ السرّاق[5]، وقد وصف الباحث كاظم الدجيلي هذه الخزانة، بعد أن وقف عليها في سنة 1914م فقال[6]:

---

(1) راجع الشيخ جعفر آل محبوبة النجفي/ ماضي النجف وحاضرها/ بصدد مشهد الإمام علي - ص29 - 64 - مطبعة العرفان - صيدا 1353هـ - وكوركيس عواد/ ص130.

(2) المرجع السابق/ ص100.

(3) السفينة: من الالفاظ التي شاع ذكرها في كتب التاريخ والأدب العربي، وفات أصحاب المعاجم التنويه بها، ولفظة السفينة بمعنى، المجموع الأدبي، وهي مجلّد يضمّ بين دفتيه أشعاراً ونوادراً وأخباراً وطرائف، يدونها جامعوها بحسب ما يتذوقونه، وقد كان الثعالبي اشتهر بذلك. راجع مقالة كوركيس عواد/ السفينة: بمعنى المجموع الأدبي، مجلة المجمع العلمي العربي - بدمشق - المجلد 18 لعام 1943م/ 1362هـ لشهرى كانون الثاني وشباط/ ص551 - 552.

(4) ماضي النجف وحاضرها/ ص100 - وكوركيس عواد/ خزائن الكتب القديمة/ ص131.

(5) المرجع السابق/ ص102 - 103 - وكوركيس عواد/ ص132.

(6) وصف كتب خزانة الامير (عم) لكاظم الدجيلي - مجلة لغة العرب 4/ تموز/ 1914/ ص40.

تقسم هذه الخزانة إلى ثلاثة أقسام، قسم لصقت أوراقه بعضها ببعض من الرطوبة، وقسم أكلته الارضة وتمزقت أوراقه، وقسم بين ناقص وتام. ويشير في مكان آخر[1] إلى ما تحتويه من نفائس المخطوطات من المصاحف ومنها:

1 - مصحف قديم جداً، مكتوب على الرق بالخط الكوفي، تنسب كتابته للإمام علي.

2 - مصحف قديم جداً، مكتوب على الرقّ بالخط الكوفي، تنسب كتابته للإمام الحسن بن علي.

3 - مصحف بالخط الكوفي كتب سنة 301هـ/ 913م، وهناك مصاحف أخرى كثيرة، أحدها بخط ياقوت المستعصمي، والآخر بخط أحمد النيريزي الخطاط المشهور، وفي هذه الخزانة:

* كتاب قوى الاغذية، ربما كان من مؤلفات حنين بن إسحاق، مكتوب بخط كوفي بيد محمد بن يوسف الورّاق.

* وفيها «المسائل الشيرازية» لأبي علي الفارس، مكتوب عليها قرئت على المؤلف في سنة 363هـ/ 973م.

* ويوجد «شرح مقصورة بن دريد» لابن خالويه، قرئت على شارحها في سنة 375هـ/ 985م وعليها اجازة بخطه.

* وفيها شرح شعر النابغة، ومقصورة بن دريد، وقصائد للاعشى وامرىء القيس، كتبت في المئة الخامسة للهجرة.

* وحوت كتاب «المعتبر في الحكمة» لأبي البركات هبة بن علي بن ملكا الباغدادى - طبيب المستنجد بالله - قطعة منه كتبت في بغداد سنة 538هـ/ 1143م.

* كما يوجد كتاب التفسير المهم «التبيان في تفسير القرآن» لأبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، المتوفى في النجف سنة 460هـ/ 1067م - الجزء الثاني.

* معجم الادباء لياقوت الحموى، المتوفى سنة 626هـ/ 1228م - الجزء الاول - بخطّ المؤلف نفسه.

* كتاب في اللغة: على غرار فقه اللغة للثعالبي، كتب في حلب سنة 640هـ/ 1242م.

(1) خزائن كتب الإمام علي/ لغة العرب 3/ 1914/ ص595 - 600.

* كتاب الاسرار الخفية، في المنطق والطبيعي والالهي، للحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي، المتوفى سنة 726هـ/ 1325م، ثلاثة أجزاء بخطّ المؤلف.

* التقريب: لأبي حيّان النحوى الاندلسي، المتوفى سنة 745هـ/ 1344م بخطّ المؤلف.

* شرح كتابي، الايلاقي في الطب، لعبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم، المعروف بابن العتائقي الحلّي، من أبناء المئة الثامنة للهجرة، كتبه شارحه سنة 755هـ/ 1354م، في المشهد الغروى.

* التصريح في شرح التلويح إلى أسرار التنقيح في الطب، لابن العتائقي المذكور - الجزء الثاني، كتبه شارحه بخطه في سنة 772هـ/ 1370م. في المشهد الغروي[1].

* شرح الملخّص لعلي بن عمر الكاتبي القزويني - الجزء الثاني - أوقف في الخزانة سنة 779 - 1374م.

* شرح ديوان المتنبي، لابن العتائقي المذكور - قطعة صغيرة بخط الشارح، كتب فيها «سنة 781هـ/ 1379م».

* شرح صفوة المعارف (في الهيئة) لابن العتائقي، وهي بخط الشارح، كتبها سنة 787هـ/ 1385م في المشهد الغروي.

* الشهدة شرح تعريب الزبدة (في الهيئة) لابن العتائقي، وهي بخط الشارح.

وهناك في هذه الخزانة، من الكتب ما لا يمكن حصره في هذا المقام، من أمثال ذلك مؤلفات ابن كمونة اليهودي البغدادي، مكتوبة بخطه وتعود لسنة 670هـ/ 1271م وغيره[2].

كما حوت الخزانة على مؤلفات لمشاهير الأدباء والعلماء والمؤرخين في العصور الإسلامية الغابرة من مثل: محمد بن أحمد بن شهريار. ويحيى بن عليان، ومحمد بن جعفر الكيشوان، ومحمد حسين الكاتب دار ابن محمد علي الخادم[3].

(1) الغروي - نسبة إلى «الغري» وهي أرض النجف، والغري = الحسن - راجع مادة (الغريان) عند ياقوت الحموي - معجم البلدان 4/ 196 - 200 - حيث فيها شرح موسّع.

(2) لقد أوردنا أسماء هذه المخطوطات، خدمة للعلم ليس إلا، كي يستدل عليها من يريد من الباحثين والعلماء في مختلف الاماكن، وليس قصدنا الاطالة في البحث.

(3) كوركيس عوّاد/ ص136 - 137.

## 2 - خزانة دار العلم بالموصل:

أثّرت الحضارة الناهضة في العراق، في العصر العباسي، على رجالات الفكر، فكانوا صداها الاقوى في الحقل الثقافي، لذلك كانت استجابتهم لهذا النهوض أكبر من سواهم، فهذا أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي ينشىء «دار العلم» بالموصل وهو من فقهاء الشافعية، تحدث عنه ابن النديم قائلاً[1]: كان شاعراً أديباً، ناقداً للشعر، كثير الرواية، له عدة كتب في الفقه، كما ينقل عنه ياقوت الحموى[2] أنه كان من أهل الرياسات بالموصل، مفضّلاً بالعلوم على سواه، متقدماً بالفقه، قويّاً في النحو، عارفاً بالكلام والجدل، راوية للأخبار، بصيراً بالنجوم، عالماً مطلعاً على علوم الأوائل، عالي الطبقة فيها، كان صديقاً لكل وزراء عصره، مدّاحاً لهم، آنساً بالمبرد وثعلب.

ثم يذكر أنه كان له ببلده دار علم، قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم، وقفا على كل طالب للعلم، لا يمنع أحداً من دخولها، وإذا جاءها غريب يطلب الأدب، وإن كان معسرا أعطاه ورقاً ووراقاً[3]، كانت هذه الخزانة تفتح في كل يوم، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه، ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره، ثم يملي من حفظه من الحكايات المستطابة، وشيئاً من النوادر المؤلفة، وطرفا من الفقه وما يتعلق به.

## 3 - خزانة الوقف بالبصرة:

مثلُ أبي القاسم الموصلي، كان أبو علي بن سوار الكاتب، ذاك الذي عاش في المئة الرابعة للهجرة، وهو أحد رجال عضد الدولة البويهي، فقد كان ابن سوار هذا محبّاً للعلوم، شديد الشغف بها، يتحدث معاصره ابن النديم، في سياق حديثه عن أبي القاسم البستي قائلاً[4]: خبّرني أن سوار الكاتب الذي عمل خزانة الوقف بالبصرة أن في خزانته من كتب البستي، وذكر أسماء كتبه، ومرّ على ذكر هذه الخزانة المقدسي في معرض حديثه عن «رام هرمز» حيث قال: وبها دار كتب كالتي بالبصرة، والداران جميعاً اتخذهما بن سوار، وفيهما أجراء على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ، إلا أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتبا[5]، وعلى ما يبدو، أن أمر هذه الخزانة قد ملأ الآفاق وطارت شهرتها

(1) الفهرست/ ص213.
(2) معجم الأدباء 7/ 192.
(3) الوَرَق، بالفتح = ما يكتب فيه. والوَرِق، بالكسر = الفضة.
(4) الفهرست/ ص199.
(5) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ ص413 طبعة ليدن 1909م - وراجع: كوركيس عواد/ ص138.

بين مجالس الأدب والأدباء، فالحريري كان قد ذكرها في المقامة الحلوانية[1] بالشكل التالي: «حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين، وملتقى القاطنين منهم والمتغربين». رغم أنه متأخراً عن عصر ابن سوّار، الأمر الذي يؤكد ديمومة تلك المكتبة حتى عصورٍ متأخرة.

وذكر كوركيس عوّاد[2] أن هناك «دار كتب بالبصرة» لم يتحقق عنده، كون هذه الدار هي خزانة الوقف المذكورة سابقاً، والتي أنشأها أبو علي بن سوار، أم هي خزانة ثانية، ويشير إلى أن ابن الجوزي ذكر أنه في جمادى الاولى/ سنة 483هـ/ ورد البصرة رجل كان ينظر في علوم النجوم يقال له تليا، استغوى جماعة، وادعى أنه الإمام المهدي، وأحرق البصرة، فأحرقت دار كتب عملت من قبل عضد الدولة، وهي أول دار كتب عملت في الإسلام[3].

## 4 - خزانة العلم ببغداد - أو خزانة سابور:

كانت هذه الخزانة من المفاخر الأدبية الرائعة، والكنوز النادرة،، ومأثرة أسداها رجل كريم إلى عشاق العلم والمعرفة، كان هذا الرجل هو «أبو نصر سابور بن أردشير» استوزر هذا الرجل لبهاء الدولة البويهي ثلاث مرات، وكان كاتباً سديداً، عفيفاً عن الاموال، كثير الخير، غير أن أشهر ما عرف به كان خزانة الكتب التي أنشأها ببغداد في محلة الكرخ، سنة 381هـ/ 991م. وأوقف عليها الوقوف. تحدث عنها ياقوت الحموي في معرض حديثه عن محلة «بين السورين» قائلاً[4]: «وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير، ولم يكن في الدنيا أحسن كتبا منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، وأصولهم المحررة، واحترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك، أول ملوك السلجوقية إلى بغداد سنة 447هـ.

وقد كان بادىء أمر هذه الخزانة، أن الوزير المذكور اشترى دارا في الكرخ بين السورين، وعمّرها وبيّضها وسماها (دار العلم) ونقل إليها كتباً كثيرة ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرسا وأوكل أمرها إلى الشريفين أبي الحسين محمد بن أبي شيبة، وأبي عبدالله محمد بن أحمد الحسني، والقاضي أبي عبدالله الحسين بن هارون الضبّي، وكلف الشيخ أبا بكر

(1) مقامات الحريرى/ ص20 - طبعة المطبعة الحسينية بمصر 1348هـ/ 1929م.

(2) خزائن الكتب القديمة في العراق/ ص139.

(3) المنتظم 9/ 52 - 53 حوادث سنة 483هـ.

(4) معجم البلدان 1/ 534 - مادة (بين).

محمد بن موسى الخوارزمي فضل عنايته بها[1]. وقد ذكرت المصادر التاريخية أن عدد ما اشتملت عليه هذه الخزانة أكثر من عشرة آلاف مجلّد، بينها مائة مصحف بخطوط بني مقلة، وقد تعرّضت هذه الخزانة للسرقة بعد أن شبّت النار في بغداد - الكرخ، ووصلت النار إليها، حتى أن حميد المُلك الكندري، اختار منها خير الكتب[2].

وعلى ما يبدو، أن أهمية هذه المكتبة كانت كبيرة، فإنها كانت مأوى العلماء والأدباء والشعراء، فقد زارها أبو العلاء المعرى في أثناء اقامته في بغداد، وذكرها في كثير من آثاره[3]، وقد كانت هذه الخزانة مستودعا لأغلب مؤلفات الأدباء والشعراء والعلماء، فلقد ورد في ترجمة أحمد بن علي بن خيران الكاتب، صاحب ديوان الانشاء بمصر، ، أنه تسلّم إلى أبي منصور ابن الشيرازي رسول ابن النجار إلى مصر من بغداد جزأين من شعره ورسائله، ليعرضهما على الشريف المرتضى أبي القاسم وغيره، ممّن يأنس به من رؤساء البلد، ويستشير في تخليدها دار العلم لينفذ بقية الديوان والرسائل، إن علم أنّ ما أنفذه منها ارتضي، واستجيد، وقد كان له ذلك[4].

كما أن الطبيب المشهور جبرائيل بن عبيدالله بن يختشوع، قد أودع كتابه الهام المعروف بـ «الكافي» الذي أوقفه للصاحب بن عباد، قد أهدي نسخة منه إلى هذه المكتبة[5]، كما وجدت نسخة من ديوان عدي بن زيد في هذه المكتبة[6]، وقد أورد كوركيس عواد[7] جملة من أسماء العلماء الذين أشرفوا عليها، منهم:

1 - أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن أحمد البصري اللّغوي المعروف بالواجكا.

2 - أبو منصور محمد بن علي بن إسحاق بن يوسف الكاتب.

3 - أبو منصور محمد بن أحمد.

---

(1) ابن الجوزي - المنتظم 7/ 172 - وكوركيس عواد/ ص140.

(2) ابن الاثير 10/ 7 حوادث سنة 451هـ.

(3) أنظر: رسالة الغفران للمعري/ ص73 وص184، بتحقيق إبراهيم اليازجي - طبعة القاهرة 1903م، وسقط الزند للمعري/ ص103 و127 - طبعة القاهرة 1901م - وراجع كذلك كوركيس عواد/ خزائن الكتب القديمة/ ص141.

(4) ياقوت الحموي - معجم الأدباء 4/ 5 - 6 - وكوركيس عواد/ المرجع السابق نفسه.

(5) عيون الاطباء لابن أبي أصيبعة/ ص212.

(6) كوركيس عواد/ ص142.

(7) كوركيس عواد/ ص142 - 144.

4 - الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسن الموسوي، نقيب الطالبيين، وقد كانت هذه الخزانة قد آل أمرها إليه، بعد سنين كثيرة من وفاة سابور.

5 - أبو عبدالله بن حمد، كان هذا الخازن من الظرّاف، ويشتغل بالخزانة مع أبي منصور محمد بن علي بن إسحاق بن يوسف الكاتب، وكثيراً ما كان أبو عبدالله يتلهى بأبي منصور وهم في خزانة الكتب، فقال له ذات يوم: قد هلكت الكتب وذهب معظمها، فقال له أبو منصور بأي شيء؟ قال: بالبراغيث وعبثهم بها، قال: فما نفعل في ذلك؟ قال: تقصد الاجل المرتضى وتطالعه بالحال، وتسأله اخراج شيء من دوائهم المعد عنده لهم، لننشره بين الورق ويؤمن الضرر. فمضى إلى المرتضى وقال له بسكون ووقار، ومن طريق النصح والاحتياط: «يتقدم سيدنا إلى الخازن بإخراج شيء من دواء البراغيث، فقد أشرفت الكتب على الهلاك بهم، لنتدارك أمرهم بتعجيل اخراج الدواء المانع لهم، المبعد لضررهم. فقال المرتضى: البراغيث، البراغيث، مكرراً، لعن الله ابن حمد، فأمره كله طنز وهزل! قم أيها الشيخ مصاحباً، ولا تسمع لابن حمد نصيحة ولا قولاً».

## 5 - خزانة المدرسة النظامية ببغداد:

من أشهر مدارس بغداد وأجلّها شأنا، وأقدمها عهدا، أنشأ عمارتها الوزير السلجوقي نظام الملك سنة 457هـ/ 1064م، وفرغ منها سنة 459هـ/ 1066م[1]، وقد كانت في بادىء أمرها للشافعية، وقد حفلت هذه الخزانة بالكثير من الكتب المهداة إليها، والمصنفات التي تتوارد إليها، فمن الذين أوقفوا كتبهم بها المؤرخ البغدادي الشهير محبّ الدين بن النجار، المتوفى سنة 643هـ/ 1245م - صاحب كتاب «ذيل تاريخ بغداد»، يصفه الذهبي[2] بأنه مؤرخ العصر، وصاحب التصانيف، وقد أوقف كتبه بالنظامية لينتفع بها الآخرون، وقد كانت كتبه عبارة عن خزانتي كتب، بلغ ثمنها ألف دينار كما يقول ابن كثير[3]، ومن حسن حظ هذه الخزانة أنها نجت من حريق شبّ في الحظائر المجاورة للمدرسة، فاحترقت الاخشاب،، وتطاير الشرر إلى باب المراتب، فاحترقت منه عدة دور وامتدت النار إلى

(1) ابن الجوزي - المنتظم 8/ 246 - أحداث سنة 459هـ.

(2) الذهبي - تذكرة الحفّاظ 4/ 1428 - الترجمة رقم (1140) ط3 - حيدر آباد - الدكن - 1377هـ/ 1958م. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلي 5/ 227 - منشورات دار السيدة - ط2 - بيروت 1399هـ/ 1979م.

(3) البداية والنهاية 13/ 169 - طبعة مكتبة المعارف - بيروت - ومطبعة النصر - الرياض - ط1 - 1966م.

خزانة الكتب - النظامية - فبادر العلماء إلى انقاذ الكتب فيها، حيث نقلوها إلى مكان آمن[1].

وفي سنة 589هـ/ 1193م أمر الخليفة الناصر لدين الله بتجديد خزانة الكتب هذه، ونقل إليها ألوفا من الكتب الحسنة المثمنة[2].

حوت هذه الخزانة الكثير من أمهات الكتب النفيسة، والمخطوطات النادرة، فقد ذكر أن الشيخ أبا يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني، المتوفى سنة 488هـ، كان من مفسّري القرآن المشهورين، قيل أنه كتب التفسير في أربعمائة مجلدة، ومنهم من قال سبعمائة مجلدة[3]، وكان القزويني هذا قد أهدى إلى نظام الملك أربعة أشياء، لم يكن لأحد مثلها هي: غريب الحديث لإبراهيم الحربي، بخط أبي عمر بن حيوية، في عشر مجلدات، فوقفه نظام الملك بدار الكتب ببغداد، وشعر الكميت بن زيد، بخط أبي منصور، في ثلاثة عشر مجلداً، وعهد القاضي عبد الجبار، بخط الصاحب بن عبّاد وانشائه، قيل كان سبعمائة سطر، كل سطر في ورقة سمرقندي، وله غلاف أبنوس، يطبق كالاسطوانة الغليظة، والرابع: مصحف بخط بعض الكتّابة المُجودين، بالخط الواضح، وقد كتب كاتبه إختلاف القرّاء بين سطوره بالحمرة، وتفسير غريبه بالخضرة، واعرابه بالزرقة، وكتب بالذهب العلامات على الآيات التي تصلح للانتزاعات في العهود والمكاتبات، وآيات الوعد والوعيد وما يكتب في التعازي والتهاني[4].

«أنه من جمع الشيخ العالم الصالح أبو عبدالله محمد بن مسلم بن أبي الفوارس الرازي»[5].

وذكر صاحب الذريعة/ وهو في صدد ذكر «الاربعون حديثاً» وهي إحدى الوثائق الهامة في الفكر الشيعي، أنها موجودة - نسخة الأصل - في المكتبة النظامية العتيقة ببغداد، مكتوب عليها:

---

(1) ابن الاثير - الكامل في التاريخ 10/ 523 - أحداث سنة 510هـ.

(2) البداية والنهاية 13/ 6. وكوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص146.

(3) ابن أبي الوفاء القرشي - الجواهر المضية في طبقات الحنفية 1/ 316 - الترجمة رقم (838) طبعة حيدر آباد - ط1. ولسان الميزان - لابن حجر العسقلاني 4/ 11 - الترجمة رقم (24) طبعة حيدر آباد الأولى سنة 1330هـ - وكوركيس عواد/ ص240.

(4) السبكي/ طبقات الشافعية الكبرى 3/ 230 - المطبعة الحسينية المصرية ط1.

(5) آقابزرك الطهراني - الذريعة إلى تصانيف الشيعة 1/ 427 - مادة (ارب) الحديث رقم 2184 - طبعة دار الاضواء - بيروت - ط3 - 1403هـ/ 1983م.

وعلى ما يبدو أن هذه المكتبة كان لها الشأن الاكبر عند علماء ذلك العصر، لذلك نشاهد فيها أسماء هامّة ممّن أشرفوا على ادارتها وتولّي أمرها، والنظر في شؤونها، أهمّ هؤلاء:

1 - القاضي أبو يوسف يعقوب بن سليمان الاسفرايبني، المتوفى سنة 498هـ/ 1104م.

2 - يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي المتوفى سنة 502هـ/ 1108م.

3 - محمد بن أحمد الابيوردي المتوفى سنة 507هـ/ 1113م وهو صاحب ديوان الشعر المعروف باسمه.

4 - علي بن أحمد، وقيل: علي بن عمر بن أحمد بن عبد الباقي بن بكري، المتوفى سنة 575هـ/ 1179م[1].

5 - عبد القادر بن داود بن أبي نصر الواسطي المعروف بالمحب المتوفى سنة 619هـ/ 1222م.

6 - أكرم الدين أبو سهيل، خازن دار الكتب النظامية، لم يوقف على سنة وفاته[2].

7 - أبو جعفر عمر بن أبي بكر بن عبيدالله الدباس.

8 - عمر بن عبدالله بن ابي السعادات.

وثمة أمر هام يخضع إلى منظور آيديولوجي، فقد اشترط نظام الملك، فيمن يتولى كتب هذه المدرسة أن يكون شافعياً، وكذلك المُدرّس والواعظ الذي يعظ بها[3].

وقد استطاع ابن الجوزي المتوفى سنة 597هـ/ 1200م، أن يحصي عدد مجلدات هذه الخزانة فقال[4]: «وقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية، فإذا به يحتوى على نحو ستة آلاف مجلّد».

## 6 - خزانة الكتب في مشهد أبي حنيفة:

مشهد أبي حنيفة النعمان، لا زال قائماً في بغداد في منطقة «الأعظمية» على نحو ثلاثة

(1) كوركيس عواد/ ص148 - 149.

(2) كوركيس عواد/ ص149.

(3) ابن الجوزى - المنتظم 9/ 65 - 66.

(4) صيد الخاطر/ ص366 - 367 - وكوركيس عوّاد/ ص151.

أميال شمالي بغداد»، يقول د. مصطفى جواد «كان يتصل بهذا المشهد، مدرسة جليلة الشأن، هي أوّل مدرسة فتحت في العراق في العصر الإسلامي، وقد عرفت بمدرسة الإمام أبي حنيفة، بناها شرف الملك أبو أسعد محمد بن منصور العميد الخوارزمي، مستوفي المملكة للسلطان ألب أرسلان السلجوقي، وقد فتحت هذه المدرسة سنة 459هـ/ 1066م. شملت هذه الخزانة على أنفس الكتب والمجلدات الفقهية والتاريخية وعلوم اللغة وغيرها، أوقفت كتب هذه الخزانة على طلبة العلم، وقد تعهد أمرها الكثير من العلماء، من أمثال ابن الأهوازي، وعبد العزيز بن علي بن أبي سعيد الخوارزمي، وضياء الدين أبي الفضل أحمد بن مسعود التركستاني الحنفي[1]، وقد اشتملت هذه الخزانة على نسخة من «التفسير الكبير» للقزويني، والذي أعطى نسخة منه للمدرسة النظامية - كما أسلفنا الحديث - وقد ذكر أن هذه المدرسة كانت حافلة بالكتب الكثيرة في زمن ابن الجوزي، فقد اطلع هو الآخر على ثبت هذه الخزانة[2]، كما اشتملت هذه الخزانة على كثير من مؤلفات الجاحظ، ونسخة من «الكشاف عن حقائق التنزيل» للزمخشري، وبخط المؤلف، وقد اطّلع صاحب «كشف الظنون» على هذا الكتاب النفيس[3]، كما أن الطبيب ابن جزلة يحيى بن عيسى أوقف كتبه قبل وفاته على هذه المكتبة[4]، يقول الأستاذ كوركيس عوّاد[5] «أما الخزانة التي ترى اليوم في المشهد، فهي موضوعة في حجرة من كلية الشريعة، وفيها جملة من الكتب المطبوعة والمخطوطة، وهذا القسم الأخير يغلب عليه الحداثة، وقد نقل شيء من كتبها المخطوطة، وهو زهاء (140) كتاباً إلى خزانة الاوقاف العامة ببغداد.

## 7 - خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدي:

مسجد الزيدي، يقع في درب دينار الصغير، في الجانب الشرقي من بغداد، وخزانة هذا المسجد وقفها الشريف الزيدي (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الزيدي) المولود ببغداد، سنة 529هـ/ 1134م والمتوفى سنة 575هـ/ 1179م، كان هذا الرجل، أحد الاعلام البارزين الذين جمعوا بين علو النسب وحسن العلم، خلّد اسم هذا الشخص، وأبقاه على مرّ الزمان، تلك الخزانة التي أنشأها بدرب دينار، ذكرها ياقوت بمعجمه[6]،

(1) كوركيس عواد/ ص152.

(2) صيد الخاطر/ ص367، بعناية محمد أمين الخانجي - ط1 - مصر - سنة 1345هـ/ 1927م.

(3) حاجي خليفة/ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 2/ 1475 - 1483 منشورات مكتبة المثنى ببيروت.

(4) ابن الجوزي - المنتظم 9/ 119.

(5) خزائن الكتب القديمة/ كوركيس عواد/ ص154.

(6) معجم البلدان 1/ 153 - مادة (ارعنز) في باب «أرعب».

وشاركه في تأسيسها وادارتها اثنان، سارا سيرته واقتفيا خطواته، هما: أبو الخير صبيح بن عبدالله الحبشي حيث كان يتولى خزنها واعادتها لطلاب العلم إلى حين وفاته[1].

وثانيهما: أبو الخطيب العليمي - عمر بن محمد بن عبدالله الدمشقي، كان هذا أحد التجار الذين ضربوا الأرض في الآفاق، للتجارة وطلب الحديث النبوي، قدم بغداد سنة 559هـ/ 1163م، وصارت له صحبة مع الشريف الزيدي، ثم عاد إلى مسقط رأسه دمشق، يتحدث أخوه أبو الفضل عبدالله بن محمد بن عبدالله العليمي عنه فيقول: لما كان أخي ببغداد يسمع الحديث عاهد الشريف أبا الحسن الزيدي وصبيحا النصري، أن يوقف كتبه وأجزاءه ويرسلها إلى بغداد لتكون في خزانتها، فلما مرض مرض الموت أوصى إليّ بذلك، فلما توفي أنفذتها إلى بغداد، إلى مسجد الشريف الزيدي، قال مجد الدين، وصلت الكتب إلى بغداد بعد وفاة الزيدي، فتسلمها صبيح سنة 643هـ/ 1245م، وهي الآن في خزانة الزيدي[2].

ومن المشهورين الذين أقفوا كتبهم على هذه الخزانة ياقوت الحموي، فقد ذكر ابن خلكان أنه قد وقف كتبه على مسجد الزيدي الذي بدرب دينار ببغداد، وسلمها إلى الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن الاثير، صاحب التاريخ الكبير[3] فحملها إلى هناك[4].

## 8 - خزانة الرباط الخاتوني السلجوقي:

هذه الخزانة وقفها الخليفة الناصر لدين الله العباسي، في تربة زوجته سلجوقة خاتون، بباب البصرة، من الجانب الغربي ببغداد، وقد كان الناصر قد أوكل إلى مبشر بن أحمد الحاسب المعروف بالبرهان، مهمة اختيار الكتب التي أوقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبدار المسناة[5]. كما أن نجاح بن عبدالله الملقّب - نجم الدولة - كان أوقف كتباً له في هذه المكتبة، بلغت نحو خمسمائة مجلّدة، وكتب عليها اسم الشرابي[6].

(1) كوركيس عواد/ ص155.
(2) كوركيس عواد/ ص156.
(3) أي كتاب «الكامل في التاريخ».
(4) وفيات الاعيان 6/ 139 - وكذلك شذرات الذهب 5/ 122.
(5) القفطي - أخبار العلماء بأخبار الحكماء/ ص177 - مطبعة السعادة بمصر.
(6) سبط ابن الجوزي/ مرآة الزمان 8/ 394 - 395 - مخطوطة - شيكاغو 1907 - محفوظ نسخة منه بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

## 9 - خزانة كتب الرباط بالحريم الطاهري:

ورد ذكر هذه الخزانة عند ابن الاثير، في حوادث سنة 589هـ حيث قال: «في ربيع الأول، فرغ من عمارة الرباط الذي أمر بإنشائه الخليفة/ يقصد الناصر لدين الله/ والمعروف بالحريم الطاهرى غربي بغداد على دجلة، وهو أحسن من الربط، ونقل إليه كتباً كثيرة من أحسن الكتب»(1).

## 10 - دار الكتب برباط المأمونية ببغداد:

المأمونية، إحدى محلات بغداد العتيقة، تقع بين نهر المعلّى وباب الازج(2)، وردت عدة إشارات بذكر هذه الخزانة عند المؤرخين القدماء من أمثال سبط بن الجوزي، وياقوت الحموي/ معجم الأدباء/ وغيره.

## 11 - خزانة مشهد عبدالله بن علي في المذار:

المذار: قصبة ميسان «العمارة» بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام/ في أوان ياقوت الحموي/(3)، أما الآن فهي لا تبعد عن البصرة بأكثر من (150) كم، وموضع المشهد - بالقرب من قلعة صالح - ومشهد عبيدالله بن علي معروف عند سكان تلك المناطق وأغلبهم من الشيعة، في هذا المشهد خزانة كتب تضمّ طرائف خطيّة، من ذلك مصحف مكتوب بالخط الكوفي، تنسب كتابته إلى الإمام علي بن أبي طالب، كما يقول ابن عنبه(4).

## 12 - خزانة جامع قمرية ببغداد:

ما زال هذا الجامع قائماً إلى اليوم ببغداد، في الضفة الغربية من دجلة، بمواجهة «السراى» في الضفة الشرقية(5)، وكان في هذا الجامع، خزانة كتب في المائة السابعة،

---

(1) الكامل في التاريخ 12/ 104 - وكوركيس عواد/ ص159.
(2) ياقوت الحموي/ معجم البلدان 5/ 44.
(3) معجم البلدان 5/ 88 - مادة (المذار).
(4) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص21 - ط2 - منشورات المطبعة الحيدرية في النجف 1381هـ/ 1961م.
(5) كوركيس عواد/ ص162.

حيث أن هذا الجامع فتح في شهر رمضان سنة 626هـ/ 1228م، وجعل فيه خزانة للكتب وحمل إليها الكثير من الكتب[1].

## 13 - خزانة المدرسة المستنصرية ببغداد:

شيدت هذه المدرسة من قبل الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة (630هـ/ 1232م) في الجانب الشرقي من بغداد، لا زالت قائمة على ضفة دجلة اليسرى/ بالقرب من سوق التجار وشارع النهر/ ولهذه المدرسة شهرة تاريخية واسعة، كونها من أعظم مراكز العلم في بغداد[2]، تشير المصادر إلى أن المستنصر بالله بعد أن فرغ من بنائها نقل اليها من الربعات[3] الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والادبية ما حمله مائة وستون حملاً من الكتب النفيسة[4]، وقد جعلت هذه المدرسة منهلاً للعلم، حيث كان يدرّس فيها المذاهب الاربعة، وعدد فقهائها 248فقيهاً، من المذاهب الاربعة، وأربعة مدرسون، وشيخ حديث، وشيخ نحو وشيخ طب، وشيخ فرائض[5]، ويشير ابن عنبه إلى أن المستنصر بالله قد أودع في هذه الخزانة ثمانين ألف مجلّد[6].

ونظراً لأهمية هذه المدرسة بوجه عام، والخزانة بوجه خاص، فقد رتّب فيها الموظفون على النحو التالي: 1 - الخازن، 2 - المشرف، 3 - المناول، إضافة إلى البوابين والحرّاس والمنظفين، وقد اشترط المستنصر أن يكون لخازن الكتب في كل يوم عشرة أرطال خبزاً وأربعة لحماً، وفي كل شهر عشرة دنانير، وأن يكون للمشرف على هذا الخازن في كل يوم خمسة أرطال خبزاً ورطلان لحماً، وفي كل شهر ثلاثة دنانير، وأن يكون للمناول في هذه الخزانة في كل يوم أربعة أرطال خبزاً، وغرف طبيخاً، وفي كل شهر ديناران[7]، وقد ذكرت المصادر أسماء كثيرة من خزنتها من أمثال: الشيخ عبد العزيز ابن

---

(1) ابن الفوطي - الحوادث الجامعة/ ص4 - حوادث سنة 626 - وكوركيس عواد/ ص162.

(2) توسع المحقق الكبير - كوركيس عواد، بالافاضة عن تاريخ هذه المدرسة الحافل، في بحث أسماه «المدرسة المستنصرية ببغداد» ونشره في مجلة سومر 1/ 1945 - ج1 - ص76 - 130 - وهو غني بالمعارف عنها، وجدير بالقراءة حقاً.

(3) الربعات = واحدتها ربعة = صُندق فيه أجزاء المصحف - تاج العروس - مادة ربع.

(4) السيوطي - تاريخ الخلفاء/ ص463 - ط1 - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مصر 1371هـ/ 1952م.

(5) السيوطي/ تاريخ الخلفاء/ ص462.

(6) عمدة الطالب/ ص206.

(7) السيوطي/ تاريخ الخلفاء/ ص462 - 463، وكوركيس عواد/ ص165.

دلف بن أبي طالب أبو محمد البغدادي - الناسخ المتوفى سنة 637هـ/ 1239م وهو في طليعة المشتغلين، والثاني: العدل ضياء الدين أحمد بن الشيخ عبد العزيز - المتقدم الذكر - المتوفى سنة 640هـ/ 1242م، والثالث: الشمس علي بن الكتبي، وهو أول خازن ثابت في هذه الخزانة[1]، والرابع: ابن الساعي، وهو أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين، المؤرخ البغدادي المشهور المتوفى سنة 674هـ/ 1275م[2]، والخامس: ابن الفوطي، أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد البغدادي، المتوفى سنة 724هـ/ 1323م[3]، والسادس: ياقوت المستعصي[4]، ذلك الخطاط الذائع الصيت المتوفى سنة 698هـ/ 1298م.

أما أشهر المشرفين على هذه الخزانة، إضافة إلى ابن الفوطي، فهم:

1 - العماد علي بن الدباس/ وهو أول مشرف في خزانة المستنصري[5].

2 - محي الدين ابن العاقولي/ المتوفى سنة 768هـ/ 1366م[6].

أما أشهر المناولين فهم:

1 - الجمال إبراهيم بن حذيفة، وهو أول مناول في خزانة المستنصرية[7].

2 - محمد بن سعيد بن محمد بن أبي النجم الحدّادي، كان معاصراً لابن الساعي، وهو من أقدم المناولين فيها[8] والحدادي نسب إلى قرية بقرب بغداد.

3 - عبد الرحيم بن محمد بن سعيد (ابن المذكور قبله) مات سنة 741هـ/ 1340م[9].

وقد كانت هذه الخزانة تقفل وتختم في أوقات معلومة لتجنب الحوادث، لا سيما وأنه كان يؤخذ من الناس دراهم ورهون في مقابل اعارتهم الكتب، كما أن عيون الخليفة/

---

(1) ابن الفوطي/ الحوادث الجامعة/ ص54 و56.

(2) المصدر السابق/ ص386 - وتذكرة الحفاظ 4/ 250 - وكوركيس عواد/ ص165.

(3) شذرات الذهب 6/ 60 - 61 والبداية والنهاية 14/ 106 - وكوركيس عواد/ ص166.

(4) سيجد القارىء ترجمة حياته مفصلة في الجزء الرابع (الخطّاطون) من هذه الدراسة.

(5) الحوادث الجامعة/ ص56 - وكوركيس عواد/ ص166.

(6) أنظر - تاريخ علماء بغداد - للتقي الفاسي المكي/ ص185 - 186 - الترجمة رقم 158 - طبعة عباس العزاوي - بغداد 1938م.

(7) الحوادث الجامعة/ ص56 - وكوركيس عواد/ ص166 - 167.

(8) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر العسقلاني 2/ 360 - الترجمة رقم 2405/ حيدر آباد 1349هـ.

(9) الدرر الكامنة 2/ 360 الترجمة رقم 2405 نفساً.

المستعصم، فيما بعد/ كانت ساهرة على حفظ مصالح هذه الخزانة[1].

ذكر ابن الفوطي[2] أن نور الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي، زار هذه المدرسة ودخل دار كتبها، وجلس بها ساعة. كما أن قطب الدين الخالدي الزنجاني، هو الآخر قد حضر إلى هذه المدرسة صحبة المعسكر الايلخاني سنة 696هـ/ 1566م مع جماعة من علماء قزوين وسأل عن كتاب «الهياكل السبعة»[3]، كما زارها قوام الدين محمد بن علي العكيكي البغدادي، الصدر الأديب، حيث أنه كان يتردد إليها[4].

ظلت هذه المدرسة منارة علم يهتدى إليها من كل ركن من أركان الأرض، لكن طوارق الاحداث لم تدعها تنعم بالاستقرار، فقد كان مجيىء المغول نكبة حقيقية على كل الحضارة الإسلامية، فقد سقطت بغداد تحت نصال سيوفهم سنة 656هـ/ 1258م، فعبثوا في مراكز الحضارة والعلم، وكانت هذه المدرسة واحدة من جملة مدارس خرّبوها، ولم يكتفوا بذلك، بل نقلوا كتباً كثيرة منها ومن غيرها، فقد ذكر ابن شاكر الكتبي في ترجمته لنصير الدين الطوسي، أن هذا الأخير ابتني بمراغة مرصداً عظيماً، واتخذ له خزانة عظيمة فسيحة الارجاء، وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، حتى تجمع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلّد[5]، وليس هذا فحسب، بل أن هناك كتباً سرقت منها وأودعت في المكتبة الوطنية بباريس، من أمثال كتاب «ربيع الابرار للمزمخشري»[6]. وقد اشتملت خزانة هذه المدرسة على الكثير من الكتب النفيسة، وبخطوط أصحابها المؤلفين أو النساخين، من أمثال الحكيم عيسى بن القسيس، فقد ذكر أنه نسخ بخطه كتاب «القانون في الطب» لابن سينا[7]. وذكر المقريزي أن هذه الخزانة كانت تحوى على كتاب (الياسة)

---

(1) كوركيس عواد/ ص168.

(2) الحوادث الجامعة/ ص89.

(3) كوركيس عواد/ ص168.

(4) كوركيس عواد/ ص169.

(5) ابن شاكر الكتبي/ فوات الوفيات 3/ 247 - الترجمة رقم 414 - تحقيق د. إحسان عباس، منشورات دار صادر - بيروت، وننوّه هنا إلى أن الجزء (5) من الكتاب/ ص90 - حرف ن - ترجمة نصير الدين الطوسي - جاءت الإشارة إليها سهوا - حيث ذكر 2/ 319 - 320 - والصحيح 3/ 246 - 252 - من نفس الطبعة - وراجع كذلك - صلاح الدين بن أيبك الصفدي - الوافي بالوفيات 1/ 179 - الترجمة رقم 112 - طبعة هـ. ريتر - استانبول 1931م.

(6) كوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص170.

(7) ابن العبري - تاريخ مختصر الدول/ ص479 - وكوركيس عواد/ ص170.

الذي يحتوى على القوانين التي وضعها جنكيز خان لقومه، وضمنها النواهي والزواجر[1]، وذكر صاحب كشف الظنون[2] أن نسخة من تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي، وبخطه كانت في وقف المستنصرية 14 مجلّداً.

كما ذكر ابن تغري بردي[3] أن لابن إسحاق البخاري، كتاباً في الأدبيات، نحو 20 مجلداً، يشتمل على شعر وترسل وحكايات وغير ذلك، كان بخطه، وقفا بالمستنصرية.

## 14 - خزانة رباط باتكين في البصرة:

أنشأ هذه الخزانة، الامير أبو المظفر باتكين بن عبدالله الرومي الناصري المتوفى سنة 640هـ/ 1242م وجعلها وقفاً ملحقاً بجامع البصرة بعد أن أعاد بناءه أثر حريق تعرّض له، وكان هذا الأمير من حماة العلم والعلماء، فقد كان يرفدهم، وكانوا يقصدونه من جميع الآفاق.

## 15 - خزانة المدرسة البشيرية ببغداد:

أنشئت هذه المدرسة ببغداد في أواخر العصر العباسي سنة 653هـ/ 1255م.

بإيعاز من محظية الخليفة المستعصم (أم ولده) المعروفة بباب بشير، وجعلتها وقفا على المذاهب الاربعة، على قاعدة المدرسة المستنصرية ووقفت عليها وقوفاً كثيرة قبل فراغها[4]. وقد حضر الخليفة وأبناؤه، فتحها في يوم الخميس 13 جمادى الآخرة، من تلك السنة، ورتب المدرسين، والقيمين عليها من الخدم وغيرهم.

## 16 - خزانة مدرسة سيدي خان العباسي:

موقع هذه المدرسة في العمادية/ أحد أقضية الموصل/ أسستها الاميرة زاهدة العباسية المتوفاة سنة 729هـ/ 1328م وجعلت فيها خزانة كتب، يشير د. داود الچلبي إلى أن خزانة هذه المدرسة كانت في سنة 1920م تحتوي على نحو ألف قطعة من الكتب، غير أنها

---

(1) المقريزي/ الخطط 3/ 358 - طبعة النيل 1325هـ. وقد ذكر الكثير من القوانين المذكورة في هذا الكتاب.

(2) حاجي خليفة/ كشف الظنون 1/ 288 - وكوركيس عواد/ ص171.

(3) نقل كوركيس عواد هذا الخبر من كتاب (أصول التاريخ والادب) من مجاميع د. مصطفى جواد الخطيّة 16/ 174 - راجع خزائن الكتب القديمة/ ص171 - الهامش رقم2.

(4) المصدر السابق/ ص307 - 308 - وكوركيس عواد/ ص172 - 174.

أحرقت في فتنة وقعت هناك في تلك السنة ولم يسلم منها سوى 35 كتاباً[1].

## 17 - خزانة مدرسة قاسم العباسي في العمادية:

أنشأ هذه المدرسة الامير غياث الدين قاسم ابن بهاء الدين العباسي في سنة 785هـ/ 1382م وجعل فيها خزانة كتب عامرة في شتى العلوم[2].

## 18 - خزانة مدرسة قبهان في العمادية:

سمّاها «الكرد» بمدرسة قبّهان، وذلك لوجود القباب فيها، أسس هذه المدرسة الكثير من العلماء، ونشأ منهم شيخ الإسلام أبو السعود العمادي الشهير، ولهذه المدرسة خزانة حافلة بالكتب، لا زالت حتى اليوم، وقد احتوت على ألفي مجلّد، أكثرها من وقف السلطان حسين، نفسه وعليها ختمة، وفيها كتاب «جمع الجوامع» لتاج الدين السبكي وبخطه[3]. كما أنشأ «سلطان حسين العباسي»، مدرسة أخرى سمّاها (مدرسة العقر) وأنشأ فيها خزانة كتب[4].

## 19 - خزانة مدرسة قباذ العباسي:

كان قباذ من أمراء بهدينان، وهو ابن سلطان حسين العباسي، وقد أنشأ هذه المدرسة في قرية ماية، من قرى برواري زير، التابعة إلى العمادية في أواخر المئة العاشرة للهجرة، ووضع فيها خزانة كتب، تشتت شمل أكثرها بمرور الأيام وانتهى الأمر ببقيتها إلى الحرق في سنة 1924م[5].

## 20 - خزانة مدرسة مراد خان في العمادية:

أنشأ هذه المدرسة الامير مراد خان العباسي، في أواخر المائة العاشرة للهجرة، وجعل فيها خزانة كتب، ضاع أغلبها بمرور الزمن[6].

---

(1) د. داود الجلبي - مخطوطات الموصل/ ص251 - بغداد 1927م - وكوركيس عواد/ ص174.
(2) كوركيس عواد/ ص175.
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) المصدر السابق/ ص176.
(5) مخطوطات الموصل/ ص254 - وكوركيس عواد/ ص176.
(6) كوركيس عواد/ ص176.

**الفصل الرابع:**

## المكتبات الخاصة

لم ولن تكن المعرفة حكراً على طبقة معيّنة من طبقات أي مجتمع، والوعي عند الإنسان ما ارتبط يوماً بابن وزير أو بابن فقير، فالمعرفة إلهام عقلي، تدرُّ بهِ الذات على حب المطالعة واكتساب العلوم، عن طريق البحث والدراسة والتأمل والاحتكاك والاحتكام والتصادم الفكري وقد كانت للمجالس الفكرية آثارها البالغة في رفع وعي الناس في الأوان العباسي، فلقد ذكرت المصادر، على سبيل المثال، أن ابن كيسان النحوي كان يبدأ مجلسه بأخذ القرآن والقراءات، ثم بأحاديث الرسول، فإذا قرىء خبر غريب، أو لفظة شاذة، أبان عنها وتكلّم عليها، وسأل أصحابه عن معناها، وكان يجوز للسامع في المجلس أن يقف ويسأل المدرّس[1]، وهذا الأمر يؤول بمنحاه على الاهتمام بالمعرفة والتعطش إليها، وقد كانت حالة التجاوب لهذه الظاهرة متبادلة بين طلاّب العلم والاساتذة على حدّ سواء، فقد كان الشيوخ (المدرسون) يرون أنه لا يجوز أن يأخذ المعلم أجراً عن تعليمه القرآن والحديث، وهما كانا وقتذاك، أساسيّان في المعرفة للدين الإسلامي، لا سيّما شيوخ وفقهاء الحنفية، كأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وغيرهم، فيما أجاز ذلك آخرون، لكنهم جعلوا معلم الحديث في درجة أعلى لأنه يعلّم ابتغاء الثواب[2]، حتى أن بعض المحدثين الكبار، كانوا يأنفون من أخذ الأجر أو الصدقة عن التعليم، لوازع ديني وأخلاقي ومعرفي، فقد حكي عن الخطيب البغدادي - مؤرخ بغداد المشهور، أنه كان يعظ الناس ويلقي الحديث في جامع المنصور، فدخل عليه بعض العلوية، وفي كمّه دنانير، وقال للخطيب: فلان يسلّم عليك ويقول لك، اصرف هذا في بعض مهماتك، فقال الخطيب: لا حاجة لي فيه، وقطب وجهه، فقال العلوي، كأنك تستقله، ونفض كمّه على سجادة الخطيب، وطرح

---

(1) آدم ميتز - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري 1/ 320

(2) راجع طبقات الشافعية الكبرى - للسبكي 3/ 296 - 297 - ترجمة علي بن الحسن بن الحسين بن محمد القاضي.

الدنانير عليها، وقال: هذه ثلمائة دينار، فقام الخطيب محمرّا وجهه وأخذ السجادة، وصبّ الدنانير على الارض وخرج من المسجد[1].

وعن الموقف المعرفي - في هذا السياق، فإن عملية التعاطي وفقهُ، كانت تجرى بادراك وشعور عال بالمسؤولية، لا سيما إذا كان في المجلس شخصيات علمية كبيرة، تستطيع أن تضع الأمر في نصابه، فمن ذلك ما عرف به الخطيب البغدادي ذاته، فقد حضر مرّة درس الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، فروى الشيخ حديثاً من رواية بحر بن كثير السقاء، ثم قال للخطيب: ما تقول فيه؟! فقال: إن أذنت لي ذكرت حاله، فاستوى الشيخ وقعد مثل التلميذ بين يدي الأستاذ، يسمع كلام الخطيب، وشرع الخطيب في شرح أحواله، وتبسّط الكلام كثيراً، إلى أن فرغ، فقال الشيخ هَوَ دارقطني[2] عهدنا[3].

ومن هذه الزاوية المعرفية، يمكن القول أن الواجب المعرفي، يدفع بالعالم لأن يرفع المستوى الثقافي لمن هم حوله، وليس هذا فحسب، بل يذكر ممّن سبقوه، ويشيد بفضلهم، ويثبت أمام متلقي العلم معنى التواضع، لذلك شبّ الناس في ذلك الأوان، على اكتساب المعرفة والعلم بكل السبل، وتنافسوا في ميادينه، ومن ذلك التنافس، كان الاهتمام بالمكتبات، والحرص على اقتناء أنفس الكتب، وتعضيد الخزائن بها، لذلك كانت هناك مكتبات خاصة لكل عالم، في النحو أو الأدب، أو الفقه، أو علوم الحديث، أو علوم القرآن، أو الأخبار والسير، وسنحاول هنا ايراد أسماء أصحاب هذه المكتبات، بشيء يسير، استكمالاً لهذا الباب، وتوفيراً للجهد، معترفين بالفضل للباحث كوركيس عواد، لما أسداه لنا في كتابه الهام/ خزائن الكتب القديمة في العراق/ فقد كان هذا الكتاب بمثابة خطة عمل مرسومة قمنا بتنفيذها.

## 1 - خزانة أبي عمرو بن العلا:

هو زبّان بن العلاء بن عمّار العريان المازني البصري[4] كان رأسا في حياة الحسن

(1) المصدر السابق 3/ 14.

(2) الدارقطني - هو الإمام الحافظ المجوّد - شيخ الإسلام، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبدالله البغدادى، المقرىء المحدّث، من محلة دار القطن ببغداد، واحد من مشاهير العلماء في الإسلام ومن أكابر محدثيهم، راجع ترجمته عند الذهبي - سير أعلام النبلاء 16/ 49 4 - الترجمة رقم 332 تحقيق أكرم البوشي - واشراف شعيب الارناؤوط - مؤسسة الرسالة - ط2 - 1404هـ/ 1984م.

(3) السبكي - طبقات الشافعية 3/ 14.

(4) أنظر ترجمته عند ابن خلكان - وفيات الاعيان 3/ 466 - 470 - الترجمة رقم 505.

البصري، قال عنه أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالادب والعربية والقرآن والشعر. مات بالكوفة سنة 154هـ/ 770م[1]، قال عنه معاصروه: كانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتاً له قريب من السقف ثم أنّه تقرّأ - أي تنسّك - فأخرجها كلها، فلما رجع إلى علمه الاول، لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه، وكانت عامّة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية[2].

## 2 - خزانة سفيان الثوري:

هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله، شيخ الإسلام، إمام الحفّاظ، سيد العاملين في زمانه، أبو عبدالله الثوري الكوفي، المجتهد، هكذا يذكره الذهبي[3].

كان سفيان من سكنة وولادة البصرة، وقيل بالكوفة[4]، مات بالبصرة مستترا من السلطان/ الخليفة المهدي/ ودفن عشاء سنة 161هـ/ 777م، وأوصى إلى عمّار بن سيف في كتبه، فمحاها هذا الأخير وأحرقها[5]، خوفاً منها، وقد صرّح كثير من المؤرخين أن للثوري جملة كتب ألّفها في «التفسير والحديث والفقه والاختلاف والزهد»[6]، وعلى ما يبدو، أن خزانة كتبه قد تركها بالكوفة عندما توارى عن السلطان، فثمة خبر يورده الخطيب البغدادي يقول: «كان أصحاب الحديث يأتونه في مكانه/ أي الذي اختبأ فيه/ فإذا سمع بصاحب حديث بعث إليه، وكان يقول: أنت - يعني يا يحيى، ويقصد يحيى بن سعيد القطان، تريد مثل أبي وائل عن عبد الله، أين تجد كل وقت هذا؟! اذهب إلى الكوفة فجئني بكتبي أحدثك، فقال له يحيى: أنا أختلف إليك، وأخاف على دمي، فكيف أذهب

---

(1) وفيات الاعيان 3/ 469 - وكوركيس عوّاد/ خزائن الكتب القديمة/ ص191، وقد رثاه عبدالله بن المقفع بهذه الأبيات وهي موجودة عند ابن خلكان - الموضع المذكور:

| | |
|---|---|
| «رزئنا أبا عمرو ولا حيّ مثله | فللّه ريب الحادثات بمن نجع |
| فان تك قد فارقتنا وتركتنا | ذوي خلّة ما في انسداد لها طمع |
| فقد جرّ نفعا فقدنا لك أننا | أمنّا على كل الرزايا من الجزع |

(2) وفيت الاعيان 3/ 466.

(3) سير أعلام النبلاء 7/ 229 - الترجمة رقم 82.

(4) ابن النديم - الفهرست/ ص314.

(5) الفهرست/ ص315.

(6) المباحث العلمية من المقالات السنية/ مقال للاستاذ امتياز علي عرشي/ ص159 - 188 حيدر آباد - 1358هـ.

وآتي بكتبك؟ قال: وكان يحيى جباناً جداً[1]، وجُلّة الخبر أن سفيان كان قد طرح كتبه، فلما آمن أرسل إلى من يأتي بها إليه، يقول عبدالله بن عبدالله ابن الاسود الحارثي، أرسل إليّ/ يقصد سفيان/ وإلى يزيد بن توبة المرهبي، فجعلنا نخرجها «الكتب» فأقول: يا أبا عبدالله وفي الركائز الخمس، وهو يضحك، فأخرجنا تسع قمطرات، كل واحدة إلى هاهنا، وأشار إلى أسفل من ثدييه، فقلت له: أعرض لي كتاباً فحدثني به، فعزل كتباً فحدثني به[2] وهذا الكم الهائل من الكتب يشكل مكتبة عامرة قطعاً.

## 3 - خزانة الواقدي:

هو أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي، كان من أهل المدينة، واضح التشيّع، لذلك مال إلى بغداد، وسكنها، تولى القضاء للمأمون، وكان عالماً بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس في الحديث والفقه والاحكام والاخبار، ولد سنة 130هـ ومات سنة 207هـ[3].

ذكر له المؤرخون جملة من الكتب، وخزانة كبيرة المحتوى، فقد روى الخطيب البغدادي، أنه لمّا انتقل الواقدي من الجانب الغربي/ إلى الجانب الشرقي/ حمل كتبه على عشرين ومائة وقر. وينقل عن أبي حذافة، أن الواقدي كان له ستمائة قمطر كتب[4]، كما أن ابن النديم ذكر مكتبته بالقول: قرأت بخطّ عتيق قال: خلّف الواقدي، بعد وفاته: ستمائة قمطر كتباً، كل قمطر منها حمل رجلين، وكان له غلامان مملوكان يكتبان بالليل والنهار، وقبل ذلك بيعت له كتب بألفي دينار[5]، والواقدي واحد من أبرز المؤرخين والأدباء في ذلك العصر. فقد ذكر له ابن النديم وصاحب/ أعيان الشيعة/ جملة من المؤلفات أهمها[6]: كتاب التاريخ والمغازي والمبعث، وأخبار مكة، وكتاب الطبقات، وفتوح الشام، وفتوح العراق، وكتاب الجمل، وكتاب مقتل الحسن، وكتاب السيرة، وكتاب أزواج النبي، وكتاب الردة والدار، وحرب الأوس والخزرج، وكتاب صفيرة، وكتاب وفاة النبي، وكتاب أم العبسة والفيل، وكتاب المناكح، وكتاب السقيفة وبيعة أبي بكر، وذكر القرآن، وسيرة أبي بكر ووفاته، ومداعي قريش والانصار في القطائع، ووضع

---

(1) تاريخ بغداد 9/ 160.
(2) المصدر السابق 9/ 161 - وكوركيس عواد/ ص192.
(3) الفهرست/ ص144.
(4) تاريخ بغداد 3/ 5 - 6.
(5) الفهرست/ ص144.
(6) الفهرست/ نفس المكان. ومحسن الامين/أعيان الشيعة 10/ 33 - تحقيق حسن الامين - منشورات دار التعارف للمطبوعات - بيروت 1403هـ/ 1983م.

عمر الدواوين، وتصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها، وكتاب الرغيب في عالم القران وغلط الرجال، وكتاب مولد الحسن والحسين، ومقتل الحسين، وكتاب ضرب الدنانير والدراهم وتاريخ الفقهاء، وكتاب الآداب، والتاريخ الكبير، وكتاب غلط الحديث، وكتاب السنة والجماعة وذم الهوى وترك الخوارج في الفتن، وكتاب الاختلاف وغيرها.

## 4 - خزانة الأصمعي:

هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب، المعروف بالأصمعي، أشهر علماء اللغة، وأخبار الأدب في المائة الثانية للهجرة[1] من أبرز تلاميذه، أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، وابن أخيه عبد الرحمن بن عبد ا لله الاصمعي، قدم بغداد في أيام الرشيد، وهو بصري المولد، عام 122هـ/ 740م، وكان سريع البديهة والحفظ، قال عنه عمر بن شبة: سمعت الاصمعي يقول: أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة[2]. توفي سنة 217هـ، على الارجح.

ناهزت مؤلفات الاصمعي 50 كتاباً، وفق رواية ابن النديم[3]، أما خزانة كتبه فليس هناك من مصدر استطاع حصرها قط، لكنه توجد بعض الاشارات هنا وهناك تؤكد ضخامة خزانته، فقد روى أبو الفرج الاصفهاني[4] قال: قال الأصمعي: لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقّة قال لي: هل حملت شيئاً من كتبك؟ فقلت: نعم حملت منها ما خفّ حمله، فقال: كم؟ فقلت: ثمانية عشر صندوقاً، فقال: هذا لمّا خفّفت، فلو ثقلت كم كنت تحمل؟ فقلت: أضعافها، قال: فجعل يعجب.

وهذا الخبر يوضّح مدى حجم وكبر مكتبة هذا العلامة العباسي الذائع الصيت.

## 5 - خزانة إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

هو أبو محمد إسحاق بن نسك، التميمي بالولاء، الأرجاني الاصل[5]، شاعر وأديب، وأخباري مشهور في علوم كثيرة، أخذ الادب عن الاصمعي وكتب الحديث عن

---

(1) أنظر ترجمته في الفهرست/ ص82 - 83 - ووفيات الاعيان 3/ 170 - 176 - الترجمة رقم 379.
(2) وفيّات الاعيان 3/ 171.
(3) الفهرست/ ص82 - كما ذكر منها بعضاً ابن خلكان في وفيات الاعيان 3/ 176.
(4) الاغاني 5/ 302 - طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة 1351هـ/ 1932م.
(5) راجع ترجمته في/ وفيات الاعيان 1/ 202، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي 6/ 5، وما بعدها، والاغاني 17/ 111 - 115 رغيرها - وتاريخ بغداد 6/ 338 - الترجمة رقم 3380.

سفيان الثوري وابن عينيه وهشيم بن بشير وابي معاوية الضرير وطبقتهم[1]، ولد إسحاق سنة 150هـ، كما يقول الخطيب[2]، تفرّد بالغناء، وكان أعلم أهل زمانه به، نادم الرشيد والمأمون والواثق، مات سنة 235هـ/ 849م، ألّف إسحاق كتباً كثيرة، أشهرها - كتاب الاغاني الكبير وغيره، وقد ذكرها ابن النديم، وبلغت عنده نحو/ 40/ كتاباً[3]، وعناوينها تدل على أنها تدور حول الغناء والشرب، ومجالسة الخلفاء ومنادمتهم، وأخبار الشعراء والمغنين والقيان.

جمع إسحاق خزانة كتب حافلة. ذكر الخطيب البغدادي وياقوت الحموى[4] قول الأصمعي: خرجت مع الرشيد إلى الرقة، فلقيت إسحاق الموصلي، فقلت له: هل حملت شيئاً من كتبك؟ فقال: حملت ما خفّ، فقلت: كم مقداره؟ فقال: ثمانية عشر صندوقاً، فعجبت وقلت: إذا كان هذا ما خفّ، فكم يكون ما ثقل، فقال: أضعاف ذلك[5].

وعرّج ابن خلكان على ذكر كتب إسحاق الموصلي فقال[6]: قال أبو العباس ثعلب: رأيت لاسحق الموصلي ألف جزء من لغات العرب، وكلها بسماعه، وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل إسحاق، ثم منزل ابن الأعرابي.

وهذه الاخبار والروايات توضح لنا مدى كبر وحجم خزانة هذا الأديب والموسيقي الكبير.

## 6 - خزانة الإمام أحمد بن حنبل:

هو صاحب المذهب الحنبلي المعروف (164 - 241هـ/ 780 - 855م) واحد من أعلام الفكر الإسلامي وأحد الأئمة الاربعة، و«مسنده» أحد المراجع الأساسية في كتب الشريعة والفقه الإسلامي - ولدته أمّه في بغداد، بعد أن خرجت به حاملاً من مرو[7]، قيل

(1) تاريخ بغداد 6/ 338.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) الفهرست/ ص202 - وكوركيس عواد/ ص195.

(4) تاريخ بغداد 6/ 340 ومعجم الأدباء 6/ 8.

(5) رواية الخطيب البغدادي 6/ 340 تقول: قال إسحاق الموصلي: لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي الأصمعي: كم حملت معك من كتبك؟ قلت: تخففت فحملت ثمانية أحمال، ستة عشر صندوقاً، قال: فعجب، فقلت: كم معك يا ابا سعيد؟ قال: ما معي إلا صندوق واحد، تلت: ليس إلا قال: وتستقل صندوقا واحداً من حق.

(6) وفيات الاعيان 1/ 204.

(7) وفيات الاعيان 1/ 63 - 64.

أنه كان يحفظ ألف ألف حديث[1] وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصه، أبتلي أيام المعتصم بمسألة خلق القرآن، وحبس لمدة[2].

تبحّر في علوم الدين كثيراً، الأمر الذي أهّله لان يكون إماماً لأحد المذاهب الأربعة، ومن الطبيعي أن تكون لديه كتب الأوائل والأواخر، فلقد ذكر الذهبي، أنه حزرت كتبه يوم مات، فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً، ما كان على ظهر كتاب منها (حديث فلان) ولا في بطنه (حدثنا فلان) وكان يحفظ ذلك كله على ظهر قلبه، وذكر أيضاً أنّه فتّش بيته أيام المتوكل، فكان فيه «تابوت الكتب» يقصد موضع الكتب في داره[3]، وأورد الذهبي على لسان ابن الجوزي كتباً كثيرة، أشهرها «المسند» وهو ثلاثون ألف حديث، و«التفسير» وهو مئة وعشرون ألفاً، «والناسخ والمنسوخ»، والتاريخ، وحديث شعبة، والمقدّم والمؤخر في القرآن، وجوابات القرآن، والمناسك، الكبير والصغير، وكتاب الايمان، وكتاب الاشربة، وكتاب الفرائض، وله من المصنفات الاخرى كتب كثيرة، وأملى على تلامذته الشيء الكثير[4].

## 7 - خزانة أبي حسان الزيادي:

هو أبو حسان، الحسن بن عثمان الزيادي المتوفى سنة 242هـ وقيل 243هـ/ وليّ القضاء للمتوكل للمنطقة الشرقية ببغداد، كانت له معرفة بأيام الناس، وعمل الكتب، وله تاريخ حسن، وكان كريماً واسعاً مفضالاً، كما يقول الخطيب البغدادي[5]، وصف ابن النديم خزانة كتبه بأنها كانت حسنة وكبيرة[6].

## 8 - خزانة أبي كريب بالكوفة:

هو أبو كريب محمد بن العلا بن كريب الهمداني الكوفي، المتوفى سنة 248هـ/ 857م

---

(1) الذهبي - سير أعلام النبلاء 11/ 186 - 187.

(2) وفيات الاعيان 1/ 63 - 64 - وراجع: الذهبي/العبر في خبر من غبر 1/ 435 - الترجمة رقم 241 - أحداث سنة 241هـ/تحقيق صلاح الدين المنجد - الكويت 1960 - وكذلك: سير أعلام النبلاء 11/ 177 - 358 - الترجمة رقم 78 - وهي أطول ترجمة وفيها تفصيلات دقيقة عن حياته.

(3) كوركيس عواد/ص196.

(4) راجع: سير أعلام النبلاء 11/ 327 - 332 - فصلاً خاصاً عن كتبه ومصنفاته.

(5) تاريخ بغداد 7/ 358 - وكوركيس عوّاد/ ص197.

(6) الفهرست/ ص160.

محدّث الكوفة المشهورة، ومن الحفّاظ المعدودين، أوصى أن تدفن كتبه معه فدفنت، ومات في جمادى الآخرة سنة 248هـ عن عمر يناهز 87 سنة[1].

## 9 - خزانة الكندي الفيلسوف:

هو يعقوب بن إسحاق الكندي، فيلسوف العرب والمسلمين، المتوفى ببغداد سنة 246هـ/ 860م، كان عالماً بالطب والفلسفة والنجوم والحساب والهندسة والمنطق والألحان وغير ذلك، مصنافته تدخل في فنون مختلفة، ذكرت عند ابن النديم والقفطي، وابن أبي أصيبعة[2]، وقد ذكرت هذه المصادر أخبار مؤلفاته ومصنّفاته بشيء من التفصيل والتبويب، كانت له خزانة كتب قيّمة، ذكر ابن الداية (أحمد بن يوسف الكاتب) كان أبناء شاكر، في أيام المتوكل، يكيدون كل من ذكر بالتقدم في المعرفة، فدبروا على الكندي، حتى ضربه المتوكل، ووجّهوا إلى داره، فأخذت كتبه بأسرها، وأفردت في خزانة خاصّة سمّيت «الكنديّة»[3]، ويذكر ابن أبي أصيبعة أن مكتبته ردّت إليه فيما بعد، بعد أن آل أمر أبناء شاكر إلى زوال النعمة[4].

## 10 - خزانة الجاحظ:

غنيّ عن التعريف أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، ذلك البصري المشهور، ولد سنة 150هـ ومات سنة 255هـ[5]، كان امام الأدب والبلاغة، وقد أجمع مؤرخو الادب على إمامته في هذا الباب وتقدّمه على كثير من سواه[6]، لم يعرف أحد من العرب أو العجم أولع منه بمطالعة الكتب، قال عنه أبو هفّان: لم أر قط، ولا سمعت من أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى أنه كان يكتري دكاكين الورّاقين ويبيت فيها للنظر»[7]، حتى أن موته له معنى

(1) الذهبي - تذكرة الحفاظ 2/ 497 - 498 - طبعة حيدر آباد 376هـ/ 1956م - ط3
(2) الفهرست/ ص357 - 365 - وأخبار الحكماء/ ص240 - 247 - وطبقات الاطباء/ ص285 - 293.
(3) أنظر: ابن الداية/ كتاب المكافأة وحسن العقبى/ ص130 - تحقيق محمود محمد شاكر - القاهرة 1940م.
(4) طبقات الاطباء/ ص287.
(5) ياقوت الحموي - معجم الأدباء 16/ 74 وما بعدها.
(6) كوركيس عواد/ ص199.
(7) الفهرست/ ص169 - ومعجم الأدباء 16/ 75.

وتسلسل منطقي من مسلكيته المعرفية، فقد روت المصادر[1] أن موته كان بوقوع مجلدات عليه، حيث كان من عادته أن يضعها قائمة كالحائط محيطة به، وهو جالس إليها، وكان عليلاً فسقطت عليه وقتلته في محرم من سنة 255هـ.

لقد كان الجاحظ واسع المعرفة والعلم، الأمر الذي تطلب أن تكون لديه خزانة واسعة وكبيرة، حتى أنه كان يستخدم الورّاقين لمساعدته في استنساخ كتبه وكتب غيره، وقد ألمحنا إلى ذلك في بداية هذا الباب، ومن أشهر ورّاقي الجاحظ عبد الوهاب بن عيسى[2]، ورغم سعة علمه، كان من أصحاب النادرة، حكى عنه المرزباني قال[3]: كان الجاحظ ملازماً محمد بن عبد الملك الزيّات ولما قبض على محمد «هرب الجاحظ» فقيل له: لم هربت؟ فقال: خفت أن أكون ثاني اثنين، إذ هما في التنور، يريد ما صنع بمحمد وادخاله تنور حديد، فيه مسامير، كان هو/ أي محمد بن الزيات/ صنعه ليعذب فيه الناس، فعذب فيه هو حتى مات.

## 11 - خزانة أبي حاتم السجستاني:

هو سهل بن محمد بن عثمان، من سكنة البصرة، كان اماماً في علوم القرآن واللغة والشعر، وكان أعلم الناس بالعروض، ورد بغداد، فسئل عن قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[4] ما يقال منه للواحد؟ فقال: قِ، فقال: فالاثنين، فقال: قيا، قالوا فالجمع، قال: قوا، قالوا: أجمع لنا الثلاث، فقال: «ق قيا قوا» قالوا: وكان في ناحية المسجد رجل جالس معه قماش فقال لواحد: احتفظ بثيابي حتى أجيء، ومضى إلى صاحب الشرطة وقال: أني ظفرت بقوم زنادقة يقرؤون القرآن على صياح الديك، قال: فما شعرنا حتى هجم علينا الاعوان والشرطة، ، فأخذونا وأحضرونا مجلس صاحب الشرطة، فسألنا فتقدمت إليه وأعلمته بالخبر، وقد اجتمع خلق ينظرون ما يكون، فعنفني صاحب الشرطة/ والكلام للسجستاني/ وعذلني، وقال: مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا. ثم عمد إلى أصحابي فضربهم عشرة عشرة وقال: لا تعودا إلى مثل هذا، فعاد أبو حاتم إلى البصرة سريعاً، ولم يقم ببغداد، ولم يأخذ عنه أهلها[5].

---

(1) تاريخ أبي الفداء/ المختصر في أخبار البشر/ 47 - أحداث سنة 255 هـ/ ط1 - المطبعة الحسينية بمصر/ 1325هـ.

(2) تاريخ بغداد 11/ 28 - 29.

(3) معجم الأدباء 16/ 76.

(4) سورة التحريم، الآية: 6.

(5) السيوطي/ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ ص 265 - حرف السين - مطبعة السعادة - ط 1 - مصر سنة 1326هـ.

صنّف أبو حاتم كتباً عديدة منها: كتاب المعمرين، وكتاب الأضداد، وكتاب النخل، توفي في أواسط المئة الثالثة للهجرة، وعرف عنه أنه كان جمّاعاً للكتب يتجر فيها[1]، ومن هنا نستدرك كيف تكون مكتبته.

## 12 - خزانة حنين بن إسحاق:

هو أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي، ولد بالحيرة سنة 194هـ/ 809م، علم من أعلام الترجمة والطب في عصر المأمون، لم يفقه أحد في عصره في هذا الفن، ينتسب إلى عبّاد.

والعَبّاد - بالفتح قبائل شتى من بطون العرب، اجتمعوا على النصرانية بالحيرة[2]، تتلمذ على يد يوحنا بن ماسويه، تخصص في ترجمة كتب الحكمة من السرياني إلى العربي، رحل إلى البصرة، وتتلمذ في النحو على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، مات مكموداً وقيل سمّ نفسه[3] سنة 298هـ.

كان أميناً على الترجمة، ومشرفاً على المترجمين، فقد نقل الكثير وألّف الكثير، جاوز المائة وثلاثين كتاباً بالعربية، إضافة إلى جملة من المؤلفات التي صنّفها بالآرامية[4]، كانت خزانته واحدة من النوادر، حيث أنه كان يعمل تحت يديه اثنان من الورّاقين هما الازرق والأحول[5]، الامر الذي يشير إلى أهمية إسحاق بن حنين في النقل والترجمة والتأليف، وهو بلا شك، يكون قد أسس مكتبة رفيعة القدر، ونفيسة المحصل، وليس عبثاً أن تصادر كتبه في بداية محنته.

## 13 - خزانة إسحاق بن سليمان الهاشمي:

كان واحداً من أشهر الولاة في المائة الثالثة للهجرة[6]، لم تتعين سنة وفاته، وليّ القضاء لهرون الرشيد على المدينة والبصرة ومصر، وفي زمن الامين، وليّ على حمص، وأرمينية، كان هذا القاضي قد أحرز خزانة كتب جليلة، ذكرها الجاحظ بالقول[7]، دخلت

(1) المصدر السابق/ نفس المكان - وكوركيس عواد/ ص201.
(2) القفطي/ أخبار الحكماء/ ص119 - وطبقات الاطباء/ ص257.
(3) أنظر تفاصيل ذلك عند القفطي/ أخبار الحكماء/ ص118 - 119 - وطبقات الاطباء/ ص263.
(4) انظر/ طبقات الاطباء/ ص271 - 274 - وكوركيس عواد/ ص202.
(5) راجع الفهرست/ ص117 - عن الأحول - وكوركيس عواد/ ص204.
(6) انظر الكندي/ الولاة والقضاة/ ص136/ بعناية رفن كست - الطبعة اليسوعية - بيروت 1908م.
(7) أنظر: الحيوان 1/ 61 - 62 وكوركيس عواد/ ص204.

على إسحاق بن سليمان في إمرته، فرأيت السماطين والرجال مثولا، كأن على رؤوسهم الطير، ورأيت فرشته وبزته، ثم دخلت عليه وهو معزول، وإذا هو في بيت كتبه، وحواليه الأسفاط والرقوق، والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر، فما رأيته قطّ أفخم ولا أنبل ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم لأنه جمع مع المهابة المحبة، ومع الفخامة الحلاوة، ومع السؤدد الحكمة.

## 14 - خزانة العصفري:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن منقذ بن إبراهيم بن عيسى بن يحيى العصفري، أحد ثقات المحدثين ببغداد، وبها توفي سنة 269هـ/ 882م[1]، ذكرت المصادر أن كتبه احترقت قديماً، وبقيت له منها بقيّة، وكان يحدّث بما بقي له من كتبه[2].

## 15 - خزانة ابن يحيى المنجّم:

هو أبو الحسن علي بن يحيى ابن أبي منصور المنجّم، نادم المتوكل، وكان من خواصّه وندمائه والمتقدمين عنده، وخصّ به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد على الله، وكان شاعراً راوية علاّمة، واخبارياً موصوفاً، توفيّ بسرّ من رأى سنة 275هـ/ 888م[3]، اتصل هذا العالم بوزير هو الآخر عالم، ذلك الوزير هو الفتح بن خاقان، وعمل له خزانة حكمة[4] نقل إليها من كتبه وما استكتبه الفتح، أكثر مما اشتملت عليه خزانة حكمة قط، كما يقول ابن النديم[5]، جمع في خزانته كتباً كثيرة، وأفردها في ضيعة كانت له في منطقة كركر، بنواحي القفص، من نواحي بغداد[6]، قال القاضي التنوخي[7]، كانت لعليّ بن المنجم ضيعة نفيسة، وقصر جليل فيه خزانة عظيمة يسميها «خزانة الحكمة» يقصدها الناس من كل بلد، فيقيمون فيها، ويتعلمون منها صنوف العلم، والكتب مبذولة

---

(1) ابن الجوزي - المنتظم 5/ 67 - 68 - الترجمة رقم 152 - والسمعاني/ الانساب 8/ 468 - باب العين والصاد.

(2) المنتظم/ نفس المكان - والسمعاني/ نفس الموضع - وكوركيس عواد/ ص205.

(3) ياقوت الحموي - معجم الأدباء 15/ 144 - الترجمة رقم 33.

(4) أنظر: الفصل السابق من هذا الباب/ مكتبات الوزراء العباسيين - مكتبة الفتح بن خاقان.

(5) الفهرست/ ص205 - وكوركيس عوّاد/ ص206.

(6) ياقوت/ معجم البلدان 4/ 452 - 453 - مادة (كركر).

(7) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة 4/ 66 - الترجمة 35 - تحقيق عبود الشالجي المحامي - 1392هـ/ 1972م (بحمدون).

في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى، كما نوّه ابن أبي أصيبعة بالكتب التي نقلها حنين بن إسحاق لعلي بن يحيى المنجم، وألمح إلى خزانة كتبه[1] كما أشار القفطي هو الآخر إلى ذلك[2].

## 16 - خزانة إسماعيل بن إسحاق الأزدي:

هو واحد من القضاة الذين تولوا القضاء في بغداد، أصله من البصرة، وسكن بغداد، وحكم حوالي ربع قرن، كان عالماً ثقة، صنّف الكتب الكثيرة في علوم القرآن، وكان مالكيّ المذهب[3]. ومات سنة 282هـ/ 895م، جمع هذا الرجل في داره خزانة كتب، وقد ذكره ابن هفّان ضمن الثلاثة الذين أولعوا بالكتب، هو والجاحظ والفتح بن خاقان، فقال عنه: ما دخلت عليه إلا رأيته ينظر في كتاب أو يقلّب كتباً أو ينفضها[4].

## 17 - خزانة إبراهيم بن إسحاق الحربي:

وصفه السمعاني بأنه كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالاحكام، حافظاً للحديث، مميّزاً للعلة، قيماً بالادب، جمّاعاً للغة، وصنّف كتباً كثيرة[5]، توفيّ على ما ذكر كوركيس[6] سنة 285هـ/ 898م، أزرت به الايام، وأحوجته الضائقة الاقتصادية إلى عرض كتبه للبيع، يقول الخطيب البغدادي[7]: جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد، يسأله عن أمر أمير المؤمنين تفرقة ذلك، فردّه فانصرف الرسول، ثم عاد فقال: أن أمير المؤمنين، يسألك أن تفرّقه في جيرانك، فقال: عافاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه، فلا نشغلها بتفرقته، قل لامير المؤمنين أن تركتنا وإلا تحولّنا من جوارك، وعندما ألمّ به المرض، وأشرف على الموت دخل عليه أبو القاسم الجبلي، فقال: دخلت إليه يوماً فقال لي: يا أبا القاسم، أنا في أمر عظيم مع ابنتي، ثم قال لها: قومي أخرجي إلى عمّك، فخرجت

---

(1) طبقات الاطباء/ ص272 - 274.
(2) أخبار الحكماء/ ص120 - في ترجمة حنين بن إسحق.
(3) تاريخ بغداد 6/ 284 - الترجمة رقم 3318.
(4) الفهرست/ ص169 - وكوركيس عواد/ ص207 - 208.
(5) الانساب 4/ 99 - مادة (الحربي) - وتاريخ بغداد 6/ 30.
(6) خزائن الكتب القديمة/ ص208.
(7) تاريخ بغداد 6/ 32 - 33.

وألقت على وجهها خمارها، فقال إبراهيم: هذا عمك كلميه، فقالت لي: يأعم نحن في أمر عظيم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهر والدهر مالنا طعام، إلا كسر يابسة وملح، وربما عدمنا الملح، وبالامس قد وجه إليه المعتضد مع بدر ألف دينار، فلم يأخذها، ووجه إليه فلان وفلان فلم يأخذ منها شيئاً، وهو عليل، فالتفت الحربي إليها وتبسّم وقال: يا بنيّة إنما خفت الفقر؟ قالت: نعم، فقال لها: أنظري إلى تلك الزاوية، فنظرت، فإذا كتب، فقال: «هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب، كتبتها بخطي، إذا متّ فوجهي في كل يوم بجزء تبيعيه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم ليس هو فقير» هذه العزّة الفاضلة للأديب، هي التي جعلته أن يرتفع على هبة السلطان، ولولا احساسه بأنه أكبر من هذه الهبة، وبأن العلم أعلى، لما أقدم عليه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يشير هذا الحدث إلى مدى حجم وضخامة مكتبة الحربي، فقد ذكر فقط كتب اللغة وغريبها، فكيف يكون حجم الباقي وعدده؟!

## 18 - خزانة ثادري الاسقف:

ذكر ابن أبي أصيبعة[1] أنه كان أسقفاً في الكرخ، وكان حريصاً على طلب الكتب، متقرباً إلى قلوب نقلتها، فحصل منها شيئاً كثيراً، وصنّف له قوم من الأطباء النصارى، كتباً لها قدر، وجعلوها باسمه.

## 19 - خزانة عيسى بن يونس الكاتب الحاسب:

واحد من المهتمين بتحصيل المعرفة، قال عنه صاحب طبقات الاطباء[2]، أنه من جملة الفضلاء بالعراق، وكان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة، والعلوم اليونانية.

## 20 - خزانة بني موسى بن شاكر المنجّم:

يتحدّث ابن النديم[3] عن هؤلاء الاخوة الثلاثة فيقول: محمود وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر، هؤلاء القوم ممّن تناهى في طلب العلوم القديمة وبذل الرغائب، وأتعبوا فيها نفوسهم، وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها إليهم، فأحضروا النقلة من الأصقاع

---

(1) طبقات الاطباء/ ص283 - الباب التاسع - طبقات الاطباء النقلة - وكوركيس عواد/ ص209.
(2) المصدر السابق/ نفس المكان.
(3) الفهرست/ ص378 - 379 - وكوركيس عواد/ ص210.

والأماكن بالبذل السني، فأظهروا عجائب الحكمة. وأشار القفطي بأن محمد بن موسى/ أكبر الاخوة/ جمع كتب النجوم والهندسة والعدد والمنطق وكان حريصاً عليها[1]، ومجموعة أخوة علماء، لا شك أنهم يؤلفون فريق عمل متماسك، وهم بهذا يكونون قد أسسوا مكتبة زاهرة عظيمة الشأن، لأنهم كانوا يدفعون الاموال لتحصيل الكتب وترجمتها.

## 21 - خزانة ثعلب النحوي:

هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، أبو العبّاس ثعلب النحوي، إمام الكوفيين في النحو واللغة والفقه، ولد سنة 200هـ وتوفي سنة 291هـ[2]، كانت له خزانة كتب كبيرة، بيعت بعد وفاته، وقد كان أوصى بها علي بن محمد الكوفي، أحد أعيان تلاميذه، وتقدم إليه في دفع كتبه إلى أبي بكر أحمد بن إسحاق القطربلي، فقال الزجاج للقاسم بن عبيد الله، هذه كتب جليلة فلا تفوتنّك، فأحضر خيران الورّاق، فقوّم ما كان يساوي عشرة دنانير ثلاثة، فبلغت أقلّ من ثلاثمائة دينار فأخذها القاسم بن عبيد[3].

## 22 - خزانة ابن سعدان:

هو إبراهيم بن محمد بن سعدان المبارك، قال عنه ابن النديم[4]: جمّاعة للكتب، صحيح الخط، صادق الرواية، وذكر عدة تصانيف له، منها: كتاب الخيل، كتاب حروف القرآن، قال كوركيس عواد: هو من الذين عاشوا، في المئة الثالثة للهجرة[5].

## 23 - خزانة محمد بن الحسين - في حديثه:

عرّفه ابن النديم بقوله[6]: محمد بن الحسين، ويعرف بابن أبي بعره، كان في مدينة الحديثة، وكان جمّاعة للكتب، له خزانة لم أر لأحد مثلها كثيرة، تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والادب والكتب القديمة.

---

(1) القفطي/ أخبار الحكماء/ ص208 - حرف الميم.
(2) معجم الأدباء لياقوت الحموي 5/ 102 - 104 - الترجمة رقم 27.
(3) معجم الأدباء 5/ 127 وراجع ترجمته أيضاً عند السيوطي/ بغية الوعاة/ ص172 - 173 - باب الاحمدين.
(4) الفهرست/ ص118 - وكوركيس عواد/ ص212.
(5) خزائن الكتب القديمة/ ص212.
(6) الفهرست/ ص60 - 61 - وكوركيس عواد/ ص212 - 213.

قال: فلقيت هذا الرجل دفعات، فأنس بي، وكان نفوراً ضنيناً بما عنده، خائفاً من بني حمدان، فأخرج لي قمطرا كبيرا فيه نحو ثلثمائة رطل جلود، فلجان وصكوك، وقرطاس مصر، وورق صيني، وورق تهامي، وجلود آدم، ورق خراساني، فيها تعليقات عن العرب، وقصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والأسماء والأنساب، وغير ذلك،، وذكر أن رجلاً من أهل الكوفة ذهب عنه اسمه، كان مستهتراً بجمع الخطوط القديمة، وأنه لما حضرته الوفاة خصّه بذلك لصداقة كانت بينهما، وافضال من محمد بن الحسين عليه، ومجانسة المذهب، فإنه كان شيعياً، قال ابن النديم: فرأيتها عجباً، إلا أن الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملا أدرسها، وأحرفها، وكان على كل جزء أو ورقة أو مدرج، توقيع بخطوط العلماء واحداً أثر واحدٍ، فذكر فيه خطّ من هو، وتحت كل توقيع توقيع آخر خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض، ورأيت في جملتها/ والكلام لابن النديم/ مصحفا بخط خالد بن أبي الهيّاج صاحب علي ﷺ، ثم وصل هذا المصحف إلى أبي عبدالله بن حاني، ورأيت فيها بخطوط الامامين الحسن والحسين، ورأيت عنده أمانات وعهود بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبخط غيره من كتاب النبي ﷺ ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل أبي عمرو بن العلاء، وأبي عمر الشيباني، والأصمعي، وابن الاعرابي، وسيبويه، والفرّاء والكسائي، ومن خطوط أصحاب الحديث مثل: سفيان بن عينية، وسفيان الثوري، والاوزاعي، وغيرهم، ورأيت ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود الدؤلي ما هذه حكايته، وهي أربع أوراق، أحسبها من ورق الصين، ترجمتها هذه، فيها كلام في الفاعل والمفعول، من أبي الأسود رحمه الله بخط يحيى بن يعمر، وتحت هذا الخط، بخط عتيق، هذا خط علاّن النحوي، وتحته، هذا خط النضر بن شميل، ثم لمّا مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه، فما سمعنا له خبرا، ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه[1].

وعلى ما يبدو أن خزانة هذا الرجل عامرة بأنفس المصادر وأقدم المخطوطات الإسلامية.

## 24 - خزانة الحسن بن موسى النوبختي:

هو واحد من مشاهير رجال آل نوبخت في بغداد، وأكثرهم علماً وتأليفاً، حكى عنه ابن النديم وقال: هو أبو محمد الحسن بن موسى بن أخت أبي سهل بن نوبخت، متكلم

(1) الفهرست/ ص61.

فيلسوف، كان يجتمع إليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة، مثل أبي عثمان الدمشقي، وإسحاق، وثابت وغيرهم، وكانت المعتزلة تدّعيه والشيعة تدّعيه، وهو أميل للشيعة، كان جمّاعة للكتب، وقد نسخ بخطّه شيئاً كثيراً، وله مصنفات وتأليفات في الكلام والفلسفة وغيرها[1].

ذكرت المصادر الحديثة، أنه توفيّ سنة 310هـ[2]. بلغت تآليفه 44 كتاباً[3] وأغلبها في الفلسفة وعلم الكلام، والمذاهب والديانات، ومن كانت مؤلفاته بهذا العدد، فكيف يكون حجم خزانته؟

## 25 - خزانة جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي :

صاحبها كان شافعي المذهب، وكان شاعراً وأديباً وناقداً للشعر، قال عنه ابن النديم : كثير الرواية، له في الفقه عدة كتب ذكرها الفقهاء، أما كتبه الأدبية فهي/ الباهر في الاختيار من أشعار المحدثين، كتاب الشعر والشعراء الكبير، كتاب السرقات، ولم يتمّه، ولو أتمّه، كما يقول ابن النديم، لاستغنى الناس عن كل كتاب في معناه، وكتاب محاسن أشعار المحدثين[4]، وقد احتوت هذه الخزانة على أجل الكتب وأنفسها في المئة الرابعة للهجرة.

## 26 - خزانة ابن دريد :

ابن دريد هو أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، من أهل البصرة، ومن اشهر علماء عصره في اللغة ونقد الشعر، ولد سنة 223هـ/ 837م، ومات ببغداد سنة 321هـ/ 933م[5]، تتلمذ على يده أبو سعيد السيرافي وأبو عبيدالله المرزباني، وأبو الفرج الاصبهاني، كان يقال عنه : ابن دريد أشعر العلماء وأعلم السفراء[6]، وقد صنّف تآليف عديدة، ذكرتها جل المصادر التي ترجمت له، وأشهرها «الجمهرة في علم اللغة، والمقصورة والملاحق، والسرج، واللجام، والاشتقاق[7]، وآلت كتبه ومكتبته إلى ورّاقة أبي الحسن علي بن أحمد الدريدي[8].

---

(1) الفهرست/ ص251 - 252.
(2) العلامة محسن الامين - أعيان الشيعة 5/ 320.
(3) راجع عن ذلك - الفهرست/ ص252 - وأعيان الشيعة 5/ 320 - 321 - وكوركيس عواد/ ص214.
(4) الفهرست/ ص213 - وكوركيس عواد/ ص215.
(5) معجم الأدباء 17/ 126 - 143.
(6) المصدر السابق 17/ 128 - 129.
(7) نفس المصدر السابق 17/ 136.
(8) كوركيس عواد/ ص215.

## 27 - خزانة أبي بكر بن الأنباري:

هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة أبو بكر بن الانبارى، ولد سنة 271هـ/ وتوفي سنة 328هـ[1]. كان من أهل العلم والادب والفقه، صنّف علوماً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث وغير ذلك، ذكر عنه أنه كانت لديه خزانة كتب قيّمة، وكان يحفظ 300 ألف بيت وشاهد في القرآن، وكان يحفظ 120 ألف تفسير بأسانيدها، حتى أن أبو الحسن العروضي سأله ذات مرّة: قد أكثر الناس في حفظك، فكم تحفظ؟ فقال: ثلاثة عشر صندوقاً، وهذا ما لم يحفظه أحد قبله أو بعده[2].

## 28 - خزانة ابن عقدة في الكوفة:

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الكوفي، المتوفى سنة 332هـ/ 943م كان أبو العباس واحداً من الحفظة المشهورين، نقل الخطيب البغدادي عنه قائلاً: دخل البرديجي الكوفة، فزعم أنه أحفظ منّي، فقلت: لا تطوّل، فتقدم إلى دكان ورّاق، وتضع القبان، وتزن من الكتب ما شئت، ثم تلقي علينا فنذكره فبقي مدهوشاً[3]، وعرف عنه أنه كان يحفظ أكثر من 300 ألف حديث من حديث أهل البيت خاصة، لأنه كان زيديّاً[4]، وعلى هذا الأساس، فإن رجلاً من هذا الطراز، وعلى هذه الحافظة الجيّدة، فبالضرورة أن تكون مكتبته عامرة بأنفس الكتب، وذكرت مكتبته على النحو التالي: قال الصوري: قال لي أبو سعيد الماليني، أراد أبو العباس بن عقدة أن ينتقل من الموضع الذي كان فيه إلى موضع آخر، فاستأجر من يحمل كتبه وشارط الحمّالين أن يدفع لكل واحد منهم دانقاً لكل كرّة، فوزن لهم أجورهم، مائة درهم، وكانت كتبه ستمائة حمل[5].

## 29 - خزانة أبي بكر الصولي:

الصولي، هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس بن محمد بن صول تكين، الكاتب المعروف، بالصولي الشطرنجي، أحد أشهر الاعلام في (ق 4هـ)، ولد ببغداد،

---

(1) ابن الجوزي - المنتظم - 6/ 311 - 315.

(2) ابن الجوزي - المنتظم 6/ 212 - 213 - والسيوطي/ بغية الوعاة/ ص91 - 92 - وكوركيس عواد/ ص216.

(3) تاريخ بغداد 5/ 16.

(4) المصدر السابق/ نفس المكان. والمنتظم 6/ 337.

(5) تاريخ بغداد 5/ 18 - والمنتظم 6/ 337 - وكوركيس عواد/ ص217.

ونشأ بها، كان من الأدباء الظرفاء والجمّاعين للكتب[1]، ذكرت غالبيّة المصادر التي ترجمت له خزانة كتبه، قال الخطيب البغدادي: قال الازهري، سمعت أبا بكر بن شاذان يقول: رأيت للصولي، بيتاً عظيماً مملوءاً بالكتب، وهي مصفوفة، وجلودها مختلفة الالوان، كل صنف من الكتب لون، فصنّف أحمر وآخر أخضر وآخر أصفر وغير ذلك، قال: وكان الصولي يقول: هذه الكتب كلها سماعي[2]، ولقد كان مولعاً بالكتب كولع الجاحظ بها حتى أن أبا سعيد العقيلي قال فيه[3]:

انما الصولي شيخ ... أعلم الناس خزانة
فإذا تسأله مشكلة ... طالبا منه ابانة
قال: يا غلمان هاتوا ... رزمة العِلم فلانة

وهذه الأبيات توضّح مدى الدقة والتنظيم لمكتبته، حتى أنه جعل الغلمان المرتبين لها وفق رؤيته وهو الأعلم من غيره بأهمية الكتاب وفائدته.

## 30 - خزانة هرون بن المقتدر:

هو أخو الخليفة الراضي بالله، أنشأ خزانة كتب منذ صباه، قال عنه الصولي أنه عمل هو وأخوه الراضي خزانة كتب[4]، كان عاملاً على فارس وعزله القاهر سنة 320هـ.

## 31 - خزانة علي بن أحمد العمراني بالموصل:

عالم من أهل الموصل، كان عاشقاً للأدب ومن أهله المهتمين به، وصفه ابن النديم[5]، بأنه كان جمّاعة للكتب يقصده الناس من المواضع البعيدة للقراءة عليه، كانت وفاته سنة 344هـ، وإضافة إلى عشقه للادب كان عالماً بالحساب والهندسة، وألف كتباً منها شرح كتاب الجبر والمقابل لأبي كامل شجاع بن أسلم - الحاسب المصري، وكتاب الاختيارات، وعدة كتب في النجوم[6].

(1) الفهرست/ ص215.
(2) تاريخ بغداد 3/ 431 - وراجع المنتظم 6/ 359 - 361 - والفهرست/ ص215 - 216.
(3) تاريخ بغداد 3/ 432.
(4) الصولي/ كتاب الاوراق/ أو أخبار الراضي والمتقي/ ص191 طبعة القاهرة 1935 - وكوركيس عواد/ ص220.
(5) الفهرست/ ص394.
(6) القفطي/ أخبار الحكماء/ ص157 - وكوركيس عواد/ ص221.

## 32 - خزانة ابن الكوفي :

هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الاسدي مولده سنة 254هـ، وتوفي سنة 348هـ/ أحد المهتمين بجمع الكتب وأرباب الهوى فيها، صنّف جملة من الكتب في اللغة والأدب والنحو، كما أنه كان من أصحاب الخط المعروف بالصحة المشهور باتقان الضبط وحسن الشكل، وكان من أجلّ أصحاب ثعلب صنّف الهمزة ومعاني الشعر والفرائد والقلائد في اللغة(1).

## 33 - خزانة ابن الجعابي :

قاضي الموصل أبو بكر محمد بن عمر المعروف بابن الجعابي، راوية للحديث حفاظة له، مات ببغداد سنة 355هـ/ 965م، جمع خزانة كتب آل مصيرها إلى التلف، له تصانيف عديدة في علوم الحديث، كان أبو علي الحافظ يقول عنه: ما رأيت في البغداديين أحفظ منه(2)، روى عنه ابن الجوزي حادثة طريقة تنمّ عن مدى قوة حفظه للحديث، قال: يقول الجعابي: دخلت الرقة وكان لي ثمة قمطر من كتب، فأنفذت غلامي إلى ذلك الذي كتبي عنده، فرجع الغلام مغموماً فقال: ضاعت الكتب، فقلت يا بني: لا تغتم، فإن فيها مائتا ألف حديث لا يشكل عليّ منها حديث لا اسنادا ولا متنا(3)، وكان من وصيته قبل الموت أن تحرق كتبه فأحرقت بعد وفاته.

## 34 - خزانة الحبشي بن معز الدولة البويهي - في البصرة:

كان هذا الرجل، عصى أخاه بختيار، وتمسّك بالبصرة، فأخرج منها بحيلة، وصودرت أملاكه وأمواله، ومن جملة ما صودر خمسة عشر ألف مجلّد من الكتب(4).

## 35 - خزانة أحمد بن محمد الجرّاح :

واحد من الثقاة، فاضل، من أصحاب الثروة، وأحد المشاهير من الفرسان في زمانه، توفّي 381هـ/ 991م، كان كثير الكتب وهو القائل: كتبي بعشرة آلاف درهم، وجاريتي بعشر آلاف درهم، وسلاحي بعشرة آلاف درهم ودوابي بعشرة آلاف درهم(5).

---

(1) السيوطي/ بغية الوعاة/ ص350 والفهرست/ ص117 - 118.

(2) ابن الجوزي - المنتظم 7/ 37 - والخطيب البغدادي - تاريخ بغداد 3/ 31 - 32.

(3) المنتظم 7/ 37.

(4) ابن الاثير - الكامل في التاريخ 8/ 583 - 584، أحداث سنة 357هـ.

(5) المنتظم 7/ 165 وتأريخ بغداده 5/ 81 - 82 - الترجمة رقم 2470 - كوركيس عواد/ ص223.

## 36 - خزانة محمد بن العبّاس بن الفرات:

وصفه الخطيب البغدادي قائلاً: كان ثقة، كتب الكثير وجمع ما لم يجمعه أحد في وقته، وأضاف: وبلغني أنه كان عنده مائة تفسير ومائة تاريخ، وخلّف ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً أكثرها بخطه، سوى ما سرق من كتبه، وكانت له أيضاً سماعات كثيرة لم ينسخها[1].

## 37 - خزانة ابن طازاذ:

هو أبو سعيد وهب بن إبراهيم بن طازاذ، أحد الأدباء والكتّاب، شاهدهُ ابن النديم وقال عنه (فاضلاً أديباً مترسلاً، جمّاعة للكتب النفيسة)[2].

## 38 - خزانة ابن حاجب النعمان:

هو أبو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم، كان أبوه حاجب النعمان أبي عبدالله الكاتب، أثنى عليه ابن النديم بقوله: كان أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة كتابة الدواوين، كان إليه في أيام معزّ الدولة ديوان السواد، ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته، لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين، وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة، وله من الكتب كتاب نشوة النهار في أخبار الجوار، وكتاب الصبوة، وكتاب أشعار الكتّاب، وكتاب أخبار النساء ويعرف بكتاب ابن الدكاني، وكتاب الغرر ومجتبى الزهر، وكتاب أنس ذوى الفضل في الولاية والعزل[3].

## 39 - خزانة ابن النديم:

هو من أشهر الورّاقين والاخباريين اسمه: أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، اشتهر بكتابه «الفهرست» الذي جوّد فيه واستوعب استيعاباً يدلّ على اطلاعه على فنون من العلم وتحقيقه لجميع الكتب - كما يقول ياقوت الحموي[4]، كان ورّاقا يبيع الكتب، صنّف من

(1) تاريخ بغداد 3/ 122 - 123 - الترجمة رقم 1140 - والمنتظم 7/ 176 - 177 - وكوركيس عواد/ ص224.
(2) الفهرست/ ص189.
(3) الفهرست/ ص193.
(4) معجم الأدباء 18/ 17.

الشيعة المعتزلية، وله من التصانيف كتاب الفهرست وكتاب التشبيهات[1] كانت له خزانة كتب قيّمة تحوى من الكتب أندرها وأنفسها، فهو ذلك الورّاق الحاذق الذي يعرف كيف يختار الكتاب، ولو ألقينا نظرة فاحصة على كتابه/ الفهرست/ لعلمنا كم من الكتب استطاع أن يضمّها إلى مكتبته، لا سيما وأن الكثير من هذه الكتب كان قد ذكرها وذكر مؤلفيها.

## 40 - خزانة أبي خليفة في البصرة:

كانت له دار كتب في البصرة موصوفة ذكرها القاضي التنوخي في (النشوار)[2].

## 41 - خزانة لأحد الرؤساء:

جاء ذكر هذه الخزانة في سياق الحديث عن المعافى بن زكريا، حيث ذكر ياقوت الحموي أن أحمد بن عمر بن روح، ذكر عنه: أن حضر في دار بعض الرؤساء، وكان هناك جماعة من أهل العلم فقالوا له: في أي نوع من العلم نتذاكر؟ فقال المعافى للرئيس صاحب الدار: أن خزانتك جمعت أنواع العلوم وأصناف الادب، فإن رأيت أن تبعث الغلام إليها يضرب بيده إلى أيّ كتاب منها فيحمله إليك، ثم نفتحه، فننظر في أي علم هو فنتذاكر ونتجارى فيه، ويعلّق ابن روح قائلاً: وهذا يدلّ على أن المعافى كان له أنسة بسائر العلوم[3] ولكنه لم يذكر اسم صاحب الدار، فراح اسمه عنّا.

## 42 - خزانة مجهولة الصاحب:

جاء ذكرها على لسان أبي الفرج الاصبهاني، قال: كنت في أيام الشبيبة والصبا، آلف فتى من أولاد الجند في السنة التي توفّي فيها معز الدولة وولي بختيار، كان محبّا للادب ويميل إلى أهله، ولم يترك قريحته، حتى عرف صدراً من العلم، وجمع خزانة من الكتب حسنة فمضت لي معه سير، لو حفظت لكانت في كتاب مفرد[4]، ولم يسمّه.

## 43 - خزانة أبي سليمان المنطقي:

ذكرها ابن النديم، في سياق/ المقالة السابعة/ الفن الأول - مشيراً على خزائن الفرس

(1) المصدر السابق/ نفس المكان - وكوركيس عواد/ ص225 - 226.
(2) كوركيس عواد/ خزائن الكتب القديمة/ ص226.
(3) معجم الأدباء 19/ 153 - الترجمة رقم 49.
(4) معجم الأدباء 13/ 117 - ترجمة أبي الفرج الاصبهاني - الترجمة رقم 17.

والروم وغيرهم، معرّجاً على الشيء الكثير منها عن أبي سليمان السجستاني[1] ذلك المنطقي المشهور، ورأس مناطقة بغداد، في (ق 4هـ)، واسمه: محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، قد أجمع كافة العلماء على إمامته في علوم الفلسفة والمنطق وغيرها في عصره[2].

## 44 - خزانة الشريف الرّضي:

الشريف الرضيّ، غنيّ عن التعريف والبيان، قطب من أقطاب الثقافة في (ق 4هـ)، ولشعره مكانة عظيمة في نفوس الأدباء ونقّاد الشعر ومتذوّقي الادب، توفيّ ببغداد سنة 406هـ/ 1015م أنشأ مؤسسة ثقافية سمّاها «دار العلم» وكان ينفق على تلامذتها من ماله الخاص، ويلقي فيها المحاضرات، منها «خزانة كتب» حافلة وتعدّ من الخزائن الكبرى ببغداد[3].

## 45 - خزانة ابن الخفاف:

هو محمد بن الحسين بن إبراهيم بن محمد، أبو بكر الورّاق، المعروف بابن الخفّاف توفيّ سنة 418هـ/ 1027م كان من رجال الحديث ببغداد، قال الخطيب البغدادي عن مكتبته: قال لي ابن الخفاف: «احترق سوق باب الطاق[4] فاحترق من كتبي ألف وثمانون منّا كلها سماعي»[5].

## 46 - خزانة البرقاني:

هو أبو بكر أحمد بن محمد، بن غالب الخوارزمي المعروف بالبرقاني، سكن بغداد وتوفيّ فيها سنة 425هـ/ 1033م، كان عالماً ثبتاً بالحديث، حافظاً للقرآن، عارفاً بالفقه، دار الأقطار في سماع الحديث وكتابته عن كبار العلماء[6] كانت له خزانة كتب كبيرة، ذكر

---

(1) الفهرست/ ص336 - وأبو حيان التوحيدي - الامتاع والمؤانسة 1/ 29 - الليلة الثانية - بتصحيح أحمد أمين وأحمد الزين - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - 1939م.

(2) كوركيس عواد/ ص228 - 230.

(3) كوركيس عواد/ ص231.

(4) باب الطاق/ محلة كبيرة بالجانب الشرقي من بغداد، بين الرصافة ونهر المعلى، والتسمية منسوبة إلى «أسماء بنت المنصور» وعند هذا الطاق كان مجلس الشعراء في أيام الرشيد، - ياقوت الحموى/ معجم البلدان 4/ 5 مادة «طاق أسماء».

(5) تاريخ بغداد 2/ 250 - 251 - وكوركيس عواد/ ص232.

(6) كوركيس عواد/ ص232.

الخطيب البغدادي أنه عندما انتقل من الكرخ إلى قرب باب الشعير[1] أوصى أحمد بن غانم الحمامي أن يشرف على حمّالي كتبه وأن يقول إذا سؤل عنها أنها دفاتر لئلا يظنّ أنها ابريسم، وكان عددها ثلاثة وستين سفطا[2] وصندوقين، كل ذلك مملوء كتبا[3].

## 47 - خزانة الشريف المرتضى:

هو أبو القاسم علي الموسوي الحسيني، نقيب الطالبيّين، ولد ببغداد سنة 355هـ/ 965م وكان أوحد زمانه بالادب والعلم، ألّف الكثير من الكتب أشهرها/ الأمالي/ كانت له خزانة كتب نفيسة وهامّة، ذكر أبو القاسم التنوخي، قال: حصرنا كتبه/ يقصد الشريف المرتضى/ فوجدناها ثمانين ألف مجلّد من مصنفاته ومحفوظاته ومقروآته، قال صاحب «عمدة الطالب» ولم أسمع بمثل هذا، يقصد حجم المكتبة - الا ما يحكى عن الصاحب بن إسماعيل بن عبّاد[4].

## 48 - خزانة أبي الحسن الفالي:

هو علي بن أحمد بن سلك الفالي، وفالة: بلدة قريبة من ايذج من بلا د خوزستان، انتقل إلى البصرة فأقام بها مدة وسمع علمائها، ثم قدم بغداد فاستوطنها ومات بها سنة 448هـ/ 1056م[5]، وكان من الثقاة، له معرفة بالأدب والشعر، تحدّث الاوائل عن خزانته، وما حوته من المصادر القيّمة، فقد ذكر الخطيب التبريزي، أبو زكريا، أنه رأى نسخة من كتاب «الجمهرة» لابن دريد، باعها أبو الحسن الفالي بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر بن بديل التبريزي، وحملها إلى تبريز، فنسخت أنا منها نسخة، فوجدت في بعض المجلّدات رقعة بخطّ الفالي فيها:

«أنست بها عشرين حولا وبعتها ... فقد طال شوقي بعدها وحنينيّ

وما كان ظنّي أنني سأبيعها ... ولو خلّدتني في السجون ديوني

ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل شؤوني[6]

---

(1) باب الشعير/ محلة ببغداد - الكرخ - فوق مدينة المنصور - ياقوت: معجم البلدان 1/ 308/ مادة (باب الشعير).

(2) السفط/ وعاء يشبه القفة، أو كالجولق.

(3) تاريخ بغداد 4/ 375 - الترجمة رقم 2247 - وابن كثير البداية والنهاية 12/ 46. والمنتظم 8/ 80.

(4) ابن عنبه/ عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب/ ص206.

(5) تاريخ بغداد 11/ 334 - وكوركيس عواد/ ص235.

(6) الشئون = الدموع، وأصلها طرائق الدمع.

فقلت ولم أملك سوابق عبرة مقالة مشوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أمّ مالك كرائم من ربّ بهنّ ضنين

قال التبريزي: فأريت القاضي أبا بكر الرقعة والأبيات، فتوجّع وقال: لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه، وكان الفالي قد مات[1]، فانظر إلى أي مدى كان الناس يولعون بكتبهم؟!

## 49 - خزانة الخطيب البغدادي:

الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الفقيه الحافظ، أحد الائمة المشهورين، والمصنّفين الكبار المكثرين، توفيّ سنة 463هـ/ 1070م[2]، وكتابه/ تاريخ بغداد/ موسوعة تاريخية وأدبية وفقهية هامة، حيث رصد فيه رجال الحديث وأخبارهم، وما يتعلق بالحياة السياسية في وقتهم، وهذا الكتاب مرجع ومصدر، لا يمكن الاستغناء عنه، بالنسبة للباحث في تاريخ بغداد العباسي في (ق 4هـ) وما قبله. قال المؤتمن الساجي: ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني أحفظ من الخطيب[3]، بلغت كتبه التي ألّفها «ستة وخمسون مصنّفاً» بعيدة المثل، ذكر ياقوت أغلبها[4]، وقد أوقف كتبه على المسلمين وسلمها إلى أبي الفضل بن خيرون، ثم صارت إلى ابنه الفضل، فاحترقت في داره[5].

## 50 - خزانة مسعود بن ناصر الشجري:

واحد من حفّاظ الحديث وعلمائه، أقام مدة في بغداد يدور على الشيوخ ليسمع منهم، قال عنه ابن الجوزي: أنه حصل على كتب كثيرة، ونسخ نفيسة، وكان هو حسن الخط، صحيح النقل، حافظاً ضابطاً، متقناً ومكثراً، وأوقف كتبه في مسجد عقيل[6].

---

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 12/ 228 - 229 - الترجمة رقم 60 - والسمعاني - الانساب 9/ 233 مادة الفالي.
(2) أنظر ترجمته عند ياقوت الحموي - معجم الأدباء 4/ 13 - 45 - الترجمة رقم 2 - والمنتظم لابن الجوزي 8/ 265 - 270 - وتذكرة الحفاظ 3/ 1135 - 1146 - الترجمة رقم 1015/ 14. وشذرات الذهب 3/ 311 - حوادث سنة 463.
(3) معجم الأدباء 4/ 18.
(4) المصدر السابق 4/ 19 - 21 - والمنتظم 8/ 265.
(5) المنتظم 8/ 269 - ومعجم الأدباء 4/ 44 - 45 وبقية المصادر المذكورة في ترجمته، وكوركيس عواد/ ص236.
(6) المصدر السابق 9/ 13 - وكوركيس عواد/ ص237.

## 51 - خزانة غرس النعمة الصابىء:

هو أبو الحسن محمد بن هلال الصابىء، الملّقب بغرس النعمة، وأبوه هلال، المؤرخ المشهور، صاحب كتاب «تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، ورسوم دار الخلافة، والتاريخ، وغير ذلك، ونشأ الابن على غرار أبيه في حبّ العلم والاقبال على التأليف، فصنّف كتباً في التاريخ والادب ومنها كتاب مشهور اسمه (الهفوات النادرة) توفيّ ببغداد سنة 480هـ/ 1087م.

أنشأ غرس النعمة داراً للكتب بالجانب الغربي من بغداد، في شارع ابن أبي عوف، وقد حوت هذه الدار على عدة خزائن من الكتب ذكرتها المصادر، منها: ذكر ابن الجوزى/ في أحداث سنة 452هـ أنه في رجب من هذه السنة، وقف أبو الحسن محمد بن هلال الصابي دار كتب، ونقل إليها نحو ألف كتاب[1] وقد برر غرس النعمة ذلك بسبب معرفي، ينطلق من كونه يحسّ مسؤوليته إزاء الثقافة، فقد ذكر ابن الجوزي أن السبب الذي دعاه إلى ذلك، هو أن الدار التي أوقفها سابور «ابن أرد شير» والمعروفة «بدار العلم»[2] والواقعة بين السورين قد احترقت، ونهب أكثر ما فيها، بعثه الخوف/ يقصد غرس النعمة/ على ذهاب العلم[3]، وهذا الموقف، لا يقفه إلاّ من يدرك أهمية العلم في رفع الحضارة وتقدمها. وقد ذكر ابن كثير، أن غرس النعمة، وقف بهذه الدار 4 آلاف مجلد في فنون من العلوم[4].

وقد رتّب غرس النعمة بهذه الخزانة، خازناً من ذوي المعرفة، يعرف بـ«ابن» الاقساسي العلوي، وتكرر العلماء اليها، إلى الخزانة والدار، سنين كثيرة[5]، وقد كانت هذه الدار ملتقى العلماء والادباء، يتطارحون فيها المعارف ويقيمون فيها ندوات الجدل، فقد ذكر أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي قال: حضرنا يوماً بدار الكتب، التي بشارع ابن أبي عوف، فتذاكرنا أمر العقل وتحسينه وتقبيحه[6]. فانظر مدى أهمية هذه المكتبة للعلم والعلماء والعامة.

---

(1) المنتظم 8/ 216 - وكوركيس عواد/ ص238.

(2) راجع الباب الرابع - الفصل الرابع - من هذا البحث، حيث تطرقنا إلى هذه الخزانة.

(3) ابن الجوزي - المنتظم 8/ 216.

(4) البداية والنهاية 12/ 134.

(5) المنتظم 9/ 42 - 43.

(6) كوركيس عواد/ ص239.

## 52 - خزانة عبد السلام بن بندار القزويني :

هو أبو يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني، الحنفي المعتزلي، المتوفى سنة 488هـ/ 1095م. سمع العلم من القاضي عبد الجبار بن أحمد امام الاعتزال[1]. عرف عنه أنه من كبار المفسرين، فقد فسّر القرآن في عدة مجلدات، قال بعضهم أنه في ثلثمائة مجلّدة، سبعة منها في الفاتحة[2]، ومنهم من قال: أنها سبعمائة مجلّدة[3]، وقد كانت خزانة كتبه واحدة من النوادر، فقد ذكر أبو الوفاء القرشي، أنه حصل كتباً لم يملك أحد مثلها، حصلها من مصر وغيرها، وبيعت كتبه في سنين، زادت على أربعين ألف مجلد، ثم ذكر أنه ورد بغداد/ يقصد القزويني/ ومعه عشرة جمال تحمل دفاتر، وأكثرها بالخطوط المنسوبة/ الثلث والنسخ والديواني وغيرها/ ومن الاصول المخبورة في أنواع العلوم[4].

## 53 - خزانة الحميدي :

هو أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الحميدي، المغربي الاندلسي، المتوفى سنة 488هـ/ 1095م في بغداد، تتلمذ على يد الخطيب البغدادي، كان من أهل العلم والفضل والتيقظ، قال عنه ابن ماكولا : لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم[5] وهو يتمسّك بهذا المنسك عملاً وقولاً، فقد قال[6]:

لقاء الناس ليس يفيد شيئا ... سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو لصلاح حال

يحكي عنه ابن الجوزي فيقول[7] كتب من مصنفات ابن حزم الكثير، وكتب تصانيف الخطيب، وصنّف فأحسن، ووقف كتبه على طلبة العلم، ففتح الله بها. وقد جمع خزانة قيّمة، ورّتب لها «ثبتا» اطلع عليه ابن الجوزي، وشاهد مكتبتهِ بأم عينه[8].

---

(1) ابن حجر العسقلاني - لسان الميزان 4/ 11 - الطبعة الاولى - حيدر آباد - سنة 1330هـ.
(2) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية/ لابن أبي الوفاء القرشي 1/ 316 - طبعة 1 - حيدر آباد - الهند.
(3) السبكي - طبقات الشافعية الكبرى 3/ 230.
(4) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية 1/ 316.
(5) ابن بشكوال/ كتاب الصلة، 2/ 560 - الترجمة رقم 1230/ منشورات الدار المصرية 1966م.
(6) المصدر السابق 2/ 561.
(7) المنتظم 9/ 96.
(8) صيد الخاطر - لابن الجوزي/ ص367/ بعناية محمد أمين الخانجي - ط1، مصر - سنة 1345هـ/ 1927م.

## 54 - خزانة ابن جزلة:

هو أبو علي يحيى بن عيسى بن جزلة، الطبيب البغدادي، المتوفى سنة 473/ وقيل 493هـ/ 1080 أو 1099م، له من التآليف الحسنة في الطب أشهرها: تقويم الابدان، ومنهاج البيان فيما يستعمله الانسان، كان نصرانياً وأسلم على يد القاضي أبو عبدالله الدامغاني، ولما مرض مرض موته، وقف كتبه في مشهد الإمام أبي حنيفة[1].

## 55 - خزانة القاضي أبي الفرج بن أبي البقاء في البصرة:

هو محمد بن عبيدالله بن الحسن بن الحسين البصري، قاضي البصرة، والمتوفى فيها سنة 499هـ/ 1105م[2]، وقد نبّه ابن الاثير إلى هذه الخزانة في سياق حديثه عن نهب وحرق الاسواق في البصرة سنة 499هـ حيث قال: ... ونهبت خزانة كتب كانت موقوفة، وقفها القاضي أبو الفرج بن أبي البقاء[3].

## 56 - خزانة دار الروم في بغداد:

هي، على حدّ وصف ياقوت الحموي لها: بيعة[4] كبيرة، حسنة البناء، محكمة الصنعة، للنسطورية خاصة، وهي ببغداد، في الجانب الشرقي منها، والأصل في هذا الاسم ان أسرى من الروم قدم بهم إلى المهدي وأسكنوا داراً في هذا الموضع فسميت بهم، وبنيت البيعة هناك[5]، كان في هذه الدار خزانة كتب جمعت في أيام بعض الجثالقة، نهبت في وقت ما في زمن الجاثليق/ ماريرصوما/ [6].

## 57 - خزانة أبي سعيد بن المعوّج:

كان هذا الرجل قد تولى ديوان المستظهر بالله، وقد أصابت هذا الرجل محنة، اضطر

---

(1) القفطي/ أخبار الحكماء/ ص239 - 240 - ومرآة الزمان/ لسبط ابن الجوزي/ حوادث سنة 493هـ/ مخطوط.
(2) ابن الجوزي - المنتظم 9/ 147 - 148.
(3) الكامل في التاريخ 10/ 411 - وكوركيس عواد/ ص244.
(4) البيعة/ معبد النصاري، أنظر: تاج العروس - مادة (بيع) باب العين.
(5) معجم البلدان 2/ 511 - مادة - ديرالروم - وكوركيس عواد/ ص246.
(6) كوركيس عواد/ ص246.

معها إلى رهن كتبه على خمسمائة دينار، ثم استفكت الكتب من مال الخليفة بشفاعة ابن الواسطي، طبيب المستظهر(1).

## 58 - خزانة ثابت بن منصور بن المبارك الكيلي:

نسبه ياقوت الى قرية «جيل» ويسمونها الكيل، تقع تحت المدائن، من أعمال بغداد(2)، وصف بأنه من الذين عنوا بالحديث، وقراءة القرآن، وجمع خزانة كتب، توفيّ في سنة 529هـ/ 1034م أو السنة التي قبلها، وقد أوقف كتبه قبل موته(3).

## 59 - خزانة عبد الوهاب الانماطي:

هو أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الانماطي(4)، أحد كبار علماء الحنابلة، ومن كبار شيوخ الحديث، توفي سنة 358هـ/ 1143م، كان من أشهر تلاميذه ابن الجوزي، وقد وقف هذا الاخير على خزانة كتب الانماطي ووقف على ثبتها وقال عنه: أنه كان سهلاً في اعارة الاجزاء لا يتوقف(5).

## 60 - خزانة سعد الخير الأندلسي:

هو أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد المغربي الاندلسي الأنصاري، توفي سنة (541هـ/ 1146م) خرج من الاندلس، وطاف في بلاد كثيرة منها بلاد الصين، وركب البحر وقاسى الشدائد، ودخل بغداد وأقام فيها إلى أن مات، وتفقّه على يد أبي حامد الغزالي، وسمع الحديث من خلق كثير، وقرأ الأدب، وقد حصل له كتباً كثيرة ونفيسة(6).

## 61 - خزانة عبدالله بن علي بن أحمد بن عبدالله:

هو أبو محمد المقرىء، سبط أبي منصور الزاهد، أحد العلماء في القراءات ببغداد توفي فيها سنة 541هـ/ 1146م، قال عنه ابن الجوزي: سمع الشيوخ الكبار، وصنّف كتباً

(1) طبقات الاطباء/ ص344.
(2) معجم البلدان 2/ 202 - مادة (الجيل).
(3) ابن الجوزي - المنتظم 10/ 52 وشذرات الذهب 4/ 93، وكوركيس عواد/ ص247.
(4) الانماطي - نسبة إلى بيع الانماط، وهي الفرش التي تبسط - السمعاني - الانساب 1/ 376.
(5) ابن الجوزي/ صيد الخاطر/ ص367 - وشذرات الذهب 4/ 117 - 118 - وكوركيس عواد/ ص248.
(6) ابن الجوزى/ المنتظم 10/ 121 - وكوركيش عواد/ ص248.

في القراءات، وقرأ عليه الخلق الكثير، وعرفته المساجد، وختم ما لا يحصى، ويقول ابن الجوزي أيضاً: وقرأت عليه القراءات والحديث الكثير، ولم أسمع قارئا قط أطيب صوتاً منه، وجمع الكتب الحسان[1].

## 62 - خزانة محمد بن ناصر البغدادي:

هو أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر البغدادي الحافظ، المتوفى سنة 550هـ/ 1155م. أشرف هذا الرجل على ابن الجوزي، وتولّى سماع الحديث له، ويثبت ما هو صحيح له[2]، وتحدث عنه ابن النجار بالقول: كان ثقة، ثبتا، حسن الطريقة متديناً، فقيراً عفيفاً، نظيفاً نزهاً، وقف كتبه، وخلّف ثياباً خلقة وثلاثة دنانير ولم يعقب[3].

لم تذكر المصادر حجم كتبه ومكتبته، وعلى ما يبدو، أن ضعف حالته الاقتصادية لم تمكّنه من شراء الكثير من الكتب، رغم أن تلميذه ابن الجوزي أشار على أنه اطلع على ثبت كتبه لكنه لم يذكر عنها شيئاً ولو يسيراً[4].

## 63 - خزانة ابن المرخّم القاضي:

هو أبو الوفاء سديد الدين يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر، قاضي قضاة بغداد، أيام المقتفي العباسي، وصَفَهُ ابن الجوزي بأنه «أخذ الرشاء في الحكم» وضرب واستصفيت أمواله وضرب وعذّب، فلم يقرّ، فضرب ابنه فأقرّ بأموال كثيرة، وأحرقت كتبه في الرحبة، وكان منها كتاب الشفاء واخوان الصفاء، وحبس ومات في الحبس سنة 555هـ/ 1160م[5].

## 64 - خزانة ابن التلميذ:

هو أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن التلميذ، الطبيب النصراني النسطوري، المتوفى ببغداد سنة 560هـ/ 1164م، وكان هذا واحداً من أشهر أطباء زمانه، جمع بين المعارف

---

(1) المنتظم 10/ 122.
(2) المنتظم 10/ 162 - 163.
(3) شذرات الذهب 4/ 155.
(4) صيد الخاطر/ ص367 - وكوركيس عوّاد/ ص249.
(5) المنتظم 10/ 194، وابن الأثير: الكامل في التاريخ 11/ 258، حوادث سنة 555، وكوركيس عواد/ ص250.

المتفرقة والعلوم المتباينة من طب وفلسفة وأدب ونحو وترسل وشعر وموسيقى، كانت له خزانة كتب كبيرة، بعضها بخطّه الجميل، فقد كان جيّد الكتابة، يكتب الخط المنسوب، وهو في نهاية الحسن كما يقول ابن أبي أصيبعة، وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي ومتبحراً في اللغة العربية[1]، وقد كانت له كتب قيّمة في الطب وعلومه والادب والشعر وغيره، وقد ذكرها ابن أبي أصيبعة في نهاية ترجمته له[2]. توفيّ عن عمر يناهز الرابعة والتسعين، ومات نصرانياً، وقد خلف نعما كثيرة وأموالاً جزيلة وكتباً لا نظير لها في الجودة، فورث جميع ذلك ولده، وبقي مدة، ثم أن هذا الولد خنق في دهليز داره، وأخذ ماله، ونقلت كتبه على اثني عشر جملاً إلى دار المجد بن الصاحب[3].

## 65 - خزانة ابن الخشاب البغدادي:

هو أبو محمد عبدالله بن أحمد بن الخشاب البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة 567هـ/ 1171م، كان أعلم أهل زمانه بالنحو، وله معرفة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب، والهندسة، وكان يكتب خطّاً مليحاً، وصنّف كتباً عديدة، منها انتقاده على مقامات الحريري[4].

حوى هذا العالم النحوي خزانة كتب قيّمة جداً، وقد ذكر أنه إذا حضر سوق الورّاقين، وأراد شراء كتاب، غافل الناس وقطع منه ورقة، وقال أنه مقطوع، ليأخذه بثمن بخس، وإذا استعار من أحد كتاباً وطالبه به قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه، ولما توفّي أوصى أن توقف كتبه على أهل العلم[5]، وقد ذكر ابن الجوزي أنه وقف على ثبت خزانة ابن الخشاب واطلع على كتبها الكثيرة، والتي تعدّ أحمالاً[6]. وأديب مثل هذا، يتعرض لواحد من مشاهير عصره، كالحريري فحتماً يكون قد أطلع على آداب كثيرة وجمع أمهات الكتب.

## 66 - خزانة ابن الدهّان النحوي:

هو أبو محمد سعيد بن المبارك، المعروف بابن الدهّان النحوي، ولد ببغداد سنة

(1) طبقات الأطباء/ ص349.
(2) المصدر السابق/ ص 371.
(3) نفس المصدر/ ص355. وكوركيس عواد/ ص250.
(4) نشرت هذه الرسالة في نهاية كتاب مقامات الحريري، وردّ عليه ابن بري.
أنظر: مقامات الحريري - الطبعة المصرية الحسينية، 1348هـ/ 1929م.
(5) بغي الوعاة/ ص277.
(6) صيد الخاطر/ ص367. وكوركيس عواد/ ص253.

494هـ/ 1100م بمحلة «نهر طابق» ببغداد، وتوفيّ بالموصل سنة 569هـ/ 1173م، وصف بأنه سيبويه عصره، أورد ياقوت أسماء تصانيفه العديدة - حوالي 20 كتاباً[1]، ذكر الصفدي أن كتبه غرقت في بغداد وهو غائب، فحملت إليه فبخّرها باللاّذن ليقطع الرائحة الرديئة عنها، إلى أن بخّرها بنحو ثلاثين رطلاً من اللاّذن، فطلع ذلك إلى رأسه وعينيه فأحدث له العمى[2].

## 67 - خزانة سبط بن التعاويذي:

هو أبو الفتح محمد بن عبيدالله بن عبدالله الكاتب، المعروف بسبط بن التعاويذي، هو واحد من أشهر شعراء بغداد، ولد سنة 519هـ/ 1125م ومات سنة 583هـ/ 1187م، يشير في ديوانه على أنه كانت له خزانة كتب، ففي القصيدة/ 173/ يشير على بعض الأصدقاء برد كتبه المستعارة منه، وطال عليه الأمد ولم يرد إليه، فقال:

اسأل جمال الدين عن ... حال الكتاب المقترض
إن كان يقبله شكر ... ت قبوله وهو الغرض[3]

وفي القصيدة (315) يشير إلى أن أحدهم استعار كتبا أدبية ولم يردّها عليه أو أخّرها، فقال:

مالي أرى كتبي بغير جناية ... قد طال عندك في الوثاق اسارها
أضحت لديك حبائسا ... أثمانها مجهولة أقدارها

حتى يصل إلى القول:

فامنن عليها بالأياب فما بنت ... عن مثلها أوطانها وديارها
واعطف لغربتها وطول مقامها ... بذراك فهي رقيقة أبشارها[4]

## 68 - خزانة كتب صبيح بن عبدالله الحبشي:

هو واحد من الذين شاركوا بتأسيس وسير عمل مكتبة/ خزانة الوقف بمسجد

---

(1) معجم الأدباء 11/ 219 - 222، الترجمة رقم 68. وصلاح الدين الصفدي/ نكت الهميان في نكت العميان/ ص158 - 159 بعناية د. أحمد زكي - الطبعة الجمالية بمصر سنة 1329هـ/ 1911م.

(2) نكت الهميان/ ص159. وكوركيش عواد/ ص253.

(3) ديوان سبط بن التعاويذي/ ص256 - 257 طبعة مارجليوث، مصر سنة 1903.

(4) ديوانه/ ص483/ وأنظر كذلك كوركيس عواد/ ص254 - 255.

الزيدي[1]، حيث أنه شارك الشريف الزيدي في وقف الكتب بدار دينار في سوق الثلاثاء، وتولّى اعارة كتبها إلى طلاب العلم، إلى أن توفّي ببغداد سنة 584هـ/ 1188م[2].

## 69 - خزانة الحازمي:

هو أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمذاني الشافعي، الملّقب زين الدين الحافظ المحدث، سكن بغداد ومات بها سنة 584هـ/ 1188م، له تصانيف عدّة، ذكرها ابن خلكان[3]، وكانت له خزانة كتب، فرّق كتبها على أصحاب الحديث ببغداد، وهو أمر يدّل على أهمية هؤلاء الرجال في العصور العباسية المختلفة، وهو أمر قد تكرر في أكثر من حال ومقال.

## 70 - خزانة ابن الجوزي:

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، المشهور بابن الجوزي البغدادي، المتوفى سنة 597هـ/ 1200م، واحد من أعلام الثقافة العربية - الإسلامية، علاّمة عصره، برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنّفات الكبار والصغار، حتى بلغت نحو من ثلاثمائة مصنّف، جاء على ذكرها سبط بن الجوزي[4]، فيما ذكر صاحب (شذرات الذهب) أنه سئل عن عدد تصانيفه فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنّفا، منها ما هو عشرون مجلّدا، وأقل، كما ذكر أنه كان يكتب في اليوم أربع كراريس ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين إلى ستين مجلداً[5]، وكان هذا الرجل كثير المطالعة وحب الدرس والمجالس، وواحد بمثل هذه الهمة العالية والشغف بالمطالعة والتأليف، من الطبيعي جداً، أن تكون له مكتبة عامرة تختلف عما عند معاصريه، وكفى به أنّ مصنفاته تشكل مكتبة لحالها[6].

(1) أنظر/ فصل المكتبات العامة من هذا البحث.

(2) مجلة الحضارة/ العدد 34، ص7. وكوركيس عواد/ ص255.

(3) وفيّات الاعيان 4/ 294 - 295.

(4) مرآة الزمان 8/ 312 - 316، مخطوطة الظاهرية.

(5) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 4/ 330، أحداث سنة 597هـ.

(6) أنظر كوركيس عواد/ ص256 - 257.

## 71 - خزانة ابن المارستانية:

هو أبو بكر عبيدالله بن علي التيمي البكري، المعروف بابن المارستانية[1] المتوفى سنة 599هـ/ 1202م، كان أبوه وأمه يخدمان المرضى بالمارستان العضدي، على دجلة بالجانب الغربي من بغداد، وكان هذا الرجل ممّن يعرفون الطب والحكمة وعلم النجوم، وقد صنّف تاريخا كبيراً لبغداد سمّاه (ديوان الإسلام في تاريخ دار السلام)[2].

بنى ابن المارستانية/ وهي نسبته لأمه/ دارا بدرب الشاكرية[3]، وسمّاها «دار العلم»، وجعل فيها خزانة كتب، ووقفها على طلاب العلم.

## 72 - خزانة مبارك شاه بن الحسين المرورذي:

يلقب صاحبها بفخر الدين، كان حسن الشعر بالفارسية والعربية، كانت داره الكائنة في بغداد منتدى أدبيّا، حكى عنها ابن الاثير قائلاً: كان له دار ضيافة، فيها كتب وشطرنج، فالعلماء يطالعون الكتب، والجهال يعلبون الشطرنج[4]، توفى سنة 602هـ/ 1205م.

## 73 - خزانة أبي المعالي أحمد بن هبة الله:

كان أبو المعالي من بيت معروف بالرواية والعدالة، روى الحديث عن جماعة، وكتب بخطّه كثيراً من الكتب الكبار كطبقات ابن سعد ومسند أحمد بن حنبل وصحيح البخاري، وكتاب الأغاني وغير ذلك. وشخص بمثل هذه الهمة العالية لا شكّ أنه كان يملك مكتبة نفيسة، تسعفه بمطابقة معلوماته عن تلك الكتب التي نسخها، توفى أبو المعالي ببغداد سنة 603هـ/ 1206هـ[5].

---

(1) راجع د. مصطفى جواد: دور العلم العراقية في العصور العباسية، مجلة عالم الغد 1/ 1945، العدد 10 - ص298 - 299. وكوركيس عواد/ ص259.

(2) أبو شامل/ ذيل الروضتين/ ص34، أحداث سنة 599هـ، نشرة عزت العطار الحسيني - دار الجيل، بيروت 1974 - ط2.

(3) أحد الاحياء الشعبية بالكرخ ناحية كرادة مريم، قرب القصر الجمهوري - هدّمت بعد عام 1963م، بها كانت طفولتي.

(4) الكامل في التاريخ 12/ 242 - 243، أحداث سنة 602هـ.

(5) كوركيس عواد/ ص260 - 261.

## 74 - خزانة الحربوي:

هو أبو الحسن علي بن رشيد بن أحمد بن محمد بن حسين الحربوي، قدم بغداد وأقام بها، وصار وكيل الناصر لدين الله، أخذ الخط عن طريقة ابن مقلة، وكتب الكثير، توفيّ سنة 605هـ/ 1208م[1] جمع خزانة كتب، حيث عرف عنه أنه كان محبّاً للكتب[2].

## 75 - خزانة قثم بن طلحة الزينبي:

هو أبو القاسم قثم بن طلحة الزينبي، المعروف بابن الاتقى، المتوفى سنة 607هـ/ 1210م، عرف عنه أنه كان فاضلاً متميزاً عارفاً بالعلم حريصاً عليه، خصوصاً ما يتعلّق بالانساب والاخبار والاشعار، وجمع ذلك جموعاً، وجعله بين الناس، وكتب بخطّه كتباً كثيرة[3].

## 76 - خزانة الحسن بن حمدون:

هو أبو سعد تاج الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون، المتوفى سنة 608هـ/ 1211م أحد العلماء الأدباء، وليّ عدة ولايات، منها، النظر في البيمارستان العضدي، وكتابة السكة بالديوان العزيز ببغداد، يعود نسبه إلى سيف الدولة الحمداني[4].

وذكر ياقوت، أنه كان من المحبين للكتب واقتنائها، والمبالغين في تحصيلها وشرائها، وحصل له من أصولها المتقنة وأمهاتها المعينة ما لم يحصّل أحد، ويضيف ياقوت: تقاعد به الدهر، وبطل عن العمل، فرأيته يخرجها، ويبيعها وعيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله الاعزاء، والمفجوع بأحبابه الأودّاء، فقلت له - والكلام لياقوت: هوّن عليك - أدام الله أيامك - فإن الدهر ذو دول، وقد يسعف الزمان ويساعد، وترجع دولة العزّ وتعاود، فتستخلف ما هو أحسن منها وأجود، فقال: حسبك يا بني: هذه نتيجة خمسين سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها[5]، ويكفي هذا النص للدلالة على وله هذا الشيخ وحبّه للكتب، فقد أفنى العمر بجمعها، فكيف تكون مكتبة عمرها خمسون سنة تجمع فيها الكتب وترقد؟!

---

(1) شذرات المذهب 5/ 17. وكوركيس عواد/ ص261.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان 2/ 237 - 238، مادة حربي.

(3) كوركيس عواد/ ص262.

(4) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 9/ 184 - 185، الترجمة رقم 14، وكوركيس عواد/ ص262.

(5) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 9/ 186.

## 77 - خزانة مسيحي بن أبي البقاء:

يكنى أبي الخير، ويعرف بابن العطار الطبيب النصراني، أصله من بلدة النيل/ بليدة بسواد الكوفة/ في العراق، قدم بغداد، وسكنها، كان خبيراً بالعلاج قيّما به، له ذكر وقرب من دار الخلافة، يطبب النساء والحواشي، ويطأ بساط الخليفة[1]، توفيّ سنة 608هـ/ 1211م، عرف عنه أنه كان يقتني الكتب الكثيرة وأغلبها في الحكمة وما يتعلق بها، بحيث خرجت في الكثير عن الحَصر كما يقول القفطي[2]، وكانت له طريقة في شراء الكتب كتلك التي كان يمارسها ابن الخشاب، قيل أنه كان إذا وقعت في يده نسخة من كتاب، وخشي المزايدة فيه يخرمه لينقص قيمته ويبتاعه، واشتهر هذا عنه، ورموه بقلة الدين لأجل ذلك[3].

## 78 - خزانة عبد السلام الجيلي:

هو عبد السلام بن عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست بن أبي عبدالله الجيلي البغدادى، المدعو بالركن، المتوفى سنة 611هـ/ 1214م[4]، كان متهماً بالفلسفة ومخاطبة النجوم، ووجد عنده كتب بذلك، كما يقول ابن كثير[5]، مدحه القفطي، رغم أن السابقين اتهموه بالمجون والخمر والغلمان، فقال عنه: قرأ علوم الأوائل وأجادها، واقتنى كتبا كثيرة في هذا النوع، واشتهر بهذا الشأن شهرة تامّة، وله تقدم في الدولة الامامية الناصرية،/ أي الناصر لدين الله/ وحصل له بتقدمه حسد من أرباب الشرّ، فثلبه أحدهم بأنه معطل وأنه يرجع إلى أقوال أهل الفلسفة في قواعد هذا الشأن، فأوقع به وكتبه، فوجد فيها الكثير من علوم القوم، وبرزت الأوامر من الخليفة بإخراجها إلى موضع ببغداد يعرف بالرحبة، وأن تحرق بحضور الجمع الجم[6]، وكانت هذه من الأمور السوداء في تاريخ الثقافة العباسية، ووصمة عار على من يقفون بوجه العلم، وقد أورد تفاصيل محنته ابن العماد الحنبلي في «الشذرات» حيث قال: جرت عليه محنة في أيام الوزير ابن يونس، حيث كبست دار عبد السلام، وأخرج منها كتباً من كتب الفلاسفة ورسائل اخوان الصفاء،

(1) القفطي/ أخبار الحكماء ص218. وكوركيس عواد/ ص263.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان 8/ 374.
(5) البداية والنهاية 13/ 68.
(6) القفطي: أخبار الحكماء/ ص154.

وكتب السحر، والنارنجات[1]، وعبادة النجوم، واستدعى ابن يونس العلماء والفقهاء والقضاة والأعيان، وكان ابن الجوزي معهم، وقرىء في بعضها مخاطبة زحل بقول: أيها الكوكب المضيء المنير، أنت تدبر الأفلاك وتحيي وتميت، وأنت إلهنا. وفي حق المريخ من هذا الجنس، وعبد السلام حاضر، فقال ابن يونس: هذا خطّك؟ قال: نعم، قال: لم كتبته؟ قال: لأرد على قائله ومن يعتقده. فأمر بإحراق كتبه، فجلس قاضي القضاة والعلماء وابن الجوزي معهم، على سطح مجاور لجامع الخليفة يوم الجمعة، وأضرموا ناراً عظيمةً تحت المسجد، وخرج الناس من الجامع فوقفوا على طبقاتهم، والكتب على سطح المسجد، وقام أبو بكر بن المارستانية، وكان بينه وبين الجيلي عداوة وبغيضة، فجعل يقرأ كتاباً كتاباً، من مخاطبات الكواكب ونحوها ويقول: العنوا من كتبه ومن يعتقده، وعبد السلام حاضر، فتصيح العوام باللعن، فتعدى اللعن إلى الشيخ عبد القادر وإلى الإمام أحمد، وظهرت الأحقاد البدرية، ثم حكم القاضي بتفسيق عبد السلام، ورمي طيلسانة، وأخرجت مدرسة جده من يده ويد أبيه عبد الوهاب، وفوّضت إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي. قال ابن القادسي، بعد ذكر ذلك، ثم أودع عبد السلام الحبس مدة، ولما أفرج عنه، أخذ خطه بأنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الإسلام حق، وما كان عليه باطل. ثم لما قبض على ابن يونس، ردّت مدرسة الشيخ عبد القادر إلى ولده عبد الوهاب، وردّ ما بقي من كتب عبد السلام، التي أحرق بعضها[2].

ثمة أمر يدعو للدهشة حقاً، هو أن الأحقاد الشخصية النابعة من مصلحة ذاتية بحتة، وقد يكون مبعثها حسد على نعمة، أو طمع في منزلة المحسود، تطغى على بعض عقول تلك الفترة، وتدعوهم أحياناً إلى ضرب الأيمان عرض الحائط، فتتراجع العقيدة أمام الشريعة، ويحدث شرخ إيماني كبير، حتى أن المؤمن يطعن بإيمانه، وما مسألة عبد السلام الجيلي، إلاّ توكيداً لذلك. فقد علّق القفطي على هذه الحادثة بالنص التالي: قال: أخبرني الحكيم السبتي قال: كنت ببغداد يومئذ تاجراً، فحضرت المحفل/ يقصد حرق الكتب/ وسمعت كلام ابن المارستانية، وشاهدت في يده كتاب - الهيئة، والنازلة الصمّاء، والمصيبة العمياء. وبعد تمام كلامه حرقها وألقاها في النار. قال: فاستدللت على جهله وتعصّبه، إذ لم يكن في الهيئة كفر، وإنما هي طريق إلى الايمان[3]. وهذه الحال تكررت في كثير من الأزمان، ولا زالت سارية المفعول، للأسف في عصرنا هذا.

(1) النارنجات = يقصد بها كتب السحر والرقى، وهي لفظة فارسية.
(2) شذرات الذهب 5/ 45 - 46. وكوركيس عواد/ ص266.
(3) أخبار الحكماء/ ص154.

## 79 - خزانة ابن البرفطي:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن حمزة بن بريك الانصاري الدسكري، المعروف بابن البرفطي، والدسكرة، قرية من قرى نهر الملك، وبرفطا، هي أيضاً قرية من قرى نهر الملك، فغلب عليه هذا الاسم[1]. ولد البرفطي ببغداد سنة 566هـ/ 1171م، وتوفي سنة 625هـ/ 1228م. برزت لديه نزعة جمالية تمثلت باقتنائه الخطوط المنسوبة، فقد عثر في مكتبته، بعد وفاته، على 25 قطعة بخط ابن البوّاب[2]، لم تجتمع عند كاتب غيره، وكان يغالي في شرائها كما يقول، وقد تمتّع بسلامة الخط العربي وحسنه وجماله، لذلك عدّه ياقوت بأنه «أوحد عصره في خطّ - التحرير - وقد تخرّج به خلق كثير، وسافر إلى دمشق، وكتب عليه كتّابها[3]، ونظرته الجمالية إلى الخط دعته إلى أن يقيّم عالياً ويثمّن غالياً، بعض الجذاذات الورقيّة لخط ابن البوّاب، رغم البائع كان يقترح عليه سعراً بخساً جداً، وكان يقول: والله لا جعلت حقّ خط ابن البوّاب أن يشترى بالمخادعة[4]، ودفع مبلغ ثلاثة دنانير أماميّة، وهو المبلغ الذي اقترحه هو نفسه، إكراماً لصاحب الخط.

## 80 - خزانة علي بن البوري:

كان هذا الرجل شيخاً من شيوخ الصوفية وأعيانهم، ينسب إلى قرية قرب/ عكبرا/ تدعى «بورى»[5]. اضطربت حياته بين السعد والنحس، كان لهذا الشيخ اهتماماً بالكتب والاطلاع عليها، وحفظ ما يستحسنه منها[6].

## 81 - خزانة ابن النجّار:

هو الحافظ والمؤرخ والأديب محب الدين بن محمود، المعروف بابن النجار البغدادي، المتوفى سنة 643هـ/ 1245م، كان من جلّة المؤلفين، صنّف كتبا كثيرة، تزيد على 40 كتاباً، منها «تاريخه الكبير لمدينة بغداد»، حيث جعله ذيلاً على تاريخ مدينة

(1) ياقوت الحموي/ معجم الأدباء 17/ 277 - 278.

(2) له ترجمة واسعة في/ الخطاطون/ من هذه الدراسة.

(3) معجم الأدباء 17/ 278 - 279.

(4) راجع تفاصيل ذلك عند ياقوت: معجم الأدباء 17/ 280 - 281.

(5) ياقوت - معجم البلدان 1/ 506 - مادة (بورى). وكوركيس عواد/ ص268.

(6) الحوادث الجامعة/ ص146.

السلام للخطيب البغدادي، قال عنه ابن الساعي: أنه كان يحرز خزانة كتب كبيرة[1]، وقد أوقف هذه الكتب على المدرسة النظامية ببغداد تعادل قيمتها ألف دينار[2].

## 82 - خزانة رضي الدين ابن طاوس:

هو السيد الأجل رضيّ الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن الطاوس، المولود سنة 589هـ/ 1193م، والمتوفى سنة 664هـ/ 1265م، كان واحداً من المؤلفين البارزين، فقد ألّف كتباً عديدة، بلغت نيّفا وثلاثين كتاباً، وكانت له خزانة كتب احتوت على ألف وخمسمائة كتاب[3].

## 83 - خزانة عز الدين الفاروثي:

عرف بالتصوّف والزهد، وهو من أهل «الفاروث» تلك القرية الواقعة على شاطىء دجلة بين واسط والمذار[4]، مات بواسط سنة 694هـ/ 1294م، ذكر ابن كثير أنه «خلّف ألفين ومائتي مجلّد وغيرها[5].

## 84 - خزانة معاوية الموصلي البغدادي:

هو عز الدين أبي محمد الحسن بن يوسف بن الحسن، المعروف بمعاوية الموصلي البغدادي الفقيه، وصفه ابن الفوطي بأنه كان كثير المحفوظ ودمث الاخلاق، شديدا في التعصّب للسنّة، قدم بغداد ورتّب فقيها بالمستنصرية في الطائفة الاحمدية/ نسبة إلى أحمد بن حنبل/ كتب بخطّه الكثير واقتنى كتبا كثيرة، كثير المطالعة، يحفظ الاشعار ويستشهد بها في مواضعها[6].

---

(1) المصدر السابق/ ص205 - 206.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية 13/ 169.

(3) الذريعة إلى تصانيف الشيعة 1/ 58، الترجمة رقم 290 - باب «أبا» منشورات دار الاضواء بيروت 1983م.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان 4/ 299 - مادة (فاروث).

(5) البداية والنهاية 13/ 342. وكوركيس عواد/ ص271.

(6) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب - الجزء الرابع 1/ 112، الترجمة رقم 124 - تحقيق الدكتور مصطفى جواد. وكوركيس عواد/ ص272.

## 85 - خزانة عليّ بن أحمد بن يوسف بن الخضر - الآمدي - الحنبلي:

عرف عن هذا الرجل معرفته بتعبير الرؤيا وبمعرفة لغات مختلفة، فبالاضافة إلى معرفته الجيّدة بالعربية كان يعرف اللسان المغولي والتركي والفارسي والرومي[1]، توفي ببغداد سنة 712هـ/ 1312م، كان هذا الشيخ قد أضرّ في أوائل عمره، ومع ذلك كان شديد المعرفة بكتبه، حيث كان يمسّ الكتاب مسّا ويستخرجه من بين صفوف الكتب ثم يقول: يشتمل هذا الكتاب على كذا وكذا كراسة، فيكون الأمر كما قال، وإذا مرّ يده على الصفحة، قال عداد أسطر هذه الصفحة كذا وكذا سطرا، وفيها بالقلم الغليظ كذا، وغير ذلك، ويعرف أثمان جميع كتبه التي اقتناها بالشراء، وكانت كثيرة جداً[2].

## 86 - خزانة ابن الفوطي:

هو كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد، المعروف بابن الفوطي البغدادي، كان في طليعة مؤرخي عصره، عرف بحسن التأليف ووفرته ونفاسته، ولد ببغداد سنة 642هـ/ 1244م، ومات بها سنة 723هـ/ 1323م، ألّف الكثير، وضاع أغلبها، ووصل إلينا فقط «الحوادث الجامعة»، والمجلد الرابع من «تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب».

ساعدته خبرته وظروفه على تنظيم الكتب والنظر في أمورها، فلقد باشر خزانة الكتب بمراغة، وقد ذكر أن عددها كان أربعمائة ألف مجلّد، واطلع على نفائس الكتب، وأقام بها بضع عشرة سنة، ثم عهد إليه بالاشراف على خزانة كتب المستنصرية، فظل على ذلك إلى أن مات، كما أنه كان من خطاطي عصره المعروفين، إذ ذكر ابن حجر العسقلاني أنه «كان له نظم حسن وخطّ بديع جداً، ويقول: ملكت بخطه خريدة القصر للعماد الكاتب، في أربع مجلدات في قطع كبير، جمع هذا المؤرخ الأديب خزانة كتب ثمينة، احتوت على كل طريف ونفيس من كتب التاريخ والتراجم والأدب والحديث والفقه وغيره، وكان منزله وخزانته هذه في بغداد، وكانت ملتقى طلبة العلم ومجتمع الطبقة المهذبة من البغداديين وغيرهم، وقد أشار في «معجمه» إلى زوّاره وزوار خزانته من العلماء والأعيان، أو من المعجبين بمؤلفاته والمتنافسين في اقتفاء آثاره في شتى المواضيع[3].

---

(1) نكت الهميان/ ص206 - 207.

(2) المصدر السابق/ ص207 - 208. وكوركيس عواد/ ص272 - 273.

(3) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 2/ 364 - 365 - الترجمة رقم 241 - ط1 حيدر آباد - الدكن، سنة 1349هـ. وشذرات الذهب 6/ 60 - 61 - أحداث سنة 723هـ. وكوركيس عواد/ ص274.

## 87 - خزانة قوام الدين الشيباني:

هو قوام الدين علي بن عبدالله الشيباني النعماني البغدادي الواعظ الخطيب الكتبي، قال عنه ابن الفوطي: من بيت معروف بالرياسة والعدالة والتصرّف والقضاء، كان عارفاً بخطوط المصنّفين وبقية الكتب، واقتنى كتباً نفيسة، وسافر إلى الشام، وكان يعرض على ابن الفوطي ما يحصل له، وهذا يعني أنه معاصره، لذلك لم يذكر وفاته ولا سنة ولادته، وابن الفوطي توفي سنة 723هـ/ 1323م، فلربما مات بعده[1].

## 88 - خزانة ابن عبد الحق:

هو صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي، المولود سنة 658هـ/ 1359م، والمتوفى سنة 739هـ/ 1338م، اشتهر بوقوفه الحسن على فروع العلم المختلفة، كالهيئة والحساب والهندسة والفرائض، والفقه والأدب والنحو، وكان ينظم الشعر ويكتب الخطّ المنسوب، وقد ألف جملة كتب، أشهرها/ مراصد الاطلاع في أسماء الامكنة والبقاع/ وجمع خزانة كتب، وأوقفها على المدرسة المجاهدية[2].

## 89 - خزانة ابن الثردة:

هو عليّ بن إبراهيم بن علي بن يعقوب بن عبد المجيد بن وفاء علاء الدين الواسطي البغدادي، ثم الدمشقي، المعروف بابن الثردة، وقيل ابن الفردة، ولد سنة 697هـ/ 1297م، وتوفي سنة 750هـ/ 1349م، تعاطى الآداب والوعظ، وتغيّر في آخر عمره بالسوداء وهو مع ذلك ينظم الشعر وألحق بعقلاء المجانين.

أحرز خزانة كتب، سرق منها الكثير، فقد كان يدعي أنه سرق له ببغداد من الكتب بقدر ألفي مجلّدة، وأن جماعة من التجار باعوها بدمشق، ولم يجد من يشهد له ولا من يناصره، فازداد تألمه لذلك، وتمكن اختلاطه، وكان لا يقبل من أحد شيئاً، بل من أعطاه شيئاً لما يرى من سوء حاله يقول له: أنت ممّن سرق كتبي فتريد تبرطلني[3]، وقد ساءه

---

(1) معجم الألقاب - الجزء الرابع 4/ 810 - الترجمة رقم 3095. وكوركيس عواد/ ص275.

(2) الدرر الكامنة 2/ 418 - 419 - الترجمة رقم 2526. وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي 2/ 411 - 412 وما بعدها الترجمة رقم 309، تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر. وكوركيس عواد/ ص276.

(3) الدرر الكامنة 3/ 8 الترجمة رقم 11، وفوات الوفيات 2/ 463 - 466، الترجمة رقم 333. وكوركيس عوّاد/ ص276.

تلك الحال من أهل دمشق، فكتب إلى نائب الشام قصيدة يشكو حاله فيها أوّلها[1]:

يا نائب السلطان لا تك غافلاً عن قتل قوم للظواهر زوّقوا
ما هم تجار بل لصوص كلّهم فأمر بهم أن يقتلوا أو يشنقوا
وأراك لا تجدي إليك شكاية إلا كأنّك حائط لا ينطقُ
لا تعف عن قوم سعوا بفسادهم في الأرض بغيا منهم وتخرقوا
واكشف ظلامة من شكا لك خصمه فالحق حقّ واضح هو مشرقُ

وهي قصيدة طويلة، وقد أورد له ابن شاكر الكتبي الكثير من أشعاره الظريفة في ترجمته، «بفوات الوفيات»[2].

## 90 - مكتبة علي بن عيسى الرُمّاني:

صاحب هذه المكتبة هو «علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرمّاني»، أصله من «سَرَّ من رأى» وولد في بغداد سنة 296هـ، وبها توفي سنة 384هـ.

كنيَتُهُ أبو الحسن الورّاق[3]، كان إماماً في اللغة العربية، وعَلاّمة في الأدب في طبقة أبي علي الفارسي والسيرافي، تتلمذ على يد ابن السرّاج والزجّاج وإبن دريد[4]، كان يمزج كلامَهُ في النحو بالمنطق، حتى قال أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرُمّاني، فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحنُ، فليس مَعهُ منه شيء، وكان يُقال: النحويون في زماننا ثلاثة: واحد لا يَفهم كلامهُ وهو الرمّاني، وواحد يُفهم بعضُ كلامه، وهو أبو علي الفارسي، وواحد يُفم جميع كلامهُ بلا أستاذ وهو السيرافي[5].

تُفصح مصادر ترجمته أنَّهُ كان معتزليّاً، تتلمذ على يد الإخشيد المتكلم المعتزلي، وسار على مذهبه[6].

إشتغالهُ بالوراقة، وفرّ لهُ الأجواء العلمية والأدبية واللغويّة، ناهيك عن إعتناقه لمذهب المعتزلة، الأمر الذي يُملي عليه كثرة القراءة والمطالعة والتأليف، إضافة إلى كونه

(1) الدرر الكامنة 3/ 9.
(2) راجع - فوات الوفيّات 2/ 464 - 466.
(3) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 14/ 73، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي/ ص130.
(4) أنظر ترجمتنا له في كتابنا/ ورّاقو بغداد في العصر العباسي/ ص452 - 453.
(5) بغية الوعاة/ ص334.
(6) معجم الأدباء 14/ 74. وأنباه الرواة 2/ 294.

قد عاصر نهوض الحضارة العباسية في مطلع (ق 4هـ) واهتماماته العلمية، جَعلتهُ مقصد العلماء للتزود منه والأخذ عنه والتتلمذ عليه، حتى أن التوحيدي دائم الذكر لَهُ في «المقابسات»[1]، ونقل عَنهُ أشياء كثيرة، حتى أن مصادر ترجمته ذكرت عدد مؤلّفاته فقط أنها تزيد على مئة مؤلف[2]، وكان الورّاقون والمستملون يأخذون عنه الكثير حتى أن ياقوت الحموي يقول: «أن أكثر ما يُصنِّفَهُ كان يؤخذ عنهُ إملاءً»[3].

قال التوحيدي: «رأيت في مجلس علي بن عيسى النحوي رَجُلاً من مرو يسأله عن الفرق بين (من وما) و(مَنْ ومِمَّ) فأوسع لَهُ الكلام وبيّن وقسَّم وفرّق، وحَدَّ ومثَّل، وعَلَّق كل شيء منه بشرطه، من غير أن فهم السائل أو تصوّر، وسأله إعادته عليه وإبانته له، ففعل ذلك مِراراً من غير تصوّر حتى أضجرهُ»[4].

الغريب في الأمر، أن غالبية المؤرخين لم يعرّجوا على ذكر «مكتبته» الخاصة لأن شهرته كعالم وورّاق طغت على بقية «خصوصياته» فكيف تذكر المصادر أن مؤلفاته أكثر من مئة، ولم تذكر شيئاً عن مكتبته؟! ونحن نعتقد بأن عالماً كهذا المستوى من العلم والتأليف، تكون لديه/ قطعاً/ مكتبة كبيرة خاصة، يستفيد منها في كل ما ألّف وكتب، وحاضر وناقش، فهو أحد أعلام القرن الرابع الهجري.

## 91 - مكتبة فخر الدين الطبسي:

هي تلك المكتبة التي اوقفها «فخر الدين الطبسي» على المدرسة المستنصرية ببغداد، وكان الطبسي، عالماً فاضلاً كريم الأخلاق، لطيف المحاضرة ظاهر البشر، كان جيّد الخط مليحَهُ، كتب الكثير بخطّهِ الصحيح وضَبطهُ، قدم بغداد، ورُتّب فقهياً في المدرسة المستنصرية، ثم انتقل إلى الاعادة، واقتنى كُتُباً نفيسة، أكثرها بخطّهِ ووقفها على خزانة المستنصرية وشرط فيها الذي شرطه الإمام المستنصر، واستفاد الناس بها»[5].

## 92 - مكتبة الطبيب ابن جزلة:

هي تلك المكتبة التي أوقفها صاحبها الطبيب يحيى بن عيسى ابن جزلة، حيث أوصى

---

(1) أبو حيّان التوحيدي: المقابسات ص186. المقابسة رقم (30).

(2) أنظر كتابنا/ ورّاقوا بغداد في العصر العباسي/ ص454 - 458.

(3) معجم الأدباء 14/ 76.

(4) المصدر السابق 14/ 77 - 78.

(5) د. ناجي معروف/ تاريخ علماء المستنصرية/ ص161، منشورات مطبعة العاني بغداد 1959م.

- قبل وفاته - أن تُوقف كتبه وخزانته، على مسجد أبي حنيفة ببغداد، وتوفي هذا الطبيب سنة 492هـ.[1].

## 93 - مكتبة البيمارستان العضدي في بغداد:

«البيمارستان» لفظ فارسي مركّب من «بيمار» بمعنى مريض و«ستان» بمعنى «محل» والمصطلح يكون (محل المرضى) أي المستشفى[2].

أنشىء، البيمارستان العضدي في بغداد من قبل السلطان عضد الدولة البويهي وسمي باسمه، كان فيه 24 طبيباً، بينهم الطبائعي والجرّاح والكحّال والمجبّر[3].

وفي هذا البيمارستان عدّة خزائن للأدوية وغيرها، وألحقت فيه «خزانة كتب» يطالع فيها الأطباء كتب العقاقير الطبيّة وغيرها[4].

## الفصل الخامس

# أثر المكتبات على المجتمع العباسي

استعرضنا في الفصول السابقة، حالة التطور الثقافي والمعرفي والحضاري التي وصلت إليها الحضارة العباسيّة، في مختلف عصورها، والتي استمرت ناهضة حتى سقوط بغداد على يد المغول سنة 656هـ، وقد ارتسمت أمامنا هالة حضارية مهيبة تجسّدت في هذا الكم الهائل من المكتبات، فلقد بلغت مكتبات الخلفاء حوالي 14 مكتبة وبلغت مكتبات الوزراء أكثر من 11 مكتبة، فيما زاد عدد المكتبات العامة على 21 مكتبة، وسجلت ظاهرة - المكتبات الخاصة - حالة متطورة جداً ربت على 90 مكتبة.

إنَّ هذا التطوّر الثقافي الملحوظ، سيجد انعكاساته الايجابية على حياة المجتمع،

---

(1) إبن خُلكان: وفيات الأعيان 5/ 311.

(2) انظر: المعرّب للجواليقي، مادة (بيمارستان) وراجع د. أحمد عيسى في كتابه/تاريخ البيمارستانات في الإسلام/ ص7، طبعة القاهرة.

(3) انظر: ميخائيل عواد/ صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي/ فصل خاص عن المستشفيات ص110 - 112 وما بعدها، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1986م.

(4) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص145.

كضرورة تاريخية لهذا الواقع، أفرزت معها ظاهرة أكثر ايجابية، نعني بها ظاهرة الورّاقين، كصنف يلبّي حاجات المجتمع الروحية، على الصعيد الثقافي - الحضاري، من خلال مهنة الوراقة[1]، ولقد كان لهؤلاء الورّاقين أثر واضح في ازدياد هذه المكتبات وانتشارها في أغلب أمصار الخلافة العباسية، رغم أن التركيز كان في داخل العراق، ولا سيما عاصمة الخلافة العباسية، بغداد، ولقد لعبت هذه المكتبات دوراً حضارياً بارزاً في رفع الوعي الثقافي لدى جمهور الناس، من مختلف الطبقات، وكان تأثيرها شاملاً على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والديني، والأخلاقي حتى، ورغم حالة التفاوت لهذا الانعكاس عند الناس، إلا أنها في المحصلة النهائية كانت علامة بارزة لهذا التطور الحضاري الهائل.

لكن رغم هذا الصعود الحضاري العظيم، فقد وجدت بعض الظاهرات السلبية التي كان لها دور في فقدان بعض الكتب في العلوم والمعارف المختلفة، من أبرز هذه المؤثرات كان الدافع السياسي والديني، فلقد برزت ظواهر سلبية، أضاعت علينا، جملة من الكتب، كان يمكن الاستفادة منها في رفد الحضارة العربية - الإسلامية قاطبة، ومن أشهرها كانت ظاهرة - حرق الكتب، وإغراق الكتب، ودفن الكتب، وغسل الكتب، وهو أمر محزن كان يمكن تلافيه، لو أن القائمين على إصدار القرار كانوا قد تمتعوا بشيء من الموضوعية وحسّ المسؤولية، ولكن وقع ما وقع.

فعلى الصعيد الثقافي - الحضاري، برزت عدة علامات، تركت بصماتها على تاريخية التطور في المجتمع العباسي خاصة، والمجتمع العربي - الإسلامي عامّة، كان الجاحظ يتربع على عرش الصدارة في هذه العلامات، فاعلاً بعقله وقلمه، محرّضاً مرّة، وداعية مرة أخرى، فلقد برّ بعلمهِ وثقافته الأولين والآخرين، والمتقدمين عليه، واللاحقين به، حتى صار اسمه علامة دالة على الوعي والثقافة، فهو كان العاشق الاول للكتب دون منازع، فلقد كان يحثّ الناس على اقتناء الكتاب والعناية به، مشيراً إلى فضيلة ذلك بقوله[2]: «والكتاب قد يفضل صاحبه، ويتقدم مؤلفه، ويرجّح قلمه على لسانه بأمور منها: أن الكتاب يقرأ بكل مكان، ويظهر ما فيه على كل لسان، ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الاعصار، وتباعد ما بين الامصار. ويضيف: وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه، ويذهب العقل ويبقى أثره». هذا النص للمتلقي الواعي دافع ما دونه دافع، وأداة تحريض معرفية، صادر من رجل أفنى حياته في الكتاب، يريد بهذا النص موقفاً حضاريّاً - معرفيّاً، اقتناء

(1) سوف نتحدث بتفصيل أكثر عن الوراقة والورّاقين في الفصول القادمة.
(2) أنظر: الحيوان 1/ 85، طبعة عبد السلام هارون ط2.

الكتاب والحفاظ عليه من جهة، ومن جهة أخرى - وهي الأبلغ - فهم ما فيه واستيعابه، حتى يكون القارىء أو الكاتب، أداة وصل بينه وبين معاصريه ولاحقيه، وربطهم بمن سبقوا، لذلك يشير مرة أخرى[1]: «ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها، وخلّدت من عجيب حكمتها، ودونت من أنواع سيرها، حتى شاهدنا بها ما غاب عنّا، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلا بهم، لقد خسّ حظنا من الحكمة، ولضعف سببنا إلى المعرفة»، ومن هنا نلاحظ أن الجاحظ ينظر إلى العملية المعرفية، تواصل وتوصيل، تواصل الماضي بالحاضر، وتوصيل الحاضر بالمستقبل بعملية متسلسلة زمنياً وثقافياً، وهو بهذا يضع أسساً علمية لمنهج ثقافي - نقدي، سار عليه معاصروه ومن جاء بعده، هذا على الصعيد المعرفي، وعلى الصعيد الشخصي - كان الجاحظ يقدم سلوكاً نموذجياً للمهتدين بقارعة الكتاب، فقد كان يقرأ أي كتاب يقع في يده، ويكترى دكاكين الورّاقين، ويبيت للنظر فيها[2]، وهو بهذا المسلك يحاول أن يجعل القارىء يندفع بكل طاقة للتوحد مع المعرفة والكتاب، ولا يتوقف عند هذا الحد، بل يتجاوزه إلى غيره، حيث يسقط المنظور العلمي - الثقافي، على الواقع الاجتماعي، ومن زاوية الكتاب نفسها، زيادة في الترغيب والحضّ على اقتناء الكتاب وتأليفه.

يقول[3]: «إن من شكر النعمة في معرفة مغاوى الناس ومراشدهم، ومضارهم ومنافعهم، أن يحتمل ثقل مؤنتهم في تقويمهم، وأن يتوخى ارشادهم وأن جهلوا فضل ما يسدى اليهم، فلن يصان العلم بمثل بذله، ولم تستبقى النهمة فيه بمثل نشره»، وبعد هذا التوجيه والارشاد يؤكد الجاحظ على قارئه، التمسّك بمنهج القراءة، لأنها السبيل الأنجع في اكتساب المعرفة، يقول: إن قراءة الكتب أبلغ في ارشادهم من تلاقيهم، إذ كان مع التلاقي يشتدّ التصنّع، ويكثر التظالم، وتفرط العصبية، وتقوى الحميّة، مع الاستحياء من الرجوع، والأنفة من الخضوع[4].

وهذا الكشف النفسي لاعمال الذات البشرية، كان الجاحظ أكثر إدراكاً له من غيره، لذلك كان يركّز على القراءة ويحضّ عليها، ثم يضع بعد ذلك أسساً نقديّة للكتّاب يسيرون عليها بغية رفع الوعي عند الناس[5]، وبمسألة المعرفة بالكتاب، فإن الجاحظ يظل يضرب

(1) أنظر: الحيوان 1/ 85، طبعة عبد السلام هارون ط2.
(2) الفهرست/ ص169.
(3) الحيوان 1/ 84.
(4) المصدر السابق نفسه.
(5) الحيوان 1/ 88 - 89.

على الوتر المعرفي فيه، فيسقط المدلولات الروحية على منظوراتها الزمنية، منطلقاً من الوازع الديني، الذي ينتظم الناس في أفقه الآيديولوجي، فيخاطبهم بالخطاب الإسلامي، في ضوء الشريعة ذاتها، لا سيما في باب الارث، يقول[1]: «ووراثة الكتب الشريفة والأبواب الرفيعة، منبهة للمورِّث وكنز عند الوارث، إلا أنه كنز لا تجب الزكاة فيه، ولا حق للسلطان، ثم يضيف: «ولا يزال بها المورِّث مذكوراً في الحكماء ومنوهاً باسمه في الاسماء، وإماماً متبوعاً وعلماً منصوباً».

إنَّ هذا الاسقاط المعرفي من لدن الجاحظ ليدلّ على أن الرجل يريد أن يجعل مسألة توارث الكتب سنّة، كي تعمر المكتبات بالكتب وتنتفع بها جميع الطبقات، مؤكداً ذلك من خلال أحاديث القدماء، أصحاب الأثر الكريم، من صحابة وصالحين، يقول[2]: «من ورّثه كتاباً، وأودعته علماً، فقد ورّثه ما يغل ولا يستغل، وقد ورّثه الضيعة التي لا تحتاج إلى إثارة ولا إلى سقي ولا إلى اسجال بايغار[3]، ولا إلى شرط، ولا تحتاج إلى أكّار، ولا إلى أن تثار، وليس عليها عز، ولا للسلطان عليها خراج[4]، ثم يستجمع بكل طاقته الفكرية، مصوغات لفظية بليغة، يوردها كنصائح معرفية لمن يريد الاستفادة من دنياه وآخرته.

يقول[5]: «قالوا: ومتى كان الأديب جامعاً بارعاً، وكانت مواريثه كتباً بارعة وآداباً جامعة، كان الولد أجدر أن يرى التعلّم حظاً، وأجدر أن يسرع التعلّم إليه، ثم يردف: فخير ميراث ورّث كتب وعلم، وخير المورّثين من أورث ما يجمع ولا يفرّق، ويبصر ولا يعمي، ويعطي ولا يأخذ، ويجود بالكل دون البعض، ويدع لك الكنز الذي ليس للسلطان فيه، والركّاز[6] الذي ليس للفقراء فيه نصيب، والنعمة التي ليس للحاسد فيها حيلة، ولا للصوص فيها رغبة، وليس للخصم عليك فيها حجّة، ولا على الجار فيه مئونة»[7].

وليس الجاحظ هو الوحيد الذي كان يسعى إلى تفشّي المعرفة بين الناس، من خلال

---

(1) الحيوان 1/ 100.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) اسجال بايغار = أسجل له الامر، وأوغر الملك الرجل الأرض: جعلها له من غير خراج.

(4) الحيوان 1/ 100.

(5) المصدر السابق 1/ 101.

(6) الركاز = الكنوز، من المعادن الثمينة كالفضة والذهب وغيرهما « القاموس المحيط - مادة، ركز وراجع: باب الخمس في المعادن والركاز عند/ أبي عبيد القاسم بن سلام/ في كتاب الأموال/ ص336، تحقيق محمد حامد الفقي، المطبعة التجارية الكبرى في القاهرة، سنة 1353هـ، ط1.

(7) الحيوان 1/ 101.

المكتبات والكتب، بل أن هناك روّاداً مثله، شاركوه الهمّ، وعملوا باليد والمال لترصين وزيادة هذه الظاهرة، فهذا موسى بن يحيى يقول: ما كان في خزانة كتب يحيى، وفي بيت مدارسه كتاب الا وله نسخ[1]، وهذا أمر يوضّح عمق مدلوله المعرفي، وفي هذا السياق يندرج عمل الطبيب المهذّب بن الدخوار، المتوفى سنة 628هـ، وقد كان واحداً من حاذقي الطب وأستاذ عصره، وقد أوصى أن توقف داره وكتبه على الاطباء[2]، وشكلت مسألة (وقف الكتب) ظاهرة حضارية - علمية، واسعة، في تلك العصور، وقد كان رجال الحديث أسبق من غيرهم في هذا المضمار، فقد ذكر ابن الجوزي جماعة من هؤلاء، منهم أبو الحسن منتخب بن عبد الله، حيث أوقف كتبه على أصحاب الحديث[3] كما فعل الشيء نفسه علي بن عساكر البطائحي[4]، وعبد الله بن أحمد بن حمدويه البزاز[5]، ثم تلاهم علماء النحو، حيث أوقفوا كتبهم فانتفع فيها الناس، منهم محمد بن أبي نصر الحميدي الاندلسي والحسن بن إبراهيم المالقي[6]، وغيرهم الكثير الكثير.

وثمة حادثة طريفة، تندرج في هذا السياق الثقافي - الحضاري، أوردها ياقوت الحموي، مفادها أن علي بن الحسن، المعروف بشميم الحلي[7]، زاره ياقوت للتزود بمعارفه وآدابه، فسأل عن أدب المقامات، ولماذا لم يؤلف فيها، فقال: يا بني اعلم أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل، عملت مقامات مرتين، فلم ترضيني فغسلتها، وما أعلم أن الله خلقني إلا لأظهر فضل الحريري، وهذا اعتراف معرفي بالسبق والعلو في الفن للحريري، من هذا الرجل الذي لم يترك أحداً إلا وعابه، كما يقول ياقوت.

وراحت ظاهرة غسل الكتب، تدخل في هذا الجانب المعرفي، مرة سلباً ومرة ايجاباً، فمن ذلك أن الشيخ محمد بن معتوق الشيباني النصيبي الشاعر، المتوفى سنة 707هـ قال: حضر الشيخ بهاء الدين القفطي من إسنا، فتوجهت إليه ورحت أسأله عن لغة، فيذكر شيئاً من عنده ويستشهد عليه بشعره، فيكتب النصيبي ما يقوله إلى أن اجتمعت عنده كراريس،

---

(1) الحيوان 1/ 60.
(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 6/ 277، طبعة دار الكتب المصرية، حزيران/ 1383هـ/ 1963م.
(3) المنتظم 9/ 183 - الترجمة رقم 309.
(4) المنتظم 10/ 267 - الترجمة رقم 359.
(5) المنتظم 10/ 113 - الترجمة رقم 159.
(6) ابن الاثير - الكامل - 10/ 254 - وبغية الوعاة/ ص215.
(7) معجم الأدباء 13/ 58، الترجمة رقم 13.

فلما قصد التوجه قال الفقطي: يا سيدنا لا تعتمد على هذه الكراريس، فإني أرتجلتها، فشقّ على الشيخ وغسلها[1].

ومن الايجابي بهذه الظاهرة الثقافية هو الحسّ بالمسؤولية نحو طلبة العلم والتعهّد برعايتهم ومنع الجهلاء من الوصول اليهم، وقد تصدّر العلماء الكبار ذلك العمل، فقد نقل الجاحظ عن أبي عمرو بن العلاء قال: قيل لنا يوماً أن في دار فلان ناساً قد اجتمعوا على سوءة وهم جلوس على خميرة لهم، وعندهم طنبور، فتسوّرنا عليهم في جماعة من رجال الحي، فإذا فتى جالس في وسط الدار، وأصحابه حوله، وإذا هم بيض اللحى، وإذا هو يقرأ عليهم دفتراً فيه شعر. فقال الذي سعى بهم: السوءة في ذلك البيت، وأن دخلتموه عثرتم عليها، فقلت: «والله لا أكشف فتى أصحابه شيوخ، وفي يده دفتر علم، ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكريا»[2].

وراح الحرص على الكتب والمكتبات يدفع الناس إلى الاعتناء بالكتب وتجليدها وتذهيببها والعناية بها، حتى وصل بهم الأمر لأن يحاولوا حفظ العلم في قلوبهم، فقد أنشد رجل يونس النحوي:

استودع العلم قرطاسا فضيّعه  فبئس مستودع العلم القراطيس

فقال يونس: قاتله الله ما أشد ضنانته بالعلم وأحسن صيانته له، ثم قال: إن علمك من روحك، ومالك من بدنك، فضعه منك بمكان الروّح، وضع مالك بمكان البدن[3]، حتى أن الجاحظ يرى مسألة الجلوس بالمكتبة أهيب من الجلوس على دست الوزارة. يقول: دخلت على إسحاق بن سليمان في أمرته، فرأيت السماطين والرجال مثولاً كأن على رؤوسهم الطير، ورأيت فرشته وبزّته، ثم دخلت عليه وهو معزول، وإذا هو في بيت كتبه، وحواليه الاسفاط والرقوق والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر، فما رأيته قط أفخم ولا أنبل ولا أهيب، ولا أجزل منه في ذلك اليوم، لأنه جمع مع المهابة المحبّة، ومع الفخامة الحلاوة، ومع السؤدد الحكمة[4].

وانتشرت عدوى الكتب بين الناس في سواد العراق بشماله وجنوبه، وأقاصيه وأدانيه،

---

(1) الأدفوي: الطالع السعيد الجامع لاسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد/ ص354،القاهرة سنة 1914م. وكوركيس عواد/ ص39.

(2) الحيوان 1/ 60 - 61.

(3) الحيوان 1/ 61.

(4) الحيوان 1/ 61 - 62.

ووسطه وأطرافه، وصارت عملية اقتناء الكتب مسألة روحية، ارتبطت بوعيهم، حتى أنهم كانوا يقتّرون على أنفسهم، وينقصون من مؤنتهم بغية شراء الكتب، نقل ابن الفوطي بهذا الصدد[1] خبراً يقول: كان أهل الحلة والكوفة والسيّب[2] يجلبون إلى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك، وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة، وصفر المطعم وغيره من الاكل بأوهى قيمة، فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير منهم[3]، رغم أنهم كانوا يعيشون الاجواء الحربية وحالة الطوارىء، حيث كانت بغداد - في هذه الفترة - قد سقطت بيد المغول.

وليس هناك أوضح دلالة على هذا التطور الثقافي، من وجود سوق خاص لبيع الكتب، سميّ فيما يعرف بـ«سوق الورّاقين»[4]، ذلك السوق الذي وصفه اليعقوبي، وهو من مؤرخي (ق 3هـ/ 9م)، بأن فيه أكثر من مئة حانوت للورّاقين[5]، وهذا السوق، حتماً، أصابه التطور في العصور اللاحقة، وإلا كيف نفسّر هذا الكم الهائل من المكتبات العامة والخاصة؟ وهذا السوق راح يتغزل في وصفه ابن الجوزي وغيره[6].

لقد أثّر هذا السوق في رفد الحالة الثقافية، وصار نقطة اتصال دائمة بين الناس والكتّاب، حيث يهرعون إليه لتلبية حاجاتهم الروحية - الثقافية، وصار مجلساً للعلماء والأدباء يتنادمون فيه، ويتلاحقون بأفكارهم، حتى أن البعض منهم، اتخذه مكاناً وحيداً في حياته، فقد ذكر ياقوت الحموي، أن أبا الغنائم حبشي بن محمد الواسطي الضرير، كان يأتي سوق الكتب ببغداد في كل ليلة، عشرين سنة[7]، رغم أن منزله لم يكن بعيداً عن السوق.

وليس هذا فحسب، بل عملية تفحّص الكتاب، هي الأخرى كانت توضّح الشغف الجميل بالكتاب والمكتبات، فلقد كان الاقدمون لا يقتنون كتاباً إلا بعد تفحصه، وإمعان النظر فيه، خشية أن يكون فيه نقص أو تشويش، يقول ابن جُماعة في هذا الصدد: وإذا اشترى كتاباً تعهّد أولّه وأخره ووسطه، وترتيب أبوابه وكراريسه، وتصفح أوراقه، واعتبر صحته عملاً بقول الشافعي: «إذا رأيت الكتاب فيه الحاق واصلاح فاشهد له بالصحة».

---

(1) الحوادث الجامعة/ ص331.
(2) السيب: كورة من كور سواد الكوفة. ياقوت: معجم البلدان 3/ 293 - مادة السيب.
(3) الحوادث الجامعة/ ص331.
(4) سوف نتكلم عنه بالتفصيل في الابواب القادمة.
(5) اليعقوبي: البلدان/ ص245.
(6) مناقب بغداد/ ص26.
(7) معجم الأدباء 7/ 214 - 216، الترجمة رقم 53.

وقال بعضهم: لا يضيء الكتاب حتى يظلم/ يريد إصلاحه/ [1]. وقد أغرت المكتبات الكثير من الناس في ارتيادها، لغرض التحصيل، والمتعة وقضاء الوقت، وكان أصحاب هذه المكتبات يزيدون في الاغراء، من موقع معرفي، فهذا علي بن يحيى المنجم، ذلك العالم والمثقّف الكبير الذي جالس الخلفاء والعلماء والادباء، وهو واحد من أعيان (ق 3هـ)، ذكرت المصادر عنه «أنه عمل خزانة كتب عظيمة» [2]، سماها (خزانة الحكمة) كانت مأوى لكل أديب وعالم وكان ابن المنجم يبذل لهم ما يريدون من ماله، وما ينتفعون به من كتبه، وينفق عليهم [3]، وقد شكلت هذه المكتبة نقطة اشعاع حضاري في ذلك الزمن، فمن روّادها الأفذاذ أبو معشر المنجّم، حيث قدم من خراسان يريد الحج، وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم، فوصفت له خزانة ابن المنجّم، فحضرها ورآها، فهاله أمرها، فأقام بها، واضرب عن الحجّ، وتعلّم فيها علم النجوم، وأغرق فيه حتى الحد، وكان ذلك آخر عهده بالحج والدين وبالإسلام أيضاً [4].

وانعكس شغف الناس بالكتاب على طريقة عيشهم وسلوكهم اليومي، بحيث أصبح بعضهم لا يستغني عن الكتاب، متخذاً من ملابسه أو اكمال ثيابه، حاوية للكتاب، فهذا سليمان بن الأشعث السجستاني المحدّث، المتوفى سنة 275هـ، وهو أحد النقّاد لعلوم الحديث والسنن، كان قد جعل له كماً واسعاً وكماً ضيّقاً، فقيل له في ذلك فقال: الواسع للكتب والآخر لا أحتاج إليه [5]، فيما كان القاضي إسماعيل بن إسحاق يقضي أغلب وقته في مكتبته، امّا ينظر في كتاب أو يقلّب كتاب، أو ينظّف كتبه [6]، وهو أمر يشير إلى الشغف اللامحدود للعناية بالكتب.

مع هذا الدفق الحضاري الناهض، والمنعكس على الحالة الثقافية، برزت هناك بعض الظواهر السلبية، على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، تعارضت سلباً مع هذا النهوض، وصادف أنها كانت حدثت لعلماء وأدباء كبار، لهم لمسات فكرية واضحة على الثقافة العربية - الإسلامية، لا زالت قائمة حتى اليوم، فلقد لعب الفقر دوراً سلبياً في حياة

---

(1) ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلّم/ ص172 - 173 الطبعة الأولى، حيدر آباد، سنة 1353هـ. وكوركيس عواد/ ص25.

(2) تحدثنا عنها في الفصل السابق - المكتبات الخاصة تحت الرقم 15.

(3) راجع نشوار المحاضرة 4/ 66، وطبقات الاطباء/ ص272 - 274، وأخبار الحكماء/ ص120.

(4) القاضي التنوخي: نشوار المحاضرة 4/ 66 - 67، وياقوت الحموي: معجم الأدباء 15/ 157 في ترجمة علي بن يحيى المنجّم - الترجمة رقم 33.

(5) النجوم الزاهرة 3/ 73، حوادث سنة 275هـ.

(6) الفهرست/ ص169.

أبي حيّان التوحيدي[1]، الأمر الذي دعاه إلى حرق كتبه واتلافها، ممّا فوّت علينا الكثير من الاطلاع على ثقافة ذلك القرن الفريد (ق 4هـ) حتى أن معاصريه من الأدباء والعلماء لاموه على تلك الفعلة، وعلى رأسهم القاضي أبي سهل علي بن محمد، وقد برّر له ذلك بقوله[2]: (إنَّ العلم - حاطك الله - يراد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم، كان العلم كلاّ على العالم، وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلاّ، وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غُلاً) ثم يشرح له أهمية الكتب وما حوته، ويذكر السبب الأرأس لديه في ذلك وهو، عدم إدراك الناس لما يكتب لهم، والواقع الاقتصادي المر الذي عاناه، يقول[3]: «فإذا قلت: ولم تُسمهم بسوء الظن، وتقرّع جماعتهم بهذا العيب؟ فجوابي لك، أن عياني منهم في الحياة، هو الذي يحقق ظنّي بهم بعد الممات، وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة، فما صحّ لي من أحدهم ودِاد، ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ، ولقد اضطررت بينهم، بعد الشهرة والمعرفة، في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة، وإلى بيع الدين والمروءة، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق، وإلى ما لا يحسن بالحرّ أن يرسمه بالقلم، ويطرح في قلب صاحبه الألم».

هذا النص المفجع، يبيّن أمامنا التفاوت الطبقي الحاد في القرن الرابع الهجري، رغم أن حالة الحضارة كانت في أوجّها، وثمة حادثة أخرى تندرج في السياق الاجتماعي كان لها الأثر السلبي، في فقدان بعض المؤلفات العربية الهامة، وكان سبب ذلك منشؤه الغيرة عند المرأة، فقد عرف عن الخليل بن أحمد الفراهيدي أنه كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه، هو أوّل من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها، وعمل أوّل كتاب لها، وهو كتاب العين المشهور[4]، وقد بذل وقتاً كبيراً في تأليف هذا الكتاب، يقول ابن المعتز[5]: «كان الخليل منقطعاً إلى الليث فيما صنّفه وخصّه به، فحظي عنده جدا، ووقع عنده موقعاً عظيماً، ووهب له مائة ألف، وأقبل على حفظه وملازمته، فحفظ منه النصف. واتفق أنه/أي الخليل/اشترى جارية نفيسة، فغارت ابنة عمّه، وقالت: والله لأغيظنّه، وإن غظّته في المال لا يبالي، ولكني أراه مكبّاً ليله ونهاره على هذا

(1) أنظر ترجمته في معجم الأدباء 15/ 51 - 52.
(2) رسائل أبي حيّان التوحيدي/ ص162 - 163، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، الرسالة 9 طبعة دمشق.
(3) الرسائل/ ص163 - 164.
(4) راجع ذلك عند السيوطي/ بغية الوعاة/ ص243 وما بعدها.
(5) بغية الوعاة/ ص245.

الكتاب، والله لأفجعه به، فأحرقته - فلما علم اشتد أسفه، ولم يكن عنده غير منه نسخة، ولما مات الخليل، أملى الليث النصف الذي كان حفظه وجمع علماء عصره وأمرهم أن يكملوه على نمطه، وقال لهم: مثلوا واجتهدوا، فعملوا هذا التصنيف الذي بأيدي الناس».

وثمة حادثة أليمة أخرى تندرج في هذا السياق، إلاّ أن واقعها كان محض صدفة، فقد كان سراج الدين ابن الملقّن واحداً من أشهر أهل زمانه حبّاً للتصنيف والكتابة، بلغت مصنفاته، كما يقول ابن العماد الحنبلي[1]، نحو ثلاثمائة مصنّف، وكان جمّاعة للكتب جداً، ثم احترق غالبها قبل موته، وكان ذهنه مستقيماً قبل أن تحترق كتبه، ثم تغيّر حاله بعد ذلك[2]، وهذه الحادثة كانت خسارة كبيرة للعلم والمعرفة بفقدان عقل هذا الرجل، وفقدان كتبه، فإلى أيّ حد وصل عشق الناس للمعرفة؟!

وهناك حادثة طريفة وأليمة بنفس الوقت، تعبّر عن تزاوج الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بآن معاً، أوردها ياقوت الحموي في ترجمة علي بن عيسى الربعي[3]، قال وهو في صدد حديثه عن مؤلفاته: وله كتاب شرح سيبويه، إلاّ أنه غسله وذاك أن أحد بني رضوان التاجر، نازعه في مسألة فقام مغضباً وأخذ شرح سيبويه، وجعله في إجانة[4] وصبّ عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة[5].

وهذه المسألة تعطيك فكرة عن مدى معرفة العالم لعلمه، ومدى جهل الناس لغير علمهم ومزاودتهم الآخرين دون معرفة، ولكن النتائج كانت سلبية وواضحة على الثقافة.

ومن الأمور التي تقاطعت مع الوعي الثقافي وصعوده، هو التعارض بين بعض المتدينين والكتب العلمية، لا سيما الفلسفية منها، والتي تبحث في شؤن الديانات والفلك والنجوم، وقد انطلق هؤلاء بموقفهم من وازع ديني، مرّة كان بشكل متزمت، وأخرى نابعاً من إيمان عقائدي تفجّر عند البعض قبل الوفاة بأيّام، ولكن العمق العلمي، في هذه المواقف، تفاوت بين الموقفين، ولكن المآل النهائي كان خسارة واضحة للثقافة العربية - الإسلامية، مما أحدث نقصاً في المكتبات.

فمن ذلك، أن خازن دار الكتب المأمونية، أبو المعالي أحمد بن هبة الله قد غسل

---

(1) شذرات الذهب 7/ 45.

(2) المصدر السابق/ نفس المكان.

(3) انظر: معجم الأدباء 14/ 78 - 85، الترجمة رقم 21.

(4) اجانة = إناء تغسل فيه الثياب.

(5) معجم الأدباء 14/ 79. وكوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص40.

أحد كتب أبي العلاء المعرّى الهامة وهو «كتاب نقض القرآن» أو لعله كتاب «الفصول والغايات في معارضة السور والآيات»[1]، وقد انطلق هذا الخازن من موقف ديني ليس إلا، يقول ياقوت الحموي[2]: حدثني محبّ الدين محمد بن النجّار قال: حضر الوجيه النحوي بدار الكتب التي برباط المأمونية وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله، فجرى حديث المعرّي، فذمّه الخازن وقال: كان عندي في الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته، فقال له الوجيه: وأيّ شيء في هذا الكتاب؟ قال: كان كتاب نقض القرآن، فقال له: أخطأت في غسله، فعجب الجماعة منه، وتغامزوا عليه، واستشاط ابن هبة الله وقال له: مثلك ينهى عن مثل هذا؟ قال: نعم، لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيراً منه أو دونه، فإن كان مثله أو خيراً منه، وحاش الله أن يكون ذلك، فلا يجب أن يفرّط في مثله، وإن كان دونه، وذلك مما لا شك فيه، فتركه معجزة للقرآن، فلا يجب التفريط فيه. فاستحسن الجماعة قوله، ووافقه ابن هبة الله على الحق وسكت».

وهذا الحادثة المعرفية تميّز بين العالم المتديّن، وبين المتديّن غير العالم، لذلك يبرز التفاوت العلمي عند الشخصين.

وضمن هذه الرؤية الدينية، كان بعض الأدباء يغسلون كتبهم أو دواوينهم التي احتوت على شيء من التجريح بحق بعض الناس أو هجواً لآخرين فيغسلونها، ظنّاً منهم، لا سيّما في حالة المرض، أنها كانت سبب ذلك البلاء، فمن ذلك ما نقله ابن حجر العسقلاني عن صدر الدين ابن الوكيل المتوفى سنة 617هـ/ 1316م، فكان هذا الرجل: إذا أفرغ توضأ ولبس ثياباً نظافاً، وصلّى ومرّغ وجهه على التراب، وتضرع في طلب التوبة أو المغفرة، لأنه كان فيه لعب ولهو، وكان إذا مرض غسل ما نظمه من الشعر[3] لأنه كان يشعر أن الشعر سبب مرضه.

ومن الذين نحوا هذا المنحى في غسل أشعارهم، لكثرة الهجو فيها، والتعفف منها دينياً، أبو سعيد محمد بن علي بن المطلب، المتوفى سنة 478هـ/ 1085م، فقد ذكر ابن الجوزي[4] أنه قال شعراً كثيراً، إلا أنه كان كثير الهجو، ثم مال عن ذلك، وأكثر الصوم والصلاة والصدقة وروى الحديث، وغسل مسودّات شعره وأحرق بعضها بالنار.

(1) أنظر تعليقات كوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص38، الهامش رقم 3.

(2) معجم الأدباء 17/ 65 - 66، ترجمة المبارك بن المبارك بن سعيد ابن الدهان المعروف بالوجيه، الترجمة رقم 22.

(3) الدرر الكامنة 4/ 120، الترجمة رقم 318.

(4) المنتظم 9/ 24، الترجمة رقم 26. وكوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص37.

ومن المؤسف له حقا أن بعض كبار الفقهاء ورجالات الفكر، يقومون بمثل هذه المهمة، لاعتقادهم بأن بعض الكتب تغوى الناس، وتهديهم إلى الضلال، وهو ما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد ذكر ابن حجر العسقلاني، في ترجمته لعليّ بن الحسن بن عبدالله ابن الجابي المتوفى سنة 701هـ/ 1301م[1] أنه كان مشهوراً بحسن تأدية الخطابة، فصيح التلاوة، وكان قد أغرى بالكيمياء، وحصل فيها كتباً كثيرة جداً، وكان يزعم أنها صحّت معه، ولمّا مات توجه الشيخ تقيّ الدين بن تيمية، فاشترى منها جملة، وغسلها في الحال وقال: «هذه الكتب كان الناس يضلّون بها، وتضيع أموالهم، فأفتديتهم بما بذلته في ثمنها». وهذا الموقف لا يحتاج إلى شرح أو تعليق.

وثمة آفة أخرى لحقت الكتب والمكتبات، نتيجة موقف ديني ممزوج بضغط سياسي أحياناً، وقد تصدّى لهذه الظاهرة، بعض العلماء الكبار، ولكن بعد وقوع الحدث، من هؤلاء كان ابن الجوزي، فقد قال: ولقد ذاكرت بعض مشايخنا ما يروى عن جماعة من السادات أنهم دفنوا كتبهم، فقلت له: ما وجه هذا؟ فقال: أحسن ما نقول أن نسكت! يشير إلى أن هذا جهل من فاعله[2]، وهذا الاعتراض صادر من عالم دين وفقيه حافظ، يقف موقفاً إيجابياً ضد هذه الظاهرة السيئة لدفن الكتب، يستطرد ابن الجوزي في هذه المسألة فيقول: وتأولت أنا لهم فقلت: لعلّ ما دفنوا من كتبهم فيها شيء من الرأى، فما رأوا أن يعمل به الناس؟ ولقد روينا في الحديث، عن أحمد بن أبي الحواري، أنه أخذ كتبه فرمى بها في البحر وقال: «نعم الدليل كنت ولا حاجة لنا إلى الدليل بعد الوصول إلى المدلول» وهذا إذا أحسنّا به الظن، قلنا: كان فيها من كلامهم ما لا يرتضيه، فأما إذا كانت علوماً صحيحة، كان هذا من أفحش الاضاعة. ويضيف ابن الجوزي: وأنا وان تأولت لهم هذا، فهو تأويل صحيح في حق العلماء منهم، لأنا قد روينا عن سفيان الثوري: أنه قد أوصى بدفن كتبه وكان ندم على أشياء كتبها عن قوم وقال: «حملني شهوة الحديث»، ويعلق ابن الجوزي على هذه العبارة بقوله: وهذا لأنه كان يكتب عن الضعفاء والمتروكين، فكأنه لما عَسُرَ عليه التمييز أوصى بدفن الكل، ويضيف: وكذلك من كان له رأي من كلامه، ثم رجع عنه، جاز أن يدفن الكتب التي فيها ذلك، فهذا وجه التأويل للعلماء. أما المتزهدون الذين رأوا صورة فعل العلماء، ودفنوا كتباً صالحة، لئلا تشغلهم عن التعبّد، فإنه جهل منهم، والكلام لابن الجوزي، لأنهم شرعوا في إطفاء مصباح يضيء لهم مع الإقدام على تضييع ما لا يحلّ[3] وهذا بتقديرنا موقف علمي لابن الجوزي أفتى به.

---

(1) الدرر الكامنة 3/ 39، الترجمة رقم 86.

(2) صيد الخاطر/ ص18، طبعة القاهرة سنة 1927م.

(3) صيد الخاطر/ ص17 - 18.

وبعد ذلك يذكر جملة أسماء دفنوا كتبهم مثل يوسف بن أسباط، ولم يصبر على التحديث فخلط فعدّ في الضعفاء، حيث أنه كان قد دفن كتبه، وبذلك يقول: جئت إلى الجزيرة، فلما نضب الماء دفنتها، حتى جاء الماء عليها فذهبت، وعندما سئل عن ذلك وما حمله عليه قال: أردت أن يكون الهمّ همّا واحداً، وقد كان لابن الجوزي موقف رافض لهذا الفعل بكل تأويلاته[1].

أما على الصعيد السياسي، فقد كان للمكتبات دوراً هاماً في تنمية الفكر ورفع وعي الناس، ولعبت الحركات الفكرية والسياسيّة دوراً هاماً في هذه المسألة، وقد حازت المعتزلة قصب السبق في ذلك فقد اهتموا بالعلوم والفلسفة، ونشطوا في دراسة ما انتهى إلى عصرهم منها، وأكبّوا على ترجمتها إلى العربية، فأوتوا قصب السبق في حلبتها، وتهيّأ لهم قبل غيرهم من الاسلاميين المنهل الصافي من معانيها، ولمّا كانوا رجالاً مثقفين أدركوا ما للأدب من أثر جليل في إكمال الثقافة وتنوير العقول ولأنهم كانوا دعاة مقالة ورؤساء نحلة، وذلك يتطلب قبل كل شيء فصاحة في اللسان ومقدرة على طلب البيان، بما يتمكنون من محاججة الخصوم، وإفحام المخالفين، فكان منهم أئمة الادب وأرباب البلاغة[2]، وهذا يعني أن اهتمامهم كان منصبّاً على تهيئة المكتبات وإيداع الكتب بين يدي جماعتهم، وهو ما كان فعلا[3]، ولحقهم بهذا المضمار الدهرية والزنادقة والمانوية، وبقية الفرق الإسلامية، فقد اعتنوا بالكتب وجلّدوها بأفخم الجلود، وذهّبوها وتفننوا بزخرفتها وطرق العناية بها، فقد ذكر في أحداث سنة 309هـ/ 921م، وهي السنة التي اشتهر فيها أمر الحسين بن منصور الحلاّج، حيث أمر الوزير حامد بن العباس، بالجدّ في طلب أصحاب الحلاّج ومنهم ابن حمّاد والقنائي، فكبست دورهم وأخذ منها دفاتر كثيرة، فكانت مكتوبة في ورق صيني، وبعضها مكتوب بماء الذهب، مبطنة بالديباج والحرير، مجلّدة بالأدم الجيّد[4]، وهذه الحادثة تبرز مدى الاهتمام بالكتب والمكتبات من جهة، ومن جهة أخرى تظهر مدى الحقد السياسي في متابعة رجال الفكر، وحوادث التاريخ والأخبار كبيرة وكثيرة، تدل على ما للتعصّب من يد طولى في احراق الكتب، ولقد ضاع بسبب الاختلافات المذهبية، الكثير من الكتب، فلا يقرّ قرار فرقة من الفرق إلا باتلاف كتب

---

(1) المصدر السابق/ نفس المكان. وانظر كذلك: كوركيس عواد/ خزائن الكتب ص35 - 36.

(2) زهدي حسن جارالله: المعتزلة/ ص222 - 224، فصل مقام المعتزلة، طبعة القاهرة 1366هـ/ 1947م.

(3) راجع فصل: المكتبات الخاصة في هذا الكتاب.

(4) عُريب: صلة تاريخ الطبري/ ص 90 من طبعة ليدن سنة 1897. وكوركيس عواد/ ص21.

الأخرى، وليس هناك أقوى من الناس في ذلك فقد ورد في كتاب إلى الخليفة القادر بالله ببغداد من السلطان محمود بن سبكتكين، أنه في سنة 420هـ/ 1029م حارب الباطنية والمعتزلة والروافض، فطلب منهم جماعة وحوّل من الكتب خمسين حملاً، ما خلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض، فإنها أحرقت تحت جذوع المصلبين، إذ كانت أصول البدع، فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان المعتزلة، والروافض وانتصرت السنّة[1].

وهذا الحدث يوضّح مقدار شدة الضغناء، والسادية المفرطة لدى هؤلاء السلاطين، ومدى الجهالة في محاربة العقل، وهو أمر يؤسف له، حيث يسود القرار السياسي لمذهب معيّن، على عقول بقية المذاهب، وانسحب هذا القرار الاعمى، في سياقه العام، على بقية الحركات الفكرية المناوئة للسلطة العباسية، وجرّت الجريرة ذيولها على الكتب، ففي سنة 311هـ/ 923م، ذكر ابن الجوزي الخبر التالي: وفي نصف رمضان أحرق على باب العامة[2] صورة «ماني» وأربعة أعدال من كتب الزنادقة، فسقط منها ذهب وفضّة، ممّا كان على المصاحف له قدر[3]، وقد مرّ بنا كيف أحرقتت كتب عبد السلام الجيلي.

كل هذه الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، من التي جرى الحديث عنها، أثّرت سلباً على تطور الحضارة العربية - الإسلامية في الأوان العباسي، وأوهنت في عضد البنية الثقافية - الحضارية، ولكن ما هو أهمّ وأوقع على هذه الحضارة هو غزو المغول بغداد وإسقاط الخلافة العباسية، وتدمير حضارتها على كل المستويات سنة 656هـ/ 1258م فلقد كانت هذه الهجمات البربرية مدمّرة لكل شيء، فقد كانت هجماتهم كالجراد الزاحف على الرياض الأنف، فقد وصف ابن خلدون هجومهم على بغداد بالشكل التالي: واتصل العبث بها/ ببغداد/ أياماً، وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح، فداستهم العساكر، وماتوا أجمعين، ويقال - والعبارة لابن خلدون - أن الذي أحصي ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف، واستولوا من قصور الخلافة، وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ[4]، هذا المشهد المريع يحكم على هؤلاء الهمج بفقدان كل وازع ديني وأخلاقي وانساني، لأن هذه الاقوام مخرّبة للحضارة الانسانية، لذلك سيكون الويل الاعظم منصبّا على الكتب والمكتبات، بكل عنف، لأنهم لا يميزون بين الصالح والطالح.

---

(1) ابن الجوزي/ المنتظم 8/ 40 - وانظر تفاصيل الخبر والرسالة على ص 38 - 40 حوادث سنة 420. وكوركيس عواد/ ص30.

(2) أحد أبواب دار الخلافة ببغداد.

(3) المنتظم 6/ 174 حوادث سنة 311.

(4) ابن خلدون: العِبر 3/ 537، طبعة بولاق المصرية - سنة 1284هـ.

وبهذا الصدد يقول ابن خلدون «وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم/ يقصد خزائن الخلفاء/ جميعا في دجلة، وكانت شيئاً لا يعبّر عنه، مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأوَّل الفتح في كتب الفرس وعلومهم، ويضيف ابن خلدون «واعتزم هولاكوا على إضرام النار ببيوتها، فلم يوافقه أهل مملكته[1].

ويعرّج قطب الدين الحنفي بتاريخه[2] على هذه الحادثة الأليمة، فيصف أحوال الناس، ويتوقف مليّا باندهاش إلى ما آلت إليه خزائن الكتب بأيدي التتر فيقول: «ورموا كتب بغداد في بحر الفرات/ يريد نهر دجلة/ وكانت لكثرتها أجسُراً يمرون عليها ركبانا ومشاة، وتغيّر لون الماء بمداد الكتابة إلى السواد» . . وهذا الخبر وان كان فيه شيء من المبالغة واضح، إلا أنه يعكس حالة الاندهاش عند المؤرخ لهول مشهد الكتب وكثرتها، وهي تلقى في النهر.

وثمة خبر هام، يذكر هول المصيبة على خزائن الكتب في أثناء اجتياح المغول لمدينة بغداد، وإباحتها للجند العبث بالممتلكات، ذكره ابن الساعي، قال: «إن المغول حين أسقطوا بغداد بيدهم سنة 656هـ/ 1258م، بنوا اسطبلات الخيول، وطولات المعالف بكتب العلماء، عوضاً عن اللبن»[3]، وهو بهذا يقترب بالمبالغة من خبر قطب الدين الحنفي، وعلى أية حال فإن الخسارة التي مني بها العالم الإسلامي، بصورة عامة، والعراق، بصورة خاصة، بسقوط بغداد، هي خسارة لا تعوّض، جعلت المشاعر تهتزّ لها، فترثى هذه أيما رثاء، وتذرف الدموع على آثارها والناس يستغيثون، وهناك حيث المجزرة الكبرى في سوق الورّاقين، ، والقضاء على مناهل العلم، يقف الشعراء والأدباء والورّاقون يرثون مدينتهم، والعلماء يبكونها، والوعّاظ يستحضرونها بأحاديثهم.

وقد انبرى شمس الدين محمد بن عبدالله الكوفي الواعظ إلى رثاء بغداد، فقال[4]:

بانوا ولي أدمع في الخدّ تشتبك ... ولوعة في مجال الصدر تعترك

بالرغم لا بالرضا منّي فراقهم ... ساروا ولم أدر أيّ الأرض قد سلكوا

يا صاحبي ما احتيالي بَعَد بعدهم ... أشر عليّ فإن الرأى مشترك

(1) العبر 3/ 357. وكوركيس عواد/ ص33.

(2) قطب الدين الحنفي/ كتاب الأعلام بإعلام بيت الله الحرام/ ص163، منشورات المكتبة العلمية بمكة 1370هـ.

(3) ابن الساعي/ مختصر أخبار الخلفاء/ ص127، طبعة بولاق، سنة 1309هـ. وكوركيس عواد/ خزائن الكتب/ ص102.

(4) الحوادث الجامعة/ ص334 - 335.

عزّ اللقاء وضاقت دونه حيلي — فالقلب في أمره حيران مرتبك
يعوقني عن مرادى ما بليت به — كما يعوق جناحي طائر شرك
أروم صبرا وقلبي لا يطاوعني — وكيف ينهض من قد خانه الورك
إن كنت فاقد إلفٍ نِخْ عليه معي — فاننا كلّنا في ذاك مشترك
يانكبةً مانجا من صرفها أحدُ — من الورى فاستوى المملوك والملك
تمكّنت بعد عزّ في أحبّتنا — أيدى الأعادي فما أبقوا ولا تركوا
لو أنّ ما نالهم يفدى فديتُهم — بمهجتي وبما أصبحت أمتلك
ربع الهداية أضحى بعد بعدهم — معطّلاً ودم الإسلام منسفك
أين الذين على كل الورى حكموا — أين الذين اقتنوا، أين الألى ملكوا
وقفت من بعدهم في الدار أسألها — عنهم وعمّا حووا فيها وما ملكوا
أجابني الطلل البالي وربعهم الـ — غالي: نعم ها هنا كانوا وقد هلكوا
لا تحسبوا الدمع ماء في الخدود جرى، — مجرى وإنما هي روح الصبّ تنسبكُ

دلّت المعطيات الحضارية لنشوء هذه المكتبات إلى ظاهرة ثقافية متفشيّة عند أهل العراق خاصة، وبقية أمصار الخلافة الإسلامية، عامة، منطلقة بهذا الاشعاع الفكري من حاضرة الخلافة بغداد، تلك المدينة العباسية التي احتضنت مختلف التيارات السياسية والفكرية، فاتحة لهم أبواب مكتباتها العامّة والخاصّة، مقدمة التسهيلات لرواد العلم والمعرفة، فيما كان أعلامها من الأدباء والكتاب والعلماء والفقهاء، يسدون النصائح لمريديهم، فانتشر التعليم في بغداد، وأقبل الاعاجم على تعلّم اللغة العربية، لأنها كانت إحدى الوسائل للوصول إلى الحظوة والتقدير عند العامة، أوفى دوائر الدولة، وقد كان للخلفاء دور هام في إكرام العلماء، الأمر الذي شجّع الكثير منهم إلى موافاة العاصمة بغداد والتقرّب من القصر، وقد نحى الكثير من العلماء إلى بثّ المعرفة بين الناس، من موقع ديني - ثقافي، فهذا الفرّاء ينزع نحو إملاء «شرح القرآن» على التلاميذ في المسجد، مجاناً، ثم أملأ عليهم «الحدود» في ذلك، نتيجة كون أصحاب الكسائي صاروا إليه، وسألوه أن يملي عليهم أبيات النحو، ففعل، فلما كان المجلس الثالث، قال بعضهم لبعض: إن دام هذا على هذا علّم النحو الصبيان، والوجه أن يقعد عنه، فقعدوا، فغضب وقال: سألوني القعود، فلما قعدت تأخّروا، ثم قال: والله لأملين النحو ما اجتمع اثنان، ودام على هذه الحالة ست عشرة سنة[1].

(1) ابن النديم/ الفهرست/ ص99 - أخبار الفرّاء.

وسرى طغيان المعرفة على كامل هيكل الدولة العباسية تقريباً، فقد شقّ الخلفاء والامراء والوزراء طريق التعليم الدنيوى، وذلك بأن استقبلوا المعلمين في قصورهم، فاستقدم المنصور الشرقي بن القطامي، وأوكل إليه مهمة تأديب المهدي، واستدعى أيضاً المفضّل الضبّي، بعد أن كان غاضباً عليه، وعفا عنه، وضمّه إلى المهدي أيضاً، فيما كان الكسائي مؤدب الرشيد، ثم استدعاه الرشيد ابّان خلافته ليؤدب ولديه الأمين والمأمون، واتخذ الخلفاء ذلك تقليداً، فاستدعوا العلماء إلى قصورهم ليؤدبوا الامراء حتى[1].

لقد كان لهذا النهوض الثقافي انعكاساته الايجابية، فقد أدى انتشار التعليم وإقبال الناس على اقتناء الكتب وتأسيس المكتبات، إلى قيام سوق الورّاقين وانتشار مهنة الوراقة، كما أسلفنا، وقد أصبح هذا السوق محطّ أنظار العلماء والأدباء وغيرهم[2].

نرى فيما تقدم، أن للمكتبات أثر بالغ في رفع وعي الناس، حدا بهم لأن يتثقفوا ويتأدبوا وتسيسّوا، فظهر منهم العالم والاديب، والمؤرخ والفقيه والعالم، والخليفة والوزير والأمير والسلطان والنديم وغير ذلك.

لقد كانت المكتبات، دلالة حضارية لتلك العصور، وشاهدة تاريخية ما زالت تذكّر بذلك العصر الذهبي الخالد، وهي، من جهة أخرى، سمّو معرفي خطت به بغداد بكل ظواهرها الحضارية، خطوة نحو تخليد الانسان من خلال المعرفة.

---

(1) تاريخ بغداد 9/ 278 وما بعدها، وانظر كذلك، فهمي عبد الرزاق سعد: العامّة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ ص154 - 155 منشورات الاهلية - بيروت 1983م - ط1.

(2) أنظر اليعقوبي: البلدان/ ص245 - والخطيب البغدادى/ تاريخ بغداد 11/ 399/ ترجمة أبي الفرج الأصبهاني.

# الباب الرابع

# مكتبات الأمصار الإسلامية

بعد أن كشفنا عن حالة التطور الثقافي الهائل لحالة العصر العباسية للمجتمع العراقي في تلك الفترة، باعتباره، مركزالتأثير على كافة الأمصار الإسلامية، المحيطة به، والمتناغمة معه، أو التي تناصبه المقام، من حيث الموقف السياسي، والمنازلة الثقافيية، كما هو عند الفاطميين في مصر، والأمويّون في الاندلس، إذ أن كلا الخلافتين، كانتا تودّان الظهور بقوة موازية لقوة العباسيين، في كافة المجالات، وقد كان المجال الثقافي هو الأبرز في هذا التنافس الحضاري، لذا سوف يكتشف القارىء، هذه المنافسة في «الكتاب والمكتبات» التي حوتها هاتين الخلافتين، ناهيك عن أمصار بلاد فارس وبلاد الشام، اللّتان كانتا ضمن بُنيان الدولة العباسية - إدارياً وسياسياً - من حيث العموم، رغم الخصوصية، التي ظهرت فيما بعد، لذلك. سنذكر «مكتبات بلاد الشام، وبلاد فارس» ضمن حاضر الدولة العباسية، ومن ثم تليها، مكتبات الفاطميين في مصر، ثم الأمويين في الأندلس.

## الفصل الأول

## مكتبات بلاد الشام

### 1 - خزانة كتب في الجامع الأموي:

نسبَ - ياقوت الحموي، هذه المكتبة، إلى «زيد بن الحسن الكندي البغدادي» المتوفى سنة 597هـ، ويذكر «بأنها كانت خزانة كتب جَليلة»[1]. كان الكندي البغدادي قد أوصى بأن توقف تلك الخزانة على جامع بني أميّة، لينتفع بها الناس، وقد اعتاد الكثير من العُلماء وغيرهم بأن «يوصوا» بوقف كُتُبهم على الجوامع والمساجد وغيرها من الأماكن[2].

(1) معجم الأدباء 8/ 35.

(2) المكتبات في الإسلام/ ص84.

## 2 - خزانة كتب السُلمي بالجامع الأموي:

هي الخزانة الثانية التي يتحدث عنها ياقوت الحموي، وينسبها إلى «علي بن طاهر السُلمي» وهو أحد «الشيوخ» في ذلك المسجد، حيث كانت لَهُ «حلقة دراسية فيه» وعندما توفيَ أُوقفت مكتبتهُ على الجامع، بناءً على «وصيّته» وسمّيت بإسمه، وفيها كتبهُ[1].

## 3 - كتب الخزانة الشرقية بجامع حَلَب:

ورد ذكر هذه المكتبة عند ابن العديم في كتابه «الإنصاف والتحري» حيث ذكر أن خزانة كتب الشرقية التي بجامع حَلَب، نُهبت في بعض أيام عاشوراء بين أهل السُنّة والشيعة، وكان ذلك في زمن أبي العلاء المعرّي، ولم يبقَ في خزانة الكتب إلا القليل، وجَدّد الكتب فيها - فيما بعد - الوزير أبو النجم هبة الله بن بديع، وزير الملك رضوان، ثم وقف غيره كتباً أخرى بها[2].

## 4 - خزانة كتب التربة الأشرفية بدمشق:

جاء ذكرها في سياق حديث ابن خُلّكان حول ديوان شعر للبهاء أسعد بن يحيى الشاعر والذي لم يجده، ووجدهُ أخيراً في خزانة كتب التُربة الأشرفية بدمشق، وهو ديوان في مجلد كبير[3].

## 5 - مكتبة جمال الدين القفطي بحلب:

صاحبها هو «جمال الدين القفطي»، كان وزيراً في حلب للملك العزيز، ولد عام 1172م، وتوفي عام 1248م، من كتبه «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» و«أنباه الرواة على أنباه النُحاة» و«أخبار مصر» و«إصلاح خلل الصحاح»[4].

وكان القفطي، صدراً محتشماً كامل السؤدد، جمع من الكتب ما لا يوصف، وقصد

---

(1) معجم الأدباء 13/ 258، وراجع كذلك د. حمادة: المكتبات في الإسلام/ ص89.
(2) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص85.
(3) وفيات الأعيان 1/ 193.
(4) راجع - المنجد في اللغة والأعلام/ منجد الأعلام/ الطبعة 22/ ص441 - مادة (القفطي).

بها الآفاق، وكان لا يحب من الدنيا سواها، ولم يكن لهُ داراً ولا زوجة، وقد أوصى بكتبهِ للناصر - صاحب حلب - وكانت تساوي خمسين ألف دينار، ولهُ حكايات غريبة في غرامه بالكتب[1]، وقد اتصل به ياقوت الحموي، وجرت بينهما مراسلات سابقة، وقد باع لهُ ياقوت بعض الكتب التي كان يتاجر بها[2].

## 6 - مكتبة الصاحب - أمين الدولة/ بدمشق:

كان الصاحب وزيراً للملك الصالح إسماعيل الأيوبي في دمشق، وقد توفّي سنة 638هـ. كان ذو همّةٍ عالية في الجمع للكتب وتحصيلها، واقتنى كتباً كثيرة فاخرة في سائر العلوم. وكان الورّاقون - النُسّاخ - أبداً يكتبون له، حتى أنَّهُ أراد مرة نسخة من «تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر وهو بالخط الدقيق، ويقع في ثمانين مُجلداً، فقال: هذا الكتاب الزَمن يقصر أن يكتبهُ ناسخ واحد، فَفَرَّقة على عشرة نُسّاخ كل واحد منهم ثمانية مجلدات، فكتبوهُ له في نحو سنتين، وصار الكتاب بكمالهِ عنده، وهذا من علوّ همّته[3]. وقد نافت مكتبته على 20 ألف كتاب[4].

## 7 - مكتبة ابن المطران بدمشق:

هو موفق الدين بن المطران، من أطباء دمشق، ومعاصراً لصلاح الدين الأيوبي، ومات في زمانه، كان ذو همّةٍ عالية في تحصيل الكتب، حتى أنَّهُ، عندما توفي وجد في خزانته من الكتب الطبيّة ما يناهز عشرة آلاف مجلّداً، خارجاً عمّا، وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها، وكان في خدمته ثلاثة نُسّاخ يكتبون له أبداً، ولهم منه «الجامكية والجراية = رواتب معلومة» وكان من جملتهم جمال الدين، المعروف بإبن الجمالة، وكان خطّه منسوباً[5].

---

(1) انظر: محمد بن شاكر الكتبي/ فوات الوفيات 2/ 193، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة النهضة، القاهرة 1951م.

(2) راجع كتابنا/ ورّاقو بغداد في العصر العباسي/ ص512 - ترجمة ياقوت الحموي.

(3) إبن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء 3/ 386، وراجع كذلك - د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص94.

(4) طبقات الأطباء 3/ 386، وفيها قصة أهداء كتاب (طبقات الأطباء له).

(5) طبقات الأطباء/ 3/ 292 - 293. وحمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص95.

## 8 - مكتبة بني عَمّار في طرابلس الشام:

حكم بنو عَمّار قسماً من الساحل السوري (ق 5هـ) واستمرّوا على ذلك حتى زمن الحروب الصليبية، وقد كانت، طرابلس الشام عاصمتهم، وهؤلاء كانوا «شيعة إسماعيلية» وقد اهتموا بنشر مذهبهم، لذلك أوجدوا (دار العلم) في طرابلس، وكان أمراؤهم يلقبون بالقضاة. كالقاضي جلال المُلك أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد، والقاضي أبي طالب الحسن، واهتمّوا جميعاً بهذه المكتبة[1].

وكان لهم سُعاة ووكلاء يجوبون الأمصار الإسلامية بحثاً عن الكتب والمخطوطات النادرة، وقد كان يشتغل فيها من الورّاقين 180 ناسخاً يتناوبون العمل ليل نهار، وفي هذه المكتبة عدد كبير جداً من الكتب بخطوط مؤلفيها، بشتّى علوم المعرفة الإنسانية، من طب وفلك وتنجيم وفلسفة وأدب وتاريخ، وتشير المصادر إلى أن عدد كتبها بلغ ثلاثة ملايين مُجلّد[2]، منها خمسون ألف نسخة من القرآن الكريم، وثمانون ألف نسخة تفاسير[3]، وقد أحرق الصليبيون هذه المكتبة سنة 502هـ/ 1009م[4].

## 9 - مكتبة المارستان النوري بدمشق:

هي المكتبة الملحقة بيمارستان «نور الدين الشهيد» بدمشق حيث أنَّهُ عمل ذلك «المستشفى» والذي عُرف بإسمهِ، وجعل أمر إدارته إلى الطبيب أبي المجد بن أبي الحكم المتوفى سنة 570هـ، وفيه «خزانة كتب للدراسة النظرية والمطالعة في أمور الطب»[5].

## 10 - خزانة كتب جامع حلب:

هي «مكتبة وقف» أودعها الناس، من عُلماء وغيرهم على هذا الجامع، وظلّت على حالها إلى أن جاء أحَد أنصار صلاح الدين الأيوبي، وإسمهُ «محمد بن أبي السعادات المسعودي» وصادر كتباً كثيرة من هذه المكتبة، وذلك سنة 579هـ عندما دخل صلاح الدين حلب[6].

---

(1) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص133.
(2) شوشتري أ - م أ -: مختصر الثقافة الإسلامية/ ص167، منشورات مطبعة بانغالور - 1938م.
(3) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص134 وأنظر بقية التفصيلات عنده.
(4) المصدر السابق/ حيث فيه تعليقات د. حمادة/ على حادثة الحرق.
(5) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص145.
(6) إبن خلكان: وفيات الأعيان، 4/ 23 - 24.

## 11 - مكتبة ابن يوسف المنازي:

هي تلك المكتبة التي أوقفها أبو نصر أحمد بن يوسف المنازي المتوفى سنة 437هـ، على جامع ميا فارقين وجامع آمد، وقد كان هذا الرجل أديباً كاتباً وشاعراً ومن أعيان الفضلاء، وكانت كتبه كثيرةً، وقد عُرفت هذه الكتب «بكتب المنازي»[1].

## 12 - مكتبة السعدي الدمشقي:

هي تلك المكتبة التي أوقفها، محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل ضياء الدين السعدي الدمشقي، حيث أنه بنى مدرسة على باب الجامع المظفري بدمشق، وأعانَهُ عليها أهل الخير، وجعلها دار حديث، ووقف عليها كتبه وأجزاءه[2] وكان ذلك في أوائل القرن السادس الهجري[3].

## الفصل الثاني:

# مكتبات بلاد فارس

## 1 - مكتبة المسجد الجامع في مرو الشاهجان:

تتكون هذه المكتبة من خزانتين رئيسّيتين، وفق رواية ياقوت الحموي، الأولى يُقال لها «العَزيزيّة» أوقفها رجلٌ يقال له «عز الدين أبو بكر عُتيق الزنجاني» من أتباع السلطان سنجر، وكان فيها إثنا عشر ألف مُجلّد[4].

والثانية تُسمّى «الكَمالية». لم يُنسِبها ياقوت لأحد، ولا عرّج على نسبتها حمادة[5]. بل نقلها كما وردت عند ياقوت.

(1) إبن خلكان: وفيات الأعيان 1/ 126.
(2) محمد بن شاكر الكتبي/ فوات الوفيات 2/ 471 - 472، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1951م.
(3) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص174.
(4) معجم الأدباء 8/ 35.
(5) د. حماده/ المكتبات في الإسلام/ ص84.

## 2 - المكتبة الضُميرية في خانقاه بمرو:

هي ضمن المكتبات التي شاهدها ياقوت الحموي في خانقاه في مرو بين المكتبات التي زارها هناك[1].

## 3 - مكتبة ابن العميد:

صاحب هذه المكتبة واحد من مشاهر أئمة الكتابة والترسل في الثقافة العربية - الإسلامية، كنيتهُ أبو الفضل، واسمُه محمد/ت 970م[2]، كان شاعراً وأديباً، ولي الوزارة لركن الدولة البويهي، ضرب المثل بهِ في الكتابة حتى قيل «بدأت الكتابة بإبن العميد وانتهت بعبد الحميد».

ما أن تولّى الوزارة - في عهد بني بويه - حتى عهد بعناية مكتبتهِ إلى المؤرخ المشهور ابن مسكويه، لأنه كان شغوفاً بالكتب وجمّاعاً لها في مختلف العلوم والفنون وكل أنواع المعارف، وكانت مكتبته تُحمل - في حال تنقلاته - على مائة وقر «حمل جَمل»[3].

وقد ظلَّ طوال حياتهِ يتعهَّدها بعناية خاصة، ويغذّيها بعلمِه وأدبهِ، وكان ضنيناً بكتبهِ حريصاً عليها، لا يعادلها أي مال، وقد روى ابن مسكويه حادثة «جُند الخُراسانية» الذين أغاروا على الري - مدينة ابن العميد - ومقرّه «باكروا الحرب ودخلوا المدينة من ناحية أجران، وفيها دار الأستاذ الرئيس[4]، فحاربهم فكسرهم، ثم كثروا عليه ولم يولِّ منهم، ودافع عنه الأتراك الذين معه، وانكسر الأستاذ الرئيس. . . ومَعَهُ السلار فرجعا إلى دار الإمارة، واشتغل الخُراسانية بنهب دارهِ واصطبلاّته، وخزائنه، وكانت موفورة جامعة، إلى أن أتى الليل وانصرفوا، وكان إليَّ، والحديث لإبن مسكويه/ خزانة كتبهِ/ فسلمت من بين خزائنه ولم يُتعرَّض لها، فلما انصرف إلى منزلهِ ليلاً لم يجد فيهِ ما يجلس عليه، ولا كوزاً واحداً يشرب فيه ماء، فأنفذ إليه ابن حمزة العلوي فِرشاً وآلة، واشتَغَلَ قَلبُهُ بدفاترِهِ، ولم يكن شيء أعزَّ عليه منها، وكانت كثيرة، فيها كل علم وكل نوع من أنواع الحِكم والأدب، يحمل على مائة وقر وزيادة. فلمَّا رآني سألني عنهاً فقلت: هي بحالها، لم تَمَسَّها يَدٌ،

---

(1) معجم البلدان 8/ 36، مطبعة السعادة، القاهرة 1906،وراجع أيضاً: حمادة: المكتبات في الإسلام/ ص86.

(2) المنجد في اللغة والإعلام - منجد الإعلام/ ص11.

(3) إبن أبي أصيبعة/ طبقات الأطباء 2/ 180.

(4) لقب ابن العميد الرسمي في الدولة البويهية.

فسُرّي عنه وقال: أشهدُ أنَّك ميمون النقيبة، أما سائر الخزائن فيوجد فيها عوض، وهذهِ الخزانة هي التي لا عوض عنها... ورأيتَهُ قد أسفرَ وجهَهُ وقال: باكر بها في غد إلى الموضع الفلاني، ففعلت، وسلمت بأجمعها من بين جميع ماله[1].

وبهذه المكتبة إشتغل ناسخاً الأديب المشهور «أبو حيّان التوحيدي» ولهُ مع ابن العميد حكايا ومواقف أدّت إلى التجافي الحاد بينهما[2].

## 4 - مكتبة الصاحب بن عَبّاد:

هو إسماعيل بن عَبّاد، ولقَبُهُ الصاحب/وُلد 938 وتوفي عام 995م/ وهو تلميذ ابن العميد وابن فارس - اللغوي، عُرف عنه حُبّه للأدب واللّغة، إستوزر أيام البويهيّن لمؤيد الدولة وفخر الدولة، وحين تسنَّم الوزارة قرّب الأدباء والشعراء. ولهُ سجع فريد وإيجاز جميل وَضّحت فيه مجموعة رسائله، ومن أشهر كتبه (المحيط) وهو معجم لغوي في سبعة مجلدات. وكتاب «الوزراء» و«الكشف عن مساوىء شعر المتنبي» و«جوهرة الجمهرة» و«كتاب الرسائل» ولهُ أشعار عذبة وجميلة[3]، وهو أول وزير بويهي يُلقَّب «بالصاحب» وكان محباً للآداب والعلوم، شغوفاً بجمع الكتب، وقد اختصَّ بخدمته مجموعة من الأدباء والأطبّاء، وقد ألَّف لهُ هؤلاء كتباً سمّوها بإسمِهِ. منها (كُنّاش) عَمله جبرائيل بن يختشوع وسَمّاه «الكافي بلقب الصاحب»[4] وكافئه عليه بألف دينار[5]، فيما ألّف لَهُ اللغوي المعروف «أحمد بن فارس» سَمّاه «الصاحبي» خاص لخزانتة[6].

وقد ذكرت المصادر أن مكتبته حوت حمولة أربعمائة جمل[7]. ويروى عَنه أنَّه كان يستصحب مَعهُ، أثناء تنقلاته وأسفارهِ حمل ثلاثين جملاً، من كتب الأدب ليطالعها أثناء ذلك، ولمّا وَصَل إليه كتاب «الأغاني» لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه، إستغناءً به عنها[8]. وقد قال الصاحب في معرض حديثه عن هذا الكتاب - الأغاني: «لقد اشتملت

---

(1) إبن مسكويه/ تجارب الأمم وتعاقب الهِمَمْ 6/ 224، طبعة القاهرة 1915م، وراجع/ المكتبات في الإسلام/ ص89.

(2) راجع كتابنا/ ورّاقو بغداد في العصر العباسي/ ترجمة أبي حيان التوحيدي/ ص 490 - 497.

(3) المنجد في اللغة والأعلام/ منجد الأعلام/ ص342.

(4) إبن أبي أصيبعه/ طبقات الأطباء 2/ 77.

(5) المصدر السابق 2/ 74 - 75.

(6) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 4/ 84.

(7) المصدر السابق 6/ 285.

(8) إبن خلّكان - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 2/ 468.

خزانتي على مائتين وستة آلاف مجلّد ما منها ما هو سَميري غيره، ولا راقني منها سواه»[1].

إستقدم الصاحب بن عبّاد أبا حيّان التوحيدي، ليورّق له كتبه وتصانيفه، ويبدو أن المنصب السياسي، هو الذي يفرض سطوته على أخلاق الأديب، عندما يتولاه، إذ أن «حادثة الخصام بينه وبين أبي حيّان التوحيدي تبرز ذلك بجلاء، فلا يمكن للصاحب أن يكون بمستوى قامة أبي حيان الثقافية، ولا بمستوى إسلوبه وأدبه الرفيع، لذلك حاول أن يستحقر أبي حيان، ووضعه في السجن لمدة سنة، ثم طرده من الري، وقد أثّرت هذه الحادثة في حياة أبي حيان التوحيدي، وسلّط جام غضبه عليه بكتابه الشهير «أخلاق الوزيرين»[2]، ومن جملة ما قاله التوحيدي في ثلم شخصية هذا الوزير قوله: «فلم أرَ بعد ذلك إلاّ الخير، حتى عَراهُ نوكٌ آخر (حماقة) فوضعني في الحبس سنة، وجمع كتبي وأحرقها بالنار، وفيها كتب الفَرّاء والكسائي ومصاحف القرآن وأصول كثيرة في الفقه والكلام، فلم يميّزها من كتب الأوائل، وأمر بطرح النار فيها، من غير تثبّت، بل لفرطِ جهله وشدّة نزقه، فهلاّ طرح النار في خزانته وفيها كتب ابن الراوندي وكلام ابن أبي العرجاء في معارضته القرآن بزعمه، وصالح بن عبد القدوس أبي سعيد الحصيري، وكتب أرسطوطاليس وغير ذلك، ولكن من شاء حمق نفسه»[3]، ولمّا مات الصاحب بن عبّاد وقف مكتبتهِ على مدينة الري، وحين زارها بعد فترة حكم البويهيين السلطان محمود الغزنوي، وكان مبغضاً للروافض «الشيعة» وبنو بويه شيعه، فأوغروا صدرهِ إذ قيل له: «أن هذه الكتب كتب الروافض وأهل البدع، فاستخرج منها كل ما كان في علم الكلام وأمر بحرقه»[4]. ومع هذا الحرق، ظلّت هذه المكتبة عامرة ضخمة بمحتوياتها، إذ أن البيهقي زارها - كما يقول ياقوت الحموي، فوجد فيها فهرست تلك الكتب عشر مجلّدات[5].

وقد جلبت هذه المكتبة إنتباه العالِم المؤرخ وول ديورانت، فخصّها بعبارة جميلة بكتابه «قصة الحضارة» حيث يقول: «وكان عند بعض الأمراء كالصاحب بن عبّاد من الكتب بقدر ما في دور الكتب الأوربية مجتمعةً»[6].

---

(1) ياقوت معجم الأدباء 13/ 97.
(2) راجع كتابنا: ورّاقو بغداد في العصر العباسي/ ص494، لترى مقدار التجافي بينهما.
(3) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 6/ 216 - 217.
(4) ياقوت الحموي/ معجم الأدباء 6/ 258 - 259.
(5) المصدر السابق/ نفس المكان.
(6) ديورانت: قصة الحضارة، 13/ 170، وراجع كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص91.

## 5 - مكتبة مُراغة:

أسّسَت هذه المكتبة بإشراف وتوجيه العالِم نصير الدين الطوسي، بعد أن إختار أجمل الكتب وأثمنها قيمة علميّة من مكتبات بغداد العباسيّة إبّان سقوط المغول للخلافة العباسية، حيث أنّه كان مرافقاً للحملة ويؤرّخ لهولاكو، وهو ذو نزعةٍ إسماعيلية، وقد أصبحت مُراغة أيام المغول عاصمة المشرق، وقد أنشأوا فيها معهداً علمياً ومرصداً فلكيّاً، وخزانة كتب عظيمة، واستقدموا إليها علماء في الرياضيات والفلك والطب[1] وقد جمع نصير الدين الطوسي في هذه المكتبة كتباً كثيرة بلغت أربعمائة ألف مُجلّد، أغلبها أُخذت من مكتبات البلدان التي اقتحموها ونهبوها كبغداد والشام والجزيرة، ومكتبة الحسن بن الصباح في «الموت»[2]، وقد كان مرصد مراغة هو الأساس العلمي في تكوين هذه المكتبة، إذ أن نصير الدين الطوسي، كان أحد المشتغلين بعلوم الفلك والفلسفة، لذلك إستقدم إلى هذا المكان هذه الكتب ودعا المنجمين والفلاسفة إليه[3]. يقول صاحب «الحوادث الجامعة في المئة السابعة»: «أنّه في سنة 662هـ وصل نصير الدين محمد الطوسي إلى بغداد لتصفح الأحوال والنظر في أمر الوقوف «الأوقاف» والبحث عن الأجناد والمماليك، ثم انحدر إلى واسط والبصرة، وجمع من العراق كتباً كثيرةً لأجل المرصد[4].

واستمرت هذه الخزانة بعد وفاة مؤسسّها نصير الدين الطوسي، وذلك بفضل الأوقاف التي أوقفها عليها، وحتى بعد وفاته، فقد نهضَ بشأنها أولاده من بعده على سُنّة والدهم، ولكنها هَزُلت بعدُهم إلاّ أنَّ حُسنَ حضها أن أُسندت أمرَ رعايتها والإشراف عليها للمؤرخ البغدادي المعروف (إبن الفوطي) أكثر من بضعة عشر سنة، وكان نشطاً، مؤدَّباً، حَسِنُ الخطّ جداً، واتَّصَل بكثير من العلماء والأدباء وأرباب الفن وأهل الرياسة، - على تباين أجيالهم واختلاف بلادهم ومُلَلِهِمْ، وطالعَ كثيراً من الكتب في شتّى الموضوعات، فاتسعت ثقافته، ونمت معرفته في جميع فروع المعرفة الدينية والأدبية والاجتماعية، حتى أنَّهُ ألَّفَ المؤلفات الرائعة في التاريخ والأنساب وغيرها[5].

---

(1) انظر: حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص107.
(2) سوف نعرّج على ذكرها في هذا الفصل.
(3) الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات 2/ 307.
(4) إبن الفوطي/ الحوادث الجامعة في المئة السابعة/ ص350، وانظر كذلك، حمادة، المكتبات في الإسلام/ ص107.
(5) حمادة: المكتبات في الإسلام/ ص107.

ومن أشهر مؤلفاته التاريخية «الحوادث الجامعة في المئة السابعة» وتلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب[1].

## 6 - مكتبة «قلعة أَلَمَوُت»:

هي المكتبة الكبيرة التي أسَّسها صاحب الدعوة الإسماعيلية - النزارية في الموت، الحسن بن الصَبّاح - شيخ الجبل المعروف[2]، وقد كانت واحدة من أكبر المكتبات عندهم. وعندما أسقط هولاكو قلعة «أَلَمَوُت» سنة 654هـ/ 1255م فإن المؤرخ الجويني، والذي كان مرافقاً لحملة هولاكو، ومؤرخه الخاص، فقد أخذ أنفس الكتب وأندرها، ثم أحرقوها[3]، وأُودعت كثير من كتبها في «مرصد مراغة».

## 7 - مكتبة بُخارى:

أَسَّسَ السامانيون لخلافتهم في بُخارى - عاصمتهم - مكتبةً كبيرة حوت على نوادر هامة من كتب العلم والطب والفنون الأخرى، وكانت تلك المكتبة متعدّدة «البيوت في فنائها، في كل بيت صناديق كتب منضّدة فوق بعضها البعض، في بيت كتب العربية والشعر، وفي آخر الفقه، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد» كما يقول ابن سينا، ويضيف: «ورأيت من الكتب ما لم يقع إسمهُ إلى كثير من الناس قط، وما رأيته قبل ولا رأيته أيضاً من بعد»[4].

ويبدو أن هذه المكتبة كانت عائدة إلى سلاطين بخارى، لذلك كانت محصورة فيهم فقط، ومن الصعوبة بمكان الدخول إليها، وبحيلة طبيّة، تمكّن ابن سينا من الدخول إليها، بعد أن أشفى سلطان بخارى «نوح بن منصور» وطلب منه السماح بالدخول إلى المكتبة لمطالعة كتب الطب فيها، فأذن لَهُ، واطّلع على ما فيها من نفائس الكتب وكنوزها، وحصل منها بكتب من علم الأوائل واطّلع على أكثر علومها»[5].

---

(1) لقد كان علاّمة العراق الراحل د. مصطفى جواد مولعاً بكتابات «إبن الفوطي» وحقّق بعقله وقلمه تلك الكتب بإبداع بدمشق وبغداد عام 1932م.

(2) عن مؤسس هذه المكتبة، الحسن بن الصبّاح راجع كتابنا: عمل الدُعاة الإسلاميين في العصر العباسي/ أشهر دعاة المدرسة الإسماعيلية/ ص251 وما بعدها إلى ص 273.

(3) انظر - كوركيس عواد/ خزائن الكتب القديمة/ ص188.

(4) القفطي: تاريخ الحكماء/ ص416، تحقيق جوليوس ليبرت، ليبسك 1903م.

(5) إبن خلّكان: وفيات الأعيان 1/ 420، وانظر قصة دخول ابن سينا إليها عند د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص110.

## 8 - مكتبة عضد الدولة البويهي في شيراز:

هو واحد من أشهر ملوك بني بويه، وإسمهُ (فَنّا خسرو) ت 372هـ. وأبوه «ركن الدولة البويهي» كان من رُعاة العِلم والأدب، أنشأ البيمارستان العضدي في بغداد، واستوزر الصاحب بن عبّاد[1] أنشأ هذا الملك بشيراز دار كتب عظيمة طار صيتها في الآفاق، يصف المقدسي هذه المكتبة بالقول: «وخزانة الكتب حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبقَ كتاب من أنواع العلوم كُلّها إلاّ حصل منها، وهي أزج طويل في صفة كبيرة فيه خزائن من كل وجه، وقد أُلصِقَ إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة إلى عُرض ثلاثة أذرع من الخَشب المزوّق، عليها أبواب تنحدرُ من فوق، والدفاتر منضّدة على الرفوف، كل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب، لا يدخلها إلاّ وجيه» ويضيف (المقدسي): «وطفتُ في هذه الدار كُلّها سفلها وعلوها، وقد فُرشت فيها الآلات، فرأيت في كل مجلس ما يليقُ به من الفِرش والستور»[2].

ويذكر أيضاً: «أن ذلك الأزج قد فُرش ببساطٍ عباداني وعُقد على بابهِ رواق»، وقال: «وقرأت في كتاب بهذه الخزانة: أهل فارس أنجع الناس بطاعة السلطان وأصبرهم على الظُلم، وأثقلهم خراجاً، وأذهلهم نفوساً»[3] وقد إشتغل (إبن البَوّاب) الخطّاط المشهور[4] في هذه المكتبة بصفته قيّماً عليها، وبها وجد «القرآن» بخط ابن مُقلّة (29 جزءً) وهو قام بخط الجزء الثلاثين، على نفس منوال وخط ابن مقلة[5].

## 9 - مكتبات مرو العشرة:

ذكر ياقوت الحموي أن عدد المكتبات في (مرو) في زمانه (القرن السادس وأوائل القرنن السابع الهجري، بلغ عشر خزائن، بعضها في الجوامع وبعضها في المدارس،

---

(1) المنجد في اللغة والأعلام/ المنجد في الأعلام/ ص375 - وراجع بعض التفاصيل عند حمادة، في وصفهِ للدار التي حوت هذه المكتبة/ المكتبات في الإسلام/ ص110.

(2) المقدسي/ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ ص449، تحقيق مارجليوت ليدن، بريل 1906م.

(3) المصدر السابق/ نفس المكان.

(4) أنظر: كتابنا/ خطّاطو بغداد في العصر العباسي/ الفصل الثالث، ترجمة ابن البوّاب/ ص99 وما بعدها منشورات دار النمير بدمشق، ط1، 1996م.

(5) ياقوت الحموي/ معجم الأدباء 15/ 122 وما بعدها، وراجع كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص113.

وبعضها في الخوانق، وبعضها في أبنية خاصة)[1]. أي أنها، مكتبات عامة، كما يقول د. حمادة[2].

إذ أن هذه المكتبات كانت المطالعة فيها حرة والإعارة الخارجية فيها تكون من غير رهن[3]. وقد كان ياقوت «يرتع في هذه المكتبات ويقتبس منها، وأنهى كتابه/ معجم البلدان» في تلك المكتبات.

## 10 - مكتبة ساوة:

هي دار كتب عامرة جَليلة، يصفها ياقوت الحموي بأنها «لم يكن في الدنيا أعظمُ منها»[4].

## 11 - مكتبة ابن سوار الكاتب في رام هرمز:

إبن سوّار هو أبو علي بن سوار الكاتب، أحد رجال حاشية عضد الدولة البويهي، المتوفى سنة 372هـ، وقد أنشأ هذه المكتبة في مدينة رام هرمز على شاطىء الخليج العربي[5].

## 12 - مكتبة دار العِلم - بنيسابور - :

هي الدار التي أنشأها القاضي ابن حبّان في مدينة نيسابور كدار للعلم، ألحقت بها تلك المكتبة، وجعل في هذه الدار مساكن للطُلاّب الغُرباء الذين يفدون لطلب العِلم وأجرى لهم الأرزاق، واشترط عدم إعارة الكتب إعارة خارجيّة، وإنما استعمالها فقط محصور في مبنى الخزانة[6] وقد توفي هذا القاضي سنة 345هـ[7].

---

(1) معجم البلدان 8/ 36.
(2) المكتبات في الإسلام/ ص127.
(3) ياقوت الحموي/ المصدر السابق - نفس المكان.
(4) نقلاً عن د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص128.
(5) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص128.
(6) آدم متز: تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري 1/ 248.
(7) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص161.

## الفصل الثالث

# مكتبات مصر الفاطمية

### 1 - مكتبة دار الحكمة في القاهرة:

كانت هذه المكتبة واحدة من أكبر الإنجازات المعرفية في العهد الفاطمي في مصر، بدأ من إحتلالها سنة 357هـ - على يد المُعز لدين الله الفاطمي، وحتى سقوطها على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 567هـ. إذ شكلت هذه المكتبة واحدة من كبريات المكتبات العالمية، من حيث توجهها الأكاديمي، والعلوم والمعارف التي كانت تحويها.

أسَّسَ الحاكم بأمر الله الفاطمي هذه المكتبة سنة 395هـ، وقد أُختير الإسم لمدلول سياسي - مذهبي، حيث كانت الدعوة الإسماعيلية التي ينتمي إليها الفاطميون تستخدم تسمية «مجالس الحكمة» للدلالة على توجهاتهم الفكرية - الشيعية - الإسماعيلية، إذ كان الهدف من دار الحكمة، هو تلقين أصول المذهب لدعاة الدولة الفاطمية وكيفية إعداد الدُعاة فكرياً[1] وتنظيمياً وإدارياً.

لقد اتخذ الحاكم بأمر الله، بناءً خاصاً بها، وأفرد لها داراً كبيرة، بالقرب من القصر الغربي، يدخل إليها من باب البتّانين تُعرف بدار مختار الصقلبي. وقد أفتُتحت هذه (المكتبة) يوم السبت العاشر من جمادي الاخرة سنة 395هـ، الموافق 5 آذار/ مارس 1005م. وقد فُرشت بأنواع السجاد والفرش، وزُخرفت، وعلّق على جميع أبوابها وممرّاتها الستور، وجُعل فيها القُوّام والخدم والفراشون وغيرهم، سُمّوا بخدمتها، وقد نقل إليها - الحاكم بأمر الله - أعداداً غفيرة من الكتب الموجودة في خزائنه الخاصة ومن سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة، ما لم يُرَ مثلَهُ مجتمعاً لأحدٍ قط من الملوك، كما يقول المقريزي[2].

---

(1) راجع كتابنا «عمل الدُعاة الإسلاميين في العصر العباسي «فصل - ثقافة الداعي ص93. حيث هناك تفصيلات كثيرة عن الفاطميين بهذا الجانب.

(2) الخطط والآثار 2/ 337.

وقد روعي بتقسيماتها - الإدارية - أن تكون حاوية لمختلف الإختصاصات العلمية، لذلك قُسّمت إلى: قسم الفقهاء، وقسم لقُرّاء القرآن الكريم، وقسم ثالث للمنجمين، وقسم رابع للغة والنحو، وقسم خاص للأطباء[1].

وقد جعل الحاكم بأمر الله هذه المكتبة برسم العامة من الناس، على مختلف طبقاتهم ممَّنْ يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها، فكان ذلك من المحاسن المأثورة أيضاً، التي لم يسمع بمثلها، ذلك أنّه، أي الحاكم، أعطى رواتب لمن رَسِمَ له الجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره[2] وقد حضرها الناس من مختلف الأجناس، فمنهم مَنْ يحضر لقراءة الكتب، ومنهم مَنْ يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلّم، وقد جُعلَ فيها ما يحتاج إليه الناس من الحِبر والأقلام والورق والمحابر[3]. وقد رصدَ الحاكم أموالاً طائلة للإنفاق عليها، وقد خَصَّص قسماً من أملاكِه الخاصة وأوقفها على هذه المكتبة، وقد وُجدَ فيها قاعات للمحاضرات والمناظرات، أتخذت طابعاً حُرّاً في البدء، فدعي إليها الشيوخ من المذهبين - السُنّي والشيعي - وقرئت فيها فضائل الصحابة، وكان يشرف على سير الدراسة فيها داعي دُعاة الدولة الفاطمية، الداعي المشهور،أحمد حميد الدين الكرماني[4]. وقد أستثيرت النزاعات الطائفية في هذه المساجلات الدينية، الأمر الذي حدا بالوزير الفاطمي «الملك الأفضل» إلى إغلاقها في أوائل القرن السادس، بسبب فتنة ابن القصّار فيها وذلك سنة 517هـ[5].

ثم أعيد فتحها في زمن الوزير المأمون، وزير الخليفة الآمر بأحكام الله، شرط أن يكون المتولي عليها رجُلاً ديّناً، اي داعي الدُعاة، ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن، فاستخدم فيها أبو محمد الحسن بن آدم، فتولى أمرها واستخدم فيها المقرئون حسبما أراد[6].

---

(1) د. حمادة/ المكبات في الإسلام/ ص101.
(2) المقريزي - الخُطط - 2/ 337.
(3) المقريزي - الخطط 2/ 337.
(4) أنظر كتابنا/ عمل الدُعاة الإسلاميين في العصر العباسي/ ص113 - 114، وليس المؤيد في الدين - داعي الدُعاة - الذي كان يتلو مجالسه - المؤيدية - في هذه المكتبة - بل كان يلقيها في الجامع الأزهر، وهذا الوهم وقع فيه د. حمادة في كتابه/ المكتبات في الإسلام/ ص102. إذ كان داعي الدعاة - في زمن الحاكم بأمر الله هو حميد الدين الكرماني - وليس المؤيد في الدين.
(5) المقريزي/ الخطط والآثار/ 2/ 337.
(6) المقريزي، المصدر السابق 2/ 340.

## * تنظيم مكتبة - دار العلم - القاهرية:

لقد كانت هذه المكتبة منظَّمة ومصنّفة بشكل دقيق، يسهل عمل روّادها، وقد عُيّن مُشرفاً عليها أول الأمر، القاضي عبد العزيز بن القاضي النعمان بن حيّون المغربي(1).

ثم عهد بالإشراف عليها للوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجاني المتوفى سنة 1044م، وقد اهتمَّ هذا الوزير بشؤونها ورمَّمَها وأجرى بها الإصلاحات اللازمة، وأمر بأن يعمل لها فهرساً عاماً، وعهد بهذه المهمة إلى القاضي أبي عبدالله القضاعي، وإبن خلف الورّاق(2).

وقد كان في هذه المكتبة عِدّة غُرف، تذكر المصادر أربعين غُرفة في القصور الداخلية(3) وقد كان «النُسّاخ» في غُرفٍ خاصة، ويجلسون على مراتب مهيئة لهم بشكل مُعيّن، وينسخون الكتب المُراد نسخها، وكان هناك موظفين يجلبون لهم الكتب المراد نسخها، ويقومون بخدمتهم(4). كما كان في هذه المكتبة غرف خاصة للمطالعة وأخرى للمناظرة، وأخرى للإجتماعات. وقد وضع لهذه المكتبة «فهرست عام» وفهرست لبقية الأقسام، ويوضع كل فهرس بلائحة ملصقة، على مدخل القسم ومن هذه الأقسام، قسم الفقه على سائر المذاهب، وقسم النحو واللغة، وقسم الحديث، وقسم التواريخ وسير الملوك، والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف، وكل فهرس مُترجم بورقة ملصقة على كل باب خزانة، وما فيها من المصاحف الكريمة(5). وقد وجد «صلاح الدين الأيوبي» عند دخوله إلى هذه المكتبة ومكتبات الفاطميين الأخرى، في أواسط (ق 6هـ) أنها كانت مفهرسةً مصنَّفة، وخزائنها في القصر مرتّبة البيوت، مُقسَّمة الرفوف، مفهرسةً بالمعروف، كما يقول أبو شامة(6) مؤرخهُ الخاص.

## * نفقات الحاكم بأمر الله - من الأموال - على هذه المكتبة:

أورد المقريزي في «خُططهِ» نص وقفية الحاكم بأمر الله على دار الحكمة هذه في

(1) راجع ترجمة القاضي ابن حيون المغربي بكتابنا: عمل الدُعاة الإسلاميين في العصر العباسي/ ص194 - 198.
(2) القفطي - أخبار العلماء بأخبار الحكماء/ ص440. ود. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص106.
(3) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص148.
(4) د. حمادة/ المصدر السابق/ ص149.
(5) المقريزي: الخطط 2/ 254.
(6) كتاب الروضتين بأخبار الدولتين/ 1/ 268.

القاهرة «أماكن من فسطاط مصر على عِدّة أعمال خيرية، وضمّنها كتاباً» ثبّتهُ عند قاضي القضاة مالك بن سعيد، قال فيه مخصّصاً دار الحكمة بما يلي:

1 - ثمن الورق للنسخ (90 ديناراً).

2 - راتب الخازن (48 دينار).

3 - راتب الفراشيّن (15 دينار).

4 - راتب المشرف على الحبر والورق والأقلام (12 دينار).

5 - لإصلاح الكتب وترميمها (12 دينار).

6 - ثمن الماء (12 دينار).

7 - ثمن الحُصر العبداني (10 دينار).

8 - ثمن لبود للفرش في الشتاء (5 دنانير).

9 - ثمن طنافس في الشتاء (4 دنانير).

10 - إجرة ترميم وصيانة الستارة (1 دينار)[1].

ويضيف المقريزي: وإن مقدار ما أوقفه الحاكم على دار الحكمة هذه يبلغ عشر ثمن العشر من واردات ما أوقفَهُ جملة على أعمال الخير ويبلغ (257) ديناراً من العين المغربي كل سنة[2].

## * نهاية هذه المكتبة:

تذكر المصادر التاريخية أن «صلاح الدين الأيوبي» أراد أن يمحي آثار الدولة الفاطمية في مصر، حين أسقطها عام 567هـ ولذلك عَمَدَ إلى بيع تراثها الفكري «بالمزاد العلني» إذ يقول المؤرّخ «أبو شامة» وهو واحد من الذين رافقوا ركاب «صلاح الدين» وأرّخ له بكتابه «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين - النورية والصلاحية» وكانت خزانة الكتب، من عجائب الدُنيا، لأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دارَ كُتبٍ أعظم من الدار التي بالقاهرة في القصر[3]. نبيعت بالمزاد، ويقول أبو شامة أيضاً: «أن عدد كتب هذه الخزانة بلغ 120 ألف مُجلّدة مؤبّدة من العهد القديم مخلدة، وفيها بالخطوط المنسوبة ما اختطفتهُ الأيدي

---

(1) المقريزي: الخُطط 2/ 337 - 338، وراجع كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص158. حيث أورد هذا النص كاملاً.

(2) المقريزي/ المصدر السابق/ نفس المكان.

(3) كتاب الروضتين 1/ 200.

وأقطعهُ التعدّي، وكانت كالميراث مع أمناء الأيتام، يتصرّف فيها بشره الإنتهاب والإلتهام، ونُقلت منها ثمانية أحمال إلى الشام[1].

كما يذكر أيضاً، أن عدد مجلداتها بلغت - إبّان مجدها - مليوني كتاب[2] ويشير المقريزي، أن بيع هذه الكتب كان يومان في الاسبوع، وهي تباع بأرخص الأثمان، وقد تولّى بيعها الدلاّل ابن صورة، دلاّل الكتب، واستمر بيعها عدّة أعوام[3].

ويستأنف أبو شامة، شرحه للموقف التراجيدي الذي إنتهت إليه مكتبات الفاطميين إذ يقول على لسان «العماد» راوي هذه القصة أنّه: أي العماد، شارك بهذا العمل، ولم يستطع أن يمنَعَهُ، يقول العماد: «فلما رأيت الأمر حضرت القصر واشتريت كما اشتروا... واستكثرت من المتاع المبتاع وحويت نفائس الأنواع، ولما عرف السلطان - صلاح الدين الأيوبي - ما ابتعتهُ وكان بمائتين، أنعم عليَّ بها، وابرأ ذمّتي من ذهبها، ثم وهبَ لي أيضاً من خزانة القصر ما عنيت عينَهُ من كتبها، ودخلت عليه يوماً وبين يديه مجلّدات كثيرة أُنتقيت له من القصر، وهو ينظر في بعضها ويبسط يدي لقبضها. قال: وكنت طلبت كُتباً عيّنتها فقال: وهل في هذا شيء منها؟ فقلت: كُلّها، وما استغنى عنها، فأخرجتها من عنده بحَمّالٍ، وكان هذا بالإضافة إلى سماحه أقل نوال»[4].

وتعتلي مرارة الحدث هذا المؤرخ المعاصر للمكتبات د. محمد ماهر حمادة، وهو يُعلّق على كيفية (احتيال) القاضي الفاضل للحصول على الآلاف من هذه الكتب، حيث يقول حمادة: «وثالثة الأثافي الطريقة التي حصل بها - القاضي الفاضل على كُتُبه التي اشتراها من هذه المكتبات، ذلك «أنَّهُ حصل للقاضي الفاضل قدر كبير منها، حيث شغف بحبّها، وذلك أنَّهُ دخَلَ إليها واختبرها، فكل كتاب صَلُحَ لهُ قطع جلدهِ ورماهُ في بُركةٍ كانت هناك، فلما فرغ الناس من شراء الكتب، إشترى تلك الكتب التي ألقاها في البُركة، على أنها «مخرومات» ثم جمعها بعد ذلك، ومنها حصل ما حصل من الكتب[5] وقد حصل القاضي الفاضل بهذه الطريقة مائة ألف مُجلّد من هذه المكتبة، ولمّا أنشأ مدرسته الفاضلية في القاهرة، جعل الكتب التي حصل عليها من القصر في مكتبتها»[6].

(1) المصدر السابق - نفس المكان.
(2) نفس المصدر السابق.
(3) خطط المقريزي 2/ 254، وراجع كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص120.
(4) أبو شامه/ كتاب الروضتين/ 1/ 268، وراجع كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص121.
(5) المكتبات في الإسلام/ ص122.
(6) المقريزي: الخطط 2/ 254.

## 2 - مكتبة العزيز بن المُعز لدين الله الفاطمي بالقاهرة:

أنشأ هذه المكتبة العَزيز بالله الفاطمي، ابن المُعز بالله الخليفة الفاطمي المشهور، والذي بنى مدينة القاهرة. والعزيز بالله، إهتمَّ بالعِلم ونشر المعرفة، إذ أنَّهُ توسّع كل التوسّع في هذا المجال، فأنشأ «دار العلم» بجوار الجامع الأزهر سنة 378هـ وجعلها لخمسة وثلاثين من أكابر العلماء[1] إضافة إلى أنّه إهتمَّ إهتماماً بالغاً بالكتب، وتفنَّن في جمعها والحصول عليها، وساعدهُ في ذلك وزيرهُ «يعقوب بن كلس» حيث كان هذا الوزير مُحبّاً للعلوم، مشجّعاً لأهلها، جُماعة للكتب، نصيراً للفنون[2].

ثمة أمرٍ هام، إختلف فيه أغلب المؤرخين، هو «تداخل مكان مكتبات الخلفاء الفاطميين» من حيث، مكان وجود هذه المكتبات في قصر الخلافة» لذلك يعثر الباحث على تشابه الصورة في الوصف عند هؤلاء المؤرخين، فمكتبة العزيز الفاطمي، تنطبق عليها كثير من مواصفات مكتبة الحاكم بأمر الله. ويتفق المؤرخون جميعاً بأن «خزائن الكتب للخلفاء الفاطميين كانت أربعون خزانة»، وكانت توصف - هذه الخزائن أنها من عجائب الدُنيا، ولم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم منها[3]، ويقسّمها الباحثون المعاصرون[4] إلى قسمين/ داخلية وخارجية «فالداخلية خاصة بالخليفة وحاشية القصر، والخارجية وعِدّتها 40 خزانة».

ويتوقف المقريزي، وهو المؤرخ الذي توقّف بشكل دقيق مع تُراثهم ورَصَد كل إنجازاتهم، بحكم إنتماءه إلى مصر، يقول: «أن عدد الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة، من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة، وإن الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة من شدّة «المستنصر بالله» ألفان واربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة، زائدة الحُسن، مُحلاّة بالذهب وفضّة وغيرهما، وقد وجدت صناديق مملوءة أقلاماً مبريّة من براية ابن مُقلة وإبن البوّاب وغيرهما»[5] والمقصود «ببراية» ابن مقلة وإبن البواب يعني، أقلام القصب المقطوطة والخاصة بالخط حصراً.

ويستوقف المقريزي أيضاً، مع هذه المكتبة، بعد أن يوصفها بأنها من عجائب الدُنيا،

(1) آدم متز/الحضارة الإسلامية 1/ 249 - 250.
(2) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص116.
(3) أنظر - المكتبات في الإسلام/ ص116.
(4) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص116 - 117.
(5) المقريزي/ الخطط والآثار 2/ 253.

ويضيف: «ومن عجائبها أنّه كان فيها ألف ومئتي نسخة من تاريخ الطبري، وإنها كانت تشتمل على ألف ألف وستمائة ألف كتاب، وكان بها من الخطوط المنسوبة أشياءَ كثيرة»[1]، والجميل في المؤرخ المقريزي أنّه يوقفنا على تفاصيل دقيقة، فيما يخص «الكتب النادرة» وشهرة مؤلفيها، وكيفية الحصول على هذه الكتب من قبل الخلفاء الفاطميين، فينقل لنا أخبارعن العزيز بالله الفاطمي، بهذا الصدد يقول: «ذُكر عند العزيز الفاطمي كتاب العين، فأخرج منه نيفاً وثلاثين نسخة من خزانته، منها واحدة بخط الخليل بن أحمد الفراهيدي، وحملت إليه نسخة من «تاريخ الطبري» اشتراها بمائة دينار، وأمرخزّان المكتبة فأخرجوا منها عشرين نسخة، منها واحدة بخط محمد بن جرير جامعة، وذكرت عنده «جمهرة ابن دريد» فأخرج منها مائة نسخة»[2]. كما أن العزيز بالله عيّن «علي بن محمد الشابشتي» صاحب كتاب «الديارات» قيّماً على تلك المكتبة، فكان يقرأ لهُ وينادمه[3].

لقد آل مصير هذه المكتبة إلى الهلاكِ والتلف، كبقية المكتبات التي أمر صلاح الدين الأيوبي ببيعها في المزاد العلني، وذلك عندما أسقط الخلافة الفاطمية عام 567هـ[4]. فيما كانت حالة الخلافة الفاطمية - قبل السقوط، بحالة من التدهور المريب، وضعفت شوكة الخلفاء، حتى أن المقريزي، يصف عجز الخليفة (المستنصر بالله) عن دفع رواتب الوزير «أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي والحُطير بن الموفّق في الدين، فأخذا هذان «خمسة وعشرين جملاً موقرة كُتباً، وقد قُوّمت حصّة الوزيرأبي الفرج، بخمسة آلاف دينار، بينما يقول المقريزي أن ثمنها أكثر من مائة ألف دينار»[5].

## 1 - مكتبة الجامع الأزهر:

تكاد تكون «الجوامع» من أشهر المعالم الدينية التي خلّفها الفاطميون من تراثٍ إسلامي في مصر، ولا زالت هذه الجوامع قائمة حتى هذه اللحظة، إذ كانت في هذه الجوامع «الأزهر» أشهر المحاضرات لأشهر الدُعاة في الدولة الفاطمية، فقد أملي فيه داعي دُعاة الدولة الفاطمية «المؤيد في الدين، هبة الله بن موسى الشيرازي» مجالسهِ

---

(1) الخُطط والآثار 2/ 254. وانظر كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص118.

(2) المقريزي: إتّعاظ الحُنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء/ ص287، تحقيق جمال الشيّال، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1967م.

(3) إبن خلكان: وفيات الأعيان 3/ 8.

(4) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص119.

(5) الخطط والآثار.. 2/ 253.

المعروفة بـ«المجالس المؤيدية» وهي ستمائة مجلس[1] كلها بالفقه والتأويل والتفسير، على ضوء المنهج الإسماعيلي الذي كانت تتبنّاه الدولة الفاطمية[2]. ويعتبر الجامع الأزهر من أقدم الجامعات في العالم، ولا تزال «جامعة الأزهر بإسمه»، ويحتوي على مكتبة فاخرة، مليئة بالكتب والمخطوطات النادرة في مختلف المعارف والعلوم[3].

## 2 - مكتبة جامع ابن طولون:

يبدو أن هذا الجامع قد لاقى رعاية خاصة من الخُلفاء الفاطميين، فقد أنزل الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى هذا الجامع 814 مصحفاً[4] وكذلك ترك في وصيّته عدداً من الكتب للجامع الأزهر[5].

## 3 - مكتبة جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي:

لقد أهتم الفاطميون كثيراً في بناء المساجد والجوامع في عصرهم حتى غَدت إحدى الميزات الواضحة على ذلك العصر، وكانت المكتبات إحدى الأساسيّات في بناء تلك الجوامع، ومن هذه الجوامع كان جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي والذي لا زال قائماً حتى هذا اليوم في القاهرة، وعندما جُدّد بناء هذا الجامع سنة 703هـ أنتدب لعمارته الأمير ركن الدين، وقد أنهى العمل فيه على خير ما يرام، وعمل به «خزانة كتب جليلة» كما يصفها المقريزي[6].

## 4 - مكتبة يعقوب بن كلس:

كان ابن كلس، وزيراً للعزيز الفاطمي، وقد أوجد خزانة كتب لنفسه، إذ كان مُحبّاً للعلوم، ويجمع حولَهُ العلماء والأدباء، وكان في دارِهِ قومٌ يكتبون القرآن وآخرون يكتبون الحديث والفقه والأدب، وحتى الطب، ويعارضون، ويشكلون المصاحف وينقّطونها[7].

---

(1) حققّها ونشرها د. غالب مصطفى وصدرت بأربعة أجزاء عن دار الأندلس ببيروت عام 1974م.
(2) انظر كتابنا - عمل الدُعاة الإسلاميين في العصر العباسي، فصل خاص عن الجامع الأزهر، منشورات دار الحصاد - دمشق 1993م.
(3) د. حمادة محمد ماهر/ المكتبات في الإسلام/ ص84.
(4) أنظر المقريزي: الخطط... 3/ 221.
(5) المصدر السابق 3/ 230، وراجع كذلك، د. حماده/ المكتبات في الإسلام/ ص84.
(6) الخطط والآثار 3/ 237.
(7) ابن خلّكان: وفيات الأعيان 1/ 28. وكذلك حماده/ المكتبات في الإسلام/ ص94.

## 5 - مكتبة مبشّر بن فاتك:

هو الأمير مبشّر بن فاتك، كان ذو همّة عالية في تحصيل العلوم والكتب، وكان محبّاً للعِلم وأهله، وكانت لَهُ خزانة كتب، يعشقها أكثر من أهله، فكان في أكثر أوقاته، إذا نزل من الركوب لا يفارقها، وليس لَهُ دأبٌ إلاّ المطالعة والكتابة. وكانت عندَهُ زوجَة من أرباب الدولة، فلما توفي، نهضت هي وجواريها إلى خزانة كتبه وفي قلبها «شيء على الكتب» حيث كان زوجها يشتغل بها عنها، فجعلت تندبَهُ، وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار، هي وجواريها، ثم رفعت الكتب بعد ذلك من الماء، وقد غرق أكثرها ولهذا السبب أن كتبه يوجد الكثير منها، وهي بهذه الحال[1].

## 6 - مكتبة عضد الدين في القاهرة:

ذكر ياقوت الحموي، أنَّه التقى في القاهرة بالشيخ أبي الفوارس عضد الدولة مُرهف بن أُسامة بن مُرشد - أحد أحفاد بني منقذ - أمراء شيزر - في سورية - وقد تحدَّث إليه ووصَفَهُ بأنه شيخ ظريف إشترى منّي كُتباً، وحدَّثني أن عندَهُ من الكتب ما لا يعلم مقدارهُ، إلاّ أنَّهُ ذكر لي أنَّهُ باع منها أربعة آلاف مُجلّد، في نكبةٍ لَحَقتْهُ، ولم يؤثّر ذلك فيها[2].

## 7 - مكتبة المارستان المنصوري في القاهرة:

ذكر المقريزي هذه المكتبة بأنها «كانت ملحقة بالمارستان المنصوري في القاهرة وإنها كانت موجودة في زمانه»[3].

## 8 - مكتبة مستشفى قلاوون في القاهرة:

ذُكرت هذه المكتبة في المدّونات الحديثة[4] فقد ذكر أن عدد الكتب التي وُجدت في هذه المكتبة حوالي مائة ألف مُجلّد، أُخذت أغلبها من دار الحكمة في القاهرة[5].

---

(1) إبن أبي أصيبعه: طبقات الأطباء 3/ 163. وحمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص94.

(2) معجم الأدباء 5/ 243. وانظر حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص95.

(3) المقريزي: الخطط... 3/ 322.

(4) دائرة المعارف الإسلامية 13/ 361، تحرير «فنسك» ليدن، بريل 1909 - 1938.

(5) راجع د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص146.

## 9 - مكتبة المارستان القديم - في القاهرة:

هي واحدة من خزائن الكتب الفاطمية - الخارجية - وهي واحدة من تلك الخزائن المشهورة في القاهرة، ذكرها ابن تغري بردي قائلاً: «وأمّا خزانة الكتب فكانت في أحد مجالس البيمارستان - العتيق - وكان فيها ما يزيد على مائة ألف مُجلّد في سائر العلوم يطول الأمر في عِدّتها»[1]. ويبدو أن هذه المكتبة كانت محط رعاية الخلفاء الفاطميين، إذ يذكرالمقريزي أن «الخليفة يأتي راكباً، ويترجّل على الدكّة المنصوبة ويجلس عليها، ويحضر إليه من يتولاّها، وكان في ذلك الوقت الجليس بن عبد القوي، فيُحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك ممّا يقترحه من الكتب، فإن عَنَّ له أخذ شيئاً منها، ثم يعيدَهُ»[2]، ثم يصف المقريزي، تنظيم هذه المكتبة بالقول: «تحتوي هذه الخزانة على عِدّة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم، والرفوف مقطّعة بحواجز، وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات، ويسير من المجرّدات، فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللّغة وكتب الحديث والتواريخ وسيَر الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ، ومنها النواقص التي ما تُمِّمت، كل ذلك بورقةٍ مُترجمة «فهرس» مُلصقة على كل باب خزانة، وما فيها من المصاحف الكريمة، في مكانٍ فوقها، وفيهامن الدُرج «الخطوط» بخط ابن مُقلة ونظائرهُ كإبن البَوّاب وغيره.. فإذا أراد الخليفة الإنفصال مشى فيها مشية لنظرها، وفيها ناسخان وفرّاشان، صاحب المرتبة وآخر، فيعطي الشاهد عشرين ديناراً ويخرج إلى غيرها»[3].

## 10 - مكتبة المدرسة الفاضلية - في القاهرة:

هي تلك الخزانة التي جمعها القاضي الفاضل، وزير صلاح الدين الأيوبي من الكتب التي صادرها من مكتبات الخلفاء الفاطميين - لا سيما مكتبة دار العلم، وكذلك ما أخذه من مدينة آمد. وأودعها جميع هذه الكتب في مكتبة هذه المدرسة التي سُمّيت بإسمه[4].

---

(1) النجوم الزاهرة، في أخبار مصر والقاهرة... 4/ 101.
(2) الخُطط المقريزية 2/ 254.
(3) الخُطط والآثار 2/ 254. وراجع كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص118.
(4) د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص164.

## 11 - مكتبة عبد الرحمن الصُدفي - المُنجِّم:

جاء ذكرهذه المكتبة عند «إبن خلكان» في معرض حديثه عن الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الصُدفي المنجم، المتوفّى سنة 399هـ، وكان هذا الرجل محبّاً للفلك والنجوم، ولما توفي، خَلَّفَ ولداً «متخلفاً» باع كتب والده وجميع تصنيفاته بالأرطال في الصابونيّن[1].

## 12 - مكتبة الطبيب إفرائيم بن الزمان في القاهرة:

قال ابن أبي أُصيبعة في ترجمة الطبيب المُعرّي إفرائيم ابن الزمان: «أنَّهُ طبيب إسرائيلي وجد في مصر، وهو من الأطباء المشهورين بديار مصر، خدم الخلفاء الذين عاصرهم وحصل من جهتهم من الأموال والنِعَمْ شيئاً كثيراً جداً»[2] ويبدو أن هذا الطبيب كان ميّالاً لجمع الكتب واستنساخها، حتى كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب الطبيّة وغيرها، يقول ابن أبي أُصيبعة: «وكان أبداً عِندَهُ النُسّاخ يكتبون ولهم ما يقوم بكفايتهم منه»[3] وذكرت المصادر: أنَّ ورّاقاً عراقيّاً قصد الديار المصرية ليشتري كتباً يتوجّه بها إلى العراق، واجتمع مع الطبيب «إفرايم» واتفقا فيما بينهما على البيع، حيث باعه «أفرايم» من الكتب التي عندهُ عشرة آلاف مُجلّد كان ذلك أيام ولاية الأفضل بن بدر الجمالي، أمير الجيوش الفاطمية، وزير المستنصر بالله وكذلك استوزرَهُ الآمر بأحكام الله/ أغتيل سنة 1121م»[4] وعندما سمع الوزير الأفضل، أراد تلك الكتب أن تبقى في الديار المصريّة، فبعث إلى إفرايم من عنده بجُملة المال الذي كان قد أتفق عليه بين إفرائيم والعراقي، ونقلت الكتب إلى خزانة الأفضل، وكتبت عليها ألقابه[5] ويعلّق ابن أبي أُصيبعه على ذلك بالقول: «ولهذا أنني قد وجدت كتباً كثيرةً من الكتب الطبيّة وغيرها عليها إسم إفرائيم وألقاب الأفضل أيضاً، وقد خلّف إفرائيم من الكتبِ ما يزيد على عشرين ألف مُجلّد، ومن النِعَمِ والأموال شيئاً كثيراً جداً»[6].

---

(1) إبن خلكان: وفيات الأعيان 3/ 106. وراجع كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص166.

(2) طبقات الأطباء 3/ 174 - 175.

(3) المصدر السابق - نفس المكان.

(4) راجع: المنجد في اللغة والأعلام/ منجد الأعلام/ ص56.

(5) إبن أبي أُصيبعه: طبقات الأطباء 3/ 174 - 175.

(6) المصدر السابق، نفس المكان.

الفصل الرابع

# مكتبات الأندلس

إنَّ دافع المنازلة الحضارية بين الأندلس وبلاد المشرق برُّمتها، خضع إلى دافع سياسي، إذ كانت الخلافة أُمويّة في الأندلس، وليس لها علاقة بالعبّاسيين، وأرادت هذه الخلافة الأموية - في هذه الجزيرة (الإيبرية) أن تثبت مكانتها في العالم الإسلامي، من جهة كونها تنتمي إليه ثقافياً وقومياً، وبالتالي، أراد خلفائها أن يثبتوا الغِرار المضاد والمتفّوق على خلفاء بني العباس في العمران والسياسة والإقتصاد، وفي الثقافة والفنون، وقد أثبتوا هذه الجدارة، والتاريخ شهد لهم بذلك، لا سيما في ميدان الآداب والفنون، ويكفي أن نذكر - ثقافياً - أنّهم أوجدوا «الموشحات» وشجّعوا كل علماء وأدباء وفناني المشرق بالوفادة إليهم، وغالوا برفد هؤلاء القادمين، وهم كثرة، فلا غروة أن ينتقل العقل الإبداعي بتأثيراته على بلاد الأندلس من المشرق، ويخلق المحفّزات الضرورية لنهضة هذه الجزيرة، مستفيداً من كل الإنجازات المشرقية، إذ انتقل إليهم ظفر الورّاق والمغنّي المشهور زرياب[1]، وجملة من العلماء والأدباء الذين رفدوا حاضر الأندلس بمختلف الثقافات، وقد كان للورّاقين في الأندلس الدور العظيم في حركة الكتاب بهذه الجزيرة، وقد نالت قرطبة الشأوَ العظيم بأسواق الوراقة وكثرة الكتب المنتجة فيها، وقد بلغ ازدهارها أنها كانت أعظم مدينة في أوربا كلها، وتأتي على قدم المُساواة مع القسطنطينية وبغداد إبّان عزِّهما، وناهيك ببلدةٍ بلغ عدد مساجدها (1600 مسجد) وحمّاماتها 600، وفيها 200 ألف دار، وثمانون ألف قصر، وبلغ عدد أرباضها «الضواحي» تسعة أرباض كل ربض كالمدينة الكبيرة، ودور قرطبة ثلاثون ألف ذراع، وفي ضواحيها ثلاثة آلاف قرية وقُدّر عدد سكانها بمليوني نسمه، وكان بالربض الشرقي من قرطبة مائةَ وسبعون إمرأة كُلُّهنَّ يكتبن المصاحف بالخط الكوفي[2] لذا لا غرابة في إنتشار المكتبات ببلاد الأندلس وكثر التأليف

(1) راجع دراستنا «زرياب من بغداد إلى الأندلس» المنشورة في مجلة «الحياة الموسيقية، العدد 4 - السنة 1993، دمشق.

(2) محمد كرد علي/ الإسلام والحضارة العربية/ 1/ 256.

وازدياد عدد المؤلفين فيها[1]. وقد ذكر المؤرخون أن ورّاقي الأندلس (أحذق الناس في الوراقة، وخطوطهم مُدّورة)[2].

وقد كان لأهل الأندلس ولعِ مؤرِق بجمع الكتب، سوف نتكلم عنهم عند ذكرنا لمكتباتهم في هذا الفصل من البحث... ولكن دعونا نطَّلع على هذا الحوار المعرفي بصدد الحالة الثقافية، الذي كان يشير إلى الأوج الثقافي الذي وصَل إليه صَدى الأندلس، بين مختلف الأوساط الثقافية والعلمية، لا سيما مدينتي قرطبة وإشبيلية، فقد أورد «المُقري التلمساني» هذا الحوار الثقافي، كمناظرة دارت بين «إبن رشد» فيلسوف قرطبة، وإبن زهر»شاعر إشبيليّة» وَوَشّاحُها الأبرز، يقول المقري: «قال ابن رُشد لإبن زهر في تفضيل قرطبة: ما أدري ما تقول، أنَّه إذا مات عالِمٌ بإشبيلية، فأُريد بيع كتبه حُمِلَتْ إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإذا مات مُطرِبٌ بقرطبة فأُريد بيع آلاتِهِ حُمِلتت إلى إشبيلية، قال: وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً»[3].

إن هذا التطور الثقافي في الأندلس، هو الذي جعل المؤرّخ دوزي لأن يقول: أن أغلب الناس في الأندلس أصبحوا قادرين على القراءة والكتابة[4] وهو ذات الأمر الذي دعا الكاتب الأسباني المتعصب لقومه «الفارو» لأن يقول: «إن إخواني المسيحيّين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم، لا لتفقدها، بل لتعلم إسلوب عربي بليغ، واأسفاه إنني لا أجد اليوم علمانياً يقبل على قراءة الكتب الدينية أو الإنجيل بل إن الشباب المسيحي الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة إلاّ العربيّة، ذلك أنهم يقبلون على كتب العرب في نهمٍ وشغف، ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة، في الوقت الذي يحتقّرون الكتب المسيحية وينبذونها»[5].

ومن هنا نفهم مقدار الثقافة المنتجة للكتاب في الأندلس، ونحن نعتقد لولا الحرب الإسبانية لطرد العرب من الأندلس، لكانت هذه الجزيرة «الأندلس» فاقت بعلمها وآدابها بقية الأمصار الإسلامية .على أيِّ حال، دعونا نتوقف مع مكتباتها لنعرف أهميتها الثقافية في مجرى التطور الحضاري للثقافة العربية - الإسلامية.

---

(1) د. حمادة: المكتبات في الإسلام ص96.

(2) أحمد أمين: ظُهر الإسلام 3/ 13 نقلاً عن المقدسي «في أحسن التقاسيم.. «والخطوط المدورة: هو ما يعرف الآن بالخط المغربي، وهو نوع من الخط الديواني.

(3) أنظر - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 1/ 463.

(4) راجع د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص99.

(5) جرونيباوم، جوستاف: حضارة الإسلام، ص81 - 82، تعريب عبد العزيز جاويد، القاهرة، 1960م، وأنظر كذلك. د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص99، حيث نقل الرواية أيضاً.

## 1 - مكتبة سَلمة بن سَعيد:

روى ابن بشكوال في كتاب «الصِلَة» نقلاً عن «أبي حفص الزهراوي» قال: ساق سَلمة بن سعيد المتوفي سنة 406هـ، شيخنا من المشرق ثمانية عشر حملاً مشدودة من كتب، وسافر من (استجه) إلى المشرق، واتخذ مصر موئلاً له، واضطرب في المشرق سنين كثيرة جداً، يجمع من الآفاق كتب العِلم، فكلما اجتمع من ذلك مقدار صالح نهضَ بهِ إلى مصر، ثم نزحَ بالجميع إلى الأندلس، وكانت في كل فن من العِلم، ولم يتُمّ لَهُ ذلك إلاّ بمالٍ كثير حملَهُ إلى المشرق[1].

## 2 - مكتبة القاضي أبو مطرف:

كان القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى المعروف بأبي مطرف من أصحاب الهِمَمْ العالية في جمع الكتب واقتنائها، وكان حَسِنُ الخط، جيّد الضبط، جمع من الكتب في أنواع العلم ما لم يجمَعَهُ أحدٌ من أهلَ عصرهِ بالأندلس، مع سِعَة الرواية والحفظ والدراية، وكان لهُ سِتَةِ ورّاقين ينسخون دائماً، وكان قد رتب لهم على ذلك راتباً معلوماً، وكان متى عَلِمَ بكتاب حَسنٌ عند أحد من الناس طلبه للإبتياع منه، وبالغ في ثمنه، فإن قدر على إبتياعه، كان بها، وإلاّ انتسخَهُ منه وردَّهُ إليه[2]، قال ابن بشكوال عنه، بعد أن توفي عام 402هـ، أن حفيدَهُ أبو سليمان قال: سَمِعَ عَمَّهُ وغير واحد من سَلَفهِ يحكون أن أهل قرطبة إجتمعوا لبيع كتب جدّه هذا، مُدّة عام كامل في مسجدِهِ، في الفتنة في الغَلاء، وإنّه اجتمع فيها من الثمن أربعون ألف دينار «قاسمية» وأخبرنا أيضاً: أن القاضي جدَّهُ كان لا يعير كتاباً من أصوله ألبتَّة، وكان إذا سأله أحد ذلك وألحفَ عليه أعطاهُ للناسخ فنسخَهُ وقابلهُ ودفَعَهُ للمستعير، فإن صَرَفَهُ وإلا تركهُ عنده، وكان يُملي الحديث من حفظه في مسجده، ومستملٍ بين يديه، على ما يفعَلَهُ كبار المحدثين بالمشرق، والناس يكتبون عنه[3].

## 3 - مكتبة ابن حزم:

صاحبها هو «علي بن أحمد» المعروف بإبن حزم الأندلسي، وُلِدَ سنة 994م، وتوفي سنة 1064م/ 456هـ، هو واحد من أكبر علماء الأندلس بالفقه والعلوم، وشاعر وفيلسوف

---

(1) كتاب «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس» 1/ 220، تحقيق عزّت العطار الحسيني، القاهرة 1955م.
(2) كتاب الصِلة/ 1/ 298.
(3) المصدر السابق 1/ 299، وراجع كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص97.

ومؤرخ، وُلد في قرطبة وذاع صيتَهُ بها، وكان منذ نعومة أضفاره مولعاً بالدراسة والعناية بالكتب، وحرقته السياسة وحرقت مكتبته، لهُ تصانيف عِدة، أشهرها كتابهِ «الفِصل في المِلَلْ والأهواء والنِحَل» وهو كتاب فقهي، يبحث في الأديان بمنهج مقارن، ولهُ أيضاً «جمهرة الأنساب» والإحكام في أصول الأحكام، ولهُ كتابٌ ذائع الصيت إسمه «طوق الحمام، في الإلفة والآلاف» وهو دراسة في الحُبّ، ذات منهج إفلاطوني[1].

كانت لديه مكتبة كبيرة في إشبيلية، وقد تصدر العلماء المنظّرين للمذهب الظاهري، ممّا أدى إلى اضطهاده من قبل ملك إشبيلية، المعتضد بن عَبّاد، فَفَّر من وجههِ، طلباً للنجاة، لكن المعتضد طاردَهُ، وهدمَ دورهِ وصادر أموالِه وأملاكه وأحرق كتبهِ بإشبيلية علانية، فلما بلغة ما فعل المعتضد بكتبه قال:

«دعـونـي مـن إحـراق رقّ وكـاغـدِ وقولا بعلمٍ كي يرى الناس مَنْ يدري
فإن تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي تضمَّنهُ القِرطاس بل هو في صدري
يسيرُ معي حيث استقلّت ركائبي وينزلُ إن أنزل ويدفنُ في قبري[2]

وروى عنه إبنَهُ «رافع» قال: «اجتمع عندي، بخط أبي من تأليفه نحو أربعمائة مُجلّد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة». ويضيف المقري التلمساني: «وهذا شيء ما علمناه لأحد مِمَّن كان في دولة الإسلام قبله إلاّ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه كان أكثر أهل الإسلام تصنيفاً»[3].

## 4 - مكتبة عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم (ت 400هـ):

ذكرها صاحب «الصِلة» وقال عنها بأنها: «قرطبية، لم يكن في جزائر الأندلس في زمانها من يَعْدِ لها فهماً وعلماً وأدباً وشعراً وفصاحة وعفّة وجزالة وحصافة، كانت تمدح ملوك زمانها وتخاطبهم فيما يعرض لها من حاجاتها، فتبلغ ببيانها حيث لا يبلغه كثير من أدباء وقتها، ولا تُرد شفاعتها، وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف والدفاتر، وتجمع الكتب، وتُعنى بالعِلم ولها خزانة علم كبيرة وحسنة، ولها غنى وثروة تعينها على المرؤة»[4].

---

(1) راجع: المنجد في اللغة والأعلام/ منجد الإعلام/ ص6، مادة (إبن حزم).

(2) أنظر: ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والآلاف المقدمة/ تحقيق حسن كامل الصيرفي، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1967م.

(3) نفح الطيب 2/ 82، وراجع كذلك. د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص53.

(4) إبن بشكوال «كتاب الصلة» 2/ 654، وانظر كذلك المكتبات في الإسلام/ ص98.

## 5 - مكتبة الفيلسوف ابن رُشد:

هو العالم الجليل، أبو الوليد محمد بن رُشد (1126 - 1198م) فيلسوف قرطبة المشهور، وُلد في قرطبة وتوفي في مراكش، وهو واحد من أشهر الفلاسفة العرب، درس علم الكلام والفقه والشعر والطب والرياضيات والفلك والفلسفة، قَدّمهُ ابن طُفيل لأبي يعقوب/ خليفة الموحّدين/ 1182م/ فعيّنَهُ طبيباً له، ثم قاضياً في قرطبة.

أوجد صلة توافق بين الشريعة والفلسفة في كتابه «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال» تصدّى للغزالي في الدفاع عن الفلسفة بكتابه الهام/ تهافت التهافت/ ولهُ شروح كثيرة على مؤلفات أرسطو، لذلك سمّوهُ فلاسفة الغرب بالشارح[1].

كان ابن رشد من العقول المفكرة الكبيرة في الثقافة العربية - الإسلامية، وقد كانت لديه مكتبة كبيرة وعامرة بكتب الفلاسفة، وقد ناصبهُ العَداء فقهاء بلده، في زمن المنصور بن أبي عامر، يقول المراكشي: «أمروا بإحراق كتبه، وخاصة الفلسفية»[2].

## 6 - مكتبة الخليفة عبد الرحمن الأوسط:

هو الخليفة الأموي المشهور، عبد الرحمن الأوسط 206هـ/ 822م حيث يعتبر عهدهُ منعطفاً هاماً في تاريخ حضارة الأندلس حيث أدخل إلى بلاطهِ أُبّهة المُلك وعادات العبّاسيين في الزينة ونمط الحياة بنى القصور والمساجد وشجّع الشعراء ومنهم «الغزّال» وقرّب المُغنّي «زرياب»[3] ولهُ معه أحاديث جميلة وطريفة[4].

وقد أسَّسَ هذا الخليفة مكتبة فخمة في قرطبة، وأرسل إلى المشرق عباس بن ناجح ليجمع لهُ الكتب ويستنسخها[5].

---

(1) المنجد في اللغة والأعلام/ منجد الأعلام/ ص8.

(2) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب/ ص203، نشر برعاية دوزي، طبعة ليدن 1881م.

(3) المنجد في اللغة والأعلام/ منجد الأعلام/ ص365.

(4) أنظر دراستنا: زرياب من بغداد إلى الأندلس، المنشورة في مجلة الحياة الموسيقية، العدد 4، دمشق 1993م.

(5) إبن سعيد/ المغرب في حُلي المغرب 1/ 45 و1/ 324 وراجع كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص122.

## 7 - مكتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر:

يعتبر عبد الرحمن الناصر (300 - 350هـ) واحد من أعظم الخلفاء الذين حكموا الأندلس، وكان هذا الخليفة مهتمّاً بالعلوم والآداب إهتماماً كبيراً، وقصده العلماء من كل مكان، وأصبح قصره ملتقى الأدباء ومثابتهم، من أمثال «القالي البغدادي - صاحب كتاب النوادر - وغيره من العلماء والأدباء، أسَّسَ مكتبة كبرى في قصرهِ، حوت على كثير من العلوم والآداب بجميع اللغات، كما تقول المراجع الحديثة[1].

فقد أرسل لَهُ إمبراطور القسطنطينية عدداً من الكتب اليونانية، منها: كتاب ديسقوريدس وكتاب هورسيوس، والأول كتاب علمي طبي يبحث في الأعشاب والحشائش وفوائدها الطبيّة، والثاني كتاب تاريخي يبحث في تاريخ اليونان والرومان، ويذكر ابن جُلجل أنه لم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الأندلس من يقرأ اللسان الإغريقي، الذي هو اليوناني القديم، فبقي الكتاب (ديسقوريدس) في الخزانة ولم يترجم إلى اللسان العربي، وبقي الكتاب بالأندلس، والذي بأيدي الناس/ من نفس الكتاب/ كان بترجمة إصطفين الوارد من مدينة السلام[2].

ثمّة أمرٍ مُلفت للإنتباه هو أن ملوك الروم وغيرهم كانوا يتبادلون مع خُلفاء الأندلس الهدايا في الكتب الثمينة، نظراً لما رأوه من ميلٍ معرفي نحو الكتاب عند خلفاء الأندلس، فمن ذلك «ورود كتاب من صاحب القسطنطينية إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر، وكان في ورقٍ مصبوغ بلونٍ سماوي، مكتوباً بالذهب بالخط الإغريقي، وداخل الكتاب مُدرجة، مصبوغة أيضاً ومكتوبة بفضّة بخط إغريقي أيضاً، وعلى الكتاب «طابع ذهب وزنه أربعة مثاقيل، على الوجه الواحد صورة المسيح عليه السلام وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده، وكان الكتاب بداخل درج فضّة، منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزُجاج الملّون البديع، وكان الدُرج داخل جعبة مُلبَّسة بالديباج[3].

---

(1) د. حمادة: المكتبات في الإسلام/ ص122.

(2) إبن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء مقدمة - ك - تحقيق فؤاد السيّد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية/ القاهرة 1955م وانظر كذلك/ المكتبات في الإسلام/ ص122.

(3) المقرّي التلمساني: نفح الطيب 1/ 367 - 368، وانظر كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص193.

## 8 - مكتبة الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله:

إقترن إسم هذا الخليفة بالعلوم والآداب، وجمع الكتب، فمنذ أن تولى الخلافة في الأندلس (350 - 366هـ) حتى بدأ يوطّد الأمن في بلادهِ، فالتفت إلى بناء المدارس والمكتبات واقتناء الكتب والإهتمام بملامح الحضارة، إذ أنّه تثقّفَ على يد «أبي علي القالي البغدادي» الذي وفد على أبيه/ عبد الرحمن الناصر/ وأكرم مثواه وحسنت منزلته عنده، وأورث أهل الأندلس عِلمَهُ وأدبه، واختصَّ بالحكم المستنصر واستفاد من علمِهِ، يقول عنه المؤرخ «دوزي»: «لم يسبق أن تولّى حكم اسبانيا حاكم عالم بهذه الدرجة، ورغم أن جميع أسلافهِ كانوا رجالاً مثقفين، وأحبّوا أن يغنوا مكتباتهم، فإن أحداً منهم لم يبحث بشغف ونهم عن الكتب النادرة والثمينة كما فعل الحَكَم»[1] كما أشاد بهمّته ابن خلدون في جمع الكتب ومحبّته للعلوم إذ قال عنه: «وكان محبّاً للعلوم مكرماً لأهلها، جَمّاعة للكتب في أنواعها ما لم يجمَعَهُ أحدٌ من الملوك قبله... فأقام للعلم والعلماء سلطاناً نفقت فيها بضائعه من كل قطر، وكان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجّارة ويسرّب إليهم الأموال لشرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه»[2].

وتذكر المصادر أن الحكم سمع بأن أبي الفرج الأصفهاني يؤلف كتاباً لم يُسبق إليه هو «كتاب الأغاني» فأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العيّن، فبعث إليه بنسخةٍ قبل أن يخرجهُ إلى العراق وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحهِ لمختصر ابن عبد الحكم»[3].

وقد جمع في قصرهِ أحذق الورّاقين وأمهر النّساخين في الضبط والإجادة وفي التجليد فأوعى في ذلك كُلِّهُ، واجتمعت في الأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده[4].

ويروي ابن خلدون عن حزم قوله: «أخبرني بكيّة الحضّي، وكان على خزانة العلوم والكتب التي بدار بني مروان، أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسة، في كل فهرسة، عشرون ورقة، ليسَ فيها إلاّ ذكر أسماء الدواوين لا غير»[5]. فيما

---

(1) دوزي، رينهارت: تاريخ المسلمين في إسبانيا، ص454 منشورات شاتو ووندس، لندن - 1913.

(2) إبن خلدون: كتاب العِبر 4/ 146. وراجع كذلك: حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص123.

(3) المقري التلمساني: نفح الطيب... 1/ 386.

(4) المصدر السابق/ نفس المكان.

(5) كتاب العِبر: 4/ 146.

يذكر صاحب «نفح الطيب» لأنه - أي الحكم - جمع مِن الكتب ما لا يُحد ولا يوصف كثرةً ونفاسة، حتى قيل أنها كانت أربعمائة ألف مجلد، وإنهم لمّا نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها» ويضيف: «وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي باذلاً فيها ما أمكنه من الأموال حتى ضاقت عنها خزانة»[1].

ولقد شاءت الأقدار لأن تلعب الردى في هذه المكتبة الثمينة، إذ أن «المنصور بن أبي عامر» الذي أصبح سيّد الأندلس، بعد وفاة «الحكم» بفترة، أخرج من المكتبة جميع الكتب الفلسفية وكتب علوم الأوائل وأحرقها بالنار، في الميدان العام في قرطبة إرضاءً للعامة والفقهاء في زمانه[2] وبعد وفاة المنصور، وأثناء حصار البربر لقرطبة في مطلع القرن الخامس الهجري، إحتاجَ «الحاجب واضح» من موالي المنصور بن أبي عامر، إلى مالٍ، فأمر بإخراج أكثر الكتب من مكتبة «الحكم» وباعها، وما تبقّى منها نُهِبَ عندما دخل البربر قرطبة، واقتحموها عنوة»[3].

## 9 - مكتبة المظفر بن الأفطس:

صاحبها هو أحد الأمراء لملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري، هو الأمير المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس، قالت المصادر عنه[4] بأنه كان كثير الأدب جم المعرفة محبّاً لأهل العلم، جمّاعة للكتب ذا خزانة عظيمة، لم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه في الأدب والمعرفة.. قال ابن بسّام: «كان المظفر أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع ولَهُ التصنيف الرائق والتاليف الفائق المتُرجم «بالتذكرة» المشتهر إسمَهُ «بالكتاب المظفري» في خمسين مجلداً، يشتمل على فنون وعلوم من مغازٍ وسير ومثل وخبر، وجميع ما يختص به علم الأدب أبقاهُ للناس خالداً»[5].

## 10 - مكتبة السلطان أبي عنان المتنقلة بمراكش:

ذكر خبر هذه المكتبة المتنقلة في «أحكام القرآن» لمؤلفيه أبي بكر محمد بن عبدالله

---

(1) المُقري التلمساني/نفح الطيب 1/ 394 وما بعدها، وراجع تعليقات د. حمادة على الموضوع في كتابه/ المكتبات في الإسلام/ ص124.

(2) أولغا بينتو: المكتبات العربية في العصر العباسي، دراسة في مجلة الثقافة الإسلامية، السنة الثالثة 1929/ ص226.

(3) إبن خلدون: كتاب العِبر 4/ 146 وراجع كذلك د. حمادة: المكتبات في الإسلام/ ص125.

(4) د. حمادة: المكتبات في الإسلام ص 125 - 126.

(5) المقري التلمساني: نفح الطيب 3/ 380.

المعافري بن عربي، حيث يُروى فيه قائله: «أخبرني الشيخ الصالح يوسف الحزام المغربي بالإسكندرية في سنة ستين وسبعمائة، قال: رأيت تأليف القاضي أبي بكر بن العربي في تفسير القرآن المُسمّى «أنوار الفجر» كاملاً في خزانة السلطان الملك العادل أمير المسلمين أبي عنان فارس بن السلطان أمير المسلمين أبي الحسن علي بن السلطان أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن يوسف بن عبد الله، وكان السلطان - أبو عنان - آنذاك، بمدينة مراكش، وكانت لَهُ خزانة كتب يحملها مَعَهُ في الأسفار، وكنت أخدمهُ مع جماعة في حزم الكتب ورفعها. فعددتُ أسفارها فبلغت عِدَّتُها ثمانين مُجلّداً، لم ينقص من الكتاب المذكور شيء»[1].

## 11 - مكتبة ابن زهر الطبيب:

صاحب هذه المكتبة الطبيب أبي العلاء بن زهر (ق 5هـ) ورد ذكر هذه المكتبة ضمن حديث ابن أبي أُصيبعه حول كتاب «القانون في الطب» لإبن سينا، حيث أن هذا الكتاب، أوّل دخوله الأندلس وصل إلى أبي العلاء بن زهر، إذ أن رجلاً من التجّار جَلَبَ من العراق نسخة منه، وقد بُولغَ في تحسينها، فأتحفَ بها أبا العلاء ابن زهر تقرّباً إليه، ولم يكن هذا الكتاب وقع إليه قبل ذلك[2].

ولمّا تأمَّلهُ - ابن زهر - لم يستحسنهُ، وذَمَّهُ، وطَرَحَهُ، ولم يدخلهُ خزانة كتبه، وجعل يقطع من طُرَرِهِ ما يكتب فيه نسخ الأدوية «الراشيتات» لمن يستفتيه من المرضى[3].

---

(1) أنظر، المعافري، أبو بكر محمد بن عبدالله بن عربي: أحكام القرآن، المقدمة/ ص - ب/ منشورات مطبعة السعادة، القاهرة 1331هـ، وراجع كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص146 وص 147 حيث أورد الخبر كاملاً.

(2) طبقات الأطباء 3/ 104.

(3) نفس المصدر 3/ 105. وراجع د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص192.

## الفصل الخامس

# مكتبات تونس والمغرب

### 1 - مكتبة جامع الزيتونة:

لم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا، للإحاطة الكاملة عن تاريخ هذه المكتبة، المرتبطة «بجامع الزيتونة» رغم علمنا بأن هذه المكتبة واحدة من أكبر المكتبات - الآن - التي تضمُّها جامعة الزيتونة في تونس، وقد أورد الباحث د. حمادة، ذكر هذه المكتبة بموازاة مكتبة الجامع الأزهر حيث قال: «وحوت هذه المكتبة - يقصد مكتبة الأزهر - ما لذَّ وطاب من ثمرات العُقول» وأضاف: «والشيء نفسه صحيح بالنسبة لجامع الزيتونة في تونس»[1].

### 2 - خزانة كتب جامع القيروان:

ورد ذكرها عند د. محمد ماهر حمادة، في معرض حديثه عن استعارة الكتب من المكتبات وشروط تلك الإستعارة، فذكر أن «إبن خلدون» أوقف نسخة من كتابه «كتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر».

في مكتبة جامع القيروان، وقد نَصَّ في وثيقة الإهداء والوقف أنه لا يجوز إعارة الكتاب إعارة خارجية، إلاّ إذا كان المستعير شخصاً ذا سمعة جيدة وأميناً، شريطة أن يدفع رهناً مناسباً، وأن يرد الكتاب في مدّة أقصاها شهران»[2].

---

(1) د. محمد ماهر حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص84.

(2) المرجع السابق/ ص161.

# قائمة المصادر والمراجع

## - أ -

1 - ابن الأثير: أبو المحاسن، عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني.

* الكامل في التاريخ - 12 جزءاً - منشورات دار صادر، بيروت 1385هـ/ 1965م.

2 - إخوان الصفا وخلاّن الوفا.

* رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، تحقيق خير الدين الزركلي، الطبعة المصرية 1347هـ/ 1928م.

3 - الأدفوي: محمد بن علي بن أحمد، أبو بكر.

* الطالع السعيد لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد. طبعة القاهرة 1914م.

4 - آرنولد: السير توماس - مستشرق.

* تراث الإسلام، طبعة أكسفورد، مطبعة كليرن 1931م.

5 - أمين، أحمد.

* ضُحى الإسلام، طبعة القاهرة، ط7، 1964م.

6 - الأمين: محسن عبد الكريم الحسيني العاملي.

* أعيان الشيعة - 10 أجزاء - منشورات دار التعارف للمطبوعات، بيروت 1403هـ/ 1983م.

7 - ابن أبي أُصيبعة: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي.

* عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء: تحقيق د. نزار رضا. منشورات مكتبة الحياة بيروت 1965م.

8 - الأنباري: أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد.

* نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء: تحقيق د. إبراهيم السامرائي طبعة دار المعارف، بغداد 1959م.

- ب -

9 - باقر، د. طه.

* قانون جديد من تل حرمل - دراسة - نشرها في مجلة سومر العراقية، العدد 4 لعام 1948م.

10 - بروين: بدري توفيق. تحقيق مخطوطة.

* المخترع في فنون من الصنع لمؤلف مجهول: نشرت بمجلة المورد العراقية، العدد 4 المجلد 14، لعام 1985م.

11 - ابن بسام: أبو الحسن علي الشنتريني.

* الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: منشورات لجنة التأليف والترجمة، طبعة القاهرة 1358هـ/ 1939م.

12 - ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن داحة الأنصاري.

* كتاب الصِلة - جزءان - منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة سنة 1966م.

13 - البُلاذري: أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن جابر.

* فتوح البلدان: تحقيق عبدالله أنيس الطبّاع وعمر أنيس الطبّاع. منشورات دار النشر للجامعيين 1377هـ/ 1957م.

14 - البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد.

* تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة: طبعة حيدر آباد عام 1377هـ/ 1958م، وطبعة لايبسك 1945م.

15 - بيتو: أولغا - مستشرقة.

* المكتبات العربية في العصر العباسي - دراسة - نشرتها في مجلة الثقافة الإسلامية، السنة 3، لعام 1929م.

- ت -

16 - التعاويذي: سبط بن التعاويذي، أبو الفتح محمد بن عبد الله.

* ديوان سبط بن التعاويذي: طبعة مارجليوث وطبعة المقتطف المصريّة سنة 1903م.

17 - ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي.

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - 16 مجلد - طبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة 1963م.

18 - التنوخي: القاضي أبو علي الحسن بن علي.

* نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة - 8 أجزاء - تحقيق عبّود الشالجي بيروت سنة 1391هـ/ 1971م، وطبعة مارجليوث.

19 - التوحيدي: أبو حيّان علي بن محمد بن العبّاس.

* المقابسات: تحقيق حسن السندوبي، منشورات المكتبة التجارية الكبرى بمصر 1347هـ/ 1929م ونشرة توفيق حسين، بغداد 1970م.

* الإمتاع والمؤانسة - 3 أجزاء - تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م.

* رسائل التوحيدي - تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، ط 1 منشورات دار طلاس، دمشق 1985م.

- ث -

20 - الثعالبي: أبو منصور عبد الملك النيسابوري.

* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار النهضة المصرية، القاهرة 1384هـ/ 1965م.

* لطائف المعارف: تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، طبعة البابي الحلبي، القاهرة 1960م.

21 - ثعلب: أبو العباس يحيى بن زيد بن سيّار الشيباني.

* مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، منشورات دار المعارف بمصر.

- ج -

22 - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب.

* الحيوان: - 7 أجزاء - تحقيق عبد السلام هارون، ط2، طبعة البابي الحلبي، القاهرة بدون تاريخ.

* المحاسن والأضداد: تحقيق فان فلوتن، طبعة ليدن 1898م.

* البيان والتبيّين - 3 أجزاء - تحقيق عبد السلام هارون، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 1،القاهرة 1367هـ/ 1948م.

* رسائل الجاحظ - جزءان - تحقيق عبد السلام هارون، منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة 1384هـ/ 1965م.

23 - جار الله، زهدي حسن.

* المعتزلة: طبعة القاهرة، ط1، 1366هـ/ 1947م.

24 - جرونيباوم: غوستاف.

* حضارة الإسلام: تعريب عبد العزيز جاويد، طبعة القاهرة 1960م.

25 - ابن جُلجُل: أبو داود سليمان بن حيّان الأندلسي.

* طبقات الأطباء والحكماء: تحقيق فؤاد سيد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1955م.

26 - الجلبي: د. داود.

* مخطوطات الموصل: طبعة بغداد 1927م.

27 - الجهشياري: أبو عبدالله محمد بن عبدوس.

* الوزراء والكتّاب: تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط1 مطبعة البابي الحلبي، القاهرة 1357هـ/ 1938م.

28 - جواد: د. مصطفى.

* أول مدرسة في العراق، مدرسة الإمام أبي حنيفة - مقال، نشره في مجلة المعلم الجديد، العدد 6 سنة 1946م.

* دور العِلم العراقية في العصر العباسي - دراسة - نشرها في مجلة «عالم الغد» العراقية، العدد 10، سنة 1949م.

29 - الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر.

* المُعرّب: تحقيق أحمد محمد شاكر، منشورات دار الكتب المصرية، القاهرة 1361هـ.

30 - ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي.

* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - 10 أجزاء - طبعة حيدر آباد. سنة 1358هـ.

* مناقب بغداد - تحقيق محمد بهجت الأثري، منشورات مطبعة دار السلام، بغداد 1342هـ.

* صيد الخاطر: تحقيق محمد أمين الخانجي، ط1، القاهرة 1345هـ/ 1927م.

31 - ابن الجوزي - السبط - أبو محمد يوسف، سبط أبي الفرج عبد الرحمن.

* مراة الزمان: مخطوطة شيكاغو، 1907،محفوظة نسخة منها في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم: ب1944.

## - ح -

32 - الحاجري: د. طه.

* الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية - مقالة، نشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 13 لعام 1965م.

33 - حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله.

* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: 6 أجزاء مع الذيل، منشورات مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة بيروت.

34 - الحريري: أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي.

* مقامات الحريري، منشورات المطبعة الحسينية بمصر 1348هـ/ 1929م.

35 - ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري الأندلسي.

* طوق الحمامة في الألفة والإيلاف، تحقيق حسن كامل الصيرفي، منشورات المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1967م.

36 - الحموي: ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الرومي البغدادي.

* معجم الأدباء - 20 مجلداً - تحقيق د. أحمد فريد رفاعي، منشورات دار المأمون المصرية، القاهرة 1357هـ/ 1938م.

* معجم البلدان - 8 أجزاء - منشورات دار صادر ودار بيروت، بيروت 1374هـ/ 1955م.

37 - حمادة: د. محمد ماهر.

* المكتبات في الإسلام، ط 6، منشورات مؤسسة الرسالة بيروت 1414هـ/ 1994م.

38 - الحنبلي: ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد الدمشقي.

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب - 8 أجزاء - منشورات دار المسيرة، ط2،

بيروت 1399هـ/ 1979م.

39 - الحنفي: قطب الدين محمد بن أحمد المكي.

* الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: منشورات المكتبة العلمية بمكة، سنة 1370هـ.

40 - ابن حوقل: أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي - الرحالة.

* صورة الأرض: طبعة ليدن، 1938م.

## - خ -

41 - الخالديان: أبو بكر محمد وأبو سعيد إبنا هشام الخالدي.

* التحف والهدايا: تحقيق د. سامي الدهان، منشورات دار المعارف بمصر، بدون تاريخ.

42 - خسرو: الرحالة ناصر، أبو المعين القُبادياني المروزي.

* سفر نامة: تعريب وتحقيق د. يحيى الخشاب، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1364هـ/ 1945م.

43 - الخطيب البغدادي: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي.

* تاريخ بغداد - 14 مجلّداً - ط1، منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد، ومطبعة السعادة بمصر، 1349هـ/ 1931م.

44 - ابن خلدون: العلامة عبد الرحمن بن محمد المغربي.

* مقدمة ابن خلدون - 4 أجزاء - تحقيق د. علي عبد الواحد، ط1، منشورات لجنة البيان العربي، مصر سنة 1376هـ/ 1957م وطبعة إحياء التراث - جزء واحد - بيروت.

* كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - 7 أجزاء - طبعة بولاق المصرية 1284هـ.

45 - ابن خلكان: أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر.

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - 8 أجزاء - تحقيق د. إحسان عباس، منشورات دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

46 - الخوئي: أبو القاسم.

* معجم رجال الحديث - 10 مجلدات - ط2، بيروت 1403هـ/ 1983م.

- د -

47 - دائرة المعارف الإسلامية. ترجمة أحمد الشنتاوي وجماعته.

48 - ابن الداية: أحمد بن يوسف الكاتب.

* كتاب المكافأة وحسن العُقبى: تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة القاهرة 1940م.

49 - الدجيلي: د. كاظم.

* وصف كتب خزانة الإمام علي - مقالة - منشورة في مجلة لغة العرب، العدد 3 تموز والعدد 4 آب، لعام 1914م.

50 - دياب: مفتاح محمد.

* قصة الطباعة وتطورها - مقال - نشره في مجلة الناشر العربي الليبية، العدد 2 فبراير/ شباط 1984م.

51 - دوزي: المستشرق المعروف.

* تاريخ المسلمين في إسبانيا: منشورات شاتو وندوس طبعة لندن 1913م.

52 - الدراري اللامعات في منتخبات اللغات - قاموس تركي عربي - أو قاموس اللغة العثمانية/ بيروت 1318هـ.

53 - دي بور: ت. ج.

* تاريخ الفلسفة في الإسلام، ط4، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، منشورات لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة 1957م.

54 - ديورانت: وول.

* قصّة الحضارة - 24 مجلد - تعريب أحمد بدران، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1950.

- ذ -

55 - الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.

* سير أعلام النبلاء - 24 جزءاً - تحقيق شعيب الإرناؤوط وجماعته منشورات مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 1401هـ/ 1981م.

* تذكرة الحُفّاظ - 4 أجزاء - طبعة حيدر آباد، 1377هـ/ 1958م.

* العِبر في خبر من غَبَر: تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت 1960م.

- ر -

56 - رضا: الشيخ أحمد.

* متن اللغة: منشورات مكتبة الحياة، بيروت 1377هـ/ 1958م.

57 - رفاعي: د. أحمد فريد.

* عصر المأمون - 4 مجلدات - منشورات دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة 1346هـ/ 1927م.

- ز -

58 - الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن.

* طبقات النحويين واللغويين: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مصر 1373هـ/ 1954م.

59 - الزبيدي: محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي.

* تاج العروس - 24 مجلد - ط1، المطبعة الخيرية بمصر 1306هـ. وطبعة الكويت 1972م.

60 - الزركلي: خير الدين.

* الأعلام - 8 أجزاء - ط5، منشورات دار العلم للملايين، بيروت 1980م.

61 - زكي: حسين كمال الدين.

* صناعة الورق، نشأتها وتطورها - دراسة قصيرة - نشرها في مجلة الناشر العربي الليبية، العدد 2، فبراير/ شباط/ 1984م.

62 - زيّات: حبيب.

* الجلود والرقوق والطروس في الإسلام - مقالة في مجلة الكتاب - عدد يوليو لعام 1947م، السنة 2، ج9، منشورات دار المعارف بمصر.

## - س -

63 - ابن الساعي، تاج الدين علي بن أنجب بن عبد الله.

* مختصر أخبار الخلفاء: تحقيق د. مصطفى جواد، طبعة بولاق 1309هـ.

64 - السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي.

* طبقات الشافعية الكبرى - 6 أجزاء - ط2، المطبعة الحسينية بمصر.

65 - سعد: فهمي عبد الرزاق.

* العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين: منشورات الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1983م.

66 - السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي.

* الأنساب - 10 مجلدات - تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، منشورات محمد أمين دمج، بيروت بدون تاريخ.

67 - ابن سعيد. المغربي.

* المغرب في حلي المغرب. بدون تاريخ.

68 - سعيد: د. خير الله.

* النظام الداخلي لحركة إخوان الصفاء: منشورات دار كنعان، ط1، دمشق 1992م.

* ورّاقو بغداد في العصر العبّاسي، ط1، نشرة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض 2000م.

* زرياب، من بغداد الى الأندلس - مقالة - نشرت في مجلة الحياة الموسيقية السورية عدد 4 لعام 1993م.

60 - السوداني: د. مزهر.

* جحظة البرمكي - حياته وشعره - طبعة النجف، ط1، 1977م.

70 - سومر: مجلة فصليّة عراقية، متخصّصة بشؤون التراث.

* المجلدات 2، 3، 4 للسنوات 1946 - 1947 - 1948م.

71 - السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن الشافعي.

* تاريخ الخلفاء: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مصر سنة 1371هـ/ 1952م.

* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط1، منشورات مطبعة السعادة المصرية 1326هـ.

* حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: طبعة القاهرة 1327هـ.

- ش -

72 - الشابشتي: أبو الحسن علي بن محمد.

* الديارات: تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد 1951م.

73 - أبو شامة: شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل - المؤرخ.

* ذيل الروضتين: تحقيق عزت العطار الحسيني، منشورات دار الجليل، ط2، بيروت 1974م.

74 - الشكيل: د. علي جمعان.

* صناعة الورق في الحضارة الإسلامية - مقالة - نشرت في مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، العدد 31، السنة 8، اكتوبر 2000م.

75 - الشيرازي: هبة الله بن موسى - داعي دُعاة الدولة الفاطمية.

* المجالس المؤيديّة - 4 أجزاء - تحقيق د. مصطفى غالب. منشورات دار الأندلس، بيروت 1974م.

76 - شوشتري أ - م - أ.

* مختصر الثقافة الإسلامية: مطبعة بانغالور 1938م.

77 - شير: أدّي

* الألفاظ الفارسية المعرّبة، ط1، بيروت 1908م.

- ص -

78 - الصابىء: أبو الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم الكاتب.

* تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء: تحقيق عبد الستار أحمد فراج، طبعة البابي الحلبي المصرية 1958م.

* رسوم دار الخلافة: تحقيق ميخائيل عواد، منشورات مطبعة العاني، بغداد 1383هـ/ 1964م.

**79 - صاعد الأندلسي: أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن.**

* طبقات الأمم: طبعة الأب لويس شيخو اليسوعي، ط1، بيروت 1912م

**80 - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك.**

* الوافي بالوفيات - 25 مجلد - تحقيق هيلموت ريتر، طبعة إستانبول 1931م.
* نكت الهميان في نكت العميان: تحقيق أحمد زكي، منشورات المطبعة الجمالية بمصرسنة 1329 هـ/ 1911م.

**81 - الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى الشطرنجي الكاتب**

* أدب الكتّاب: تحقيق محمد بهجت الأثري، منشورات المكتبة العربية ببغداد والمطبعة السلفية بمصر سنة 1341هـ
* الأوراق، أو أخبار الراضي والمتقي - جزءآن - تحقيق ج هيورث، مطبعة الصاوي بمصر، ط1، القاهرة 1934م.

## (ض ظ) لا يوجد

## - ط -

**82 - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير - المؤرخ المعروف**

* تاريخ الرسل والملوك - 10 أجزاء - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعارف بمصر، 1968م

**83 - ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا.**

* الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: تحقيق محمد توفيق الكتبي، منشورات المطبعة الرحمانية بمصر، بدون تاريخ.

**84 - الطهراني، آقا بزرك.**

* الذريعة الى تصانيف الشيعة - 24 مجلد - منشورات دار الأضواء، ط1، بيروت 1403هـ/ 1983م.

**85 - ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر الخراساني.**

* كتاب بغداد - 6 أجزاء - تحقيق كلر، طبعة لايبسك 1908م.

- ع -

86 - ابن عبد ربّه: أبو عمر محمد الأندلسي.

* العقد الفريد - 7 أجزاء - تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1363هـ/ 1944م.

87 - ابن العبري: غريغوريوس الملطي.

* تاريخ مختصر الدول، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1980م.

88 - أبو عبيد: القاسم بن سلاّم.

* الأموال، تحقيق خليل محمد هرّاس، منشورات الدار الشرقية للطباعة، القاهرة 1388هـ/ 1968م.

89 - عريب: ابن سعد القرطبي.

* صلة تاريخ الطبري، طبعة ليدن 1897م.

90 - العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر.

* الدُرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، طبعة حيدرآباد، ط1، 1349هـ.

* لسان الميزان - 6 أجزاء - طبعة حيدرآباد، 1329هـ/ 1920م.

91 - عرشي: إمتياز علي.

* المباحث العلمية من المقالات السنية، طبعة حيدرآباد، 1358هـ.

92 - ابن عنبة: جمال الدين أحمد بن علي الحسيني.

* عُمدة الطالب في نسب آل أبي طالب، ط2، تحقيق محمد ناظم الكتبي، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف 1381هـ/ 1952م.

93 - عواد: كُوركَيس.

* خزائن الكتب القديمة في العراق، منشورات دار المعارف، بغداد 1948م

* الورق أو الكاغد، صناعته في العصور العباسية، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ج 3، المجلد 23، تموز 1948م.

* السفينة، مقالة - نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد 18 كانون2 وشباط 1943م/ 1362هـ.

94 - عواد: ميخائيل.

* صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، منشورات دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986م.

95 - عيسى: أحمد.

* تاريخ البيمارستانات في الإسلام، طبعة القاهرة بدون تاريخ ؟

* معجم أسماء النبات، طبعة دمشق 1971م.

- غ -

96 - غي ليسترانج - المستشرق.

* بغداد في عهود الخلافة العباسية، ترجمة بشير يوسف فرنسيس، ط1، بغداد 1355هـ/ 1936م.

- ف -

97 - الفاسي: التقي المكي.

* تاريخ علماء بغداد، طبعة عباس العزاوي، بغداد 1938م.

98 - أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين، إسماعيل، صاحب حماة.

* المختصر في أخبار البشر - 4 أجزاء - منشورات المطبعة الحسينية بمصر.

99 - أبو الفرج: الأصبهاني علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم.

* كتاب الأغاني - 24 جزء - طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1389هـ/ 1970م وطبعة الهيئة المصرية العامة 1927 بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

100 - ابن الفقيه: أحمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم - الهمداني - الإخباري.

* بغداد مدينة السلام، تحقيق د. أحمد صالح العلي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد 1977م.

101 - ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق تاج الدين بن أحمد.

* تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب - 4 أجزاء - تحقيق د. مصطفى جواد، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق بدون تاريخ.

* الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، تحقيق د. مصطفى جواد، منشورات المكتبة العربية، بغداد 1932م.

102 - الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب - العلاّمة اللغوي.

* القاموس المحيط، منشورات مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1406هـ/ 1986م.

- ق -

103 - القرآن الكريم.

104 - القرشي: ابن أبي الوفاء محمد بن محمد بن نصرالله بن سالم.

* الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ط1، حيدرآباد بدون تاريخ.

105 - القزويني: زكريا بن محمد بن محمود.

* آثار البلاد وأخبار العباد، منشورات دار صادر بيروت 1380هـ/ 1960م.

106 - القفطي: الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف.

* تاريخ الحكماء، تحقيق جوليوس ليبرت، طبعة ليبسك، والطبعة المصرية سنة 1326هـ، والمعروف بإسم (أخبار العلماء بأخبار الحكماء).

107 - القلقشندي: الشيخ أبو العباس أحمد بن علي.

* صبح الأعشى في كتابة الإنشا - 13 جزء - منشورات دار الكتب المصرية، القاهرة 1340هـ/ 1920م.

- ك -

108 - الكتبي: محمد شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر.

* فوات الوفيات - 5 أجزاء - تحقيق د. إحسان عباس، منشورات دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

109 - ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي.

* البداية والنهاية - 14 جزء - منشورات مكتبة المعارف، بيروت ومكتبة النصر بالرياض، 1966م.

110 - كرد علي: محمد.

* خطط الشام، منشورات مطبعة الترقي، دمشق 1345هـ/ 1926م.

* الإسلام والحضارة العربية - جزءآن - ط2 - منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م.

111 - الكناني: ابن جماعة بدر الدين بن الشيخ العارف أبي إسحاق إبراهيم بن السيد.

* تذكرة السامع والمتكلّم في آداب العالم والمتعلّم، طبعة حيدرآباد 1352هـ.

112 - الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف.

* كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق (فن كيست) منشورات الآباء اليسوعيين، بيروت 1908م.

## - ل - لايوجد

## - م -

113 - المتنبّي: أبو الطيّب أحمد بن الحسين بن عيدان السقا الكوفي.

* ديوان المتنبي - 4 أجزاء - شرح العكبري، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، الطبعة المصرية، بدون تاريخ.

114 - المراكشي: عبد الواحد.

* المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشرة المستشرق دوزي، ليدن 1881م.

115 - المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي.

* التنبيه والإشراف، تحقيق عبدالله إسماعيل الصاوي، القاهرة 1357هـ/ 1938م.

* مروج الذهب ومعادن الجوهر - 4 أجزاء - منشورات الجامعة اللبنانية، بإشراف شارل بيلاّ، بيروت 1974م وطبعة باريس ودار المعرفة 1403هـ/ 1982م.

116 - مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب.

* تجارب الأمم، نشرة آمدروز، القاهرة 1314هـ/ 1915م.

117 - المعافري: أبو بكر محمد بن عبدالله بن عربي.

* أحكام القرآن، منشورات مطبعة السعادة بمصر، القاهرة 1331هـ.

118 - المعرّي: أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي.

* رسالة الغفران، تحقيق إبراهيم اليازجي، القاهرة 1903م.

119 - المعز بن باديس.

* مخطوطة - عُمدة الكتّاب وعدة ذوي الألباب، موجودة في مكتبة العطّارين بتونس.

120 - معروف: د. ناجي.

* تاريخ علماء المستنصرية، بغداد 1379هـ/ 1959م.

121 - المغربي: أحمد بن عوض.

* قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار ونتائج المعارف والأسرار - مخطوطة.

حقّقها محمد توفيق بروين، ونشرها في مجلة المورد العراقية، العدد 3، مجلد 2، عام 1983م.

122 - المقدسي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري.

* أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن 1909م.

123 - المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد.

* المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار - المعروف بالخطط المقريزية - 4 أجزاء -. منشورات مطبعة النيل بمصر 1364هـ.

124 - المقري التلمساني: أحمد بن محمد المغربي المالكي الأشعري.

* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - 8 أجزاء - تحقيق د. إحسان عباس، منشورات دار صادر، بيروت 1388هـ/ 1968م.

125 - ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم الإفريقي المصري.

* لسان العرب - 14 جزء - طبعة دار صادر، بيروت.

126 - المنجد في اللغة والأعلام.

* منشورات دار المشرق، بيروت - ط 38 - لعام 2000م.

127 - مؤلف مجهول.

* أخبار الدولة العباسية، تحقيق د. عبد العزيز الدوري وعبد العزيز المطلبي، طبعة بيروت 1971م.

128 - ميتز، آدم، المستشرق.

* الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - جزءان - ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، طبعة القاهرة 1377هـ/ 1957م.

- ن -

129 - ابن نباته: جمال الدين المصري.

* سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون، ط4 - طبعة المليجي الكتبي، القاهرة 1357هـ

130 - النجفي: الشيخ جعفر آل محبوبة.

* ماضي النجف وحاضرها، منشورات مطبعة العرفان بصيدا، لبنان 1353هـ.

131 - ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق.

* الفهرست، منشورات المطبعة الرحمانية بمصر، بدون تاريخ.

132 - نصّار: د. حسين.

* المساجد في الإسلام، طبعة الكويت 1972م.

- و -

133 - ابن الوردي: سراج الدين أبو حفص عمر.

* جريدة العجائب، تحقيق محمد شاهين، طبعة القاهرة 1380هـ/ 1960م.

- ي -

134 - اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن واضح.

* البلدان، طبعة ليدن 1891م، وطبعة النجف ط3، 1377هـ/ 1957م.

# موسوعة الوراقة والوراقين
# في الحضارة العربية - الإسلامية

الجزء الرابع

## الإفرازات الحضارة للوراقين

(الخطاطون - كصنف مبدع من الوراقين)

# الباب الأول

# الخطاطون: كصنف مبدع من الوراقين

## الفصل الأول

## بدايات الحرف العربي في الكتابة

كانت الكتابة شائعة في بعض أطراف الجزيرة العربية، فقد كان لأهل اليمن كتابة يسموُنها «المَسْنَدْ» شاعت في «بني حِمْيَرْ» بينها تشابه وبين «الكتابة الحبشية» في كثير من الحروف، إلاّ أنها أحرف منفصلة[1].

وقبيلة «حِمِيَرْ» تُنسب إلى «حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنهم كانت الملوك في الدهر الأول، وإسم حِمْيَرْ، العرنجج، أنشَدَ إبن الأعرابي:

«أريتك مولاي الذي لستُ شاتماً ولا حارماً ما بالَهُ يتحمَّرُ»

و (يتحمّر) أي يصبح أو يريد التشبّه بملوك حِمير.[2]

ومن هذه القبيلة العربية تعلّمت «مُضرْ» الكتابة العربية، إلاّ أنهم لم يكونوا مجيدين لها كما يقول إبن خلدون وعنه ينقل لويس شيخو[3].

فيما كانت «النِبْطيّة» شائعة في شمال بلاد العرب وفي غربيِّها، وقد كانت هذه الكتابة «النبطية» ظاهرة على صورتين، منها مُربَّعة الحروف محكمة الصُنع، مع صلابة في شكلها، شاعت خصوصاً في شمال العرب واستعملوها في النُقود والأبنية، وقد كانت لهذه الكتابة

(1) أنظر: الأب لويس شيخو: «النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية» ص152 من القسم الأول - منشورات دار الشرق - ط2 - بيروت 1989م.

(2) أنظر: إبن منظور - لسان العرب - مادة «حَمُرَ» وراجع كذلك عادل محاد مسعود مريخ/العربية القديمة ولهجاتها/ ص45. منشورات المجمّع الثقافي - أبو ظبي - دولة الامارات العربية، ط1، 2000م.

(3) النصرانية وآدابها/ ص152.

علاقة مع الخطّ الآرامي المعروف بـ«الإسطرنجلي» فيما كانت الصورة الأخرى - لهذه الكتابة - هي «الشكل المستدير» خشبية الصُنع، جرى استعمالها غالباً في نسخ المعاملات والصكوك وما شاكلها[1]. وتلك هي الكتابة النبطية بصورتيها، وهي الأصل الذي اشتقَّ منه العرب أصل كتابتهم العربية، ودعوها بـ«الجزم»[2].

قال السيوطي: «إن أوّل مَنْ كتب بخطنا هذا وهو الجزم، مرامر بن مُرّة وأسلمُ بن سدرة وعامر بن جَدْرة وهم من عرب طي[3]. عَلَّموهُ أهل الانبار ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها، فتعلّمها بشر بن عبد الملك، وكان لَهُ صحبة بحرب بن أميّة لتجارته عندهم، فتعلّم «حرب» منه الكتابة ثم سافر مَعهُ بشر إلى مكّة فتعلّم منه جماعة من قريش قبل الإسلام، وسمي هذا الخطّ بالجزم لأنه جَزَم، أي قُطع من الخط الحميري، وتعلَّمهُ شرذمة قليلة منهم[4].

وينقل إبن النديم في «الفهرست» عن إبن عبّاس، قوله: «أوّل من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان، وهي قبيلة سكنت الأنبار، وأنّهم اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطّعة وموصولة، وهم: مرامربن مُرّة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة. فأمّا مَرَامُرْ فوضع الصُور وأمّا أسلم فَفَصَّل ووصل، وأمّا عامر فوضع الإعجام، وسُئل أهل الحيرة: مِمَّنْ أخذتم الخط العربي فقالوا: من أهل الأنبار»[5].

ويضيف إبن عبد ربّه، أن هؤلاء الثلاثة «وضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلَّمهُ قوم من الأنبار، وجاء الإسلام وليس أحَدٌ يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنساناً»[6].

ويضيف البلاذري إلى هذه الروايات قوله: «وكان بشر بن عبد الملك أخو أُكيدر بن عبد الملك إبن عبد الجن الكندي، ثم السَّكوني، صاحب دومة الجَندل يأتي الحيرة فيقيم

(1) لويس شيخو: الآداب النصرانية/ ص152.
(2) المرجع السابق/ نفس المكان.
(3) يستفيض الأستاذ الخطاط يوسف ذنون، حول هذه الأصول الكتابية بمقالته الهامة «قديم وجديد في أصل االخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة» والمنشورة في مجلة المورد العراقية، العدد الخاص بالخط العربي/ العدد 4 - المجلد 15 - السنة 1986، من ص7 - ص26 - لا سيما في الصفحات الأولى من المقالة.
(4) السيوطي/ المزهر في اللغة/ 1/ 390 - الطبعة المصرية القديمة 1282هـ.
(5) إبن النديم/ الفهرست/ ص4 - طبعة لايبزك 1872م.
(6) العقد الفريد 2/ 205 - الطبعة المصرية 1302هـ.

بها الحين، وكان نصرانياً، فتعلَّم بشر الخطَّ العربيّ من أهل الحيرة، ثم أتى مكة في بعض شأنهِ فرآه سفيان بن أُميّة إبن عبده شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب يكتب، فسألاهُ أن يعلّمهما الخطَّ فعلَّمهُما الهجاء، ثم أراهما الخطَّ، فكتبا، ثم أن بشراً وسفيان وأبا قيس أتوا الطائف في تجارة فصحبهم غيلان بن سلمة الثقفي فتعلَّم الخطَّ منهم، وفارقهم بشر ومضى إلى ديار مُضَرْ فتعلَّم الخطَّ منه عمرو بن زرارة بن عُدّس فسُمي عمرو الكاتب، ثم أتى بشرٌ الشام فتعلَّم الخطَّ منهُ أُناسٌ هناك. وتعلَّم الخطَّ من الثلاثة الطائيين أيضاً رجلٌ من طابخة كَلَبْ فَعَلَّمهُ رجلٌ من أهل وادي القِرى، فأتى الوادي يتردّد فأقام بها وعَلَّم الخطَّ قوماً من أهلها»[1].

من كل ما تقدم يمكن القول بثقة أن أهل (العراق) كان لهم قصب السبق في تعلم الحرف العربي، إن كان في الأنبار أو الحيرة، ومن ثم إستقرار قاعدة هذا الخط في «الكوفة» مهد تأطير قواعد الخط العربي الأول «الخط الكوفي» كما سيأتي لاحقاً. ومن هنا نفهم القلق الدائم عند الخطّاط العراقي لتجويد الخطوط وتحسين أشكالها، عهداً بعد عهد، وعصراً بعد عصر، وكأن الأمر فيه شيء من المسؤولية التاريخية للحفاظ على هذه الأسبقية. ليست آنياً فقط، بل حتى قبل الإسلام، إذ كان بعضُ العرب يذكّرون أهل مكّة وغيرها بفضلِ بشر بن عبد الملك عليهم لهذهِ الخِصلة التعليمية الباهرة. فهذا شاعر من كنده أصلهُ من دومة الجندل يخاطب قريش - التجارية، مذكّرهم بذلك قائلاً:

«لا تجحدوا نُعماءَ بشرٍ عليكُمُ ... فقد كان ميمون النقيبة أزهرا

أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمُ ... من المال ما قد كان شتّىً مبعثرا

وأتقنتمُ ما كان بالمال مُهملاً ... وطامنتمُ ما كانَ منهُ مُنفّرا

فأجريتمُ الأقلام عُوْداً وبداْةً ... وضاهيتُمُ كُتّاب كُسرى وقيصرا

وأغنيتُمُ من مسند القوم حِمَيرِ ... وما دبَّرت في الكُتبِ إقيالِ حميرا»[2].

إذن أصبح للخط العربي - كحرف - ممارسات كتابيّة أولى كان مهد إنطلاقتها - الأنبار والحيرة والكوفة، وحين وصل إلى «مكة» سَمَوهُ، الخط المكي، ثم سُمّي الخط الذي وصل يثرب، بالخط المديني، بعدما تحولت يثرب إلى اسم المدينة المنورة، إبّان

(1) البلاذري/ فُتوح البُلدان/ ص471 - طبعة ليدن 1866 وراجع كذلك - الأب لويس شيخو/ النصرانية وآدابها/ ص153.

(2) راجع: لويس شيخو/ النصرانية وآدابها/ ص154. وما بعدها، حيث أنّه يعرّج على الكثير من العرب االذين «تعلموا الخط العربي» وكيف انعكس ذلك في آدابهم.

وصول الرسول ﷺ إليها. إلاّ أن «الخط الكوفي والخط الأنباري» أخذا في الرسوخ والتعامل الإداري والتجاري بهما، والأنباري، أسهل من الكوفي، لأنه كان ليّن وأطوع في الكتابة وأسهل في الإستخدام، ثم تدرّج الكُتّاب في تحسين هذا الخط حتى أوجدوا لَهُ قاعدة جديدة ميّزته عن أصله الأنباري[1].

أما النوع الآخر من الخط هو الكوفي، فهو أس التطور الفني للخط العربي برمّته، فيما بعد حيث أن صفة هذا الخط الجاف كانت تميل إلى التربيع، أو ما يسمى أحياناً - الخط ذو الزوايا - أو الخط المزوي[2] الأمر الذي فرض على الخطّاط العربي، للتعامل مع هذا النوع برؤية هندسية أضفت جمالاً على هذا النوع من الخط.

ولذلك «نشاهد» أن صحائف القرآن التي كتبت أيام أبي بكر الصدّيق كان الخط الكوفي الجاف، هوالغالب عليها، حيث تظهر فيه الجلالة والفخامة، وقد طوّرهُ أهل الكوفة أيما تطوير إذْ منهم انتقل، مع الفتح الإسلامي، إلى بقية الأمصار، بعد أن أُجريت عليه - في الكوفة - عنايةً دقيقة، وجُوّد حرفُهُ وهُندست أشكاله، ومُطّطَت عراقاته واستقامت، وتميّز عن الخطوط الحجازية، إذ بهِ كُتبت المصاحف اللطاف، وتحلّت بهِ المباني، ودُمغت بهِ النقود والأختام، وكذلك خواتم الخلفاء والأمراء وغيرهم، وقد زاد القرآن فضلاً على هذا الخط، إذ شُرّفت صحائفهُ به، الأمر الذي جَعله يتصدر بقية الخطوط، حيث أن المحمول الديني - الإسلامي، كان واضحاً في هذا التأثير، إذ بدأت معالم الزخرفة الإسلامية تُوظّفهُ بشكل جميل ودقيق، وهو الأمر الذي جعل للخط العربي مكان الصدارة في عالم الزخرفة إلى مرتبةٍ لم يحظَ بها من قبل الخط الزخرفي في أيّة لغة أخرى، أو أيّ فنٍ آخر من الفنون[3].

---

(1) راجع محمد شكر محمود/ مقالة - الخط العربي والإسلام/ ص93 - مجلة آفاق عربية - العدد 6 - السنة 4 - شباط 1979م.

(2) المرجع السابق/ ص95.

(3) راجع: د. أحمد فكري - مقالة من كتاب/ محيط الفنون/ ص190، نقلاً عن محمد شكر محمود - الخط العربي والإسلام - مقالة في مجلة - آفاق عربية - ص93 العدد 4، شباط 1979م.

٢ً كتابة زَبَد في ثلث لغات يونانيَّة وسريانيَّة وعربيَّة
على مشهد اقيم ذكرًا لمار سرجيوس تاريخها ٨٢٣ للاسكندر ٥١٢ للمسيح
اطلب صورتها في القسم الاوَّل (الصفحة ١٠٤)

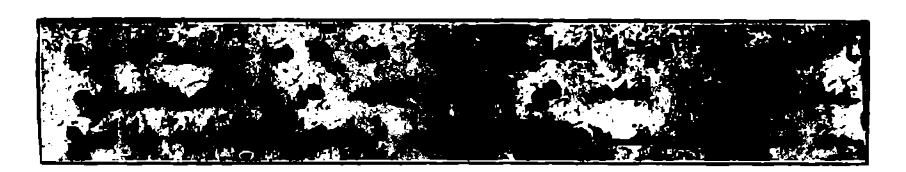
٣ً كتابة عربيَّة يونانيَّة وُجدت في حرَّان من اعمال حوران
تاريخها سنة ٤٦٣ لبُصرى و٥٦٨ للمسيح

ΑСΑΡΑΗΛΟСΤΑΛΕΜΥ
ΦΥΛΑΡΧΟСΕΚΤΙСΕΝΤΟΜΑΡΤΥ
ΤΥΑΓΙΥΙΩΑΝΝΥΙΝΔСΑΤΥΕΤΥСVΞΓ ΜΝΗСΘΙΕΟΓΡΑΨΑС +

٤ً مثال خطّ عربي نسخيّ على البرديّ تاريخهُ السنة ٢٤ للهجرة (٦٤٦ م)



٥ً قطعة من سورة البقرة عن رقّ من القرن الثالث للهجرة في مكتبتنا الشرقية



ودونك رسمها بالحرف الاسطرنجليّ للمقابلة بين الخطَّين

وكصيِّب من السماء فيهِ ظلمات ورعد وبرق

يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق

حذر الموت والله محيط بالكفرين (كذا) ويكاد البرق . . .

## جدول اقدم الكتابات العربيّة

١ً كتابة عربيّة بخط نبطي تاريخها سنة ٢٢٣ لبُصرى ٣٢٨ للمسيح
وجدها في غارة من اعمال حوران المستشرق دوسو

صوره الكتابة مأخوذة عن الحجر

رسم الكتابة بالخطّ

تي نفس امرء القيس بر عمرو ملك العرب كلِّه ذو أسر التاج
ومَلَكَ الاسدين وترارو وملوكهم وهرَّب محجو عكدى وجاء
بزجاي (؟) في حَبج نجران مدينت شمّر ومَلَكَ معدو وبيَّن بنيه
الشعوب ووكَّلهنَّ فارسو لروم فلم يبلغ ملكٌ مبلغهُ
عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولَدَهُ
رسم الكتابة بخط عربيّ (نقلًا عن كتاب دوسو)

---

صورة القلم الحميري

صور ونصب سعداوم دمدموم

## مراحل اشتقاق الخط العربي من الخط النبطي

| عربي | عربي قديم | نقش زبد وحران | نقش النمارة | نبطي متأخر |
|---|---|---|---|---|
| ا | | | | |
| ب | | | | |
| ج | | | | |
| د | | | | |
| هـ | | | | |
| و | | | | |
| ز | | | | |
| ح | | | | |
| ط | | | | |
| ى | | | | |
| ك | | | | |
| ل | | | | |
| م | | | | |
| ن | | | | |
| س | | | | |
| ع | | | | |
| ف | | | | |
| ص | | | | |
| ق | | | | |
| ر | | | | |
| ش | | | | |
| ت | | | | |
| لا | | | | |

المصدر: د. عبد العزيز الدالي، الخطاطة: الكتابة العربية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠

## الفصل الثاني

# الإسلام والحرف العربي

تكاد تكون الآية ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[1] المفتاح المعرفي لوعي العرب والمسلمين للتعاطي مع مختلف العلوم الإنسانية وغيرها، ونظراً لقدسية الخطاب القرآني في وعي المسلمين، فقد كان لزاماً عليهم فهم محمول هذا النص القرآني، ليسَ فقط في مجال الدين، بل في مجال الحياة أيضاً، وفعل القراءة، هنا، هو الحافز لاكتشاف عالم الكون وليس فقط القراءة، بل إدراك معارف الذات الإلهية وذات الأكوان أيضاً، ومن هنا كانت أحاديث الرسول، بهذا الصدد، تنسجم ومحمول الخطاب القرآني، فهو القائل «قيّدوا العِلم بالكتابة»[2] وأن تعرف الكتابة يجب معرفة أسرار حروفها، وفق مقتضى سياقات الجُمل، وشكل كتابة الحرف، وقد إنتبه الرسول محمد رغم أُميّتِهِ إلى تمايزات الشكل بين حرف وآخر، فهو القائل لكاتب الوحي زيد بن ثابت:

«إذا كتبتَ (بسم الله الرحمن الرحيم) فبيّن السينَ فيه»[3] هنا نلمس رؤية العين إلى الحرف بشكل جمالي عند الرسول محمد، وهذا يعني تجذير الحالة الفنيّة في فعل الكتابة، لذلك دأبَ الخُلفاء الراشدون من بعده بمراعاة ذلك. فقد ذُكر عند الخليفة عُمر بن الخطّاب (ت 23هـ/ 644م) قولُهُ: «أحسنَ الخَطِّ أبينَهُ وأبين الخطِّ أحسَنَهُ» حتى أنَّهُ شاهَدَ مصحفاً مكتوباً بقلمٍ رقيق فقال لحاملِهِ «عَظِّموا كتاب الله»[4] كما عُرف عن الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبِي طالب (ت 40هـ/ 661م) وهو أحد كتبة الوحي للرسول، أنَّهُ في أيام خلافته كان يقول لنسّاخي القرآن في الكوفة، بعد أن يُمرَّ عليهم، ويَطّلعَ على كتاباتهم للمصاحف،

---

(1) سورة القلم، الآية رقم: 1.

(2) راجع: القلقشندي - صبح الأعشى في كتابه الإنشاء 6/ 360.

(3) راجع: دنتر صالح وآخرين - الخط العربي/ ص19، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - بغداد 1990م.

(4) راجع: الخط الكوفي - لصلاح حسين العبيدي (ص8) مخطوط لديه، ونقلنا الخبر من مقالته «الخط العربي، ركن من أركان الحضارة الإسلامية» المنشورة في مجلة/ آفاق الثقافة والتراث/ دبي - العدد 43 - اكتوبر - 2003 في ص84 وما بعدها.

فيعجبهُ خَطُّهم، فيقول: «هكذا نَوِّروا ما نَوَّرَ الله»[1]. ومن هنا ندرك الأهمية القصوى في حرص الخلفاء الراشدين على الإعتناء بالحرف العربي المكتوب بِهِ القرآن باعتباره كتابُ الله المُنزل، وهو بنفس الوقت كتابُ العَرب الأول لذلك نشاهد الكثير من الدلائل التي تشير إلى الإهتمام بكتابة المصاحف والعناية بها من قبل كافة المسلمين.

حتى غدت مسألة التَأنّق في كتابة المصاحف من المسائل الأولى في وعي الرأي العام الإسلامي، أولاً، وفي جُلّ اهتمام الكتبة الإسلاميين على الخصوص، وهذه النقطة هامة جداً - مستقبلاً - لأن القرآن ساهم مساهمة فعّالة في تحسين الخط العربي، إذ أن كل الخطّاطين والنُسّاخ العرب بدأوا مع القرآن نهجاً ومنهاجاً وإبداعاً، كمحمول ثقافي - ديني، يؤصل لهويتهم الحضارية، كثقافة ناهضة تُريد أن تُركّز تقاليدها مع بقية الحضارات والثقافات، وبنفس الوقت تريد لبقية الشعوب - التي دخلت الإسلام - أن تعي تلك المحمولات الدينية في جانبها الروحي، وليس اعتباطاً أن يصار في العهد الأموي إلى وضع حروف الإعجام على أحرف القرآن كي لا يقع المسلمين، من غير العرب، في حالات اللحن اللغوي، عند قراءتهم للقرآن.

أمّا على الصعيد الفنّي الإبداعي، فقد كان الخلفاء الأوائل، في العهد الراشدي والعهد الأموي يكلّفون الخطّاطين الموجوّدين لكتابة المصاحف وعلى أرقى أنواع الجلود من الظِباء والغزلان، حتى أن إبن النديم ينتبه إلى هذه الظاهرة، فقد أشار (بالفهرست) إلى أنَّ أوّل من كتب المصاحف، في الصدر الأول ويوصف بحُسن الخط خالد بن أبي الهيّاج، وقال عنه: «رأيت مصحفاً بخطّه وكان سعد نَصبهُ لكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك، وهو الذي كتبَ الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي بالذَهَب، من (والشمس وضحاها) إلى آخر القرآن»[2].

وهو نفس الكاتب الذي «طلب منه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أن يكتب لهُ مصحفاً على هذا المثال، فكتب لهُ مصحفاً تنوّق فيه، فأقبل عُمر يُقبِّلَهُ ويُستحسنَهُ واستكثر ثمنه، فردّهُ عليه»[3].

ومع الفتح الإسلامي للأمصار احتاجت الدولة الإسلامية إلى الكتابة والكُتّاب وتعلّم الخط الأمر الذي فَتَحَ الآفاق أمام الكُتّاب والخطّاطين لأن يُطوِّروا أدوات كتابتهم، لا

(1) أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني «كتاب المصاحف» ص131 - 132.
(2) إبن النديم/ الفهرست/ ص10 - 11.
(3) نفس المصدر السابق، وانظر كذلك د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص38.

سيما في العصر العباسي، حيث أرسيت القواعد الفنيّة للخط العربي وأصوله[1].

* عندما تسلم **معاوية بن أبي سفيان** (ت 60هـ/ 680م) مقاليد الدولة الإسلامية، بعد تنازل **الحسن بن علي بن أبي طالب** لهُ، نقل مركز الخلافة من الكوفة إلى **دمشق**، حيث أنصاره ومؤيديه فيها، الأمر الذي ينقل مَعهُ - بالضرورة - معالم الإدارة والثقافة والفنون، وأصبحت دمشق حاضرة الخلافة الأموية، وبدأت علامات الأُبهة والتَمدّن تظهر على **العَمارة الإسلامية**، وهنا كان **للخط العربي** حُضورَهُ الواضح لا سيما الخط الكوفي حيث أخذ يعانق المنائر والمحاريب وواجهات المساجد وغيرها من الأماكن وبهِ سكّت النقود العربية.

ولكن بقت كتابة المصاحف هي الراجحة دوماً في زمن بني أُميّة، فقد أشار إبن النديم إلى وجود ظاهرة ملموسة من خطّاطي المصاحف وشكل الكتابة فيها وأسماء خطوطها فقد ذكر: «خطوط المصاحف. المكّي، المدني، التّم، المُثلّث، المَدوّر، الكوفي، البصري، المشق، التجاويد، السلواطي، والمصنوع، المائل، الراجف، السجلي، القيراموز ومنه يستخرج العجم وبه يقرون، وهو نوعان: الناصري والمُدوّر»[2]

ومن اللاّفت للإنتباه أن **كتّاب المصاحف**، شكّلوا ظاهرة فريدة وقويّة وتاريخيّة في الحضارة العربية - الإسلامية، جعلت لها تقاليد وأسس تسير عليها الأجيال، من عصر إلى عصر، فبالرغم من تأسيسها على يد خالد بن **أبي الهيّاج وقطبة المحرّر**، الذي يعتبره إبن النديم «أكتب الناس على الأرض بالعربيّة»[3] إلاّ أنها ظَلّت مستمرة قروناً عديدة من عُمر الحضارة الإسلامية[4] ومن هنا تداخل أسماء الخطّاطين مع بعضها في العهد الأموي والعهد العباسي، حيث ظَلّت هذه الظاهرة متجذّرة في الوسط الثقافي، وانتعشت جداً حينما ظهرت مهنة الوراقة في بغداد، إذ كان هؤلاء الخطّاطين بمكاتبهم الخاصة «حوانيت الوراقة» والبعض منهم يشتغل في بيته. ومن هؤلاء يذكر إبن النديم قائمة طويلة منهم: خشنام البصري ومهدي الكوفي، وكانا في أيّام الرشيد، ولم يُرَ مِثلَهُما»[5] كما ظهر أيام المعتصم

(1) سنتحدث عنها في الفصول القادمة.

(2) الفهرست/ص9 - 10. وراجع كتابنا «خطّاطو بغداد في العصر العباسي - ص16 - منشورات دار النمير - دمشق 1996م.

(3) الفهرست/ ص10.

(4) في منتصف ستينات القرن العشرين، كلّفت الحكومة العراقية، الخَطّاط هاشم البغدادي بخط القرآن الكريم وفرّغته لمدة سنتين في جمهورية ألمانيا الديمقراطية - والجمهورية الإسلامية الإيرانية/ أيام الخميني/ فعلت ذلك وكلفت أحد الخطاطين.

(5) الفهرست/ ص10.

خطّاطاً آخر، يُدعى (أبو حدى) وكان يكتب المصاحف اللطاف وهو من كبار الكوفيين وحُذّاقهم، ومثله كان - من الكوفيين «إبن أم شيبان والمسحور وأبو حميره وأبو الفرج»[1] ومن الذين يكتبون المصاحف بالخطّ المحقّق والمُشَق، وما شاكل ذلك منهم: «إبن أبي حسان وإبن الحضرمي وإبن زيد وإبن أبي فاطمة وإبن مُجالد وشراشير المصري وإبن سير وإبن حسن المليح والحسن بن النِعالي وأبو حديدة وأبو عقيل وأبو محمد الأصفهاني، وأبو بكر أحمد بن نصر وإبنه أبو الحسين» ويُعلّق إبن النديم قائلاً: «ورأيتهم جميعاً»[2].

أمّا القِمَمُ في هذا الفن - أي كتابة المصاحف - فكان «قُطبة المحرر، كما أشرنا أعلاه، ثم جاءَ بعدَهُ «الضَحّاك بن عجلان - الكاتب في خلافة بني العباس/ كما يقول إبن النديم/ «أيام أبي العبّاس السفاح، فزاد هذا على قُطبة، فكان بَعْدَهُ أكتب الخلق، ثم جاء إسحاق بن حَمّاد الكاتب - في خلافة المنصور والمهدي، فزاد على الضَحّاك[3]، وكان لهذا الخطاط - إسحاق - عِدّة تلاميذ، ساروا على طريقته في خط المصاحف منهم «يوسف الكاتب» المُلّقب بلقوة الشاعر، وكان أكتب الناس، ومنهم «إبراهيم بن الحسن» زاد على يوسف إتقاناً في الخط، ومنهم «شُقير الخادم» وكان مملوكاً موDباً للقاسم بن المنصور، ومنهم «ثناء الكاتبة» جارية إبن قيوما، ومنهم «عبد الجبّار الرومي» ومنهم «الشعراني والأبرش وسليم الخادم الكاتب» خادم جعفر بن يحيى، ومنهم «عمر بن مسعدة وأحمد بن أبي خالد وأحمد الكلبي» كاتب المأمون، ومنهم «عبد الله بن شدّاد وعثمان بن زياد العايل، ومحمد بن عبد الله الملّقب بالمدني، وأبو الفضل صالح بن عبد الملك التميمي الخُراساني». وهؤلاء كتبوا الخطوط الأصليّة الموزونة التي لا يقوى عليها أحد[4].

كما أسلفنا أن ظاهرة كتابة المصاحف، فرضت وجودها على الحالة الثقافية الإسلامية العامة، وانتخبت لها مجموعة من الكُتّاب الخطّاطين بشكل خاص، وانتقت مجموعة من الخطوط اختصّت بها لكتابة القرآن كجزء من شخصية الظاهرة القرآنية في ضبط المصاحف، من جهة، ومن جهة ثانية، كانت هذه الظاهرة تروم الحفاظ على تقاليدها الإسلامية. من حيث المُعتقد، وعلى تقاليدها الفنيّة، من حيث الإبداع المهني، لذلك حَدّدت هذه الأنواع من الأقلام وهي، وفق رواية إبن النديم[5]

---

(1) نفس المصدر السابق.
(2) الفهرست/ ص10.
(3) المصدر السابق.
(4) إبن النديم/ الفهرست/ ص11 - 12.
(5) الفهرست/ ص9 - 10.

**«المكّي، المدني، التّمْ، المثلّث، المدوّر، الكوفي، البصري، المشق، التجاويد، السلواطي، المصنوع، المائل، الراصف، الأصفهاني، السجلي، الفيراموز» ومن هذا الأخير أُستخرج (العَجَمْ) وبِهِ أخذوا - العجم - وبِهِ قرأوا، وهو نوعان «الناصري والمدوّر»**[1].

هنا إستبانت أمامنا، هذه الظاهرة بكل وضوح، كظاهرة ثقافية أصيلة في الفنون العربية - الإسلامية لازمت كتاباً واحداً ولم تَحْذُ عن سواه، وهذه ظاهرة فريدة في كل الثقافات العالمية.

وبقراءة أخرى نقول: «إن الريادة والسبق في كتابة الحرف العربي، «كَفَنْ» في الثقافة العربية - الإسلامية تسجّل لهذه الظاهرة القرآنية، التي أرست تعاليم مُحدّدة ومُمَنهَجَة، فرضت قانونيّتها على تطور الحالة الثقافية لمسار الخط العربي»، والذي استفاد منها كثيراً في اشتقاق أنواعاً أخرى من **الأقلام العربية** لمواكبة تطور الحالة الثقافية العامة في الحضارة الإسلامية، وكان من أبرز هذه الأقلام: **«قلم الطومار، وقلم النصف، وقلم الثلثين، وقلم مختصر الطومار، وقلم خفيف الثلث، وقلم ثقيل الثلث، وقلم الخرفاج المتولّد من قلم الديباج، وقلم السُميعي، وقلم الأشربة المتولدة من مختصر الطومار، وقلم الحرم، وقلم المفتّح النصف، وقلم الزنبوري المتولّد من ثقيل الثلث، وقلم المؤامرات - ويسمّى غبار الحُلية أو الجناح، وتولّد من الثلثين، وقلم العَهد المتولّد من الحرم، وقلم المدوّر الصغير، وقلم الرياسي المتولد من قلم مفتّح النصف، وقلم الرقاع المتولد من قلم خفيف الثلث، وقلم النرجسي، وقلم الريحان، وقلم المنثور، وقلم المرصّع، وقلم اللؤلؤي، وقلم الوشي، وقلم الحواشي، وقلم المقترن، وقلم المدمج، وقلم المُعلّق، وقلم القَصص، وقلم المسلسل، وقلم الحوائجي»**[2].

هنا يفرض علينا السؤال التالي: ماذا تعني هذه الزيادات في الخطوط أوالأقلام العربية؟! ولماذا لَمْ يُبق الخطّاطون الأوائل الأقلام الرئيسية والتي هي: **«قلم الجليل وقلم الطومار الكبير، وقلم النصف الثقيل، وقلم الثلث الكبير الثقيل»** كنمطٍ سائد في الكتابة العربية؟! والجواب، بتقديرنا، هو كون النهوض الحضاري للثقافة العربية - الإسلامية أملى قانونية التطور الاقتصادي - الاجتماعي، على هذه الظاهرة، وفرض عليها الإرتقاء، وفق قانون الجدل، إذ بروز ظاهرة الوراقة بشكل مُلفت وقوي جداً، لتلبية حاجات

---

(1) الفهرست/ نفس المكان، وهذا - العجم، هو الذي شَكّل أساس الخط الفارسي المعروف بـ «التعليق» والذي أشتقّت منه أنواعاً أخرى كنصف التعليق وربع التعليق.

(2) بدائع الخط العربي/ لناجي زين الدين/ ص21. منشورات وزارة الإعلام العراقية بغداد 1972م.

المجتمع الثقافية في العصر العباسي، جعل من «ظاهرة كتابة المصاحف» جُزءَ من عملية الوراقة وإدخالها في الهيكلية العامة للوراقة والتوريق، مع الإحتفاظ بخصوصيّتها من جهة، ومن جهة ثانية، كانت **المخيّلة الإبداعية** عند الخطاط ترفض المراوحة والتنميط والتقولب في شكلٍ واحدٍ، رغم الإسقاطات الدينية - الإسلامية على «فنيّة التجسيم» وتحريمه، الأمر الذي جعل من المخيلة الإبداعية، أن تسكُبَ كامل طاقتها الفنيّة في مرجل الحرف، ومن ثم أرادت هذه العقلية الإبداعية أن تعبّر عن ذاتها بهذا الفن، باعتباره جزءَ هاماً من هويتها الثقافية، لذلك نُشاهد هذا «الإسقاط» يسحب ظِلالَهُ على العمارة الإسلامية التي بدورها وضّفت الخط والخطّاطين في هندستها المعمارية.

ولكن، تبقى الوِراقة سيّدة الموقف في التأثير والتطوّر لهذا الفن، إذْ أن الوراقة تعاملت مع الشأن الثقافي العام، ولم تتوقف فقط عند المصحف القرآني، بل شملت كل العلوم العربية والإسلامية وثقافات الشعوب الأخرى المنقولة إلى العربية، بمعنى آخر إن الظاهرة الكُليّة «الوراقة» هي التي سيّدت منطقها الإبداعي في الكتابة، وخلخلت تلك القواعد الثابتة في الخطوط، واشتقت لها خطوطها الخاصة التي تخدم الورّاقين ذاتهم، حيث إشتقَّ هؤلاء الورّاقون خطوطهم من المهنة ذاتها، سمّوها «**الخط الوراقي والمحقّق والعراقي**» تميُزاً لَهُ عن بقية الخطوط[1]. بل وزاد البعض منهم إشتقاقات خُطوطَ أخرى تخدم مهنته من حيث، الإقتصاد في الورق والحبر وتوفير الوقت، لذلك أوجدوا لهم قلم مختزل رقيق الحروف متراصٍ، تُسهل مَعَهُ مقاربة ما بين السطور وتوفير الرِق والورق لإرتفاع أسعارها حينذاك، وقد أطلقوا على هذا النوع من الخط إسم «**المُقَرْمَطْ**»[2]، وقد كَرِه خطّاطو وكتبة المصاحف هذا الخط، ولم يتعاطوا مَعَهُ نظراً لكون «أهلُ الحديث» تشائموا منه، لتقارب أحرفهِ في الكتابة، ومن النوادر بهذا الصدد، قيل أنَّ المعتز بالله العباسي قد كتبَ بهِ مرّة، فقال لَهُ علي بن حرب الطائي: «**أخذت يا أمير المؤمنين في شُؤم أصحاب الحديث، فضحك المعتّز من ذلك**»[3].

ونتيجة المنافسة الإبداعيّة بين الورّاقين وكتبة المصاحف، بدأت تظهر في «سوق الورّاقين» نزعة فنيّة جديدة عند كتبة المصاحف تمثّلت في «**تذهيب المصاحف وتجليدها**» بغية بَذْ الورّاقين والحفاظ على إستقلالية «مهنة كتابة المصاحف» فبرز هذا الفن ليضفي

---

(1) راجع - إبن النديم/ الفهرست/ ص12 وما بعدها - رغم أنه لم يتوقف مع وصف هذه الخطوط.

(2) القرمطة في الخطّ، = دقّة الكتابة وتداني الحروف. والقرمطة في المشيّ = مقاربة الخطو، انظر: اللسان مادة (قرمط).

(3) الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد/ 11/ 419.

جلالةً وهيبة وجمالاً على المصحف القرآني، ويزيد من جمالية الحرف العربي في التشكيل الزُخرفي، وبذا أخذ الحرف العربي يتجه في مسارٍ فنّي خالص، ستظهر نتائجهُ لاحقاً في «فن الزخرفة الإسلامية «الآرابسك».

وقد أحصى لنا إبن النديم مجموعة من هؤلاء «المُذَهّبين» للمصاحف رافقوا الخطّاطين في أعمالهم، وانفصلوا بعض الشيء عن مهنة الوراقة للتخصّص فقط في التذهيب، وكان أشهرهم: «اليقطيني، وابراهيم الصغير، وأبو موسى بن عمار، وابن السقطي، ومحمد وابن محمد أبو عبد الله الخزيمي وابنه»[1].

إن هذا التطور الفني والإبداعي في مجال الحرف العربي، قاد بعض المؤرخين البغداديين لأن يتباهى في هذا الإنجاز الحضاري مع أهل أصبهان حيث نقل «أبو المُطهّر الأزدي» ذلك بالقول: «هل أرى عندكم من أرباب الصناعات والمِهَنْ مثل ما أرى ببغدادَ من الورّاقين والخطّاطين»[2].

---

(1) الفهرست/ ص14.

(2) أنظر - حكاية أبي القاسم البغدادي/ ص24 - تحقيق آدم ميتز - طبعة هيدلبرج - سنة 1902م.



عنوان الخط الكوفي بخط كوفي مزخرف

ا . ب . ج . د . ه . و . ز . ح .

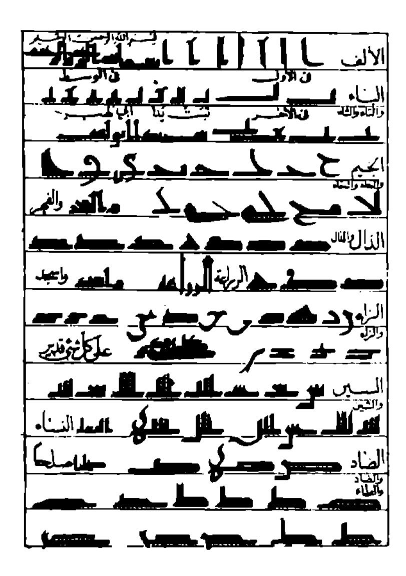
ط . ي . ك . ل . م . ن .

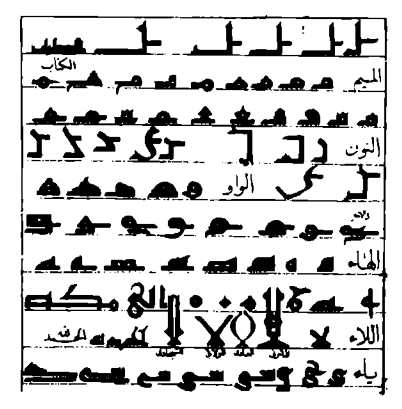
س . ع . ف . ص . ق .

ر . ش . ت . ث . خ . ذ .

ض . ظ . غ .

شكل ٢٧٧ ــ نموذج حروف لابجدية المفردة بالخط الكوفي ــالسوريــ من الكتاب المسمى « شوق المستهام في معرفة رموز الاقلام » لابي بكر احمد بن وحشية النبطي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ من نسخة كتبت سنة ٤١٣ ثم نسخت سنة ١١٦٦ هـ المتحف البريطاني رقم 440. H 17



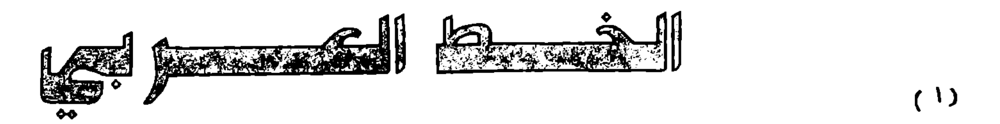




شكل ٢٧٨ ــ نماذج كتابة حروف الالفباء من الالف الى الياء على مختلف الاشكال افرادا وتركيبا بخط كوفي ايراني متأخر من نسخة مصحف مختومة بختم شاه مظفر الدين قاجار ، وفيها بعض نماذج من كلمات القرآن الكريم وغير ذلك .

الطاء
العين
الفاء
القاف
الكاف
اللام

## نماذج لكتابة الخط الكوفي

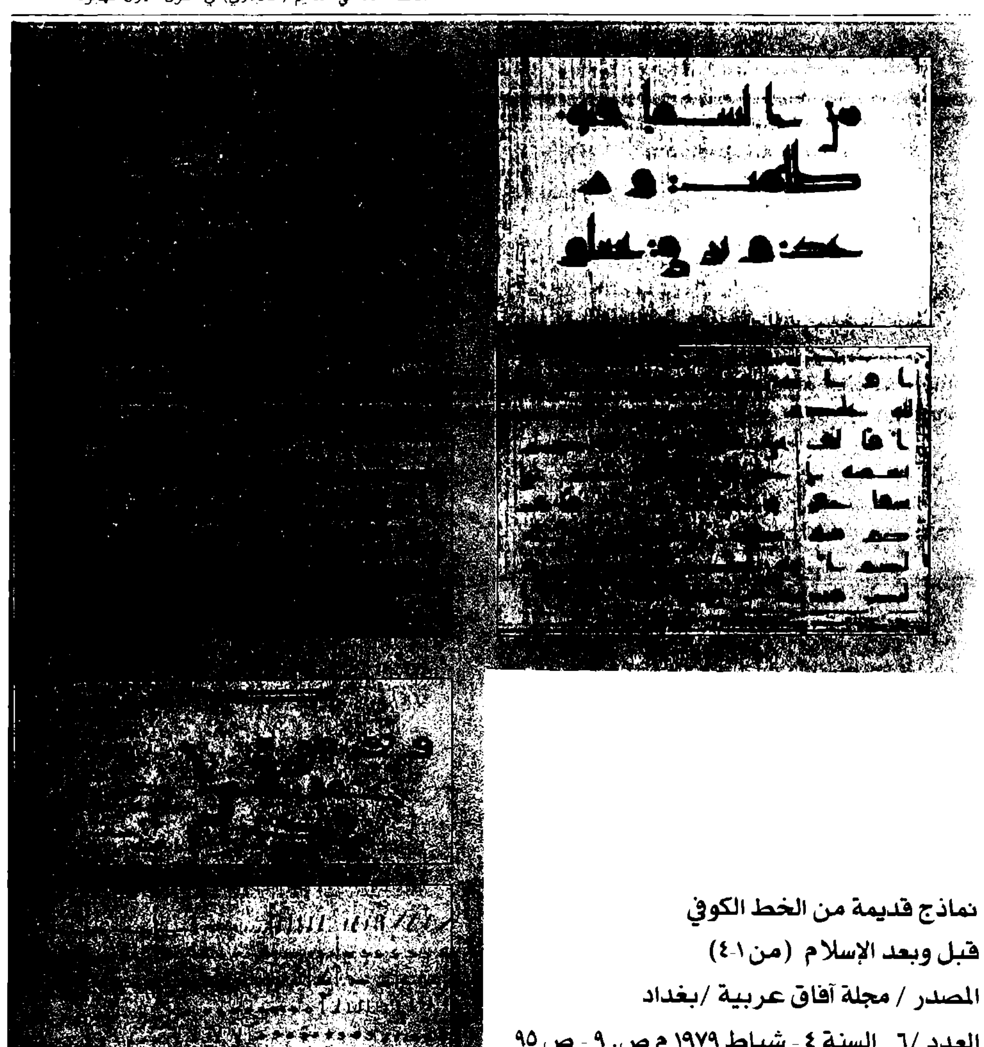
(1) المصدر: مصوّر الخط العربي/ ص85/ لناجي زين الدين - ط2 - بيروت 1394هـ/ 1974م.



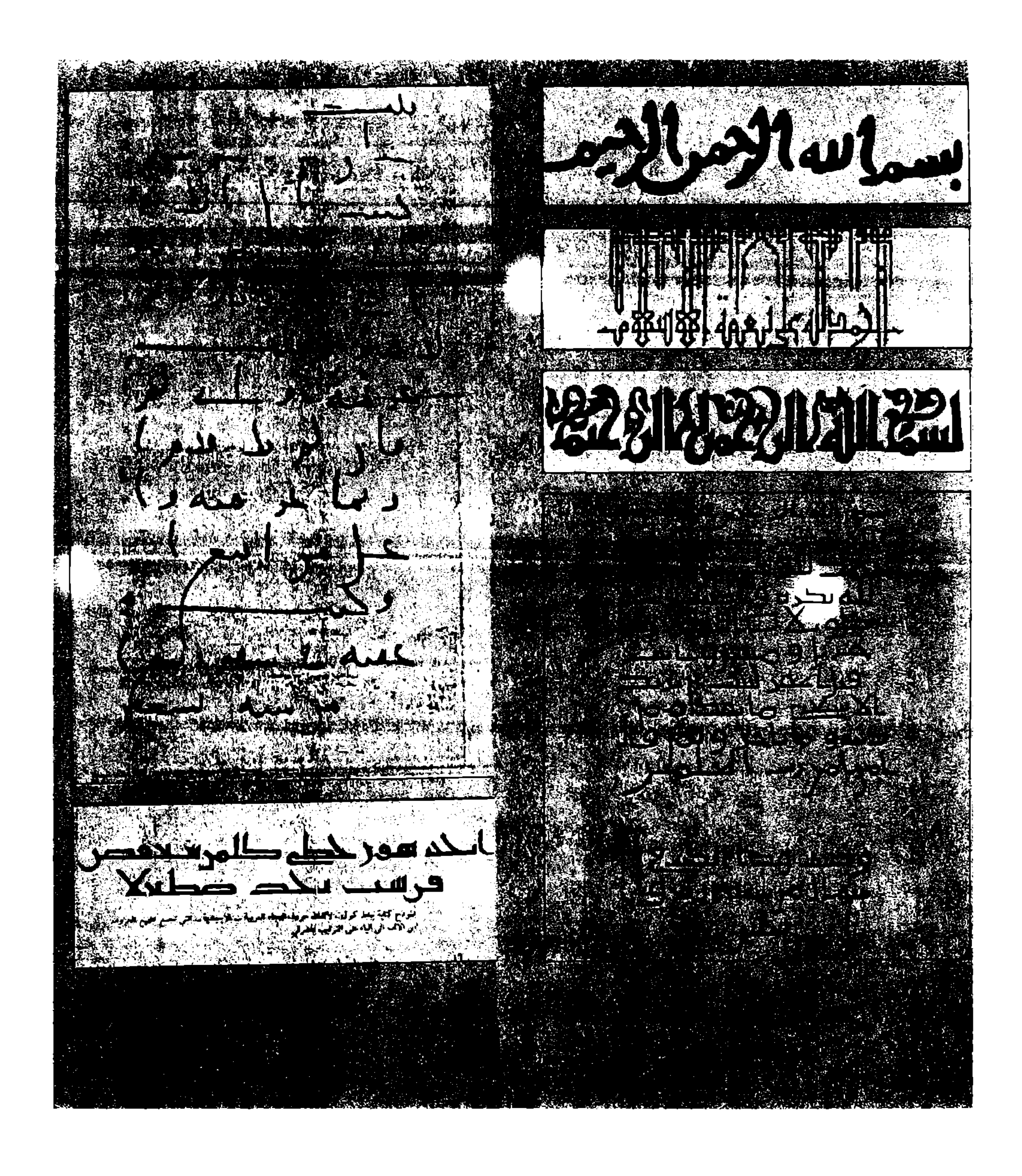

(١)

نسخة من خطاب النبي (ص) الى ابن ساوي أمير البحرين، ويبدو في نهايتها ختم الرسول واضحا

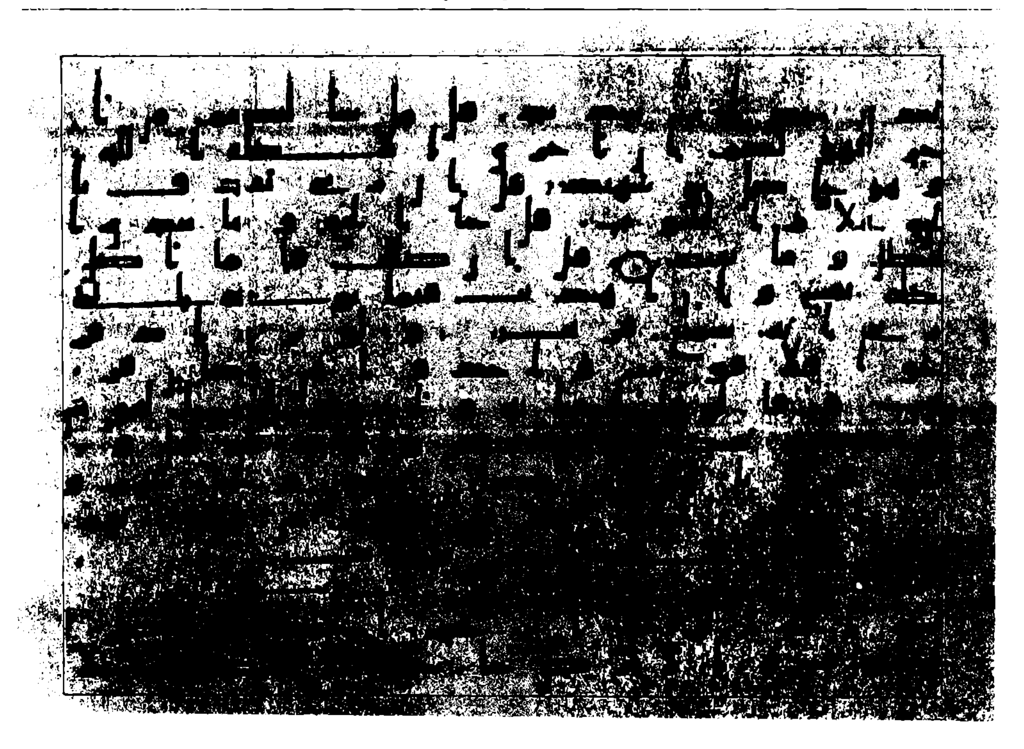
- كتابة من سورة البقرة من القرآن الكريم كتبت على الرق بخط كوفي مبكر علامات (التنوين) منسوبة للخليفة ابي بكر الصديق
- جزء من صفحة من مصحف كتب بخط كوفي مبكر منسوبة للخليفة عمر بن الخطاب ، او الى عهده
- كتابات بخط كوفي في العصر الاسلامي المبكر لاجزاء صحائف من القرآن
- كتابات منقورة في حبل سلع في المدينة المنورة من عهد الخلفاء الراشدين
- نموذج اشكال الحروف الابجدية مما كتب على اوراق البردي من الخط النسخي القديم (الحجازي) في القرن الاول للهجرة



نماذج قديمة من الخط الكوفي
قبل وبعد الإسلام (من ١-٤)
المصدر / مجلة آفاق عربية /بغداد
العدد /٦ السنة ٤ - شباط ١٩٧٩ م ص. ٩ - ص ٩٥


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على نعمة الإسلام
بسم الله الرحمن الرحيم

■ ورقة من مصحف ينسب الى الخليفة عثمان او مما كتب في عهده للامصار بخط كوفي فيه فواصل الآيات والسور ونقط التنوين ونقط حرف الشين



خسانا وقال لهم لوط ان هولاء ضيفي فلا تفضحون عندهم بفضلكم
اياهم فتعلموا انه ليس لي عندكم قدرها تقوا الله و لا تخزون مذكوره
في سوره هود قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ضيف منهم لانا نريد
منهم الفاحشه وكانوا يصرون بفعلهم الخباثة قال هولاء بناتي ان
كنتم فاعلين هذا الشان يعني اللذة وقضاء الوطر يقول عليكم بروجهن
اراد ان يقي اضيافه ببناته لعمرك يقسم بحياتك يا محمد انهم ان قومك لفي سكرتهم
يعمهون في ضلالتهم يتمادون وقيل يعني قوم لوط فاخذتهم الصيحه
صاح بهم جبريل صيحه اهلكتهم مشرقين داخلين في وقت شروق
الشمس وذلك ان تمام الهلاك كان مع الاشراق وقوله للمتوسمين
اي للمتفرسين المتثبتين في النظر حتى يعرفوا حقيقه سمه الشيء وانها يعني
مدينه قوم لوط لبسبيل مقيم على طريق قومك الى الشام وهو طريق
لا يندرس ولا يخفى ان في ذلك لايه للمومنين لعبره للمصدقين يعني
ان المومنين اعتبروا بها وان كان اصحاب الايكه لظالمين يعني قوم شعيب
عليه السلام وكانوا اصحاب غياض واشجار فانتقمنا منهم بالعذاب
اخذتهم الحر اياما ثم اضطرم عليهم المكان نارا فهلكوا وانهما يعني
الملايكه ومدينه قوم لوط لبامام مبين لبطريق واضح ولقد كذب
اصحاب الحجر يعني قوم ثمود واذيهم المرسلين يعني صالحا وذلك ان

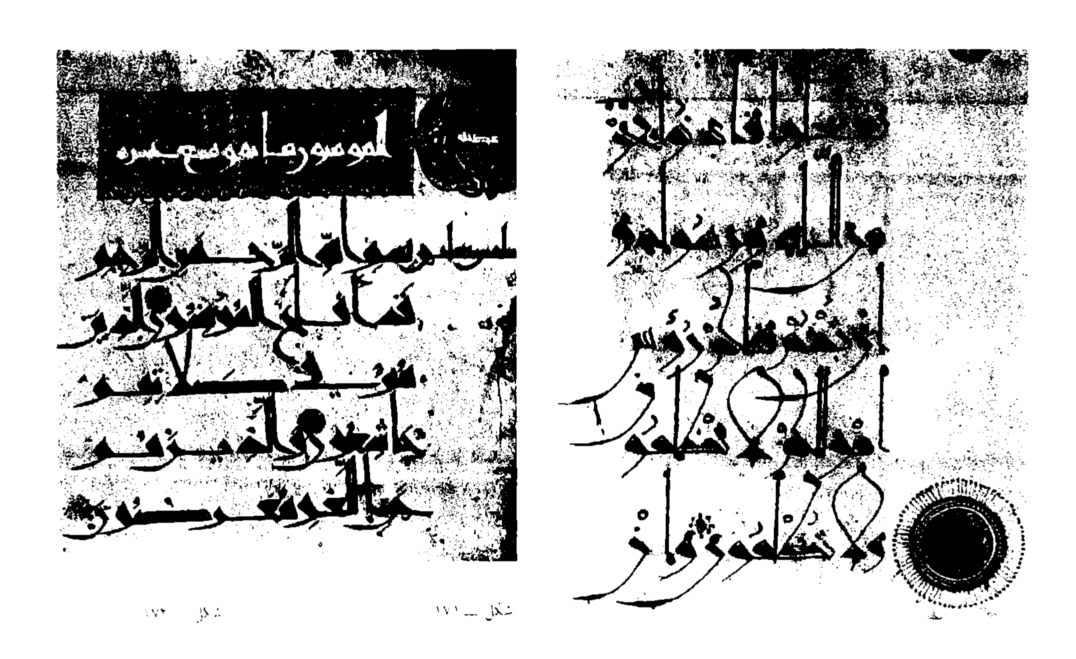
فجعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل ان في ذلك
لايات

لوحة كوفية لخط القرآن من كتابات (عبد القادر) راجع بدائع الخط االعربي - لناجي زين الدين
ص ٤٢٢- ص٤٢٣ - منشورات وزارة الاعلام العراقية - السلسلة الفنية - ١٩٧٢ م

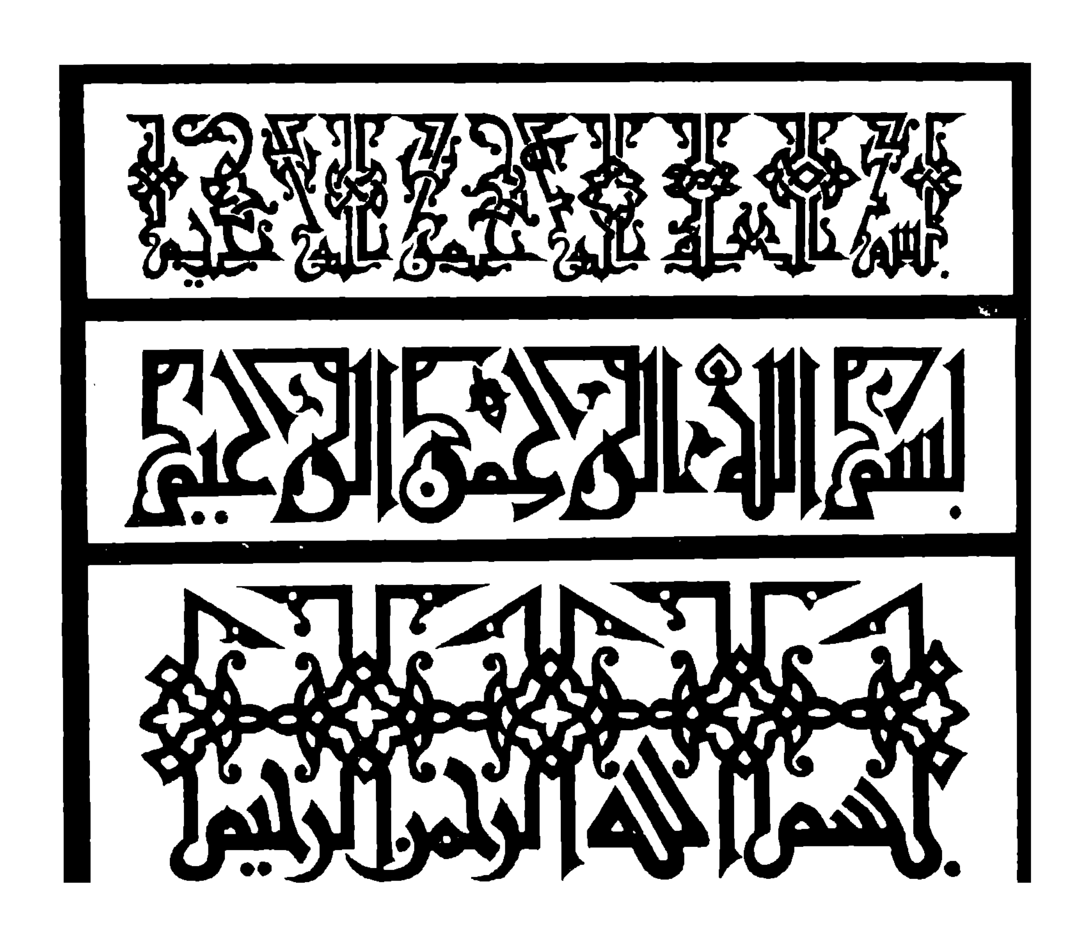
فكانوا عنها معرضين

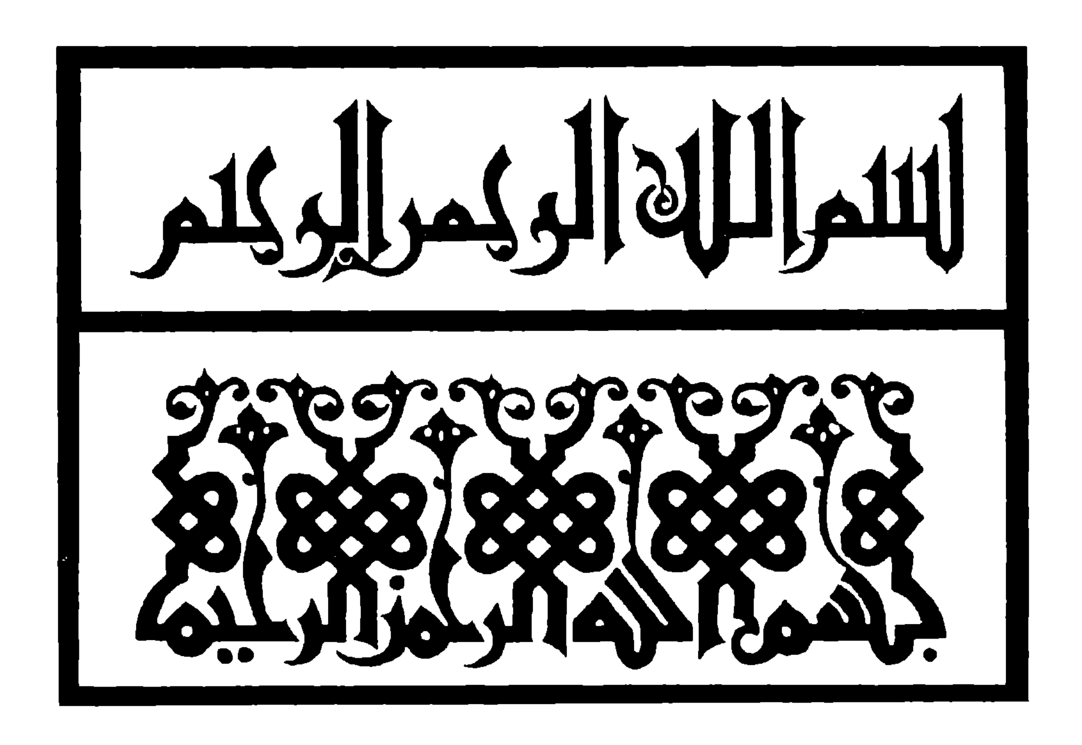
من كذب نبيا فقد كذب جميع الرسل وآتيناهم اياتنا يعني ما اظهر لهم من
الايات في الناقة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا لطول عمرهم كان
لا يبقى معهم السقوف فاتخذوا كهوفا في الجبال آمنين من ان يقع عليهم
مصبحين
فاخذتهم الصيحة العذاب حين دخلوا في وقت الصبح فما اغنى عنهم
ما دفع عنهم العذاب ما كانوا يكسبون من الاموال والانعام وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي للثواب والعقاب
اثيب من آمن بي وصدق الرسل واعاقب من كذبني والموعد
لذلك الساعة وهو قوله وان الساعة لآتية يقول ان القيامة
لآتية فيجازى المشركون بقبيح اعمالهم فاصفح عنهم الصفح الجميل
قوله اعرض عنهم اعراضا بغير فحش ولا جزع ان ربك هو الخلاق العليم
بما خلق ولقد آتيناك سبعا من المثاني يعني الفاتحة وهي سبع آيات
وتثنى في كل صلاة امتن الله على رسوله بهذه السورة كما امتن عليه
بجميع القرآن حين قال والقرآن العظيم اي العظيم القدر ولا تمدن
فحظر
عينيك الى ما متعنا به نهى رسول الله عن الرغبة في الدنيا
عليه ان يمد عينيه اليه رغبة فيها وقوله ازواجا منهم اي اصنافا
من الكفار كالمشركين واليهود وغيرهم يقول لا تنظر الى ما
متعناهم به من الدنيا ولا تحزن عليهم ان لم يؤمنوا واخفض جناحك



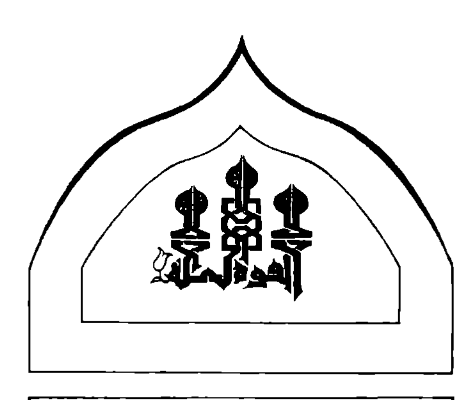


الاشكال - ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ . صفحات مكتوبة بخط كوفي مشكول بينما الشكل ١٧٤
صفحة بخط غير كوفي (مبتكر) - بينما يشكل الشكل ١٧٥ نموذجكتابة كوفية من الطراز الورق يعود للقرن الخامس الهجري.
المصدر / ناجي زين الدين بدائع الخط العربي - /ص ١٣١ ص ١٣٢


بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم



البسملة، مخطوطة خمس مرات بالخط الكوفي المتعدد الاشكال
المصدر الخطاط حسن المسعود كتاب الخط العربي /ص٦٥.
منشورات (فلاماريون، باريس ١٩٨١



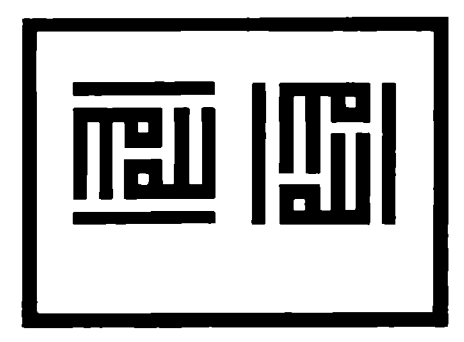
خط كوفي منقول عن مقبرة سيد فخر - القرن الرا
عشر الميلادي - مدينة يزد - ايران . النص : "القوة لله" و
الحروف طولت وزخرفت . وفي الوسط امتدت الى الاعلى م
أجل ان تشابه شكل القوس المكسور بمدخل المقبرة .
ونرى نهايات الحروف في الاعلى زينت بشكل يشابه شكل العمام

:alligraphie Koufi relevée du mausolée de Sayid Fakhr, Yazd, an, XIVᵉ s.
e calligraphe a terminé ses lettres par des turbans et les a llongées pour épouser la forme de l'arc brisé où elles s'ins- rivent



خط منقول عن جدار في مدرسة قرهطاي - قونيا - تركيا
النص : "العظمة لله" - الحروف تصعد وتتشابك فتكو
زخارف هندسية أكثر أهمية من مساحة الحرف نف

:alligraphie Koufi relevée des murs de l'école Kara Khatay, onia, Turquie.
es lettres montent en un décor géométrique et développent n espace monumental plus important que la calligraphie lle-même



خطان في كل واحد منهما يتكرر لفظ الجلالة « الله »
مرتين لغرض خلق شكل مربع

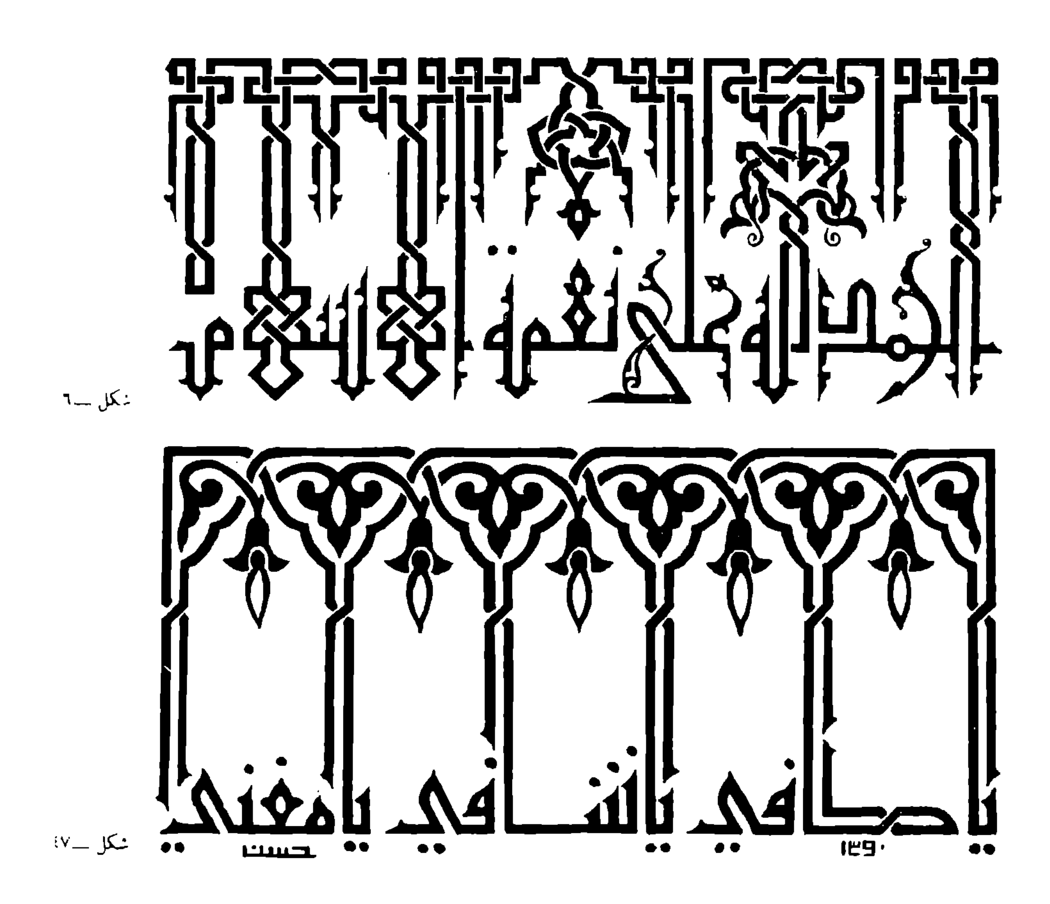
leux calligraphies où, dans chacune d'elle le nom d'Allah Dieu) est répété deux fois pour créer une forme carrée



خط منقول عن جدار جامع قسمكازي - زنزبار
٥٠١ هـ - ١١٠٧م النص « بالله واليوم » وهو خط
كوفي تنتهي حروفه بزخرفة مورقة لغرض مل
المساحة العليا .

:oufi, relevé de la mosquée Qasma Kazi, Zanzibar, 1107.
a partie supérieure n'est qu'ornement et remplit l'espace.

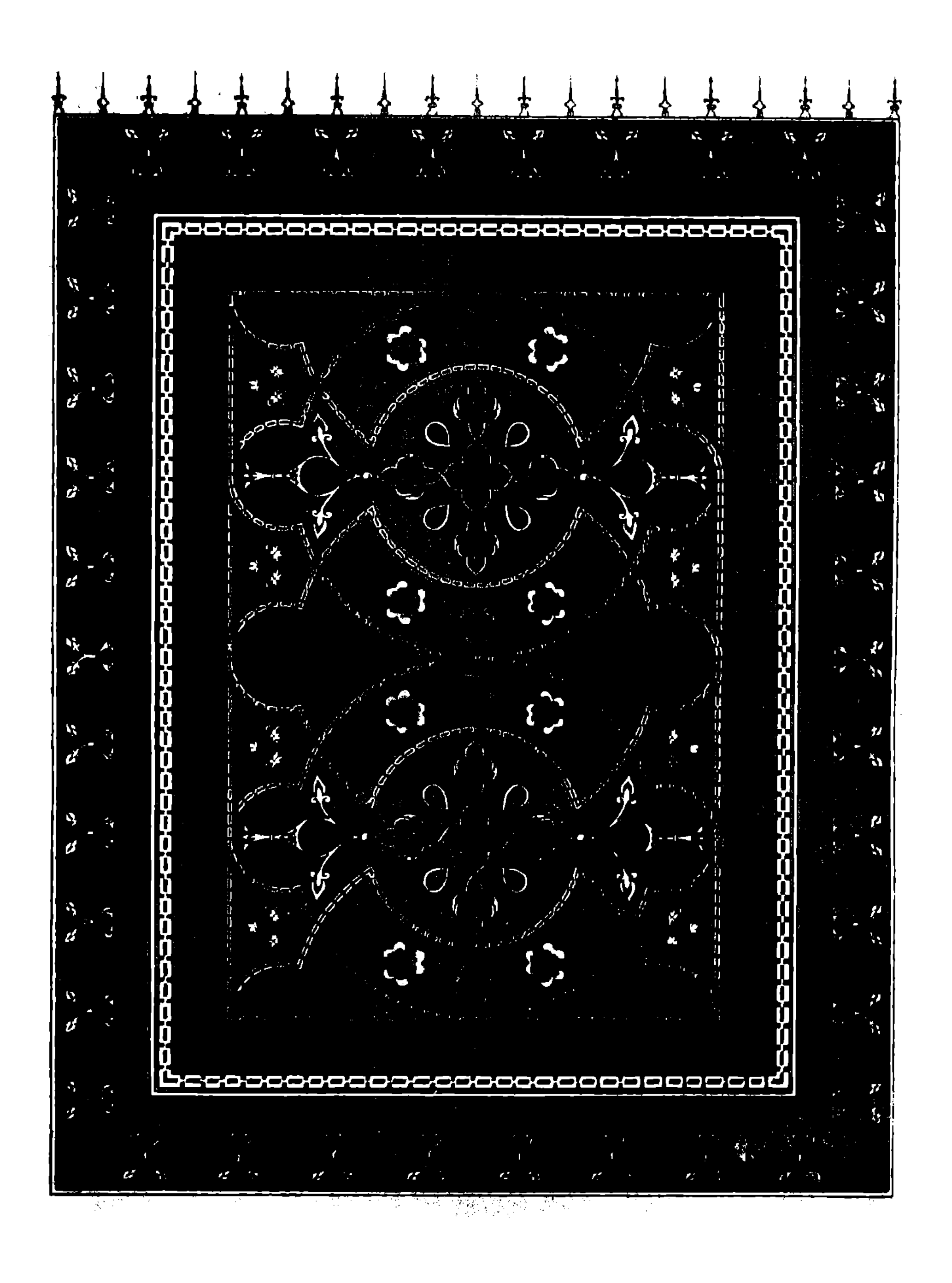
المصدر / الخط العربي - حسن المسعود .




شكل ـ ٦

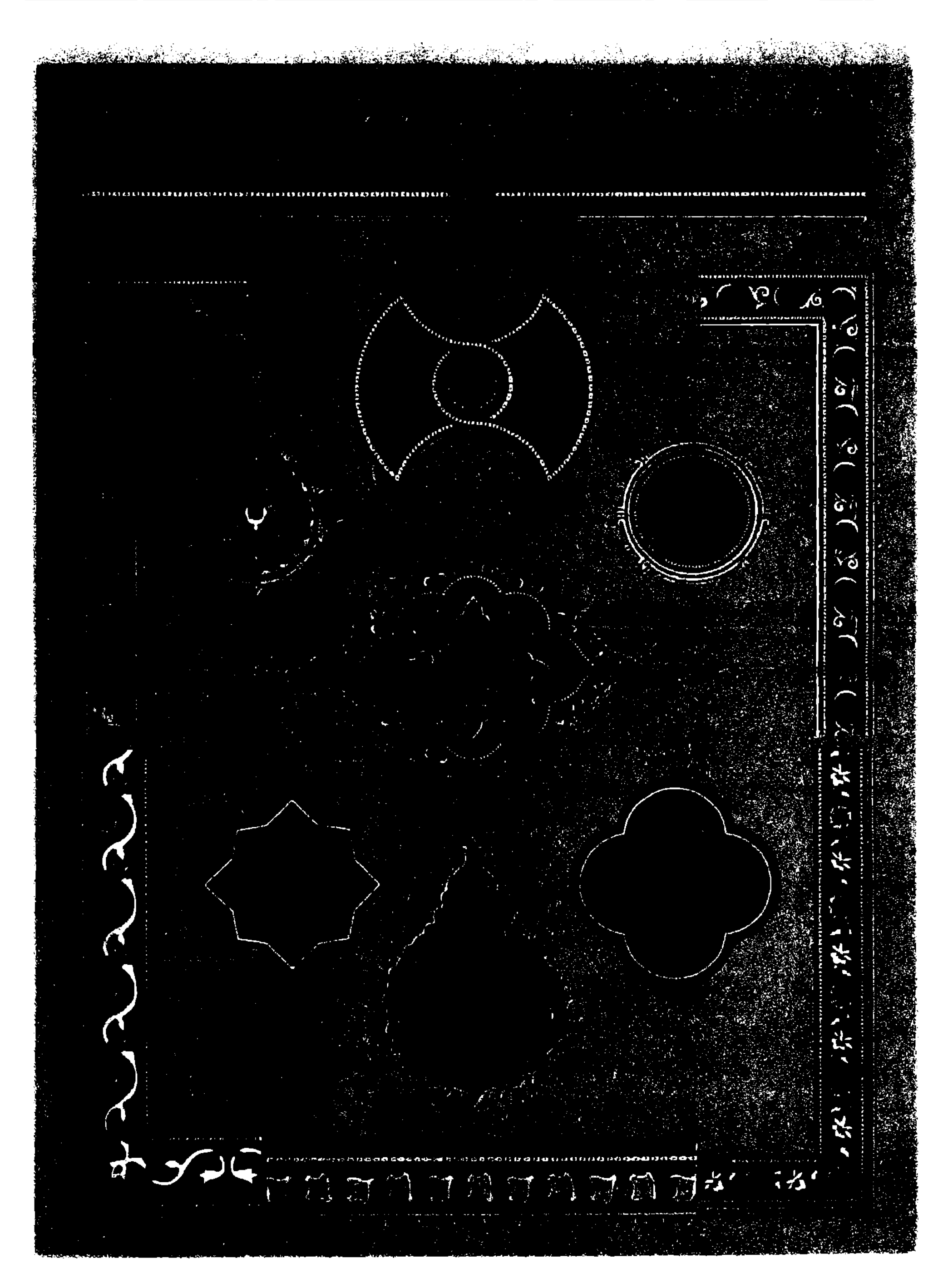
شكل ـ ٤٧

المصدر / ناجي زين الدين / بدائع الخط العربي ص ١١٢



زخرفة الصفحة الاخيرة من مصحف جامع السلطان برقوق - مصر - من القرن الرابع عشر ميلادي .

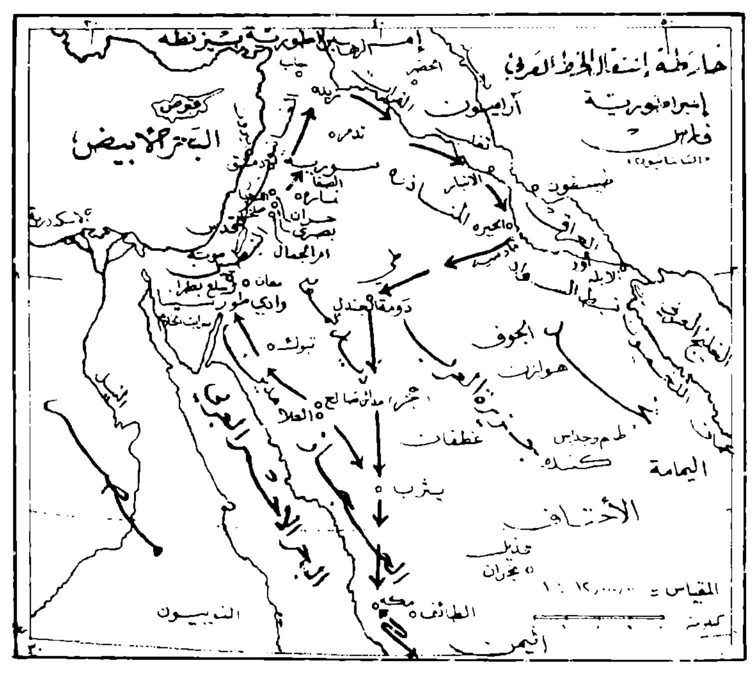
**المصدر / ناجي زين الدين / بدائع الخط العربي /ص ٤٢٦**



وحدات زخرفية منوعة لمصحف من مقبرة السلطان الغوري بمصر ـ من القرن السادس عشر ميلادي .

**المصدر زين الدين /بدائع الخط العربي /ص ٤٢٧**

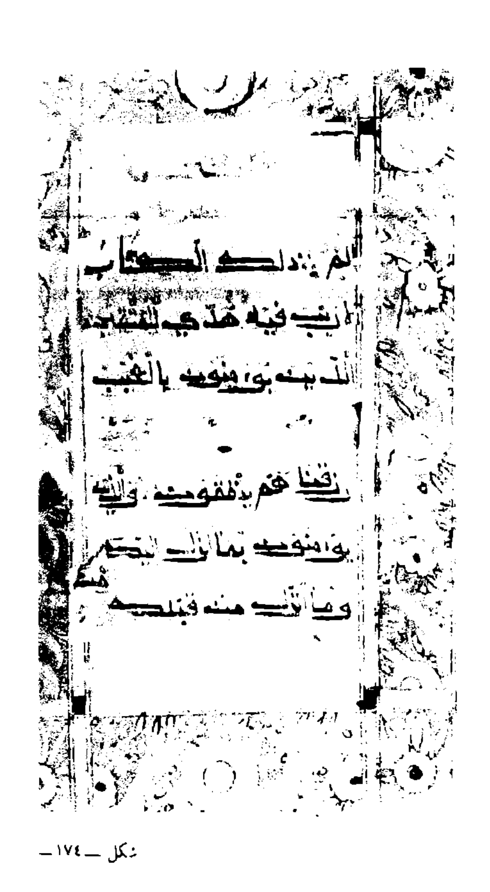
## مواطن نشوء الكتابة ، والخطوط العربية الاولى عبر التاريخ




« من رسم المؤلف »

**ان اتجاه السهام المرسومة في هذه الخارطة :** [illegible]

[illegible]



الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه هدى للمتقين
الذين يؤمنون بالغيب
رزقناهم ينفقون والذين
يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك

شكل ــ ١٧٤ ــ

فاذا انسلخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وخذوهم
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد
فان تابوا واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم
ان الله غفور رحيم وان احد
من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام

شكل ــ ١٧٣ ــ

شكل ــ ١٧٥ ــ

# الباب الثاني

# الخط في العصر العبّاسي

## الفصل الأول

## العَبّاسيّون وتأصيل الخط العربي

أشرنا في الفصول السابقة إلى الحالات التاريخية لمراحل تطور الخط العربي، من التبرعم إلى الظهورالواضح، كحرفٍ مستقلٌ بذاته، تعاملت مَعهُ الثقافة العربية - الإسلامية كأداة معرفية وفنيّة في حياتها السياسية والإجتماعية والأدبيّة، كما أشرنا إلى أن الخط الكوفي كان العلامة الأبرز عند أهل العراق، قبل إنشاء العاصمة بغداد، حيث كانت الكوفة مهد المعارضة ضد خلافة بني أميّة، وشكلت مع (مرو) قطبي الرحى في التمركز السياسي، والذي آل إلى سقوط الدولة الأموية، ولذلك عندما انتصرت الدعوة العباسية، كانت الكوفة عاصمة لها أيام أبي العباس السَفاح (132هـ - 136هـ/ 750م - 754م) بعد أن انتقل إليها من الأنبار، وأصبحت الكوفة مركز الحياة الثقافية والسياسية ونظراً لطغيان الموجة السياسية على كامل عصر أبي العباس السفاح، فقد كان في الكوفة نوعاً واحداً من الخط، هو الكوفي، حيث ظل سائداً فترة طويلة من الزمن، وشكّل هذا الخط منهلاً لغيره، واستنبطت منه أشكالاً أخرى، حتى وسَمَ بميسَمِهِ أغلب المدونات والمطبوعات والآثار من مصاحف ومخطوطات أخرى، وشواهد قبور، وقد برز في كتابة هذا اللّون من الخط، كاتب إسمهُ «مبارك المكيّ» وذلك في عصر المتوكل (207 - 247هـ)، حيث نبغ فيه نبوغاً عظيماً، وترك لنا ألواحاً حجرية، ثلاثة منها منقوشة بخطِّهِ وممهورة بتوقيعه، مؤرخة في سنة 243هـ[1].

(1) هذه الآثار معروضة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة - راجع د. محمد عبد العزيز مرزوق - العراق/ مهد الفن الإسلامي/ ص40 - منشورات وزارة الإعلام العراقية - بغداد 1971م.

وقد قطع هذا الخطّاط خطوات واسعة في التطور والنضوج، حتى وصل مَعَهُ الخط الكوفي إلى القمّة، واستطاع أن يعطينا صورة رائعة له، تَنُمُّ عن ذوقهِ الرفيع وحسّه المرهف، وقدرته على التفنّن في زخرفة وابتكاتر صور لها زاخرة بالجمال الفني[1].

لقد أوحى شكل هذا الحرف إلى الخطّاط العراقي، بشكل خاص، والعربي، بشكل عام، أن يدرك ما بِهِ من إمكانية للإبداع في الزخرفة، إذ كان هذا الخط من الأساسيّات الأولى بفن الزخرفة العربية - الإسلامية، فرؤوس الحروف وسيقانها وأقواسها ومدّاتها وخطوطها الرأسية والأفقية، قد أوحت إلى الفنّان بعناصر زخرفية شتّى، ما يكاد يرسمها حتى يبعث في نفسهِ شعوراً من ارتياح المتفنّن إلى أثره الجميل، وقد كان للقرآن وقعٌ عميق عليه - وقتذاك - إذ وُجدت آياتٌ فيه تحمل إسم «القلم» من مثل ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[2]، وآية ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾[3] الأمر الذي قادهُ إلى الإنسجام روحيّاً وفنيّاً كي يبدعَ شيئاً جاء في أساس عقيدته الدينية، وفي هذه الآيات تكريم ورفع لمنزلة الخط العربي، لذلك كان الكوفيّون سبّاقين إلى الأخذ بِهِ وتجويدهِ والتفنّن في اتقانهِ، حيث من هذه المدينة «الكوفة» انبعثت تلك العناية بفن الخط إلى أرجاء العالم الإسلامي، وأخذ الفنّانون ينسجونَ على منوال الخط الكوفي[4] حيث أبدعت أشكالاً أخرى لهذا الخط زادتُهُ جمالاً ورفعة وأصّلت شخصيته الفنيّة في مجال الزخرفة والعمارة الإسلامية.

فمن هذا الخط، ذو الصورة اليابسة، في تشكيلاته الأولى، كتبت المصاحف زهاء أربعة قرون، حتى استُبدل بخط النسخِ فيما بعد، وقد كان العصر العباسي، بكامل تشكيلاته الهرمية، سياسياً واجتماعياً، يتعاطى مع هذا الخط، إذ كان في بادىء أمره بسيطاً لا توريق فيه ولا تزهير، ولا تشابك ولا ترابط بين حروفهِ، ثم زُخْرِف، فكان منه الكوفي ذو المثلثات والمورق، والكوفي المزهر والكوفي المربع والهندسي ثم دخل هذا الخط مرحلة جديدة، وُفّق فيها الخطاط إلى أشكالٍ يمكن أن تطلق عليها «الخط الكوفي الصوري» وقد قُسّمت أشكال هذا الخط، وفق استخداماته (الفنيّة والعملية) إلى الأنواع التالية:

---

(1) المرجع السابق/ نفس المكان.

(2) سورة القلم، الآية: 1.

(3) سورة العلق، الآيتان: 3 - 4.

(4) د. مرزوق/ العراق مهد الفن الإسلامي/ ص42.

## 1 - الخط الكوفي البسيط[1]

وهو من أقدم الأنواع التي عُرفت منذ القرن الأول الهجري، وهو الذي لا يلحقهُ توريق أو تزهير أو تعقيد، وقد ظل هذا الإسلوب الكتابي من الخط الكوفي، مفضلاً في الكتابات التذكارية، وتغلب على حروف هذا النوع من الخط اليبوسة والصلابة والجفاف والميل إلى التربيع والتضليع. وقد استمرّت الكتابة فيه إلى نهاية القرن الثلث الهجري/ التاسع الميلادي[2].

## 2 - الخط الكوفي ذو المثلثات

هو ذات الخط الكوفي القديم وقد أدخل عليه تحوير بسيط، تركّز هذا التحوير على هامات بعض الحروف، حيث أُضيف إليها مايشبه المثلثات ثم شملت ذلك معظم الحروف، وهو نفسه الذي يطلق عليه «الكوفي المتقن».

وقد كان نصيب هذا الخط موفوراً، إذ وجد على الآثار العربية - الإسلامية، وفي المخطوطات والتحف الفنيّة وعلى العمائر.

## 3 - الخط الكوفي المورق

وهو الخط المكتوبب الذي تخرج من أطراف حروفه (عند الكتابة) سيقان نباتية دقيقة، تُزخرف نهاياتها ورقة نباتية تمتد إلى أجسام الحروف نفسها، الأمر الذي يضفي عليها جمالاً آخراً، وقد انتشر هذا النوع في أنحاء العالم الإسلامي.

## 4 - الخط الكوفي المزهر

وهو الخط الذي شاع في العصر العباسي بشكل ملحوظ، حيث استطاع الخطّاط أن يبتكر هذا اللون من الخط، وقد عَدَّ المختصون وعلماء الآثار، هذا النوع من الخط إبتكاراً

(1) اعتمدنا في هذا التبويب والتفصيل على مقالة د. صلاح حسين العبيدي «الخط العربي ركن من أركان الحضارة الإسلامية» المنشورة في مجلة آفاق الثقافية والتراث - دُبي - العدد 43/ اكتوبر/ 2003 - ص83 - ص97.

(2) يتوهم الاستاذ يوسف ذنون، بأن «الخط الكوفي ليس كوفياً» محيلاً أصله إلى بلاد الشام متخطياً حقبة خلافة علي بن أبي طالب/ والتي ازدهرت بها كتابة المصاحف بالخط الكوفي، أنظر مقالته (قديم وجديد في أصل الخط العربي - مجلة المورد - عدد خاص بالخط العربي - العدد/ 4 - مجلد 15 - 1918/ ص 12-13).

من ابتكارات العرب أضيف إلى حضارتهم. وقد بدأت عملية التزهير في هذا الخط بتحوير الورقة النباتية التي شاعت في الخط المورق إلى ورقتين ذات ثلاثة فصوص أو شحمات يحتضنها الغُصن النباتي الذي بدأ يخرج من رؤوس الحروف ونهاياتها، وأخذ يمتد بعيداً عن مكان اتصاله بالحرف وانثنى، وانشقت الأوراق، وزُيّنت بالأزهار، وكثرت الأوراق والأزهار، وبدأت عملية التزهير في الخط.

## 5 - الخط الكوفي المضفور

يتميّز هذا الخط عن غيره من بقية خطوط الكوفي، بأن زخرفته تتكون من ترابط حروفهِ بعضها إلى بعض. وقد ظهر هذا النوع من الخطوط في أوّل أمرهِ بسيطاً، ثم بولِغَ في تعقيده إلى الحد الذي يكاد يذهب بمعالم الكتابة، فتصعب قراءتها، إذ الخطّاط يربط بين حروف الكلمة الواحدة أو الكلمتين بعضها ببعض، حتى لا يدري الإنسان من أين تبدأ الكلمة وإلى أين تنتهي.

## 6 - الخط الكوفي المربّع

وهذا النوع من الخط هو الذي يتميّز بالتربيع والتدوير والصفة الهندسية ظاهرة فيه، فحروفهُ شديدة الإستقامة، قائم الزوايا، شكّل الآجر «الطابوق» مادة أساسيّة في تشكيلاته الأفقية والرأسية، ولهذا كثر في فن العمارة الإسلامية، حيث رُتّبت الحروفُ فيها ترتيباً هندسياً في غاية الدقّة والجمال[1].

وحينما اكتمل بناء بغداد (144 - 149هـ/ 762 - 767م)، تحت رعاية مؤسّسها أبو جعفر المنصور (136هـ - 158هـ) وانتقلت الدواوين إليها من الكوفة وشُغلت أسواقها بالصنّاع وأرباب المِهَنْ، حتى أصبحت الأرباض - الساحات - من العلامات الحضارية الدالة عليها، فهناك، في ربضٍ وضّاح، بين طاق الحَرّاني والقنطرة الجديدة، كان سوق الورّاقين[2] حيث شرعت حوانيته التي تربوا على المئةِ، لإستقبال الأدباء والعُلماء، وأخذ الخطّاطون أماكنهم في زوايا تلك الحوانيت، وكان الخط الكوفي هو إبداعهم الحاضر بقوة، يستخدمونه في الكتابة وفي تنميق أغلفة الكتب وغيرها.

لقد أخذت الحياة الأدبية والعقلية تزدهر باضطراد، تبعاً للحالة الإقتصادية

(1) راجع بقية التفصيلات عند د. صلاح حسين العبيدي - في المرجع السابق من ص90 - ص93.
(2) اليعقوبي/ فتوح البلدان/ ص245 - طبعة ليدن 1891م.

والإجتماعية الناهضة، وما أن حَلّ عصر المأمون (198هـ - 218هـ/ 813 - 833م) حتى كانت فنون الخط تستجيب بشكل متواتر لكل ما يتطلب من صيانة للحالة العلمية السائدة في هذا العصر. إذ تزامن في بغداد وجود أنواع من الخطوط أُبتدعت على أيدي خطّاطين ملأت شهرتهم الآفاق، وقد تخطّى هؤلاء الخطّاطون حاجز الخط الكوفي دون إهمالهِ، إذ ظهر خط النسخ، والذي كان كثير الإستعمال في التراسل والتدوين، ومن هُنا عُرف بخط النسخ، وقد أخذ هذا الخط يرقى سُلّم التطوّر، لا سيما بعد أن بدأت الترجمة والتأليف تأخذ حيّزها الناشط في عقل المؤسّسات العلمية العباسية وبدفع من المأمون شخصياً، إذ نهضت كل الخطوط العربية - وقتئذ - لتساهم بعملية «النسخ» لما يُترجم وما يؤلّف، وقد كثر النُسّاخ والورّاقون، بمختلف صنوفهم.

وقد ظهر خطٌّ آخر - في هذه الفترة - أيضاً، عُرف بـ«المُحقّق» وهو نوع من النسخ، تتحقّق فيه تناسب ودقّة (فنيّة) في رسم حروفه[1] وهذا - القلم - قد سُميَّ بعدة تسميات منها «البديع والمقوّر والمكدور، والمحقّق» ومن ثم تطوّر هذا القلم إلى «الثلث، الطومار، التعليق، الرقعة، الديوان، الطغراء، الإجازة»[2].

ويُعدّ هذا القلم «المُحقّق» هو الحد الفاصل بين حروف الكتابة، بشكل عام، وحروف الخط، كإبداع، بشكل خاص، حيث مع هذا الخط، تبدّلت وظيفة القلم. من أداة كتابة إلى أداة فنيّة، لا سيما على يد إبن مُقلة والذي فرض قاعدة الكتابة فيه وفق شروط فنيّة خالصة، سوف نعرّج عليها، فيما بعد، وكذلك تلاميذه إبن البَوّاب، وغيره، والذين ساروا على منواله، وصولاً إلى ذروة الخط في المدرسة البغدادية ياقوت المستعصمي، الذي أكمل الكمال فيه[3].

لقد أثّر الجانب الفنّي في الكتابة على عموم الكُتّاب والورّاقين وأصبحت مسألة تجويد الخط إحدى المقوّمات الأساسيّة لعمل الورّاق - الناسخ، وإحدى ركائز المفاضلة بين كاتب وآخر في دواوين الدولة العباسية، وربما ارتقى صاحب الخط الجميل إلى سدّة الوزارة، كما حَصل مع إبن مُقلة، وقد التفت إلى هذا الجانب بشكل دقيق شيخ الترسل وقُبلة الكتّاب في العصر العباسي أبو بكر الصُولي حيث أشار إلى أهمية الكاتب من حيث حُسن الخط وطرق بري القلم، وأفرد فصلاً خاصاً في كتابه (أدب الكتّاب) سَمّاهُ «حُسن

---

(1) أبو بكر الصولي/ أدب الكتّاب/ ص49 - تحقيق بهجت الأثري - بغداد 1341هـ.

(2) د. صلاح حسين العبيدي - مقالة (الخط العربي ركن من أركان الحضارة الإسلامية) مجلة آفاق الثقافة والتراث - العدد 43 - اكتوبر - 2003م/ ص93.

(3) سوف نترجم لهؤلاء الأعلام، بكل تفاصيل حياتهم في الفصول القادمة.

الخط» وأورد شواهد عديدة في حُسنِ الخطِ وقبحِهِ، مشيراً إلى كثير من الطُرق في ذلك، وناقلاً أحسنَ ما قيل فيه من أدب، شعراً كان أم نثراً، ليُدلّل على حُسن إرتضاء النفوس لحُسنِ أداء الخطوط، ومن ذلك ما قالَهُ أبو تمّام الطائي في الحسن بن وهب[1].

«لقد جلى كتابُك كُلَّ بثٍّ ... جَوٍ وأصابَ شاكلةَ الرمي
فضضت ختامَهُ فتبلَّجت لي ... غرائبَهُ عن الخبر الجلي
وكان أغمض في عيني وأندى ... من البُشرى أتت بعد النعي
وضُمّن صدرهُ ما لم تضمّن ... صدور الغانيات من الحليِّ
فكائنٌ فيهِ من معنىً بديعٍ ... وكائنٌ فيه من لفظٍ بهي
وكم أفصحت من برّ جليلٍ ... بهِ ووعدتَ من وعدٍ سني
كتبتَ بهِ بلا لفظٍ كريهٍ ... على أذنٍ ولا خطٍّ قمي
فأطلقَ من عقالٍ في الأماني ... ومن عقل القوافي والمطيّ

فيما استُقبح صاحب الخط الرديء، إلى حد قد يفضي به إلى الإقصاء عن الوظيفة، وهو ما حدث لأحد الكتّاب في ديوان عبد الله بن طاهر، حينما رأى خطًّا بعض كتّابهِ فلم يرضِهِ، فقال: «نحّوا هذا عن الديوان فإنَّهُ عليل الخط، ولا يؤمن أن يُعديه غيره»[2] وقد شاع، وقتذاك، أي في عهد المأمون شعار أدبي - مهني، مفاده «رداءة الخط إحدى الزُمانتين، كما أن حُسنَهُ إحدى البلاغتين»[3] لذلك دأب الكتّاب على تحسين خطوطهم واتّباع أئمة الخطّاطين في أساليب الكتابة فراحوا يَرخونَ ذوائب الحروف الممدودة، كالياء والنون والعين والحاء المنفصلات. كان هذا الأمرُ يجري بين كتّاب الدَواوين والورّاقين. أمّا الخطّاطون فقد شحذوا الهِمَمَ وتفرّغوا للإبداع في أقلامهم، ورراحوا يُوَلِّدون الأقلام من بعضها، بغية تحسين صنعتهم والإرتقاء بها. وقد اشار أبو حيّان التوحيدي إلى أنَّهم إشتقّوا من الخط الكوفي وحَدَهُ الأقلام التالية:

«الإسماعيلي والمكي والمدني والأندلسي والشامي والعراقي والعبّاسي والبغدادي، والشعب والريحاني والمجرّد والمصري، حتى اتّصلت بإبن مقلة وإبن البَوّاب»[4]. نعم لقد

---

(1) الصولي/أدب الكُتّاب/ ص46، وراجع ديوان أبي تمّام 3/ 355 - قافية الياء - بشرح الخطيب التبريزي - الطبعة المصرية القديمة.

(2) الصولي - أدب الكاتب/ ص53.

(3) نفس المصدر السابق.

(4) أبو حيّان التوحيدي/ رسائل التوحيدي/ ص42 - 43.

كان للخطّاط العراقي باع طويل، حتى أنهم أوجدوا طرائق في بري القلم وأصول الكتابة بهِ، وشرائط الإلتزام بها، بغيّة تمييّز الخطوط بعضها عن بعض، وأوجدوا لها المسمّيات الخاضعة لشكل الحرف عند الكتابة، عُرفت بإسم: «معاني الخط» وبهذا الصَدَد قالوا: يحتاج الكاتب الخطّاط إلى سبعة معانٍ: الخط المجرّد بالتحقّيق، والمُحلّى بالتحديق، والمُجمّل بالتحويق، والمُزيّن بالتخريق، والمُحسّن بالتشقيق، والمُجاد بالتدقيق، والمتمّيز بالتفريق، وتلك هي أُصوله وقواعده المتضمنة لفنونهِ وفروعه، كما يقول التوحيدي[1].

ومعنى المجرّد بالتحقيق: هو إبانة الحروف كُلّها، منثورها ومنظومها، فصلها وموصولها بمَدّاتها وقصراتها، وتفريجاتها وتقويماتها، حتى تراها وكأنها تبتسم عن ثغورٍ مُفلّجة، أو تضحك عن رياضٍ مُدَبَّجة.

والمراد بالتحديق: هو إقامة الحَاء والخَاء والجيم وما أشبهها على تبيّض أوساطها، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها، أكانت مخلوطة بغيرها، أو بارزة عنها، حتى تكون كالأحداق المفتّحة.

والمقصود بالتحويق: هو إدارة الواوات والفاءات والقافات وما أشبهها، مُصدَّرة وموسّطة ومُذنّبة، بما يكسبُها حلاوةً ويزيدها طلاوةً.

وأمّا المراد بالتخريق: فهو تفتيح وجوه الهاء والعين والغين وما أشبهها، كيفما وقعت، إفراداً وأزواجاً، بما يَدل الحسّ الضعيف على اتّضاحها وانفتاحها.

وأمّا المراد بالتعريق: فهو إبراز النون، والياء وما أشبهها مِمّا يقع في أعجاز الكلمة مثل: مَنْ، عن، في، مَتى، وإلى، وعلى، بما يكون كالمنسوج على منوالٍ واحدٍ.

وما قُصِدَ بالتشقيق: فتكثُفُ الصاد والضاد والكاف والطاء والظاء وما أشبَه ذلك، مِمّا يحفظ عليها التناسب والتساوي، فإن الشكل بها يصح، ومعها يحلو.

وأمّا المراد بالتنسيق: فَتعميم الحروف كُلّها، مفصولها وموصولها بالتصفية، وحياطتها من التفاوت في التأدية ونقص العناية عليها بالتسوية.

وأمّا المراد بالتوفيق: فحفظ الإستقامة في السطور من أوائلها وأوساطها وأواخرها وأسافلها وأعاليها، بما يفيدها وفاقاً لا خلافاً.

وأمّا ما رُميَ إليه بالتدقيق: فهو تحديد أذناب الحروف بإرسال اليَد واعتمال سَنْ القلم وإدارته، مَرّة بصدرهِ ومرّة بِسُنّيهِ، ومرّة بالإتكاء ومرّة بالإرخاء، بما يُضيف إليها بهجةً ونوراً، وَرَوْنقاً وشذوراً.

---

(1) رسائل التوحيدي/ ص44.

وما قُصِدَ بالتفريق: فحفظ الحروف من نزاعةٍ بعضها لبعض، ومُلابسة أوّل منها لآخر، ليكون كل حرفٍ منها مُفارقاً لصاحِبِهِ بالبدن، مُجامعاً بالشكل الأحْسن[1].

هُنا نُلْمَس التبدُّل بوظيفة القلم، بمعنى لم يعد (القلم) أداة الكتابة، بل أداة الأبداع لرسم الحرف العربي وفق قواعد فنيّة خالصة، لا تقبل مَنْ يرفض شروطها وقوانين كتابتها. وهُنا تحديداً، وتحديداً مع الخطاط إبن مُقلة، تبدّلت أيضاً مهنة الإحتراف الورّاقي، إذ بدأت ملامح «**مدارس الخط العربي**» تبدأ بالظهور والتبرعم في هذا العصر، ومن ثم أخذ الخطاطون بالإستقلال التدريجي من مهنة الوراقة، إلى إحتراف الخط كمهنة مستقلة قائمة بذاتها، وعلى شرائطها المهنيّة الخاصة، إلاّ أنها تشارك مهنة الوراقة في المكان داخل السوق وتهتم فقط بكتابة العناوين، الداخلية والخارجية، ويقع ضمن اهتمامها التزويق والتجليد والتذهيب، للكتب والمصاحف وغيرها. فالشروط الحرفيّة للخطّاط تبدّلت هي أيضاً، بتبدّل وظيفة القلم الكتابية، بل وتغيّر المنهج وأصبح تطغى عليه الفنيّة البحتة، ضمن القواعد والأسس التي صاغها أساطين القلم، وعلى هذا الأساس قلنا «بدأت المدارس الفنيّة للخط العربي في الظهور» فالمسمّيات الآنفة الذكر هي قواعد لكتّاب القَلَمْ العربي، ليسَ من السهل على كل خَطّاط مبتدىء أن يتملّكها جملةً بين ليلةٍ وضُحاها، ما لم يكن قد تَتَلمَذَ على يد أحد شيوخ الخَط من جهة، وسعى جاهداً بالممارسة والدربة من جهة أخرى، وبشكل مُستمر حتى يُتقن مَسك القلم، ومن ثم يُحدّد نوع الخط الذي يبدأ بكتابتهِ على الأصول التي دَرَسها. يقول إبن الزهري، وكان قد لحق بمدرسَةِ إبن مُقلة وابن الزنجي وبني التوابة وتَتَلمذ بإسلوبهم: «مَنْ حَقَّقَ الحروف المُفصَّلة تحقيقاً، ثم وَصَلَ الإثنين بالثالث، ثم وصل الثالث بالرابع، على هذا إلى آخر الكلمة كقولهم: **فسيكفيكم ويستنصرون، والإستعمال والإستفهام والإستقامة، وخجخجَ وجحجبا، والإستنجاح، والجحاجحة والصيانة والصياقلة والصقالبة والقطارفة والطراخنة والبطارقة.**

ووقف على المتماثلين، مثل: «حططت وخططت وقططت، ونَصَصَ وحَصَصَ وقَصَص واستنصحَ واستصحبَ، وتكوكب واستنجحَ واستصلح واستقبح واستشرحَ، وما أشبه ذلك فإنَّهُ كثير، رجوت لَهُ - انظر النصيحة الفنيّة - أن يبلغ من رسم الخط الذروة العالية»[2].

ثم يستدرك مسألة هامة يؤكدها في رسم الأحرف وينبّه عليها الخطّاطين قائلاً: «وملاك الأمر تقويم أعجاز السطور وتسوية هوادي الحروف، وحفظ التنسيق، وقلة

(1) رسائل التوحيدي/ ص45.
(2) رسائل التوحيدي/ ص48.

العَجلة، وإظهار القدرة في عرض الإسترسال، وإرسال اليَد في طي الإقتدار»[1].

فيما يرى العَسجَدي الخطّاط أن «للخط ديباجة متساوية، وأمّا وَشيَهُ فشكَلهُ، وأمّا التماعَهُ فمشاكلة بياضَهُ لسواده بالتقدير: وأمّا حلاوتَهِ فافتراقَهُ في اجتماعَه»[2].

هنا، أصبحت أمامنا تقاليد فنيّة، بدأت تُرسخها في الأتباع المدرسة البغدادية في الخط العربي[3]، وبدأ الشُرّاح بتبسيطها لمنفعة التلاميذ الجُدُد، وهنا يتوضّح البُعد الإستقلالي في المهنة، بغية ترسيخها حِرفياً، إذ الإهتمام ينصبّ على آلية عمل اليد في تطويع القلم لرؤية الكاتب الفنيّة في رسم الحرف، لا في كتابة (النص) كما هو معروف في «منهج الوراقة»[4].

لقد بدأت تظهر تقاليد الخط العربي على الوعي العام في الدولة العباسية، ويتأثّر بها المجتمع بكل طبقاته، بدأ من السلطة السياسية في الدولة وانتهاء بحوائج الناس اليومية، بمعنى آخر أن الظاهرة الفنية للقلم بدأت تتجذّر في الوعي الجمعي، الأمر الذي يعطيها صفة الضرورة للتداول اليومي في كافة شؤون الحياة، بمعنى ثالث، صارت الظاهرة طابع مُمَيَّز للحياة الثقافية في العصر العباسي، وهنا ندرك معنى التأصيل لهذه الظاهرة، إذ أنها طبعت الحياة الثقافية بميسمها وأصبحت ضرورة لا بُدَّ منها في التعاطي اليومي للحياة.

ومن هنا جاء الاهتمام بحسن الخط في كل دواوين الدولة العباسية وانتخب لها كبار الكتّاب الخطّاطين كالصولي وإبن مقلة وأضرابهم، وقد كانت هذه العملية الفنيّة الحضارية، قد حصَّنت الأدب بشكل عام، للنهوض والرقي، فحفظت بذلك الكثير من المَخطوطات، وسَهَّلت قراءتها وتحقيقها، ويجب أن نعترف أن السلطة العباسية كان لها دوراً هاماً وبارزاً في تطور هذه المسألة وتجذيرها في الوعي الثقافي، يقول أبو حيان التوحيدي: «رأيت أبا الوفاء المهندس، يقول لإبن سعدان، الوزير: والله أيها الوزير، إنّ خَطّك في الغاية، وأن بلاغتك في النهاية، فما الذي يدعوك إلى الإستعانة بالصابي أبي إسحاق في مكاتبة إبن عَبّاد؟ فقال الوزير؟ إنّ ابن عَبّاد كثير التتبّع للغيب، شديد الشماتة بالعاثر، وأنا أكره أن يرميني فيصمي ولا يشوي، ولأن أُحصن عقلي وعرضي بترك اعتمال خطّي ولفظي أحبُّ إليّ من أن أصير ملسوعاً بإبرته، مكسوعاً بحضرته»[5].

---

(1) المصدر السابق - نفس المكان.

(2) نفسه.

(3) سنفرد لها باباً خاصاً في هذا الجزء من الموسوعة، نظراً لأهمية إبداعها الغني في مسار تطور الخط العربي في الثقافة العربية - الإسلامية.

(4) راجع: الجزء الثاني - من هذه الموسوعة/ ظهور مهنة الوراقة، فصل - منهج المقابلة في النسخ.

(5) رسائل التوحيدي/ ص61.

وهنا نلاحظ مَدى التحرّز عند الوزير ابن سَعدان لأن يعطي مثلمةً على نفسه باعتمال خطّهِ، لذلك استعان بكبير الأدب في عصرهِ (أبو إسحاق الصابي).

كما دأب كبار الكتّاب في الدولة العباسية على الإهتمام المتواصل في تحسين خطوطهم، ومراجعتها ونقدها، وتَلَمُّس مواضع الخلل فيها، الأمر الذي أصبح سُنَّةً عندهم، وعند الذين ساروا على منوالهم وطريقتهم، فهذا شيخ كُتّاب الدولة العباسيّة (أبو إسحاق الصابي) يقول عن نفسِه في هذه المسألة: «ما حرّرتُ كتاباً قط عُقيبَ التسويد إلاّ ورأيت التنافر في خطّي، والتطاير مع قلمي، والتثاقل في يدي. فأمّا إذا جَمَمت بعَدُهُ جمّة أو نمتُ بعدهُ نومه فأنا على صواب ما أُريد منه جرىء، ومن الخطأ فيه برىء»[1].

تأمّلٌ بسيط في هذا النص الأدبي الرائع، نتلمّس مقدار القلق الإبداعي عند أشهر أدباء العصر العباسي، وهو يتعاطى مع خطّهِ، بغية أن يُقَوّم نفسه أولاً، باعتباره قِبلة الكتّاب في عصره، وبذا هو يدرك مقدار المسؤولية الملقاة على عاتقه بوصفه الكاتب النَمُوذج، وبهِ يهتدي بقية الكتّاب، لذلك كان حريصاً جداً على تطوير وتحسين ونقد خطّهِ لاكتمال مقوّمات النمذجة. وهنا، نستطيع القول بكل ثقة، أن كل ظاهرة تنتقل للأدب هي بالضرورة أصبحت راسخة التقاليد في الثقافة بكل قوّة، ومن هنا قلنا أن العباسيين **أصّلَوا الخَطَّ العَربي** في الثقافة العربية - الإسلامية بكل وضوحٍ وامتياز.

## الفصل الثاني

## الخَطّاطون: أساس مهنة الوراقة

قد يستفز هذا العنوان، الكثير من الباحثين والدارسين والمتخصّصين في شؤون التراث العربي - الإسلامي، الفني والأدبي، عرباً كانوا أو مسلمين أو مستشرقين. فالكل يعتقد، في قناعاته الخاصة، أنَّ الخطّاطين والورّاقين، صنفان مستقلان، وتلك أيضاً كانت قناعتنا، في البدء، ولكن حين ولجنا في بحرِ الوراقة وأبحرنا فيها مُدَّة زمنيةً طويلةً، نافت على 22 عاماً، إستطعنا من خلال هذه الرحلة الطويلة أن نكتشف قناعاتٍ أُخرى، أرست بنا إلى الجزم من أن الخطّاطين هم الأسُّ الحقيقي الذي بَنَتْ عليه مهنة الوراقة كامل بُنيانها الفنّي والمعرفي، بآنٍ معاً، وخصوصاً في عصر التدوين للثقافة العربية - الإسلامية في

(1) رسائل التوحيدي/ ص47.

العصر العباسي، وبنظرة إستدلالية بسيطة يمكن النظر إلى مقولة «ربط الخط بالكتابة» وربط الكتابة بالتأليف والتوريق والناتج كتاب، وعلى هذا الأساس كانت العلاقة التواشجية بين حُسن الخط والتدوين، قبلَ أن يُعمَد العرب إلى مسألة «التأليف» لأنها مرحلة لاحقة، فبالأوّل تعلّموا كتابة الحرف، ثم الكلمة، ومن بعَدهاغ نشأت الجُمَلُ والنصوص وظهرت الكتابة العربية.

فالإختيارات الأولى في تدوين القرآن اعتمدت على أصحاب الخَطّ الحَسن من الصحابة، الذين يعرفون القراءة والكتابة، وعلى هذا الأساس كان أبرز الكتّاب الأوائل بجودة الخط، هم زيد بن حارثة وعلي بن أبي طالب، والأخير وُجدت له آثار مخطوطة للقرآن الكريم بخطّه[1].

وهو القائل «الخَطُّ الحَسَن يُزيد الحَقَّ وضوحاً» فجمال الخطّ هنا مُزِجَ بمحمولٍ ديني وله الأوليّة في التصدير، وهكذا شكّل هذا الأساس الفني لجمال الحرف الأفضلية في نسخ القرآن وتدوينه حتى نهاية العصر الأموي عام 132هـ/ 750م.

وحين شَمخَ العصر العباسي بكامل نهضته العلمية والإقتصادية والسياسيّة كانت مهنة الوراقة هي الأعلى في موجات الإندفاع لمسايرة الركب الحضاري، وقد ألمحنا وأشرنا بوضوح في الجزء الأول من هذه الموسوعة، إلى سوق الورّاقين في - الكرخ - والذي بلغ عدد حوانيته «100 حانوت للوراقة» ثم تلاهُ سوق الورّاقين في - الرصافة - بعدما بُنيت لولي العهد المهدي بن أبي جعفر المنصور، والذي بدت شهرته تطغي على السوق الأول المقام في الكرخ، إذ فيه رُسّخت الأسس الفنيّة والعلميّة لمهنة الوراقة وصناعة الكتاب العربي.

ولقد أخذت الناحية الجمالية في الكتابة تُملي شروطها على الورّاقين أولاً، وعلى كافة كُتّاب الدولة، ثانياً، حتى أخذت تفرض سلطانها الفني في بريِّ القلم، على اعتبار أنَّهُ الأداة الرئيسية في الكتابة، وبهِ نزل التنزيل ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[2]. لذلك اهتم الكتّاب والورّاقون أيما اهتمام بمسألة بري القلم، لأنها تُحدّد شكل الخط أولاً، وتبرز مهارة الكاتب ثانياً، وتؤكّد جودت عمل الكاتب أو الناسخ ثالثاً، ورابعاً تشكل قاعدة اختباريّة لعموم الكتّاب والورّاقين، لذلك فطنَ لها الجميع في أولى مراحل الكتابة وبدايات النشيء لتعلم قواعد الخط، بل أن مسألة بري القلم غدت واحدة من أفضل التمايزات بين الكتاب،

---

(1) سيجدها القارىء في هذا الجزء من الموسوعة.

(2) سورة القلم، الآية: 1.

وبها يعرف الحاذق دون سواه[1]، وهنا نلاحظ أن عقلية الفنّان - الكاتب الخطّاط - بدأت تتعرّف في سياق العمل، إلى شكل القطّة في البري، إذ أن «لكل قلم»[2] قَطَّةٌ خاصة به، تميّزهُ عن غيره من الأقلام، حتى أن إبن مقلة يرى أنه ينبغي أن تكون أقلام الكاتب على عدد ما يؤثرهُ من الخطوط[3] وكأنه يريد أن يكون في دواتهِ قلم مبري لنوع الخط الذي يريد الكتابة فيه، ليجدهُ مهيئاً فلا يتأخّر لأجل برايته.

هنا، أصبحت المهمة الكتابية واضحة جدّاً في أبعادها الفنيّة، بالنسبة للكاتب أو الناسخ، بل أن المسألة الجمالية أخذت تقونن عَمل الورّاق - الناسخ تحديداً[4] حتى برز شعار فنّي - مهني، في أوساط الورّاقين يقول: «ردائة الخط زمّانة الأديب» ولذا سارع المهتموم من كبار الأدباء والعلماء بهذا الفن الكتابي لوضع (قواعد أصوليّة) تعين الناسخ أو الكاتب على تحسين خطّه، فقد وضع أبو بكر الصولي كتاباً هاماً أسماهُ «أدبُ الكُتّاب» ليساعد الكتّاب والورّاقين على تخطّي مسألة «رداءة الخط» وهذا يعني أن الوسط الثقافي كان مُنسجماً مع شروط مهنته الحضارية «الوراقة» ومطوّراً، بنفس الوقت، أدواته المهنية في الكتابة.

وحين أرست رياسة الخط عند إبن مُقلة وضع القواعد والأصول الفنيّة البحتة لمهنة الخطاط المحترف في شؤون الكتابة[5].

إنعكست المسألة الجمالية في الخط بشكل واضح في عمل الوراقة إذ كان سعر الكتاب وسعر التوريق يزداد إرتفاعاً كلما كان الناسخ جوَّد خطَّهُ فيه، وفي هذا السياق يذكر ياقوت الحموي، أن «رقعة بخط إبن البوّاب علي بن هلال[6] صاحب الخط الرائق كان قد كتبها إلى بعض الأعيان يسألَهُ فيها مساعدة «صاحبه إبن منصور» وإنجاز وعدٍ وَعَدَهُ بهِ لا يساوي دينارين. قد بيعت «الرقعة» بسبعة عشر ديناراً إماميّة، ثم يقول: «وبلغني أنها بيعت مرّة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً»[7]، كما يذكرياقوت، واقعة أخرى، بهذا الصدد، يعني

(1) راجع كتابنا «ورّاقو بغداد في العصر العباسي» فصل - أدوات الكتابة - القلم/ ص65.

(2) المقصود، نوع الخط.

(3) انظر - مرتضى الزبيدي - حكمة الإشراق/ ص71، من نوادر المخطوطات المجموعة 5 - ط1 - تحقيق عبد السلام هارون - طبعة القاهرة وبغداد 1373هـ/ 1954م.

(4) لأن الورّاقين - اصناف عديدة - أبرزها الناسخ.

(5) سيجد القارىء - تلك القواعد - في فصل خاص عن إبن مقلة في ثنايا البحث من هذا الجزء.

(6) أفردنا لَهُ ترجمة مطوّلة في هذا الجزء من الموسوعة.

(7) معجم الأدباء 15/ 121 - 122 - وراجع كذلك د. محمد ماهر حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص168، حيث ذكر هذه الحادثة.

جودة الخط، أن «نسخة من يتيمة الدهر للثعالبي بخط محمد بن إسحاق الزوزني، بيعت بثلاثين ديناراً نيسابورية»[1] باعتبار أن الزوزني كان ورّاقاً معروفاً ينسخ كتب الأدب بخطٍ مقروء صحيح أحَسَنَ النسخ»[2] فيما بيعت نسخة من (الصِحاح للجوهري) بمئة دينار وفق رواية إبن خلكان والذي أشار إلى أن هذه النسخة من الصحاح، كانت بخط ياقوت بن عبد الله الملكي الموصلي الذي كتب الكثير وانتشر خطّه في الآفاق، وكان في نهاية الحُسن ولم يكن في زمانه مَنْ يقاربهُ في حسن الخط، ولا يؤدي طريقة إبن البَوّاب في النَسخ مِثْلَهُ، مع فضل غزير ونباهة تامة، وكان مُغرماً بنسخ الصحاح للجوهري فكتب منه نُسخاً كثيرة، كل نسخة في مُجلّد واحد، ورأيت، والكلام لإبن خلكان، منها عدة نُسخ وكل نسخة تباع بمئة دينار»[3].

ثم أن مكتبات الخلفاء والمكتبات العامة، كانت تحوي، على غُرفٍ للنسخ يشتغل بها الورّاقون الذين أُختبروا في النسخ ومعرفة أصول الوراقة، وعلى رأسها جَودة الخط ووضوحِهِ وصحّته، كما كان يفعل عَلاّن الشعوبي في مكتبة «دار الحكمة» في زمن المأمون[4] وكما الحال عند الورّاقين الذين لازموا العلماء والأدباء ونسخوا لهم، وقد أشرنا لهم في مكان آخر من هذا العمل[5].

ثم أن الورّاقين أدركوا، بالحِس المهني، أهمية جودة الخط وتزويق الكتاب بغية إغراء المشتري لبذل المزيد في قيمة الشراء من ناحية، ومن ناحية أخرى، كان موضوع الكتاب يلعب دوراً أيضاً في عملية رفع السعر، حتى أن العالم الفيزيائي إبن الهيثم إشتغَل بالنسخِ فترة ليست بالقصيرة، عندما استقدمهُ الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى مصر[6] وتظاهر بالجنون، ليتخلص من أمر الحاكم، وأقام في أحد قباب الجامع الأزهر، وبدأ يشتغل بالتصنيف والنسخ والإفادة، وكان لَهُ خطٌّ قاعدي في غاية الصحة، يقول القفطي وهو ينقل الرواية عنه: «ذكر لي يوسف الناشىء الإسرائيلي الحكيم قال: سمعت أن ابن الهيثم كان ينسخ في مُدة سنة ثلاث كتب في ضمن اشتغالِهِ (العلمي) وهي (إقليدس والمتوسطات والمجسطي)، ويستكملها في مدة السنة، فإذا شَرَعَ في نسخها جاء من يُعطيه فيهم مائة

(1) معجم الأدباء 18/ 20.
(2) نفس المصدر السابق.
(3) إبن خلكان - وفيات الأعيان 5/ 170 - وتجدر الإشارة إلى أننا عملنا - ترجمة ضافية عن هذا الورّاق والخطاط - بهذا الجزء من العمل.
(4) راجع ترجمته عندنا في/ أعلام الوراقين البغداديين/ في هذه الموسوعة، ج5.
(5) راجع/ ورّاقو العلماء والأدباء/ في هذه الموسوعة ج5.
(6) انظر ترجمته المفصلة عندنا في/ «ورّاقو بلاد مصر»/ الجزء 6 من هذه الموسوعة.

وخمسين ديناراً مصريّة، وصار ذلك كالرسم الذي لا يحتاج فيه إلى مواكسة ولا معاودة قول فيجعلها مؤنته لسنة»[1].

هذا الخبر، يكشف لنا وأمامنا الأهمية الفائقة للخط في عملية الورّاقة باعتباره الجزء الهام والأبرز في عملية النسخ «الطباعة في المصطلح المعاصر» إذ المهنة (الوراقة) تعتمد عليه بالأساس، بمعنى آخر، لولا الخط الحَسَن لفسدت مهنة الوراقة، والمشتغلين في قضايا تحقيق المخطوطات يعثرون دائماً على عبارات من مثل: «كان الناس يرغبون في خطّه» أو «كان خطّه في جودة الحسن والإتقان» أو «كان من أصحاب الخط المنسوب» أو «من أصحاب الخط القاعدي» أو «كانت أصول مسودته بخط التعليق» وكل هذه العبارات تشير إلى نوعية الخطوط المستخدمة في النسخ، إضافة إلى الخطوط التي أبدعها الورّاقون كالخط الوراقي أو المقرمط، وغيرها بغية تيسير عمل الوراقة، بمعنى آخر، أن عوامل الإبداع الفني لإشتقاق هذه الخطوط كانت من أجل الوراقة أولاً، حيث العرض والطلب في ارتفاع متوازٍ دائماً، وليس اعتباطاً أن يتولّد من الخطوط الرئيسية الستة[2]، أكثر من 35 قلماً وقتذاك، وهذا دليلٌ آخر على أن مسألة الإبداع في الخط جاءت لتلبي حاجة الوراقة أولاً، ومن ثم تفرض إفرازاتها الفنيّة، لاحقاً، في هذا الميدان، لأن يستقل الخط، كإبداع فني في ذاته، وتتحول وظيفتهُ البُنيوية من الكتابة إلى الفن الخالص، وسنعرض ذلك بالتفصيل، وفق المسارات الزمنية لمراحل تطور الخط العربي.

وهناك أمرٌ آخر يؤكد عمق الترابط الوثيق بين الوراقة والخط، بحيث يصعب الفصل بينهما هو «تراجم الأعلام» من الورّاقين أو الخطّاطين، إذ أن كل المدونات التاريخية التي ترجمت لهؤلاء الورّاقين والخطّاطين كانت تؤكد على الوحدة العضوية بين الطرفين وعلى مسار التاريخ العربي - الإسلامي، حيث أثّرت الوراقة - مهنياً - في عمل الناسخ، ورّاقاً كان أو خطّاطاً، فيما أثّر الخطّاط أو الناسخ - إبداعياً - في الوراقة، فالتدريب المستمر لعملية نسخ الكتب، هي التي أوحت للناسخ لأن يشتقّ خطوطاً أخرى تساعدهُ في إنجاز العمل، ودفعت بهِ إلى التَفنُّنِ في ذلك، وبالتالي خلقت منه متخصّصاً في رسم الحرف، بمعنى آخر، هيّجت الوراقة في نفسّية الورّاق كوامن الإبداع - العقلي والبصري، بحيث تحول، في سياق العملية الكتابية الروتينية إلى إنسان متُأمِّل لمسارات الحرف، لا سيما في خط العناوين والخَتْمات، وتفصيل الفصول وتبويب الأبواب، ومن هنا - بتقديرنا الخاص - بدأت عوامل القلق الإبداعي بالتراكم والتحفيز، ويجب أن لا ننسى بأن ذوق المتلقي،

---

(1) القفطي/ تاريخ الحكماء/ ص167.

(2) سوف نذكرها بالتفصيل في الفصول القادمة.

إن كان على صعيد السلطة السياسية العباسية أو صعيد الوسط الثقافي وجمهورالعامة، كان لهُ الفضل في تفجير طاقات الإبداع في كوامن الورّاق لأن يلبي رغبة هذا الذوق، الذي أخذ يتحسس مكامن الجَمال في شخصية الحرف العربي، وبدأت عمليات التمايز والتفضيل في خطِّ هذا الناسخ أو ذاك، وقد قَرّبت السلطة العباسية هؤلاء المبدعين وأغدقت عليهم، وحفزتهم للتواصل والإبداع، حتى ظهر منهم الأعلام الذين تبوّؤا الوزارة في مرحلة من المراحل التاريخية، كما هي الحالة مع عبد الله بن مُقلة، أو عند إبن البوّاب، حيث كان في بدايةِ أمره مزوّقاً للدور وأبيه كان (بَوّاباً) أي حاجب أو مع ياقوت المستعصمي والذي كان مملوكاً للخليفة العباسي (المستعصم بالله) وذات الأمر ينعكس أيضاً على الكثير من مشاهير الخط والتوريق الذين صعدوا سلالم المجد من عتبة الوراقة.

ومن الأدباء المشاهير الذين حَضوا بسمعة طيبة نتيجة إشتغالهم بالوراقة وحسن الإجادة فيها مع حُسن الدراية في الخط ياقوت الحموي صاحب المصنّفات المشهورة/ معجم الأدباء ومعجم البلدان/ حيث أثنى الكثير من المؤرخين على خطّهِ كإبن خلّكان[1] والزبيدي - صاحب تاج العروس - حيث ذكر أنَّهُ عَثَرَ على نسخة من كتاب الصحاح للجوهري في ثمانِ مجلدات بخط ياقوت، وعلى هوامشِ التقيّدات النافعة في خزانة الأمير إزبك»[2].

ومن المؤرخين المشهورين، الذين برعوا بالخطّ والتوريق إبن الفوطي «كمال الدين بن عبد الرزاق» والذي أَسَّرهُ المغول عند اقتحام بغداد وسقوطها عام 656هـ/ 1258م. لكن توسط نصير الدين الطوسي أنقذه من أيديهم، نتيجة شهرته المعروفة واستصحبَهُ مَعَهُ ليصبح خازناً لمكتبة مرصد مُراغة، ومن ثُمَّ خازناً للمدرسة المستنصرية في بغداد وقد أثنى المؤرخون على خَطّهِ، فقد نَعَتَهُ «السجستاني بقوله: أمّا خطّهِ فلم أرَ أقوى منه ولا أبدع ولا أسرح ولا أسرع، خطٌّ فائق، رائقٌ رائق، بديع إلى الغاية في تعليقه» ويضيف: «وكان يكتب من هذا الخط العجيب في كل يوم أربع كراريس يأتي فيها أنْقَشْ وأنْفَسْ من ذنب الطواويس»[3].

ثمة ملاحظة هامة، أبرزناها - في سياقات البحث في هذه الموسوعة - ونكررها الآن

---

(1) وفيات الأعيان 4/ 22.

(2) مرتضى الزبيدي/ تاج العروس من جواهر القاموس - المقدمة - دار ليبيا للنشر والتوزيع - طرابلس 1966.

(3) أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني - كتاب المصاحف/ ص133. تحقيق آرثر جفري - منشورات المطبعة الرحمانية - القاهرة - 1936م.

هي: سُمعة الكاتب - الورّاق أو الخطّاط، تلعب دوراً في ذائقة المتلقي الفنيّة، وترفع من سعر نسخهِ، إن كان عمله بصيغة كتاب أو ختمه، أو (قصص) أو غيرها من الأمور التي كان العامة يرغبون بها، فلقد ذكرت المصادر التاريخية أن (احمد بن أبي السُعود الرصافي الكاتب) كان يكتب خطّاً مليحاً على طريقة إبن البوّاب، وكان مُعجباً بخطّهِ، كتب نهج البلاغة بخطّهِ، ونادى عليه في الورّاقين، فدفع فيهِ خمسة دنانير فلم يبعهُ، ثم نُودي في الحال على قوائم بخط إبن البَوّاب بخمسة عشر ديناراً فاستشاط وقال: «يُدفع في نهج البلاغة بخطّي خمسة دنانير ويدفع في قوائم بخط ابن البوّاب خمسة عشر ديناراً، وليس بين الخطّين كبير فرق ولا سيما هذا التفاوت»(1) وكان ذلك في أوائل (ق 7هـ).

ومن المشهورين بكتابة «الختمات» وبخطٍ مليح أبو الفوارس بن الخازن المتوفى سنة 500هـ، فقد وَصَفَهُ إبن كثير بالقول: «صاحب الخط المشهور بالخط المنسوب قيل أنَّهُ كتب بيده خمسمائة ختمة»(2).

هنا بدأت تظهر أمامنا، إختصاصات فنيّة، إن صَحَّ القول،يواكب إختصاصات الوراقين في النسخ والتجليد والتزويق، وقد لاحظنا الميل الواضح في التخصص هذا، وقد سلطنا الضوء عليه في «باب منهج الوراقة في الإسلام»(3) حيث الإسقاطات الدينية بدأت تظهر في العامل الوراقي، فهذا يكتب نهج البلاغة، وآخر يكتب «الختمات» وآخر يختص «بالحديث» فيما كبار الخطاطين مالوا لخط المصاحف.

وهكذا بدأت تبرز تلك الإختصاصات، حتى أن بعض العُهُود كان لها كُتَّابها المختصّين، بمعنى أن هناك حالة فنيّة وعلميّة - بنفس الوقت - تعرف متطلبات هذه الكتابة وفق شروطها الشرعية، فانبرت لها، فمنذ ذلك العهد الذي كتبه الوزير إبن عَبّاد المتوفى سنة 386هـ، حيث كتب عهداً إلى قاضي القُضاة عبد الجبار وكَتَبَهُ له بخطّهِ الجميل واعتنى بزخرفته، ويُقال أنَّهُ كان سبعمائة سطر، كل سطر في ورقة سمرقندية، ولهُ غلاف أبنوس يُطبق كالإسطوانة الغليظة، وقد أُهدي هذا العهد في القرن الخامس الهجري للوزير نظام المُلك مع هدايا أخرى كان منها مصحف بخط أحدّ الكُتّاب المجودين بالخط الواضح وقد كتب كاتبَهُ إختلاف القُرّاء بين سطوره بالحُمرة، وتفسير غريبه بالخضرة، وإعرابه بالزُرقة،

---

(1) إبن الفوطي/ الحوادث الجامعة في المئة السابعة/ ص18 و19. وراجع كذلك د. محمد ماهر حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص178.

(2) البداية والنهاية 12/ 170 - طبعة القاهرة 1351هـ.

(3) راجع الجزء الثاني من هذه الموسوعة/ ظهور مهنة الوراقة/ .

وكتب بالذهب علامات الآيات التي تُصلح للإنتزاعات في العُهود والمكاتبات، وآيات الوعد والوعيد، وما يُكتب في التعازي والتهاني»[1].

ومع التجليد والزخرفة، واللّتان هُما مكملات لفن الوراقة بدأ الميل يزدادُ أكثر عند الخطّاطين للإنفصال جُزئياً عن التوريق والنسخ، بمعنى أن عملية «تذهيب المصاحف» وبعض الكتب الدينية بدأت تأخذ حيّز الإستقلال الخاص في ورش الوراقة، وأصبح الخطّاط بجانب المُجلّد، إذ لم يكن هو يقوم بنفس العملية، وقد اشتهر أهل العراق بالتجليد المُتقن الجميل، كما اشتهرت مالقة في الأندلس، حتى يمكن القول أنَّه ظهرت مدارس بفن التجليد كما في العراق ومصر والأندلس وأهل اليمن الذين يقول عنهم المقدسي «أنه يعجبهم التجليد الحَسَن ويبذلون فيه الأجرة الوافرة»[2] وهنا بدأت التخصّصات الفنية تظهر بوضوح مضطرد وتفرض نفسها على النُسّاخ.

---

(1) آدم ميتز/ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ 1/ 247. وراجع كذلك د. ماهر محمد حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص183.

(2) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ ص100، وراجع د. حمادة/ المكتبات في الإسلام/ ص184.

# الباب الثالث

# مَدرسة بَغداد في الخط العربي

## الفصل الأول

### الإرهاصات الأولى لهذه المدرسة

لعب التراكم الثقافي والتطور الإقتصادي - السياسي، للدولة العباسية دوراً مهماً وواضحاً في اختمار تجربة الخط العربي، بوصفهِ منجزاً ثقافياً، في بُعديه، المعرفي والفني، حيث كانت الضرورة الحضارية للعصر العباسي تستدعي إستخدام فنونها العربية والإسلامية للتعبير عن شخصيتها الناهضة بعنف، بغية منافسة الحضارات الأخرى التي تنافسها المقام - جغرافياً وثقافياً - لا سيما **الثقافة المسيحيّة** ذات الجذور القويّة في أرض جزيرة العرب. ولها قسماتها المُميّزة وفنونها المتطورة والمتقنة، لا سيما **فن الأيقونات**، وعمارة الأبنية، وزخارف النقود، وشاهدات القبور وطقوس الأعياد الدينية، وملابس الرهُبان والراهبات الأمر الذي يُبهر العين ويستولي على لُبّ المُشاهد، لذلك كانت الثقافة الإسلامية تدرك هذا التأثير التنافسي - ثقافيّاً ودينيّاً وروحيّاً. لذا سَعت لأن تجد ما تنافس فيه هذه الثقافة فكان **الخَطّ العربي هو المعادل الموضوعي لفن الأيقونات في الثقافة المسيحية**، على هذا الأساس الحضاري من التنافس المتساوق بين الثقافتين الشرقيتين لا سيما بعد أن تبدّلت **وظيفة القَلَمْ**، إذ صارت «الكتابة» لا تعني التدوين، بل رسم ما في الروح بالريشة، منظوراً إليها بحدقة العين، كمُتعة جمالية مؤطّرة في لحظة تأمُّلٍ، تتشابك فيها رؤيا البصر مع رؤية البصيرة، فينخلق إبداعاً آخراً، ينطلق من جماد الحرف في الكتابة إلى استنطاق الذائقة الحسيّة عند أوّل نظرة للعين، حالَ مشاهدتها رسم الحرف في ذلك التشكيل المُسمّى خَطّاً، وعلى هذا الأساس الجمالي للذائقة الحسيّة نُفسّر **تَعَدُّد أنواع الخُطوط في الحرف العربي**، بل ونلاحظ مدارس فنيّة في ذلك، تتماهى وتتمايز عن بعضها البعض وفق تناغمات هندسية ومقاييس فنيّة، وتراتيب كتابيّة حدّدت شخصيّة كل مدرسة

فيها، كالمدرسة الشامية والمدرسة المصريّة، والمدرسة الأندلسية والمدرسة الفارسية، وكل هذه المدارس، كانت رجعُ الصَدى للمدرسة البغدادية للخط العربي والتي أرست قواعد هذا الفن الجميل والذي يتمازج فيه العامل الروحي مع حاسة البصر بتفاعلٍ إيجابي مع المبصور إليهِ، فينخلق الإحساس بالجمال، ومن هنا نفهم لماذا سُمّي الخَطّاط خطّاطاً، وفق هذه المعادلة الفنيّة والمعرفية لأسرار الحَرف العربي.

تحدثنا في/ فصل العباسيون وتأصيل الخط العربي/عن القواعد الأصوليّة التي وضعها الخطّاطون الأوائل، لا سيما بعدَ إنفصالهم عن مهنة الوراقة، وتفرّغهم لشؤون تحسين الخطوط العربيّة التي ابتدعوها، كفن يتعامل مع الحرف العربي، وكمنجز ثقافي، ينبغي الحصول على تميّز هويته الفنيّة في الرسم والإبداع، ولاحظنا كيف أن هؤلاء بدأوا بوضع الأساسات واللُّبنات الأولى لهذه المدرسة، لذلك كانت تقاليد رسم الحرف العربي/ فنيّاً/ تنتقل من يد إلى يد، ومن قلم لآخر، ومن أستاذ إلى تلميذ، ومن مُبدع إلى مُقلّد، ومن محترف إلى هاوٍ، ومن جيل لآخر حتى استقرّت عند عميدُها الكبير إبن مُقلة، ولكن قبل هذا العُمْدة كانت هناك أسماء أرست السِكّكَ الأولى لقطار الإبداع قبل وصوله إلى محطة إبن مقلة.

يتحدّث النَحّاس في كتابه (صناعة الكُتّاب) وهو من المُهتمّين والمؤرخين للخطّاطين العرب فيقول: «إن جودة الخط كانت قد إنتهت إلى الضحّاك وإسحاق بن حمادة، وكانا يخُطّان الجَليل، وقد أخذ هذا النوع إبراهيم الشجري عن إسحاق، واخترع منهُ قلماً آخر، أخَفُّ منه سَمّاهُ «قلم الثلثين» ثم اخترع منهُ قلماً آخر سَمّاهُ «قلم الثلث» وكان إبراهيم أخَطُّ أهل دهرهِ بهذين القلمين، فيما أخذَ أخوهُ يوسف القلم الجليل عن إسحاق أيضاً، واخترع منهُ قلماً أدق منهُ، وكتبهُ كتابة حسنة، فأعجب به ذو الرياستين - الفضل بن سهل - وزير المأمون، وأمرَ أن تُحرَّر الكتب السلطانية بهِ، ولا تكتب بغيره، وسمَّاهُ «القَلَمَ الرياسي» أو ما يُعرف بقلم «التوقيعات». وعن إبراهيم الشجري أخذ «الأحول» قلم الثلثين والثلث، واخترع منها قلماً أسماهُ «قلم النصف» وقلماً أخف من الثلث، سَمّاهُ «خفيف الثلث» وقلماً متصل الحروف، ليس في حروفه شيء ينفصل عن غيره سَمّاهُ «المُسَلْسَلْ» وقلماً آخرَ سَمّاهُ «غبار الحُلية» وقلماً آخر سَمّاه «خط القَصَصْ» وقلماً مقصوعاً سَمّاهُ «الحوائجي». ويقول القلقشندي والذي نقل الرواية عن النحّاس: «أن هذا الخطّاط كان خَطُّهُ يوصف بالبهجة والحُسن من غير إحكامٍ ولا إتقان، وكان عجيب البري للقلم»[1].

فيما كان محمد بن معدان المعروف بـ«أبي ذرجان» مُقدّماً في خط النصف وكان أحمد

---

(1) القلقشندي/ صبح الأعشى في كتابة الإنشا/ 3/ 16.

بن محمد بن حفص، المعروف بـ«زاقف» أجمل الكتّاب خطّاً في «الثلث» وكان يكتب فيه عند إبن الزيّات»[1] وقد كانت المدرسة المصرية تنافس مدرسة بغداد، قبل مجيء إبن مقلة، حيث انتهت بمصر رياسة الخط إلى «طَبْطَبْ» المحرّر جَودةً وإحكاماً، وقد كان أهل مدينة السلام، يحسدون أهل مصر على «طبطب» وإبن عبد كان، كاتب الإنشاء لإبن طُولُون»[2].

ومن المجيدين، أيضاً، كانت هناك عائلة البربري المحرّر، هو وأولادهِ. وإسمهُ إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله التميمي السعدي. كان أحولاً، وأشرف على تعليم المقتدر العباسي وأولاده، لهُ رسالة في الخط والكتابة سمّاها «تُحفة الوَامق». يقول عنه إبن النديم: «لم يُرَ في زمانهِ أحسنَ خطّاً منه، ولا أعرف بالكتابة، وكان أخوهُ أبو الحسن نظيرَهُ، ويسلك طريقته، وإبنهُ أبو القاسم إسماعيل بن إسحاق، وإبنُهُ أبو محمد القاسم بن إسماعيل بن إسحاق وهؤلاء القوم في نهاية حُسنِ الخط والمعرفة بالكتابة»[3] وهؤلاء تعلموا الخط وأخذوه من (إبن معدان) السابق الذكر، وخصوصاً منهم إسحاق إبن إبراهيم. وكان لإبن معدان غُلمان أخذوا عنه الخط، أشهرهم أبو إسحاق إبراهيم النمس، وإلى جانب هؤلاء كان بنو وجه النعجة، وإبن منير والزنلفلطي والروايدي وغيرهم[4].

وهناك أيضاً، بنو ثوابة، وهم «أحمد بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب، لُقّب أبو العبّاس، وأصلُ هذه العائلة من النصارى، توفي إبن ثوابة سنة 277هـ، وقد عُرف عنه إنَّه كان من النقلاء البغضاء، كما يقول ياقوت[5] وله من التصانيف كتاب «رسائلهُ المجموعة» وكتاب «رسالته في الكتابة والخط»[6].

قال عنه الذهبي: هو صاحب ديوان الإنشاء للمقتدر ولغيره من بني العبّاس، وكان

---

(1) صبحُ الأعشى 3/ 16.

(2) المصدر السابق. ويعتقد الدكتور صلاح حسين العبيدي أن خط الثلث هو من أشهر أنواع الخط النسخي، وسمي بهذا الإسم «الثلث» لأنه يكتب بقلم يبرى رأسهُ بعرضٍ يساوي ثلث قطرُ القلم، ويسميه بعضهم بالخَط العربي، لأنَّهُ المنهل الأساسي لأنواع كثيرة من الخطوط العربية، ويُعدّ خط الثلث - كما يقول - الأكثر صعوبة بين الخطوط العربية الأخرى من حيث القواعد والموازين والقدرة على الإنجاز، ومن يتمكّن من الثلث فإنّه يتمكّن من غيرهِ بسهولة». (راجع مقالته: «الخط العربي - ركن من أركان الحضارة الإسلامية» المنشورة بمجلة/ آفاق الثقافة والتراث - الإماراتية - العدد/ 43 - إكتوبر - 2003م - الصادرة من مركز جمعة الماجد بدُبي.)

(3) الفهرست/ ص13.

(4) المصدر السابق.

(5) ياقوت الحموي - معجم الأدباء 4/ 144 - 174، طبعة البابي الحلبي.

(6) المصدر السابق.

بليغاً مفوّهاً[1]. قال لَهُ الوزير علي بن عيسى كما ينقل أبو علي التنوخي: «ما أحدٌ على وجه الأرض بعد أكتبُ من جدّك، وكان أبوك أكتب منه، وأنتَ من أبيك»[2]، وهذا الأمر يشير إلى مدى تقدّمهِ وفضلهِ في الكتابة والخط، ضمن دواوين الدولة العَبّاسية.

والثاني من بني ثوابة، هو: جعفر بن محمد بن خالد بن ثوابة، أخو أحمد بن ثوابة، قال عنه إبن النديم: هو آخر من رأينا من أفاضلهم - يقصد بني ثوابة - وعلمائهم[3]. فيما يضفي عليه ياقوت الحموي صفة البلاغة والفصاحة، وأخذ في تَسَنُّم المناصب الإدارية في كتابة الدواوين - الرسائل - وتوفي في سنة 284هـ في الري ودفن بها[4].

ومن الذين ذكرهم التوحيدي «علي بن جعفر الكاتب» قال عنه: «كان الخط، ، يغلب عليه التدوير، وقد اشتهر هذا الخطّاط بنقد الخط وتقويمه، ينقل التوحيدي عنه قوله: «لا شيء أنفع للخطّاط من أن لا يباشر شيئاً بيده في رفع وضع، خاصة إذا كان ذلك الشيء ثقيلاً، فإن الحركات إذا تمثّلَت بالحروف، والحروف إذا اندفنت بالحركات، كانت الصورُ الخطيّة والحروف الشكليّة محفوظة الأعيان بامتلائها بهما، محروسة الأبدان بانتسابها إليها» ثم قال هذا الخطاط: «ولقد رفعت يدي بسوطي إلى الدابّة في بعض الأيام وقنّعتُها بهِ فتغيّر خطّي مُدّة». قال التوحيدي: «فحكيت ذلك لأبي سليمان المنطقي فقال: للهّ درّه لكأنما اشتقَّ هذا الوصف من الموسيقى، لأنه يزن الحركات المختلفة في الموسيقى، فتارة يخلط الثقيلة بالخفيفة. وتارة يجرّد الخفيفة من الثقيلة، وتارة يرفع إحداهما على صاحبتها بزيادة نقرة أو نقصان نقرة، ويمرُّ في أثناء الصناعة بألطف ما يجسّد الحِس، ولطف الحِس مُتّصل بالنفس اللّطيف، كما أن كثيف النفس متصل بكثيف الحس»[5].

وهناك، خطّاط آخر، معروف بنقد الخط، ذكرهُ التوحيدي أيضاً، هو أبو الحَسَن الأعسر الخطّاط، وقد نُقِلَ عنهُ قوله: «الخط أربعة أقسام، فالأول هو المُحقّق بالقلم الغليظ، والوسط، والدقيق، مُحرّفاً أو مُقوّماً، ثم التشبيه بهِ فيها: فاجتهد ألاّ يكون الغليظ من الأقلام جافياً، ولا الوسط منها منافياً، ولا الدقيق منها ضعيفاً»[6].

---

(1) انظر حاشية ياقوت - معجم الأدباء 4/ 144 - والفهرست/ ص188.
(2) المصدر السابق.
(3) الفهرست/ ص188.
(4) ياقوت/ معجم الأدباء 7/ 178 - الحاشية.
(5) رسائل التوحيدي/ ص47.
(6) رسائل التوحيدي/ ص46.

من هذه «المقبوسات» الآنفة الذكر، يمكن الإستنتاج أن إرهاصات هذه المدرسة بدأت تنتجُ فكراً نقديّاً لتقويم الخطوط بأساليبها المختلفة، وهنا ندركُ مَدى القلق الفني عند خطّاطي هذه المدرسة للحفاظ على عامل الإبداع قائماً في ذهن الخطاط وباقي أحاسيسه، بغية أن تكون هناك علامات فنيّة تؤشّر إلى ضرورة الإستمرار بالإبداع وتطويره، وعدم الركون إلى حالة التقليد فقط، من قبل التلاميذ، بل ضرورة أن يكون الوعي الفني في مستوى المُهمّة الحضارية التي أُنيطت بهذه المدرسة الفنية.

## الفصل الثاني

# إبن مُقلة عميد مدرسة بغداد للخط العربي

الحديث عن مدرسة بغداد للخط العربي، تعني بالضرورة التعليم التاريخي لبدء نشاط هذه المدرسة، اعتباراً من ولادتها على يد مؤسّسها الأبرز إبن مقلة، بوصفهِ أوّل مَنْ منهج وأصّلَ قواعداً للخط، بوصفهِ فنّاً إسلاميّاً، يشير إلى وجود «مناهج معرفية» تقتضي الإلتزام بها، والتدريب عليها، تحت إشراف مباشر من قبل أساتذة في الخط، قد عانوا الكثير من الهم والقلق الإبداعي في سبيل إقامة قاعدة فنيّة، يبتدأ معها «التلميذ» في رسم الإشارات الأولى والنقاط والدوائر، ومعرفة حركة اليد في رسم أوّل حركة أوعزها العقل لليد كي تسير بها على منوالٍ محدّد، يطبّق قاعدة محدّدة لأحد الأقلام العربيّة، بمعنى آخر، أن وضع النقطة الأولى للريشة أو القلم، يجب أن تكون قد قُرّرت سلفاً بذهن الخطاط، واختار لها قلماً محدّداً بقطّةٍ مُحدّدة. وهذا يعني أن القواعد الفنيّة لرسم الخطوط قد استقرّت في الذهن، وسقلتها «التدريبات» وقوّتها الملاحظات، وتمثّلتها الذاكرة بإبداع، متجاوزة كل الشَطَط في رسم كل حرفٍ تتشكّل منهُ الكلمة، وللكلمة الأولى معياراً فنيّاً دقيقاً يفرض نفسه على باقي الجملة.

وبغية تحديد الملامح التاريخية لهذه المدرسة، فنقول: أنها ابتدأت كمؤسسة فنيّة وأكاديمية مع إبن مقلة وانتهت بنهاية حياة ياقوت المستعصمي، آخر أعمدة هذه المدرسة، أي أنها بدأت في «272هـ - ولادة إبن مُقلة - وانتهت بوفاة ياقوت المستعصمي عام 698هـ» 1299 ميلادية، بمعنى أن تاريخ هذه المدرسة يمتد إلى ما يناهز أربعة قرون ونيّف. وهذا يعني أن حالات الإبداع في القلم العربي مُستمرةً على الدوام، ومتطوّرة باضطراد، وسوف نُعرّج على كل محطّات الأبداع، من خلال أبرز المُبدعين في هذه المدرسة، وسنبدأ مع عميد هذه المدرسة الأول إبن مُقلة. فمَنْ هو إبن مُقلة؟!.

هو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مُقلة، مَولدهُ في شوال سنة إثنتين وسبعين ومئتين[1] كان في بادىء حياته السياسية مع الوزير محمد بن داود بن الجرّاح (ت 296هـ/ 908م) وعمرهُ - وقتذاك - ستة عشر سنة، وكان مَعهُ يتقاضى راتباً قدرهُ ستة عشر ديناراً في الشهر.

ثم إنتقل إلى إبن الفرات (ت 312هـ/ 924م) فلما إستوزرَ إبن الفُرات أحسنَ إليه، وجَعَلَهُ يقدّم «القصص» - العرائض - ولما أستعفي إبن عيسى من وزارة المقتدر، أشير على المقتدر بالله (295هـ - 320هـ/ 908م - 932م) أن يستوزر إبن مُقلة، فولاّهُ الوزارة في ربيع الأول سنة 316هـ، ثم عُزل سنة 318هـ، أي بعدَ سنتين وأربعة أشهر[2] وانعكست الأحداث السياسية بظلالها على كل موظفي الدولة العباسية، لا سيما الكبار منهم، وخصوصاً في بدايات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فقد قتل المقتدر، ونُصّب القاهر بالله العباسي (320 - 322هـ/ 932 - 934م). وقتها كان إبن مُقلة منفيّاً في شيراز، فأُسندت إليه الوزارة وهو في منفاه، وقدم إلى بغداد يوم النحر سنة 320هـ، إلاّ أنه كان يدرك ما يُحاك من مؤامرات في القصر العباسي، إذ تولّى الأتراك زمام الدولة. وكان حِسّ إبن مُقلة الفنّي والسياسي دقيقاً. فاستوحش من القاهر ومحبّته لنفسه، فاستتر بعد تسعة أشهر من تسنمِ الوزارة، وأخذ يكتّل حولَهُ الجند والقُوّاد ويجمع كلمتهم على خلع القاهر، واستطاع أن يقوم بهذا الفعل السياسي الخطير، فتمَّ خلع القاهر وقتله، وهو في تلك الأثناء - أي إبن مُقلة - كان مستتراً، ولما بويع للخليفة الراضي بالله (322 - 329 - هـ/ 934 - 940م)، وقتها ظهر إبن مُقلة للملأ واستوزرعلناً. ولكن قلاقل القصر العباسي لم تهدأ، فعزل الوزير الخطّاط بعد عامين، الأمر الذي دعاهُ إلى الإستتار والتخفّي[3].

تكشف هذه الفترة - العقود الأولى من (ق 4هـ) فقدان الثقة بكل أطقم الوزارات المتعاقبة، وسيادة ظاهرة التآمر والدسائس بين أروقة القصر العباسي وحاشيته، وبرزت للسطح ظاهرة إسمُها «المُصادرة» بدأت منذ الأيام الأولى لحكم المقتدر، وأوّل المُصادَرين كانوا الوزراء وبطاناتهم وقد أدرك إبن مُقلة هذه الظاهرة السياسية الخطيرة، وقد إشترك بها رغماً عنه[4].

---

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، 15/ 224 - تحقيق إبراهيم الزيبق - منشورات مؤسسة الرسالة - ط1 - بيروت 1403هـ/ 1983م - وراجع كذلك الأعلام - للزركلي 6/ 273 - ط5.

(2) سير أعلام النبلاء 15/ 225.

(3) سير أعلام النبلاء 15/ 225.

(4) يقول إبن الجوزي نقلاً عن إبن مقلة: «لما بويع للراضي بالله كنتُ مستتراً عند أبي الفضل بن مارسي=

فكل من استوزر دخل في حبال هذه اللعبة، بشكل أو بآخر[1]، ففي إستتارهِ كان يكاتب الراضي بالله، وينصحه باتخاذ بجكم حاجباً له بدلاً من إبن رائق (ت 330هـ/ 942م) عدّوهِ اللدود، وأن يعيدَهُ إلى الوزارة، وضَمَنَ لهُ مبلغاً كبيراً من المال، وفي الوقت نفسه كتب إلى بجكم بذلك فأطمعَهُ الراضي حتى إذا حصل عنده[2] هذا الدخول أوقع إبن مقلة في النار تماماً، الأمر الذي لم يكن قد أعَدَّ لَهُ العدّة، فما أن دخل بلاط الراضي، حتى استفتى هذا الخليفة الفقهاء بأمره، فأفتوا بقطع يده، فقطعت في شوال سنة 326هـ. فكان بعد ذلك يشدُّ القَلَم على ساعدِهِ ويكتب خطّاً جيداً، ثم كتب بيدِهِ اليسرى.

إن المفسدة السياسية/على ما يبدو من سيرة إبن مُقلة/تعمي المبدع عن إبداعَهُ أمام شهوة الكرسي، فما أن يتسنَّمَ هذا المبدع مَنصباً حسّاساً حتى يتنَصَّل عن أهلٍ وخل، وصديق ورفيق، ويظل يسعى لتحقيق مآربه الذاتية. وتكاد هذه الملاحظة تمتد بتاريخيَّتها إلى يومنا هذا.

فخطاط العرب الأول «إبن مُقلة» يُقَدّم لنا الدليل التاريخي في ذلك. فهناك حادثتان جديرتان بذلك نقلتها المصادر التاريخية، الأولى إتخاذه البساتين والضيع وبناء القصور الفخمة، فقد شرع في بناء دارهِ بالزاهر، وجمع المنجمين حتى اختاروا لَهُ وقتاً لبناء قصره، ووضع أساسَهُ بين المغرب والعشاء، فكتب إليه بعضهم[3]:

| | |
|---|---|
| قل لابن مُقلةَ مهلاً لا تكن عجلا | واصبر فإنَّك في أضغاث أحلامِ |
| تبني بأنقاض دور الناس مجتهداً | داراً ستنقضّ أيضاً بعد أيامِ |
| ما زلت تختار سَعدَ المشتري لها | فلم توقَّ بهِ من نحسِ بهرامِ |
| إن القران وبطليموس ما اجتمعا | في حالِ نقضٍ ولا في حالِ إبرامِ |

فَلَمْ يعني ذلك شيئاً بالنسبة إليه، والحادثة الثانية هي، أنه كان بينَهُ وبين الشاعر جحظة

---

= بدرب القراطيس، فسعى بي إلى القاهر وعرف موضعي، فإني لجالس، وقد مضى نفس الليل، فأخبرتنا زوجة إبن ماري أن الشارع قد امتلأ بالمشاعل والخيل، فطار عقلي ودخلت بيتاً فيه تبن، فدخلوه ونبشوه بأيديهم، فلم أشك أني مأخوذ، فعاهدت الله تعالى أنَّهُ إن أنجاني أن أنزع عن ذنوب كثيرة، وإن تقلدت الوزارة أمنت المستترين، وأطلقت ضياع المنكوبين، ووقفت وقوفاً على الطالبين، فما استمعت نذري حتى خرج الطلب وكفاني الله أمرهم» المنتظم 6/ 309.

(1) الجهشياري/ الوزراء والكتّاب/ ترجمة إبن مقلة – حيث يعيد ذكر الحادثة.

(2) سير أعلام النبلاء 15/ 225.

(3) إبن الجوزي/ المنتظم/ 6/ 310.

البرمكي صداقة قبل الوزارة، فلما استوزر، إستأذن عليه جحظة، فلم يأذن له فقال[1]:

«قُل للوزير أدام الله دولته ... إذكر منادمتي والخبز خشكارُ[2]
إذ ليس في الباب برذون لنوبتكم ... ولا محار ولا في الشطّ طيَّارُ[3]»

إنَّ التحاسد والمكائد بين مَنْ يطلبون الوزارة كانت من الأمور الشائعة في ذلك الوقت، فما أن دارت الدُنيا على ابن مقلة، حتى أُحرقت تلك الدار بعد ستة أشهر، من قبل أحد أعدائه المُسمّى «محمد بن ياقوت» حيث أنفذ إلى دارهِ مَنْ يحرقها[4].

## * كيف قُطعت يَدَه؟!

هناك روايتان في هذه الحادثة، الأولى سياسيّة بحتة، يوردها إبن الجوزي في (المنتظم) تقول[5]: «عندما استُفتي فيهِ قال الفقهاء في حقّه: هذا قد سَعى في الأرض بالفساد فتقطع يده، فقطعت. وهذا الموقف سيسجّل على الفقهاء تاريخياً في هذه الحادثة.

أمّا الرواية الثانية فيوردها الذهبي على لسان أخيهِ (يقصد ابن مقلة) الحسن بن علي بن مقلة، تظهر أن ابن مقلة - الوزير - استهتر بعض الشيء، وتعالى على الناس وتجبّر يقول أخوه: «كان سبب قطع يد أخي (كلمة) كان قد استقام أمرهُ مع الراضي وابن رائق، وأمر برد ضياعهِ فدافعَ ناسٌ، فكتب أخي يعتب عليهم بكلام غليظ، وكنّا نشير عليه أن يستعمل ضد ذلك فيقول: والله لا ذُلِلتُ لهذا الوضيع، وزاره صديق إبن رائق، ومدبّر دولته فما قام لَه، وتكلم بفصلٍ طويل ساقَهُ إبن النجّار، يَدَلُّ على تيهه وطيشه، فقبض عليه بعد أيام وقطعت يده[6].

إن أقدار هذا الرجل لم تكتب لَهُ السَعْدَ في الجانب السياسي، بقدر ما فتحت لَهُ أبواب الشهرة والجاه في الجانب الفنّي - الإبداعي، فالظروف التي كانت سائدة في عصره

---

(1) المنتظم 6/ 310 وراجع د. مزهر السوداني - جحظة البرمكي/ ص222 - مطبعة النجف العراق - ط1 - 1977م.
(2) خشكار - من الخشارة - هو الرديء من كل شيء - اللسان - مادة - خَشَرَ.
(3) طيار - نوع من الزوارق الصغيرة كانت تستعمل أيام العباسيين - في نهر دجلة.
(4) إبن الأثير: الكامل في التاريخ 8/ 218 - طبعة دار صادر ودار بيروت - 1386هـ/ 1966م - وراجع أيضاً - سير أعلام النبلاء 15/ 228.
(5) المنتظم 6/ 310 - 311.
(6) سير أعلام النبلاء 15/ 228 - 229.

كانت تجري على التناقض، تَردّ في الوضع السياسي ونهوض في الوضع الثقافي، وهذه المفارقة لم تتكرّر في عصرنا الحالي - عجيب - إذ كل شيء نحو الإنحدار.

يبدو، أن ابن مُقلة لم يتحلَّ بالكياسة والحكمة السياسية، فأخفقت مساعيه، حتى بعد أن قطعت يده، ولكن هناك مسألة هامة كانت تتحكّم بالقرار السياسي، هي التسلّط على الخُلفاء من قبل الأتراك البويهيين، ثم السلاجقة، فإبن رائق كان الأول والأخير في اتخاذ القرار السياسي، والراضي بالله مجرّد إسم في الخلافة، لذلك يكون أمر الدولة قد آلَ إليه، من خلال تسنُّمِهِ منصب «أمير الأمراء» وإبن رائق هذا لم تكل عيناه من مراقبة إبن مُقلة، ذلك الرجل الذي عَرَفَ حِيَل السياسة وثعلبة الغَدر في الحُكم، واطّلعَ على شيءٍ من خفاياها، فالشّك ظَلَّ يخامر عقل إبن رائق بصدد هذا الوزير المسجون. ولمّا أقدم الراضي على قطع يد إبن مقلة، استدعاه من حبسهِ واعتذر إليه وأخذ يشاورهُ في خلوته وقت الشرب، وأنِسَ بهِ، كما يقول الحسين إبنه[1]. ولمّا تنامت الأخبار بذلك إلى إبن رائق خافَ على نفسهِ وزاد عندهُ الشك، فلجأ إلى الحِيَل السياسية، فدَسَّ مَنْ أشار على الخليفة بأن لا يدنيه، يقول إبنه الحسين: كان أبي يكتب باليُسرى خطّاً لا يكاد يُعرف من خطّهِ باليُمنى، قال: وما زالوا بالراضي حتى تخيّل منه وأهلكَهُ، بعد أن قطع لِسانَهُ وقَتَلَهُ بالجوع، كان ذلك في 10 شَوّال سنة 328هـ[2].

وقد باءت كل توسلاته بالفشل، وكان ينوح على يده ويقول: يدٌ خدمت بها الخلفاء ثلاث دفعات، وكتبت بها القرآن دفعتين تُقطع كما تُقطع أيدي اللصوص، وأضاف «إن المحنة قد نشبت بي، وهي تؤديني إلى التلف وأنشد»[3]:

إذا ماتَ بعضُكَ فابكِ بعضاً      فإن البعض من بعضٍ قريبُ

وكان إبن رائق أخوف على كرسيِّهُ من يد إبن مُقلة التي خطّت القرآنَ مرتين.

إن إدراك إبن مُقلة للواقع السياسي في حينهِ، لم يجنبه الوقوعَ بهِ، كما أسلفنا، وحوادث إقصائه من الوزارات، ثلاث مرّات، وقطع يدهِ ولسانه، والمصادرات التي تعرّض لها، تكشف لنا جانباً هاماً وخطيراً من الحياة السياسية في العصر العباسي في القرن الرابع

---

(1) سير أعلام النبلاء 15/ 229.

(2) المصدر السابق 15/ 230 - وإبن خلكان 5/ 117، والفهرست/ ص14، ومن المصادفات العجيبة - كما تذكر المصادر أعلاه، أنّه «تقلّد الوزارة ثلاث مرّات لثلاثة من الخلفاء، وسافر ثلاث سفرات - إثنتان إلى شيراز وواحدة إلى الموصل، ودفن ثلاث مرّات بعد موته».

(3) المنتظم 6/ 311 - والبيت تمثّل بهِ وهو لأبي يعقوب الخريمي، أنظر الثعالبي: ثمار القلوب/ ص211.

الهجري، إذ أن ابن مُقلة نفسَهُ يصوّر لنا هذا الواقع بالأبيات التالية التي رثى بها نفسه حين قطعت يده، يقول[1]:

«ما سئمت الحياة لكن توثَّقتُ ... بإيمانهم فبانت يميني
بعتُ ديني لهم بدنياي حتى ... حرموني دنياي بعد ديني
فلقد حصلت ما استطعت بجهدي ... حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليسَ بعد اليمين لذةُ عيشٍ ... يا حياتي بانت يميني فبيني»

## الفصل الثالث

# حياة إبن مُقلة الفَنيَّة

هذا الجانب في حياته، هو الأكثر إشراقاً والأكثر غنىً، وهو الجانب الأبقى والأدوم في ذاكرة الثقافة العربية الإسلامية، على مَرِّ العصور. وقد ذكرنا، في الفصول السابقة، تأثيراته في مجال الإبداع الفنّي للقلم العربي، وكيفية إيجاده لقوانين الخط العربي. وبغية السير مع التطور الفني للخط، لا بُدَّ أن نطَّلع على البدايات التي خلقت من هذا المُبدع علماً ومُعَلِّماً في صنعة الخط، إذ أنَّه لم يأتِ من فراغ بل من تطوّر متراكم لتبرعُمات هذه المدرسة التي أفضت إرهاصاتُها الفنيّة على إبن مُقلة وألهمتهُ الصيغة المُثلى كي يرتفع شأن القلم العربي بإسمهِ، وبإسمهِ أيضاً تذكر الطرائق في بريّ القلم وتجويد الخطوط، وفق النِسَب التي أوجدها - كقوانين فنيّة - يُلتزم بها في عُرف الخطّاطين.

يقول صاحب «إعانة المُنشيء» إنَّ إبني مُقلة، ولَّدا طريقة اخترعاها، وفي زمانهما كتب جماعة فلم يُقاربوهما، وتفرَّدَ أبو عبد الله بالنسخ والوزير أبو علي بالدُرج، وقد كان الكمال في ذلك للوزير، فهو الذي هَندسَ الحروف وأجاد تحريرها، وعنهُ انتشر الخط في مشارق الأرض ومغاربها»[2].

إن الطريقة التي كتبَ بها ابن مقلة أغرت الشعراء لأن يتغزّلوا بها، ويحسنوا توصيفها، قال بعضهم[3]:

---

(1) المنتظم 6/ 311 - ويشير إبن خلكان، إلى أن بجكم هو الذي أمر بقطع لسانهِ راجع - وفيات الأعيان 5/ 116.

(2) صبح الأعشى 3/ 17.

(3) صبح الأعشى 3/ 17.

«سبقَ الدمعُ في المسير المطايا إذ روى من أحبَّ عنهُ بقله
وأجاد السطور في صفحة الخدّ ولم لا يجيد وهو ابن مقلة»

## * طريقة إبن مُقلة في الخط

إن القواعد الأساسيّة التي وضعها إبن مقلة كأساس لتجويد الخط العربي اعتمدت في الأساس على «الكيفيّة الهندسيّة» في رسم كل حرفٍ ضمن كلمتهِ ووفق نوعيّة الخط الذي يكتب فيه، يقول إبن مقلة في هذا الصدد[1].

**حَرف الألف:** هو شكلٌ مركّب من خطّ منتصب، يجب أن يكون مستقيماً غير مائل إلى استلقاء ولا انكباب. والقياس في ذلك بأن يكون ثماني نُقاط من نقطة القلم الذي يكتب فيه على أن تكون النقطة مربعة «◆» ويكون إبتداؤها بنقطة وآخرها بشظية «والقياس الجمالي في رسم صورة الألف، عند ابن مقلة هو «أن يخط إلى جانب الألف ثلاث ألفات أو أربع» وأن يكون الفضاء «المسافات» فيما بينها متساوياً».

**أمّا الباء والتاء والثاء:** فهي/ عندهُ/ شكلٌ مركّب من خطّين، منتصب ومُنسطح، وتؤخذ نسبة القياس في رسمها كالنسبة إلى الألف بالمساواة «وعلى هذا القياس يشرح أحد تلاميذه إبن عبد السلام» إيضاح ذلك بالقول: «أن تزيد المنتصب بكلمة ألف، بحيث يكون طول جملتهِ كطول المنسطح، لا أطول ولا أقصر، ثم أضاف: «وهذا الحرف - يقصد الباء - وما يجري مجراه من يمنه إلى يسره، وكل ما كان كذلك، فينبغي أن يُمال القلم فيهِ نحو اليسرة قليلاً»[2].

**أمّا الجيم:** فهو عندهُ «شكلٌ مركّب من خطّين، مُنكب ونصف دائرة، وقطرها مساوٍ للألف. واعتبار صحّتها أن تخطَّ عن يمينها وشمالها خطيّن، فلا تنقص عنها شيئاً يسيراً ولا تخرج» يقول التلميذ لهذه المدرسة إبن عبد السلام. واعتبار صحّة رأسها أن تكتبهُ من يسرة إلى يمنة على استقامة تقريباً. ثم قال: وحُسنها أن تخفضها من الجهة اليُمنى قليلاً، وميزاتها أن تُسطَّر سطراً وتأخذ عليه من يسره إلى يمنه مقدار ثلثي ألف من قلم الكتابة، بحيث لا يرتفع أوّلها عن آخرها إلاّ يسيراً، وعلى حكمها يُرسم الحاء والخاء في جميع ما تقدّم[3].

**الدال والذال:** يقول إبن مُقلة: «هي شكل مركّب من خَطّين، منكّب ومُنسطح،

---

(1) المصدر السابق 3/ 27 - 28، وهناك توضيحات كثيرة لمن يطلب الإستزادة.

(2) صبح الأعشى 3/ 29.

(3) المصدر السابق 3/ 29 - 30.

مجموعهما مساوٍ للألف، فالمنكّب طولَهُ بمقدار نصف ألف خطَّهُ لا غير، وكذلك المنسطح، وابتداء أوّلها بنقطة، وآخرها إن كان مُرسلاً بِقَطّة،وإن كان معطوفاً بسن القلم اليُسرى، واعتبار صحتها أن تصل طرفيها بخطٍ، فتجدهُ مثلثاً متساوي الأضلاع»[1].

**الراءَ والزاي**: هُما عند إبن مقلة: «شكل مركّب من خطٌ مقوّس، وهو ربع الدارة التي قطرها الألف، وفي رأسِهِ سنّةٌ مقُدّرة في الفكر». يوضّح تلميذه إبن عبد السلام ذلك بالقول: «وتبدأ أوَّلها بنقطةٍ، وآخرها إن كان مُرسلاً فبسن القلم اليُمنى، وإن كان معطوفاً فبسنَّة اليسرى» قال إبن مقلة: «واعتبار صحتها أن تصلها بمثلها فتصير نصف دائرة»[2].

**السين والشين**: يقول الوزير الخطّاط: هو شكل مركّب من خمسةَ خطوط: منتصب ومقوّس ومنتصب ومقوّس ثم مقوّس» يضيف «إبن عبد السلام» ومساحة رأس السين، من أوّل سن منها إلى ثالث سن، كثُلثي ألف خطّه» يقول إبن مقلة: «واعتبار صحّتها، أن يمرَّ بأعلاها وأسفلها خطّان فلا تخرج عنهما شيئاً ولا تنقص، وعلى حكمها ينطبق الشين[3].

**الصاد والضاد**: قال إبن مُقلة: «هي شكل مركّب من ثلاثة خطوط، مُقوّس ومُنسطِحْ ومقوّس»، قال إبن عبد السلام: «وابتداؤهُ بشظية، أمّا إنتهاؤهُ، فإن كان مُرسلاً فبسَنْ القلم اليُمنى، وإن كان معطوفاً فبسِنَّة اليُسرى» قال: ومساحة رأس الصاد في الطول كثلثي ألف خطه، ومساحة قوسها إن كان معطوفاً مساحة ألف الكتابة، وإن كان مُرسلاً فمساحة ألفين من قلم خَطّه، قال إبنُ مقلة: «واعتبار صحّتُها أن تجعلها مُربّعة، فتصير متساوية الزوايا في المقدار» ويضيف إبن عبد السلام: «واعتبار صحّتها أن يكون أعلاها كراءٍ مُعلّقة والمنسطّح كبناء، والمقوّس كنون، ويكون رأس النون مشرفاً على آخرها»[4].

**الطاء والظاء**: هو شكل مركّب من ثلاثة خطوط، منتصب ومُقوّس ومنسطح، يبدأ أوّلَهُ بنقطة وآخرهُ بنقطة، قال إبن مُقلة: «ومساحة ضوء الطاء في الطويل كثلثي ألف خطه[5]، قال إبن عبد السلام: واعتبار صحَّتُها أن يكون المنتصب كألف في خطّهِ في الإنتصاب، والطول والمقوّس كراءٍ معلّقة والمنسطح كباءٍ مرسلة[6].

---

(1) صبح الأعشى 3، 30.
(2) نفس المصدر 3/ 31.
(3) صبح الأعشى 3/ 31.
(4) نفس المصدر 3/ 32.
(5) هناك بياض في أصل المخطوط - صبح الاعشى - لم يعثر عليه المحقّقون، كان خاصاً بحديث إبن مقلة، ترك بياضاً، ونبّه عليه في الهامش رقم 1 - ص32، من ج 3.
(6) صبح الأعشى 3/ 32.

**العين والغين**: يقول إبن مقلة: «هي شكل مركّب من خطّين، مُقوّس ومنسطح، أحدهما نصف دائرة»، قال إبن عبد السلام: «يبدأ أوّلها بشظية، وآخر تعريجها بسن القلم اليسرى، والتعريجة نصف دائرة، ومساحة القوس كألف وثلث من قلم وكتابة، ومساحة الرأس في الطول كثلثي ألف خطُّهُ، ويُصّور من رأسها رأس الصاد». قال إبن مقلة: «واعتبار صحّتها كاعتبار الجيم»[1].

**الفاء**: قال إبن مقلة: «هي شكل مركّب من أربعة خطوط: منكب، ومُستلقٍ، ومنتصب ومنسطح» قال إبن عبد السلام: «تبدأ أوّلَهُ بنقطةٍ وتأخذهُ على سطرٍ إلى جهة اليسار، ثم تأخذ المستلقي إلى أن تنتهي إلى قبالة المنسطح، بحيث يصير كالدال المقلوبة، ثم تأخذ من حيث انتهيت إلى أن تُلصق بالمُنسطِحْ، فيبقى مثلثاً متساوي الأضلاع، مساحة ضوئهِ نقطة بمقدار سُدس ألف خطِّهِ، ثم إن كان معطوفاً، ختَمْتُهُ بسن القلم، وإن كان مُرسلاً فبقطّتهِ» قال إبن مقلة: «واعتبار صحّتهِ أن تصل بالخط الثاني منها خَطّاً فيصير مثلثاً قائم الزاوية»[2].

**القاف**: هو عند إبن مُقلة «شكل مركّب من ثلاثة خطوط، منكب، ومستلقٍ، ومقوّس» وعند ابن عبد السلام مركّب من أربعة خطوط، رأسها كرأس الفاء سواء بجميع ما تقدم، وإرسالها كالنون، فإن كان آخرها معطوفاً، فبسنِ القلم اليُسرى، وإن كان مُرسلاً فبسنّه اليُمنى، قال: ومساحة ضوء القوس من أوّلهِ إلى آخرهِ، إن كان معطوفاً، كألف قلم الكتابة، وإن كان مُرسلاً فكألفين. قال إبن مُقلة: واعتبار صحّتها كاعتبار النون»[3] سوف يأتي ذكرها.

**الكاف**: قال ابن مُقلة: «شكل مركّب من أربعة خطوط، مُنكب، ومسطح، ومنتصب، ومنسطح». قال إبن عبد السلام: «مُنسطح طولُهُ ألف وثلث ألف من قلم الكتابة. ومُنكب طُوله مقدار ثلث ألف من خطّهِ، ومنسطح طُولُه مقدار ألفين من خطّهِ، يفصل منتهى المنسطح ما بين المنسطحين، وأضاف: تبدأ أوّلها بشظية، فإذا إنتهت إلى اتصال رأسها بالمنسطح تشير بيد ويراها دون تحديد». قال إبن مقلة واعتبار صحتها أن ينفصل منها ياءآن. قال التلميذ: «يعني مستقيمة ومقلوبة»[4].

**اللام**: يقول إبن مقلة: «هي شكل مركّب من خطيّن، منتصب ومنسطح»، يشرح ابن

(1) صبح الأعشى 3/ 33.
(2) المصدر السابق 3/ 34.
(3) صبح الأعشى 3/ 34.
(4) نفس المصدر 3/ 34 - 35.

عبد السلام ذلك بالقول: «فالمنسطح ألف، والمنتصب ياء فإن كان معطوفاً فبسن القلم اليسرى، وإن كان مرسلاً فبقطّة». يقول إبن مُقلة: «واعتبار صحّتها أن تخرج من أوّلها إلى آخرها خطّاً يُماس الطرفين فيصير مثلثاً قائم الزاوية» واضاف: «وتكتب على الأنواع الثلاثة التي تكتب عليها الباء»[1].

الميم: هو عند إبن مقلة: «شكل مركّب من أربعة خطوط، منكب، ومستلقٍ ومنسطح، ومقوّس». قال إبن عبد السلام: «مقوّس كالراء، يكون رُبع دائرة، فإن كان آخرها منتصباً فهو في الوضع والطول مثلَ ألف من خطّهِ، غير مائل إلى استلقاء ولا انكباب. تبدأ أوّل الميم بشظية وآخرها بشظية. قال: ومساحة ضوئها مثل سُدس ألف خطّها، وهو مستطيل مستدير كالبيضة، منتصب إلى جهة اليمين. قال إبن مقلة: «واعتبارها كاعتبار الهاء»[2] سيأتي ذكرها.

النون: قال إبن مقلة: «هو شكل مركّب من خطّ مقوّس، هو نصف الدائرة، وفيه سَنَّةٌ مُقدرة في الفكر» قال ابن عبد السلام: «يبدأ أوّلَهُ بنقطةٍ، وآخره إن كان معطوفاً فبِسَنِّ القلم اليُسرى، ومساحة ضوئه ألف من قلم خطّه، وإن كان مُرسلاً فبِسَنِّ القلم اليُمنى، ومساحة ضوئهِ ألفان من قلم خطّهِ». قال ابن مُقلة: «واعتبار صحّتها أن يوصل بها مثلها فتكون دائرة»[3].

الهاء: قال ابن مقلة: «هي شكل مركّب من ثلاثة خطوط، منكب ومنتصب ومقوّس». قال إبن عبد السلام: «هو شكل من ثلاثة خطوط، منكب، ومنسطح بترطيب، ومستلقٍ. تبدأ أولها بنقطة، وآخرها إرسالَهُ بسَنِ القلم اليمنى. طول المنكب كطول نصف ألف من خطّهِ، وطول المنسطح كثلثِ الفِ من خطّهِ، وطول المستلقي كنصفِ ألف قلم خطّه.

قال إبن مقلة: «واعتبار صحّتها أن تجعلها مُربّعةً فتتساوى الزاويتان العلياوان كتساوي الزاويتين السفلاوين». يشرح ابن عبد السلام تلك القاعدة بالقول: «اعتبار صحّتها أن تجعل ردّتها في ثُلثيها، فإذا كمل وَضْعُها فاجعلها مربعة، فتتساوى الزاويتان العاليتان والزاويتان السافلتان»[4].

الواو: يقول إبن مُقلة: «هي شكل مركّب من ثلاثةِ خطوط، مستلقٍ، ومنكب ومقوّس» فيما يعتبرها إبن عبد السلام مركّبةٌ من أربعة خطوط. رأسها كرأس الفاء، وتقويسها كالراء،

(1) صبح الأعشى 3/ 35.
(2) نفس المصدر 3/ 36.
(3) صبحُ الأعشى 3/ 36.
(4) المصدر السابق 3/ 37.

وهو ربع دائرة، تبدأ أولها بنقطة وآخرها، إن كان معطوفاً، فبسن القلم اليسرى، وإن كان مُرسلاً، فبسنهِ اليمنى»[1].

اللام ألف (لا): يشرحها إبن عبد السلام فيقول: «هي شكل مركّب من ثلاثةِ خطوط، مُنكَب ومنسطح مستقيم، ومستلقٍ، طول المنكب كطول ألف من قلم الكتابة، وطول المنسطح كثلثي ألف الكتابة، وطول المُستلقي كطول ألف الكتابة. تبدأ أول المنكب بنقطة وكذلك المستلقي.

قال: واعتبار صحّتها أن يكون ثلثها من أسفلها والثلثان من أعلاها، وأن تُخط من رأس اللام إلى رأس الألف خطّاً مستقيماً، وأن تخط من أعلاها إلى أسفلها، فلا يُقصر عنها ولا يخرج.

وأضاف: ومنها نوع آخر مركّب من ثلاثةِ خطوط، منكب ومستدير يقاربُ ألفاً، ومُستلقٍ يقابل طرفَهُ طرف المنكب»[2].

الياء: تحدث إبن مُقلة قائلاً: «شكل مركّب من ثلاثة خطوط، مستلق ومنكب ومتقوّس» ويضيف ابن عبد السلام: وهي كالنون، تبدأ أولها بشظية، رأسها كدالٍ مقلوبة، طول المستلقي منها كنصف ألفٍ من خطّه، وكذلك المنكب على ما تقدّم في الدال. قال: والمقوّس، إن كان معطوفاً فمساحته ألف من خطّه، وآخره سن القلم اليسرى، وإن كان مُرسلاً فمساحته كألفين من خطّهِ وآخرهُ بسن القلم اليُمنى، وأضاف: ومنها نوع كرأس الكاف المستلقي والمنسطح سواء.

قال إبن مقلة: «واعتبارها كاعتبار الواو»[3].

---

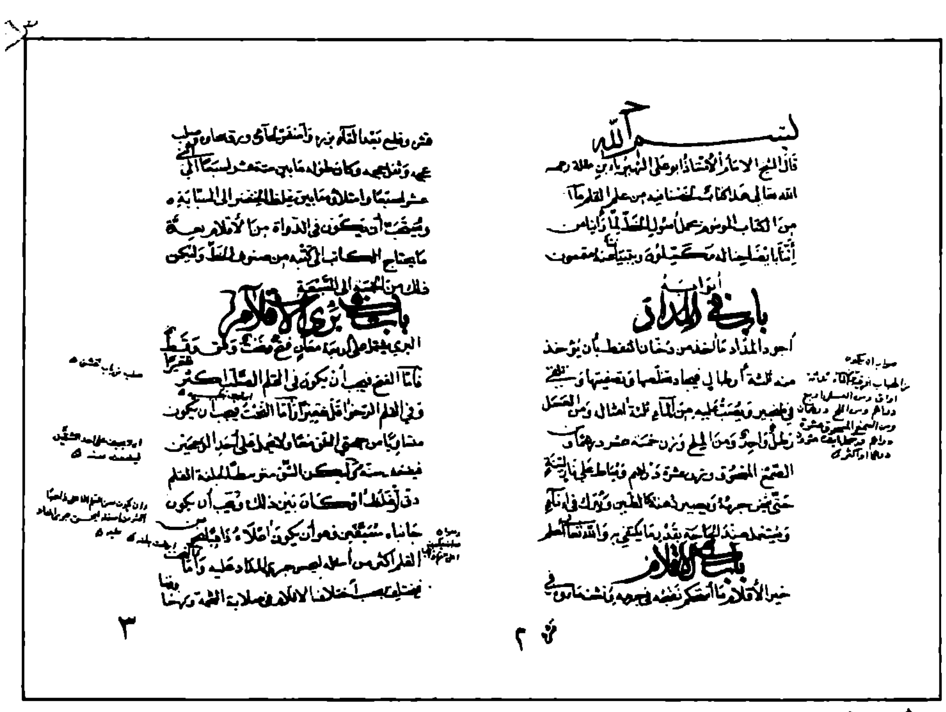
(1) صبح الأعشى 3/ 37.

(2) المصدر السابق 3/ 38.

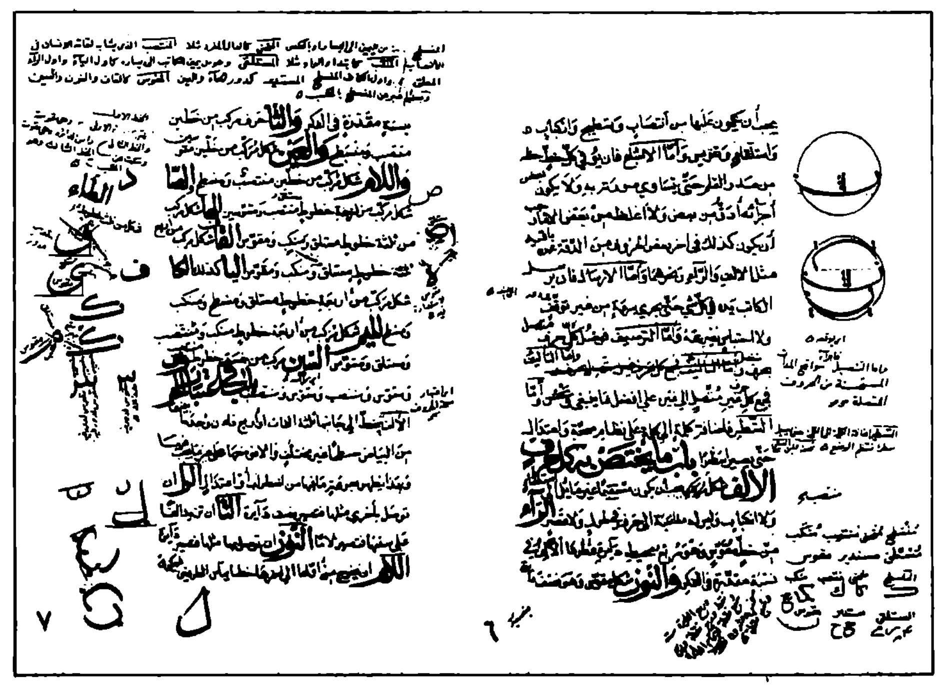
(3) صبح الأعشى 3/ 38 - وقد استفاض القلقشندي في شرح أساليب الخط، وعدَّ الكثير من الذين ساروا على منوال ابن مقلة - فليراجع هناك لمن يريد الإستزادة.

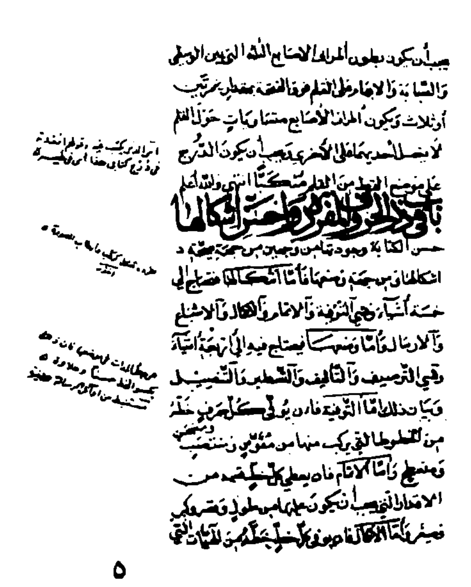
«مصور من (كرّاس)» صناعة الخط والقلم - المحفوظ بدار الكتب المصرية - القاهرة - رقم 14 - صناعات - توقيع المؤلف عبد الله بن مقلة «الوزير» الخطاط - وهي نفسها الموجودة في المكتبة الوطنية بتونس - تحت رقم 672، وهي «طريقة ابن مقلة في تعلم الخط».

ونحن نقلناها من كتاب «الخط العربي» لحسن المسعود ص 40 - ص 41، طبعة «فلاماريون - باريس 1981م.



ثمان من الصفحات العشر المنسوخة عن رسالة ابن مقلة - دار الكتاب - القاهرة





Huit des dix pages du *Précis de calligraphie* d'Ibn Moqla, copié en 1663 par Mohammed Al Chafai.



## تعليمات وخطوط بريشة إبن مقلة

1 - الشكل 150 - صفحتان من مخطوطة «رسالة علم الخط والقلم» لإبن مقلة والتي يؤكّد فيها - وفق قاعدته - باعتبار الألف قطراً للدائرة التي تبنى عليها جميع أقواس الحروف الأبجدية المفردة قبل تركيبها.

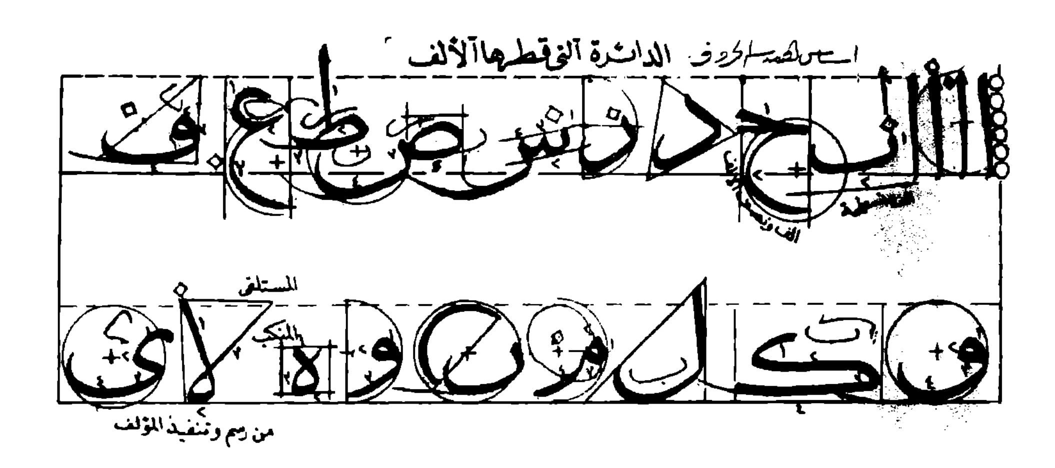
2 - الشكل - 151 - تطبيق لقاعدة إبن مُقلة - أعلاه - والتي نفَّذها الخطّاط الكاتب «ناجي زين الدين».

3 - الأشـكـال - 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160 - هي تسعُ صفحات مكتوبة بخط النسخ والثلث منسوبة للوزير ابن مقلة وهي مخطوطة فريدة ونادرة، من مخلفات (جد السيد ناجي زين الدين) المرحوم السيد عبد الوهاب، صاحب الخط اللؤلؤي.

* المصدر: ناجي زين الدين/ بدائع الخط العربي: ص 114 - ص 123.



شكل ــ ١٥٠ ــ




شكل ــ ١٥١ ــ


بسم الله الرحمن الرحيم
في إيماني بك ولم أعلم به تبت عنه
وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله
اللهم إن دخل الكفر في إسلامي
ولم أعلم به تبت عنه وأقول لا إله إلا الله
محمد رسول الله اللهم إن دخل

شكل ـ ١٥٢ ـ


وأقول لا إله إلا الله محمد
لساني ولم أعلم به وتبت عنه وأقول لا إله
إلا الله محمد رسول الله اللهم إن دخل
الخطرة والوسوسة في صدري

شكل ــ١٥٣ــ




شكل ـــ ١٥٤ ـــ




شكل ـــ ١٥٥ ـــ


لساني في السؤال من غيرك
لا إله إلا الله محمد رسول الله
إن كنت كتبت اسمي في

شكل — ١٥٦ —


ديوان السعادة فلك الحمد
ولك الشكر وإن كنت كتبت
اسمي في ديوان الشقاوة فامح بكرمك
وثبته في ديوان السعادة فإنك قلت
في كتابك يمحو الله ما يشا
ويثبت وعنده أم الكتاب يا حي
يا قيوم يا لا إله إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه
من الغم وكذلك ننجي المؤ

شكل ــ ١٥٧ ــ




شكل ـــ ١٥٨ ـــ




شكل ـــ١٥٩ـــ




شكل ـــ ١٦٠ ـــ

## الفصل الرابع

# أهميّة إبن مُقلة

لقد اقترن إسم إبن مقلة بمدرسة بغداد للخط العربي أولاً، ومن ثم أصبح العلم الأبرز في العالم الإسلامي والعربي بحرفة الخط وهندسة حروفه، حتى أن المصادر التاريخية التي ترجمت لَهُ واهتمّت بإبداعه وصفته بأنه كان «مُقلة حدقة الزمان، ياقوت معدن العرفان، مصوّر النقوش القدسيّة بالصور الروحانية، ومُقِرّ الخطوط الهندسية بالأدوات الجسمانية» وهذا ما ثبّتَهُ صاحب «**تحفة الخطاطين**»[1].

منذ نشأته في بغداد، كانت طفولته تشير إلى أنَّهُ قد عزف عن العمل مع أبيه وانصرف إلى الدرس[2]، وكان أخوه **أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة**، يشاركهُ الإهتمام والطفولة، وقد انصبَّ اهتمام الأخوين منذ نعومة أظفارهما على الخط العربي، فبدءا بتعلّمِهِ على يد كبار الخطّاطين السابقين عليه من أمثال **الأحوَل وإبراهيم الشجري**[3].

إختلف القدماء في لقب أبيه «**مُقلة**» **فابن النديم**، وهو الأقرب إليه يُشير إلى أن «**مُقلة**» لقب أطلقَهُ في سياق الحديث عن الأب[4]، بينما يذكر **ياقوت الحموي** في معرض ترجمته لأخيه **الحسن بن علي بن عبد الله بن مقلة** بأن «مُقلة» إسم أُمٍّ لهما. ويستطرد فيقول في سبب التسمية إن أباها «يقصد مقلة» كان يُرقِّصها فيقول: «**يا مُقلة أبيها**» فغلب عليها هذا اللّقب[5]. وعلى ما يبدو أن «عائلة مقلة» كان أغلبها قد مارس مهنة الخط والكتابة، ولكن الشهرة استقرّت للخطّاط الوزير **أبي علي** ومن بعده لأخيه عبد الله، يقول إبن النديم:

(1) أنظر: الخطاط البغدادي علي بن هلال، للدكتور سهيل أنور/ ص14، ترجمة محمد بهجت الأثري وعزيز سامي/ مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1377هـ/ 1958م.
(2) المصدر السابق/ نفس المكان.
(3) الخطاط البغدادي/ ص14.
(4) الفهرست/ ص14.
(5) معجم الأدباء 9/ 28.

«هذان الرجلان لم يُرَ مثلهما في الماضي إلى وقتنا هذا»[1] يقصد بداية (ق 5هـ) - ويضيف إبن النديم: «وعلى خط أبيهما مقلة كَتَبا»[2].

ومن هنا نستنتج أن الأب كان خطاطاً هو الآخر. لذلك سارت العائلة على منوالهِ ونُخطاه. والغريب أن أبا علي إبن مُقلة عَزِف عن العمل مع أبيه، كما أشارت المصادر[3]. وهذه العبارة تضع محل الشك على ما يقولُهُ الأستاذ سُهيل أنور، والذي أخذ معلوماتهِ من «تحفة الخطّاطين» وإنّا لنرجّح إلتزام الإبن بمنهج الأب، فالمصادر التي ترجمت لإبن مُقلة كانت تؤكّد مذهب الأب في الخط، وليس ذلك فحسب، بل أن سلالة العائلة سارت على المهنة نفسها. يقول إبن النديم: «وقد كتب في زمانهما جماعة وبعدهما من أهلهما - يقصد الأخوين إبن مقلة - وأولادهما، فلم يقاربوهما، إنما يبذر الواحد منهم الحرف بعد الحرف والكلمة بعد الكلمة، وإنما الكمال كان لأبي علي وأبي عبد الله، ومن كتب فمن أولادهما أبو محمد عبد الله وأبو الحسن بن أبي علي، وأبو أحمد سليمان بن أبي الحسن وأبو الحسين بن أبي علي» ويضيف إبن النديم قائلاً: «ورأيت مصحفاً بخط جَدّهم مُقلة»[4] على أيّة حال، إن التطور الفني الأبرز في هذه العائلة هو ما لزم خطّاطنا الوزيرالذي إنتهت إليه رياسة الخط وجودتهِ، حيث خطّ النسخ يسمو بحروفهِ على بقية الخطوط. وقد استطاع إبن مُقلة أن يجد ثوابتاً وأصولاً للخط العربي - كما رأينا، فهو المهندس الأول للخط العربي وهو الذي زاد على مبتكرات سابقيه، وقد سُميَّ الخط الموزون بالخط المنسوب[5]. حيث أوجد ابن مُقلة قواعِدَهُ ونَسِبَهُ، التي تعتمد على تناسب أشكالهِ الهندسية المتقنة، ونسبته إلى الإمام من أئمتهِ، ذلك أن الكاتب إذا بلغ في تعلم صناعة الخط غاية قدرته، كان لخطّه ملامح خاصة يُعرف بها، ومعاني تخصّهُ، يعرفها أهل التميّيز والنقد، كما تعرف وجوه الناس وإن تشابهت أعضاؤها، وتشاكلت أجزاؤها بمعانٍ تخص كل وجهٍ فيها[6].

---

(1) حيث عاش إبن النديم فيه وكانت وفاته سنة 438هـ/ 1047م - أنظر الزركلي - الأعلام 6/ 29.

(2) الفهرست/ ص14.

(3) الخطاط البغدادي/ ص14.

(4) الفهرست/ ص14.

(5) سهيلة الجبوري: الخط العربي وتطوره/ ص70. وتجدر الإشارة هنا إلى الوهم المعرفي الذي وقع فيه د. محمد ماهر حمادة بكتابه (المكتبات في الإسلام) ص 162، حيث يعتقد أن الخط المنسوب أو الخطوط المنسوبة هي «التي يعرف خطاطها فتنسب إليه». وهو جهل بفن الخط، لأنه غير خطاط. بل مؤرخ للمكتبات.

(6) سهيلة الجبوري/ الخط العربي/ ص95.

وقد كانت تلك المقوّمات لا تنطبق عليه في كتابه المعروف وَرْسمِهِ فعُرِف خطّه قبل شخصه، وبذلك تميّزت مدرسة إبن مُقلة، ولذلك يقول عنه **إبن الطقطقي**: «هو صاحب الخط الحَسَن المشهور الذي تُضرب بحسُنِهِ الأمثال، وهو أوّل من استخرج هذا الخط "يقصد النسخ" ونَقَلَهُ من الوضع الكُوفي إلى هذا الوضع، وتبَعَهُ بعده **إبن البَوّاب**»[1].

وعلى ضوء تلك الشهرة الواسعة التي أوجدها **إبن مُقلة**، صار الخط العراقي هو النموذج الأصلح للخطوط، وعلى هذا الأساس المنهجي - الفني، يقول الخطاط **عبد الله بن زنجي الكاتب**: «أصلح الخطوط وأجمعها لأكثر الشروط ما عليه أصحابنا في العراق»[2].

وعلى أساس هذا التقيّم يكون إبن مُقلة قد سما بالخط العربي بشكل عام، وبأقلام العراق، بشكل خاص، وتلك مأثرة لم يسبقهُ إليها سابق.

لقد كانت إبداعات **إبنُ مقلة** في تجويد الخط مثار اهتمام الأدباء والكتّاب من المعاصرين له واللاحقين عليه، واقتفوا أثره، حتى أن **أبا حيان التوحيدي** يتحدث عنه في أكثر من محفل، غير مخفٍ إعجابَهُ بِهِ والمفاخرة بقلمهِ دون سواه من سائر الكتّاب والخَطّاطين في أرض الخلافة العباسية، فهو يسأل كُتّاب أذربيجان أو الذين عاشوا فيها مكرهين أو مجبرين، يقول: «قلتُ لأبي **عبد الله بن الزنجي الكاتب** - كان كاتباً لإبراهيم بن المرزبان في آذربيجان - ما تقول في خط إبن مُقلة؟! فقال: «ذاك نبيٌّ فيه أُفرغ الخط في يده، كما أوحي إلى النحل في تسديس بيوته»[3].

مثل هذه العبارة الهائلة لم تقال في غيره، فكم من أبعادٍ تحمل بين طياتها، وهي تصدر من كاتب كبير!!

لم يقتصر الثناء على ابن مقلة من كاتبٍ واحدٍ، أو وزير أو أمير، بل أصبح الثناء والمدحُ فيه صفة لازمة عند كُتّاب ذلك العصر، فمن ذلك ما قالهُ فيه **أبو بكر الصُولي** - عميد الكتابة في العصر العباسي - وذلك عندما قطعوا يده اليُمنى، مُصوّراً عمق المأساة، رغم اللَّوَقَ الذي يعتريه أحياناً يقول[4]:

---

(1) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية/ ص199. تحقيق محمد توفيق الكتبي - المطبعة الرحمانية - مصر - بدون تاريخ.

(2) رسائل التوحيدي/ ص50.

(3) المصدر السابق - نفس المكان.

(4) سير أعلام النبلاء 15/ 229. والفخري/ ص201.

لئن قطعوا يُمنى يديه لخوفهم لأقلامه لا للسيوفِ الصوارمِ
فما قطعوا رأياً إذا ما أجالَهُ رأيت المنايا في اللحى والغلاصمِ

أمّا ياقوت الحموي، فقد أثنى عليه ثناء المؤرّخ المنصف والكاتب العارف بصنعة أرباب القلم، فقال عنه: «هو المعروف بجودة الخط الذي يُضرب به المثل، كان الوزير أوحد الدُنيا في كَتْبِهِ قلم الرقاع والتوقيعات، لا ينازعهُ في ذلك ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع»[1]. وفي مفاضل الثناء عليه والتغزّل بخطّهِ، ينقل الثعالبي في «ثمار القلوب» أقوال المشاهير في ذلك العصر، ومنهم الصاحب بن عبّاد (938 - 995م) ذلك الوزير البويهي المعروف بالبيان والفصاحة والرجاحة والأدب، يقول عن ابن مقلة[2]:

خط الوزير ابن مقلة بستان قلبٍ ومُقلة

أما الثعالبي (961 - 1038م) فيقول عنه: «خط إبن مُقلة، يضرب مثلاً في الحُسن لأنه أحسن خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون بل ما روى الراوون مثله في ارتفاعه عن الوصف، وجريه مجرى السحر، وأنشد[3].

خط ابن مُقلة من ارعاهُ مقلَتَه ودّت جوارحه لو حُوّلت مُقلا
فالدر يَصْفَرُّ لإستحسانهِ حَسَداً والبدرُ يحمرُّ من أنوارهِ خجلا

وأضاف:

سقى الله عيشي مضى وانقضى بلا رجعة أرتجيها ونقلة
كوجه الحبيب وقلب الأديب وشعر الوليد بخط ابن مقلة

والوليد، هو البحتري.

ومن اللُّغويين الذين انتبهوا إلى جودة خط ابن مقلة وأوردوا اسمُهُ شاهداً على الحُسْنُ لا على اللغة الزمخشري (1075 - 1144م) فقد قال عنه: «وتقول، في خَطِّهِ خَطٌّ لكل مُقلة، كأنَّهُ خط ابن مقلة»[4].

---

(1) معجم الأدباء 9/ 28.

(2) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/ ص210 - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار نهضة مصر - القاهرة 1384هـ/ 1965م.

(3) ثمار القلوب/ 210.

(4) الزمخشري/ أساس البلاغة 2/ 395، مادة (م. ق. ل) منشورات دار الكتب المصرية - القاهرة - 1341هـ/ 1923م.

وهذا الإستشهاد البلاغي يُظهر مدى شيوع وسطوة خط ابن مقلة. حتى أنه إستهوى عقول الأدباء والشعراء وأقلامهم وافئدتهم وقوافيهم، وقد وصف إبن الرومي (836 - 896م) محاسن خط ابن مقلة وشمائله الشخصية معطياً الأهمية للقلم على السيف، من خلال شخصية إبن مقلة الإبداعية يقول إبن الرومي[1]:

إن يخدم السيف الذي خضعت ... لَهُ الرقاب ودانت خَوفهُ الأُمَمُ

فالموت، والموت لا شيء يعادله ... ما زال يتبع ما يجري به القَلَمُ

كذا قضى الله للأقلام مُذْ بُرِئت ... أنَّ السيوفَ لها مُذْ أُرهفت خَدَمْ

وكل صاحب سيفٍ دائماً أبداً ... ما زال يتبع ما يجري بِهِ القَلَمُ

وفي محاسن خط ابن مقلة صارت الأمثال تُضرب، وصار شخصُهُ يقارن بالأولين والتابعين واللاحقين، وتلك منزلة لم يبلغ شأوها غيره من الكتّاب، فقد قيل[2]:

فصاحةُ سحبانٍ وخَطُّ ابن مقلة ... وحكمة لقمان وزُهدَ إبن أدهمِ

إذا جُمعت في المرءِ والمرء مفلسٌ ... ونودي عليه لا يباع بدرهمِ

وعلى الصعيد الإجتماعي والثقافي، فإن شخصية الرجل لا تقل عن أقرانه في ذلك الوقت كوزير، فقد كانت لَهُ دوره وضياعه وبساتينه[3] فقد كانت فاكهتهُ لما ولي الوزارة بخمسائة دينار كل يوم جمعة، وكان يشرب غبوقاً بعد الجمعة ويصطبح يوم السبت[4]. وقد كانت مهنة الكتابة والخط أقرب إلى نفسهِ لحظة الهدوء وممارسة حياته الإجتماعية داخل البيت، فقد روى عنه إبن الجوزي، أنَّهُ كان يوماً على المائدة، فلما غسل يَدَهُ رأى على ثوبهِ نقطةً صفراء من الحلوى، فأخذ القلم وسَوَّدها وقال: تلك عيب وهذا أثرُ صناعة، وأنشد[5]:

إنّما الزعفرانُ عطر العذارى ... ومداد الدواة عُطرَ الرجالِ

تُظهر المصادر العربية - الإسلامية، التي ترجمت لإبن مقلة أن روح الترفع والتعالي كانت بادية عليه، وأدبه وعباراته تؤكّد ذلك، فقد قال عنه إبن خلكان: «ولإبن مقلة ألفاظ

---

(1) إبن خلكان/ وفيات الأعيان/ 5/ 117.

(2) أورد الأستاذ بهجت الأثري، بعض التعليقات الهامة على هذا البيت - راجع ذلك في كتاب «الخطاط البغدادي »/ ص 76.

(3) إبن الجوزي/ المنتظم 6/ 310. وسير أعلام النبلاء 15/ 228.

(4) صلاح الدين الصفدي/ الوافي بالوفيات 4/ 110 - 111 تحقيق س ديدرينغ - دمشق 1959م.

(5) المنتظم 6/ 310.

منقولة مستعملة، فمن ذلك قوله: إذا أحببت تهالكت، وإذا أبغضت أهلكت، وإذا رضيت أرّثت، وإذا غضبت أثرّت» ومن كلامه: «يعجبني من يقول الشعر تأدُّباً لا تكسباً، ويتعاطى الغناء تطرباً لا تَطَلُّباً، ولهُ كل معنىً لميح والنظم والنثر[1] ومفاخرته بنفسهِ تظهر في الشعر أكثر منها في النثر، فمن ذلك ما نقله الثعالبي[2]:

«لستُ ذا ذِلّةٍ إذا عَضَّني الد ... هر ولا شامخاً إذا واتاني
أنا نارُ في مرتقى نفس الحا ... سدِ ماءٌ جارٍ مع الإخوان»

ولَهُ أبيات أخرى يقول فيها[3]:

«جَرّبني الدهرُ على صرفهِ ... فلم أخبر عند التصاريفِ
ألفتُ يوميهِ وبا ربُمّا ... يُولفُ شيء غير مألوفِ»

ولهُ أيضاً:

«وإذا رأيت فتىً بأعلى رتبةٍ ... في شامخٍ من عزّهِ المترفّعِ
قالت لي النفس العروف بفضلها ... ما كان أولاني بهذا الموضعِ»

وكانت روح العصر تغريه بالتغزّل والصبابة، ولَهُ أبيات في ذلك يقول فيها[4]:

«أدلّ فيها حبذا من مُدلٍ ... ومن ظالمٍ لدمي مستحلٌ
إذا ما تعزّزَ قابلتُهُ ... بذلٌ وذلكَ جُهد المُقلّ

ولَهُ أيضاً في الغَزل:

«أنتَ يا ذا الخال في الـ ... وجنةِ مِمّا بي خالي
لا تبالي بي ولا تخـ ... طرني منكَ ببالي
لا ولا تفكّرُ في حا ... لي وقد تعرفَ حالي
أنا في الناسِ إما ... ميُّ وفي حُبّك غالي[5]

(1) وفيات الأعيان 5/ 117.
(2) يتيمة الدهر 3/ 100 - 101 وابن الطقطقي ص 200 - 201، وراجع تعليقات/ بهجت الأثري على كتاب/ الخطاط البغدادي/ ص 64.
(3) المصادر السابقة، وراجع أيضاً إبن العماد الحنبلي/ شذرات الذهب 2/ 310. طبعة دار المسيرة - ط2 - بيروت 1399هـ/ 1979م.
(4) يتيمة الدهر 3/ 101.
(5) البيت الأخير يشير بمعناه إلى وجود الفِرق الإسلامية وظهورها.

ومن غَزَلِهِ الجميل، ما نقله إبن أيبك الصفدي في (الوافي)[1]:

«أحببتُ شكوى العين من أجلها لأنها تستر وجدي بها
كنت إذا أرسلتُ دمعةً قال أُناسٌ ذاكَ من حُبّها
فصرت أبكي الآن مسترسلاً أحيلُ بالدمع على سكبها»

وكان إبن مُقلة يكاتب أصدقاءه وولده في حبسهِ، متشفعاً ساعة وساعة معاتباً، وأخرى حانّاً لولدٍ أو لدار، مازجاً القسوة بالعاطفة والصبرِ بالخضوع والذُلّة بالمكابرة، والألم بالتجلّد والنقمة بالثأر والحيرة بالصفنة والسياسة بتقلّب الأمور، وهو ما يظهر بترسُلهِ وخطابه، قال محمد بن إسماعيل الكاتب: لما نكبَ إبن الفرات أبا علي بن مُقلة، لم أدخل عليه في حبسهِ ولا كاتبتَهُ خوفاً من إبن الفرات، فلما طال أمرهُ كتبَ إليّ يقول[2]:

تُرى حُرّمت كتب الأخلاّء بينهُمَ أبن لي، أم القرطاس أصبح غاليا
فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا وقد دهتنا نكبة هي ما هيا
فهمُكَ عدّوي لا صديقي فربّما تكاد الأعادي يرحمون الأعاديا

وأنفذ في طي الورقة، ورقةً إلى الوزير/إبن الفرات/ يقول فيها:

«أمسكت - أطال الله بقاء الوزير - عن الشكوى، حتى تناهت البلوى في النفس والمال والجسمِ والحال، إلى ما فيه شفاء للمنتقم وتقويم للمجترم، حتى أفضيت إلى الحيرة والتبلُّد، وعيالي إلى الهتكةِ والتشرّد، وما أبداه الوزير - أيّدهُ الله - في أمري إلاّ بحق وواجب، وظنٌّ غير كاذب، وعلى كل حال، فليَ ذُمام وحرمة وصحبة وخدمة، وإن كانت الإساءة أضاعتها فرعاية الوزير - أيّدهُ الله تعالى بحفظهِ - ولا مُفزع إلى الله بلُطفِهِ، وكنف الوزير وعطفه، فإن رأى - أطال الله بقاه - أن يلحظ عبَدهُ بعين رأفته، وينعم بإحياء مهجته، وتخليصها من العذاب الشديد والجُهد الجهيد، ويجعل لَهُ من معروفهِ نصيباً ومن البلوى فرجاً قريباً».

وعندما قطعت يَدِهِ في زمن الراضي بالله، كان الطبيب أبو الحسن ثابت ابن سنان بن ثابت بن قرة (836 - 901م) يُعودَهُ في سجنه ويُعالجهُ، قال هذا الطبيب[3]:

«أمرني الراضي بالله بالدخول إلى ابن مُقلة آخرَ اليوم الذي قطعت فيه يده، فدخلت إليه وعالجته، وسألني عن خبر إبنه أبي الحسين، فعرَّفته خبر سلامته، فسكن إلى ذلك غاية

---

(1) الوافي بالوفيات 4/ 111.
(2) النجوم الزاهرة 3/ 268 - 269؛ والفخري/ ص 200.
(3) الثعالبي/ ثمار القلوب/ ص 210؛ وابن خلكان 5/ 115.

السكون، ثم نامَ على نفسهِ وبكى على يدهِ وقال: يدٌ خدمتُ بها الخلافة ثلاث دفعات، وكتبتُ بها القرآن دُفعتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص، أتذكر وأنت تقول لي:

إنَّكَ في آخر نكبة والفرجُ قريب؟ قلت: بلى، قال: فقد ترى ما حَلَّ بي فقلت: ما بقي بعد هذا شيء، والآن ينبغي أن تتوقّع الفرج، فإنَّهُ عُمِلَ بك ما لم يُعمل بنظيرك وهذا إنتهاء المكروه، ولا يكون بعد الإنتهاء إلاّ الإنحطاط. فقال: لا تغفل، إن المحنة قد تشبّثت بي تشبُّثاً تنقلني بهِ من حالٍ إلى حال حتى تؤديني إلى التَلَف، كما تشبَّثت حُمّى الدِّق بالأعضاء فلا تفارق صاحبها حتى تؤديه إلى الموت ثم تمثَّل بيت أبي يعقوب الخريمي:

إذا ما ماتَ بعضُكَ فابكِ بعضا ... فبعضُ الشيء من بعضٍ قريبُ

ومن سجنه كتب لإبنهِ (أبي الحسين) وقد مرض، فقال[1]:

«لقاك رَبُّكَ صحبة وسلامة ... ووقَّاكَ بي من طارقِ الأهواءِ
ذكرتَ شكاتُكَ لي وكأسي في يدي ... فمزجتها دمعي مكانَ الماءِ»

وعندما توفي إبن مُقلة في سجنهِ عام 328هـ، وقد بلغ الستين من العُمر قال أحدهم يرثيه بهذه الأبيات[2]:

«إستشعرَ الكتّاب فقدُكَ سالفاً ... وقضت بصحّةِ ذلك الأيامُ
فلذاكَ سَوّدت الدَويُّ كآبةً ... أسفاً عليكَ وشُقَّتِ الأقلامُ»

ومن الآثار الهامة التي ذكرتها المصادر القديمة والحديثة أن إبن مقلة تولّى كتابة الهُدنة بين المسلمين والروم بخط يده، ولم تورد تلك نص الوثيقة، فقد أشار الثعالبي[3] إلى أن إبن مُقلة «كتب كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطِهِ، فهو إلى اليوم عند الروم في كنيسة قسطنطينية. يبرزونَهُ في الأعياد ويعلّقونَهُ في أخص بيوت العبادات، ويعجبون من فرطِ حُسنَه، وكونه غاية في فنّه». وقد عَلَّقَ كل من د. سهيل أنور ومحمد بَهجت الأثري على هذه الملاحظة بما يلي: «وورد في الجزء الأول من خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، أن إبن مقلة هو الذي تولّى كتابة معاهدة الصلح بين المسلمين والروم «الأناضوليين» وقد بقيت هذه المعاهدة بأيديهم حتى زمن الفتح، كما شاركتهم الباحثة

---

(1) الفخري/ ص 200.

(2) الوافي بالوفيّات للصفدي 4/ 111. وهذه الأبيات قيلت في (إبن البّواب) ولا أعرف كيف نقلها إبن أيبك الصفدي، وسهى عنها المحقّقون؟؟

(3) ثمار القلوب/ ص 210.

سُهيلة الجبُوري ذلك، ولم يُورد هؤلاء نص الوثيقة، ولا أشاروا إلى الصفحة التي ذكرت فيها المعاهدة في كتاب (خلاصة الأثر)[1].

ومن المؤسف حقاً لم ترد صورة هذه الوثيقة «المعاهدة» لهذا العبقري الكبير، وأنّه حرّى بكل مجامع اللغة العربية ووزارات الثقافة العربية، السعي الجاد للحصول على هذه الوثيقة، وتصويرها - كحدٍّ أدنى - لأنها وثيقة فنية هامة لخطاط عربي مسلم، رفع شأن القلم العربي كثيراً في زمنه.

## الفصل الخامس

# تلاميذ إبن مُقلة

عندما قلنا - في بداية هذا الباب - أن هذه المدرسة أسَّست لرؤية جمالية في الخط العربي، بمعنى وُضعت «شرائط» لمنهجة هذه الرؤية بغية السير والإهتداء على قواعد وأصول في أسِسْ المهنة، ونظراً لكون البُعد الجمالي هو البؤرة التي تقتضيها طاقة الفنان بكل أحاسيسَهُ للتعبير بها فنياً في مجال رسم الحرف العربي، أي أن التشكيلة الخطيّة، كما يقول خطّاط معاصر[2]: يجب أن تكون حيوية وحركية، كما لو كانت بعض الحروف تريد الإنفلات والتحرّر، بينما تمسك بها الأخرى وتمنعها، لا سيما بعد أن تحرّر «القلم» من نير الكتابة الروتينية في أروقة سوق الورّاقين، وأصبحت «التشكيلة» في رسم الحروف تفرض «ديناميكية معيّنة»، تخرج إطار رؤية المتلقي إلى الحرف العربي من إطار النظرة الرتيبة إلى عموم الأشياء المألوفة، إذ التشكيلة الفنية الجديدة للقلم العربي تفرض إنعاش نفس المشاهد وتنشّط بصيرته للنظر إلى الجمال، وتسحبُه إلى التعمّق والتخيّل في أسرار هذه التشكيلة الساحرة للقلم العربي.

ومدرسة إبن مقلة لم تكتفِ بتطبيق تلك القواعد على رسم الحروف العربية، بل راحت تراقب خطوط بعضها البعض/ من جانبٍ أكاديمي - إبداعي/ فراح التلاميذ يمارسون الخط

(1) أنظر الخطاط البغدادي/ ص 15، وتعليقات الأثري فيه/ ص 57، وسهيلة الجبوري/ الخط العربي وتطوره/ ص 73.

(2) الخطاط حسن المسعود: تجربة الخط تجربة الحياة - مقال سلام مُراد - جريدة الإسبوع الأدبي/ دمشق/ العدد 1030 في (11/ 11/ 2006م).

تحت أعين الأساتذة المبرّزين، منكبين على الممارسة والتعليم، ومسك القلم وفق الأصول المعمُول بها، والسير على منهاج أساطين القلم، إسلوباً واقتضاءً وتطويراً، حسب القدرة الذاتية لكل تلميذ، لذلك بَرَزَ في هذه المدرسة أعلاماً أصبحوا أساتذةً فيما بعد، لا سيما إبن البَوّاب وياقوت المستعصمي[1].

والجميل في هذه المدرسة أن روّادها الأوائل وطبقات تلاميذها، وفق مختلف العصور، لم يتعصبّوا إلى منهج مُحدّد أو على طريقة معييّنة، بل تركوا باب الإجتهاد مفتوحاً، مع المحافظة على الأصول، والوفاء لمرشديهم الأوائل، سائرين على خُطاهم بأمان ووثوق، حتى كان التلاميذ يعرضون «بضاعتهم» على الأساتذة والأخذ بملاحظاتهم والتي كانت تُسدى إليهم عن طيب خاطر وامتنان ومسؤولية، حيث وضع هؤلاء الأساتذة أوّليات لتلاميذهم للتعلم منذ الخطوة الأولى لرسم الحرف صحيحاً، وتحت إشرافهم، ضمن شعار: «مَنْ شَبَّ على شيء شابَ عليه» معتمدين على وعي الخطاط ذاته، وتفهمهِ للبُعد الجمالي في رسم الحرف، ضمن عملية الكتابة، واستخدام أدوات الكتابة (كالأقلام والدَوي والمحابر) وغيرها.

وهذه العملية أطلقوا عليها إسم «الإستمداد» والتي يعتبرونها «أصل عظيم من أصُول الكتابة».

يقول المقري العلائي بن فضل الله: «مَنْ لم يحسن الإستمداد وبري القلم فليس من الكتابة في شيء»[2].

ثم يشرح ذلك بالقول: «ومذهب الإستمداد يكون حسناً إذا كان الكاتب قد وضع يَدَهُ في صورة سليمة، وفق ما رُسم لَهُ من شرائط، ويحرّك رأس القلم من باطن يده إلى خارجها، فإنه بذلك يمكّن مَعَهُ مقام القلم على نصبه من الأصابع» ومتى عُدّل عن هذه لمقتهِ المشقّة في نقل نصبة الأصابع في كل مُدّة، وعلى هذا الوجه يكون مداد جودة الخط. «وقلّما يُدرَكُ هذا الفضل، كما يقول إبن العفيف[3] إلاّ العالم الحاذق بهندسة الخط، مع ما يكون مَعهُ من الأناة وحُسنِ التأدية» وعلى ما يبدو أن الكُتّاب الأوائل، قد انتبهوا إلى أهمية القَصَبَة في جودة الخط، فسعوا إلى تشذيبها وقطّها، ومدارات مسنّاتها عند الكتابة. وقد لعبت مهنة الوراقة دوراً عظيماً في العملية الإبداعية - الفنيّة، نظراً لكثرة الطلب على نسخ

(1) سوف نترجم لهؤلاء الأعلام في الفصول القادمة.

(2) صبح الأعشى 3/ 42.

(3) المصدر السابق 3/ 49.

الكتب، وصار من الواجب على الورّاق والخطّاط أن يعرف هذه الأصول في الكتابة وتشذيب القلم، وقد كان لمدرسة إبن مُقلة قصب السِبقِ أيضاً في وضع قواعد لبري القلم واستخداماته المختلفة على كافة الوجوه، حتى أن تلاميذ إبن مقلة كانوا شديدي الأناة في غَمْسِ رأس القلم في المداد وعدم انتقال الليقة[1] من مكانها، وعدم العَثْرِ بالقَلَم، لأنه عَيب عند الكاتب. كما اشترطوا أن لا يرد الكاتب القلم إلى الليقة حتى يستوعب ما فيه من المداد، ولا يدخل منهُ الدواة كثيراً، بل إلى حَدِّ شَقِّهِ، ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة، ليأمن تسويد أنامِلِهِ، لأن ذلك من خِصال الكُتّاب. كما اشترطوا على الكاتب والخطاط، معرفة كل جوانب الأقلام وسُنَنِها، وعرضها، ووجوهها، وصدورها، ومعرفة كل واحد منها، ليعطي كل وجهٍ حَقَهُ في الموضع الذي يقتضيه الحال. وقالوا في ذلك:

«أنَّ كل خط منتصب الشكل، كالألف ونحوه، يجب في كتابته الأعتماد على سِنّي القلم جميعاً، وكل خط أخذ من اليمين إلى اليسار، يجب إمالة القلم فيه إلى اليسار شيئاً، وكل خط أخذ من اليسار إلى اليمين يجب إمالة القلم فيه إلى اليمين شيئاً يسيراً، وكل نقطة يعتمد فيها بسنّيه جميعاً، وكل شظية فإنها تختلس بسنِّهِ اليمنى اختلاساً»[2].

وقد أعطى إبن مقلة أهمية للكيفيّة التي يُمسكُ القلم فيها عند الكتابة ووضعِهِ على الورق فقال: «يجب أن تكون أطراف الأصابع الثلاث، الوسطى والسبابة والإبهام، على القلم» وقد شرح تلميذِهِ عماد الدين بن العفيف ذلك بالقول: «تكون الأصابع مبسوطة غير مقبوضة، لأن بسط الأصابع يتمكّن معها الكاتب من إدارة القلم، ولا يُتكىء على القلم الإتكاء الشديد المُضعِفِ له، ولا يُمسكهُ الإمساك الضعيف فيضعف اقتداره في الخط، ولكن يجعل اعتمادِهِ في ذلك معتدلاً»[3].

وإلى هذه القاعدة الفنيّة في مسك القلم أشار أبو تمّام بقوله[4]:

---

(1) الليقة: هي ليقة الدواة، وهي ما اجتمع في قُبّتها من سوادها بمائها، اللسان. مادة (ليق).
والليقة: كما هو معروف عنها الآن - هي قطعة صغيرة من الحرير يوضع عليها القلم، كي تَغُبَّ منه ما زاد من المراد «الحبر». قال صاحب (متن اللغة) - لاق - ليقا وليقة = الدواة جعل لها ليقة، أو أصلح مدادها، يقال: «لاقت الدواة - (إذا لزق مدادها بصوفها فهي مليقة، وملوقة ولائق». أنظر - الشيخ أحمد رضا/متن اللغة/ مادة (لوق). منشورات مكتبة الحياة 5/ 229 - بيروت 1380هـ/ 1960م.

(2) صبح الأعشى 3/ 49.

(3) المصدر السابق 3/ 41.

(4) انظر ديوانه 3/ 124 بشرح الخطيب التبريزي - تحقيق محمد عبده عزام - منشورات دار المعارف بمصر - بدون تاريخ.

«إذا استغزرَ الذهنُ الذكيُّ وأقبلت أعاليه في القرطاس وهي أسافلُ
وقد رفدتهُ الخنصران وشرّدَت ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأناملُ»

وقد ربط إبن مُقلة جودة الخط بحسُنِ إمساك القلم، وبذلك يقول:

«يجب إمساك القلم فُويق الفتحة بمقدار عرض شُعيرتين أو ثلاث، وتكون أطراف الأصابع متساوية حول القلم، لا تنفصل إحداهن عن الأخرى»[1].

وعلى صعيد الممارسة، كان طُلاّب إبن مُقلة يُصحّح بعضهم لبعض، ويأخذون بالنصائح وهم في وضع الكتابة. يقول إبراهيم بن حيلة وهو كاتب وأديب وخطّاط: زارني عبد الحميد الكاتب (ت 750م) صاحب الطريقة المعروفة في التَرسُّل، وأنا أخُطُّ خطّاً رديّاً. فقال لي: «أتُحِبّ أن يجود خَطّك؟ فقلت: نعم، قال: أطِلْ جلفة قلمك[2] وأسمنها، وحرّف قطّتك وأيمنها، ففعلت، فجاد خطي»[3]. إن هذه الإشارات الفنيّة والتوجيهات المعرفية، إستفادت منها كثيراً مدرسة إبن مقلة، ومنها انطلقت وطوّرتها في وعي الممارسة الفني، حتى أن عامّة الكُتّاب كان يستقبحون رداءة الخط، ويعتبروهُ من الرذائل والتي يسعى الظُرفُ والظُرفاء البغداديين للتخلص منها، وهنا نلحظ إنتقال التأثير الفني لمدرسة إبن مُقلة على الوسط الإجتماعي والثقافي، بكافة طبقاته وشرائحة، بل أصبح من شمائل الظُرف، حتى غدا تجويد الخط سُنّةً سائدة بين الكُتّاب، يسعى الكل إلى التخلّقِ بها، وقد سُئِلَ بعض الكتّاب عن الخطّ، متى يستحق أن يوصف بالجودة. فقال: «إذا اعتدلت أقسامهُ، وطالت ألفُهُ ولامُه واستقامت سطورُهُ، وضاهى صعودَهُ حدوده، وتفتّحت عيونه، ولَمْ تشبه راؤُهُ نونه، وأشرق قرطاسَهُ، وأظلمت أنفاسَهُ، ولم تختلف أجناسَهُ، واسرعَ إلى العيون تَصَوُّره، وإلى العقول ثمره، وقُدّرت فُصوله، واندمجت وصولَهُ، وتناسب رقيقَهُ وجليله، وخرجَ عن نمط الورّاقين، وبَعُدَ عن تَصَنُّع المُحدرين، وقام لكاتبهِ مقام النسبةِ والحُلية، وأنشدَ في ذلك أبو بكر الصولي[4]:

«إذا ما تَحَلَّلَ قرطاسهُ وساوَمَهُ القَلَمُ الأرقشُ
تضمَّنَ من خَطِّهِ حُلّةً كنقشِ الدنابلِ أنقَشُ
حُروفٌ تعيدُ لعينِ الكليلِ نشاطاً ويقراها الأخفشُ»

---

(1) صُبح الأعشى 3/ 41 - 42.

(2) الجلفة: هي من القلم من مبراه إلى رأسه، وهي مكان البري من القلم.

(3) الجهشياري/ الوزراء والكُتّاب/ ص 82.

(4) الصولي/ أدب الكُتّاب/ ص 50.

بَلْ أن جودة الخط، دخلت في لُبِّ الأدَب، وراحت تُغازل مُخيّلات الشعراء، فانعكست في أدبهم وغزلهم ومجونهم وخمريّاتهم، حتى أن **المَرأة البَغداديّة** أخذت تدرك ذلك وتعيه، فكانت تعتني بخطّها، وتُنمّق حروفها، وتُعطّر دُرجها، وتُضمّن رسائلها الأشعار، ومن ذلك ما وَصَل إلى الشاعر العباسي «**عَليّ بن الجَهَم**» فقال[1]:

«يا رقعةً جاءتكَ مثنيةً ... كأنّها خدُّ على خدّ
نَبْذُ سَوادٍ في عذاركما ... ذرَّ فتيت المسك في الوردِ
ساهمت الأسطرِ مصروفة ... من مُلَحِ الهزلِ إلى الجَدّ
يا كاتباً أسلمني عَتْبُهُ ... إليهِ حسبي مُنهُ ما عندي»

والأزيدُ من ذلك أن المرأة البغدادية - وقتنذاك - إستطاعت أن تُباري الرجُلَ في مهنة الوراقة والكتابة وحُسنَ الخط، فعَمَدت إلى تجويد خطّها، وراحت تلتزم بقواعد وأصول الكتابة، ومن المنصف القول أن هذه الحالة عند المرأة لم تُشكل ظاهرة، بل ظلت حالة فرديّة، اقتصر شيوعها على المبرزات منهنَّ، واللاتي كُنَّ من ذوات النباهةِ والفِطَنْ، وكانت هذه الحالة **بالجواري** أكثر منها **بالحرائر**، ومن ذلك بروز إحدى الجواري في هذا الميدان، أي في الكتابة وحسن الخط، حتى أعجب بها الوزير **أحمد بن صالح** وراح يصف حُسْنَ خطّها ويقارنها بحُسنِ صورتها فقال: «كأنَّ خطّها أشكال صورتها، وكأنَّ مدادها سواد شعرها، وكأنَّ قرطاسها أديم وجهها، وكأن قلمها بعض أناملها، وكأن بياضها سحرُ مقلتيها، وكأن سكّينها غنج لحمها، وكأنَّ مقطّها قلبُ عاشقها»[2].

كما أن **رداءة الخط** أصبحت عِلّة يُرجى الكثير الشفاء منها، لأنها، على ما يبدو، أصبحت شُبه مَثْلَمة سلبية في شخصية الإنسان، بشكل عام، فما بالك إذا ظهرت عند الكاتب أو الأديب، فهذا **علي بن محمد العلوي**، من وجوه القوم، يُعاني هذه الحالة، ويرجو من الله أن يخلّصَهُ منها، فيقول[3]:

«أشكو إلى الله خطّاً لا يبلغني ... خط البليغ ولا خَطَّ المرجينا
إذا هَمَمْتُ بأمرٍ لي أُزخرفه ... سَدّت سماجَتهُ عنهُ التحاسينا»

لقد أصبحت مدرسة إبن مُقلة، عامل دفع إيجابي في الحياة الثقافية والإجتماعية، حيث أنها غَدَت «باباً للشفاعة» أحياناً، نظراً ما لجمالِ الخط من وقعٍ على النفس، بعكس

(1) الصولي/أدب الكتّاب/ص 51.
(2) إبن الطقطقي/الفخري في الآداب السلطانية/ص 188 نشرة محمد توفيق الكتبي.
(3) الصولي/أدب الكتّاب/ص 52.

رداءة الخط، وفي هذا السياق ينقل الصولي، حادثةً طريفة يقول فيها: «حدّثني طلحة بن عبد الله قال: اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بَلَغُه عنه، فرأى خَطَّهُ قبيحاً، فوقَّعَ في رقعته: «أردنا قبول عذرك فاقتطعنا عنه ما قابلنا من قبيح خطّك، ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك، أو ما علمت أن حُسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجّة، ويمكن له درك البغية»[1].

هذه الحادثة،الآنفة الذكر،تُشير إلى التأثير النفسي في القبول والرضا من عدمه، لأداة جمالية هامة،حُسن الخط، يتعامل بها في كافة مناحي الحياة في ذلك العصر، لذلك انطلقت توصيات كبار الكتّاب والأدباء في ذلك العصر بغية رفع المنزلة الجمالية في الخط عند مَنْ هم عندهم في دواوين الدولة، ومن ذلك ما أوصى به إبراهيم بن العبّاس الصولي لغُلام كان يكتبُ عنده، وشكّلت هذه التوصية شبه قاعدة تلزم الكتّاب رديئي الخط، نحو تجويده، يقول الصولي: «ليكن قَلَمَكَ صلباً بين الدقّةِ والغلظ، ولا تبرهِ عند عقدة. ولا تجعلنّ في إنبوبةٍ إنبوبة، ولا تكتبنّ بقلم ملتوٍ، ولا ذي شقٍّ غير مستوٍ، واختر من الأقلام ما يُضرب إلى السُمرة، وأحِد سكّينك ولّا تستعملها لغير قلمك، وتعهدهُ بالإصلاح يصلح، وليكن مقطّك صلباً ليمضي الخط مستوياً لا مستطيلاً، وابري قلمك بين التحريف والإستواء، وإذا كتبتَ الدقيق فأمِلْ قلمك إلى إقامة الحروف لإشباع الخط. وإذا جلَلَتْ فإلى التحريف، وأعلم أن تبطين القلم شؤم، وتحريفه حرف، وهما دمَار الخط، واعلم أن وزن الخط مثل وزن القراءة، فأجود الخطّ أبينُهُ، كما أن أحمدُ القراءة أبينها»[2].

هنا نلاحظ مدى الشعور العالي عند الطبقة المثقفة بضرورة تحسين الخطوط عند موظفيهم أو بطاناتهم، وهذا الشعور كان عالياً في كل مرافق الدولة العباسية.

ومن حالة «الكتابة» في دواوين الدولة، إلى حالة الإبداع في خطوط أصحاب القلم، فبعد أن أثّرت مدرسة إبن مقلة على كامل حالة العصر الثقافية والإجتماعية والسياسيّة إلتفتت إلى تلاميذها، بوصفهم المشروع الحضاري الناهض في الثقافة العربية - الإسلامية، والذي يسعى لتثبيت ميزة دالة للحرف العربي، باعتباره سيف المقارعة للتباري مع الثقافات الأخرى وإليه أشار القرآن في أكثر من موضع. لذلك برزت حالة نقديّة في وعي أساطين الحرف، تتوجّب الأخذ بها من كافة التلاميذ، وهذه الحالة النقدية عُرفت بـ«حُسن التشكيل وحُسنِ الوضع» كمنهج نقدي - جمالي، يسير عليه الجميع ويرجعون إليه عند الإشكالات الفنيّة في نقد وتقويم الحرف.

---

(1) المصدر السابق/ ص 53.

(2) الصولي/ أدب الكتّاب/ ص 54.

وأول من وضع هذه القاعدة، هو عَميدُ هذه المدرسة عبد الله إبن مُقلة وعنهُ أخذ الآخرون، ليسَ في بغداد وحسب، بل بكافة الأمصار الإسلامية وأطراف الخلافة العباسيّة.

يقول إبن مُقلة في بداية هذه القاعدة النقدية لفن الخط العربي:

«تحتاج الحروف في تصحيح أشكالها إلى خمْسَة أشياء:

- الأوَّل - التوفية: وهي أن يُوفّى كل حرفٍ من الحروف حَظَّهُ من الخطوط التي يُركَّب منها، مُقَوّس ومنحنٍ ومُسطّح.

- والثاني - الإتمام: وهو أن يُعطى كل حرف قسمَتهُ من الأقدار التي يجب أن تكون عليها، من طُولٍ أو قِصرٍ أو دقّةٍ أو غلظ.

- والثالث - الإكمال: وهو أن يؤتى كل خَطّ حَظَّهُ من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها من إنتصاب وانكباب واستلقاءٍ وتقويسٍ.

- والرابع - الإشباع: وهو أن يؤتى كل خَطّ حَظَّهُ من صدر القلم حتى يتساوى بهِ، فلا يكون بعضُ أجزائهِ أدق من بعض، ولا أغلظ، إلاّ فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقّة عن باقيه، مثل الألف والراء ونحوهما.

- والخامس - الإرسال: وهو أن يُرسل يَدَهُ بالقلم في كل شكلٍ يجري بسرعة من غير احتباس يُضرّسِهُ أو توَقُّفٍ يُرعِشهُ»[1].

أمّا الجانب الثاني - في هذه القاعدة النقدية للخط العربي، والتي اصطلحوا عليها إسم «حُسن الوضع» فإن إبن مُقلة يضع توصياته لتلاميذه، أن يسيروا عليها، كقاعدةأيضاً، لكنها تكاد تنحصر بكبار التلاميذ، والذين قطعوا شوطاً في الممارسة، وأصبحت لهم بصماتهم الخاصة في الإبداع، إذْ أنَّهُ يُلزمهم بها إلزاماً.

وهذه القاعدة ترتكز على أربع أُوسِس، لا مناصَ من الإفلات منها:

الأول: ويسميه «الترصيف» وهو وصل كل حرف متصل إلى حرفٍ آخر.

الثاني: ويُسميه «التأليف» وهو جمع كل حرف غير متصل إلى غيره، على أفضل ما ينبغي ويُحسن.

الثالث: ويُسميه «التسطير» وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصير سطراً، منتظم الوضع كالمسطرة.

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى 3/ 143.

**الرابع:** ويُسميه «التنصيل» وهو مواقع المدّات المُستحسنة من الحروف المُتَّصلة[1].

هذه القاعدة النقدية في الخط، أخذت تتطوّر فيما بعد على يد تلاميذ إبن مُقلة من خلال المُمارسة، لإضفاء جمالية أرقى على خطوطهم. فقد لوحِظَ عليهم الإهتمام بالمَدّ والعناية بِهِ في تشكيل الحروف والكلمات، بغية إبراز محاسن الحرف أكثر.

يقول صاحب «مَواد البيان» وهو من اللاّحقين في هذه المدرسة، «وهذه المدّات تُستعمل لأمرين: أحَّدهما: تحَسُّن الخط وتُفخِّمُهُ في مكان كما يحسن مدُّ الصوت اللفظ ويُفخّمُهُ في مكان.

والثاني: «إنها رُبما أُقعت ليتُمَّ السَطْرُ إذا فُضِلَ منه ما لا يتسع لحرفٍ آخر، لأن السطر ربما ضاق على كلمتين وفَضُلَ عن كلمة فتُمدُّ التي وقعت في آخر السطر، لتقع الأخرى في أول السطر الذي يليه»[2].

ثم طَوَّر تلاميذ إبن مُقلة هذا الإيقاع الفني في الخط العربي حيث انتقلوا من الكلمة ورسم الحرف إلى الأداة التي يكتبون بها، أي القلم والقصبة، وهي التي تنقل تفكيرهم المُجرّد إلى المحسوس وتستجيب إلى إيقاعهم النفسي، من خلال حركة اليد وتحكّم الأصابع في حركة الريشة - القصبة.

يقول المُدرّس بباب الطاق[3]: «قلتُ يوماً لإبن الخَلاّل الوّراق: يا هذا إذا حَرّفت القلم فلا تُثقل عليه يدك، وإذا قَوّمته فلا تخففها عَنه، وعيب خَطُّكَ مع حلاوتهِ أن شحمَة قلمك زائدة على الحاجة ولك فيه خطرفة[4] تَدُلُّ على قِلّة المبالاة فلا تفعل، فإن سطراً من التحسين أنفع لك وأنفق عليك من عشر ورقات في التشمير[5].

يقول أبو حيان التوحيدي: «سمعتُ إبن سورين الكاتب يقول: الناس يظنون إدمان المشق مجوّد للخط، فلم أجد هذا الحكم منتظماً بالصواب، نظراً إلى أثر الممارسة في الإستنتاج والمخالفة للقاعدة المتّبعة، من خَطّاطٍ مُبدعها، ولا مُطمئناً إلى الحقّ ولا ملقىً بالقبول، لأن الإدمان للمشقّ موالاة للحركة مع تفاوت النِسَبْ، وذلك مجلبةٌ للشَعثِ، لأنه

---

(1) صبح الأعشى 3/ 144 - وانظر بقية الصفحات، حيث فيها تفصيلات هامة للخطاطين المبتدئين.

(2) صبح الأعشى 3/ 144.

(3) باب الطاق: هو أحد أبواب بغداد الرئيسية في العصر العباسي، وبالقرب منه كان «سوق الورّاقين».

(4) الخطرفة: مشتقة من خطرف، والخطروف = المستدير، وخطرفَ في مشيتهِ وتخطرف = توسع، جاء في حديث (موسى والخضر (ع) الإندلات والتخطرف من الإنقحام والتعكّف. وتخطرف الشيء، إذا جاوزه وتعداه - اللسان، مادة «خطرف».

(5) رسائل التوحيدي/ ص 46.

يصدر عن كلالة اليد، وربما أورثَ القلم طُغياناً، أو أحدثَ في الأداةِ عصياناً»[1].

لقد أنجبت مدرسة إبن مُقلة أجيالاً متلاحقة من الخطّاطين الذين ساروا على منوالهِ - نهجاً وإبداعاً، وقد إشتهر منهم ثلاثة كانوا الذروة في الإبداع، أوَّلهم: **محمد بن أسد بن علي بن سعيد**، وكنيتهُ **أبو الحسن الكاتب المقرئي**، عدّهُ **الخطيب البغدادي** في طبقة القُرّاء والمحدّثين في علم الحديث، وشاركهُ في ذلك **إبن الجوزي** والذي ذكرَ بأنَّهُ توفي يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرّم سنة 410هـ، ودفن في **مقبرة الشونيزي**[2].

ونقل الأستاذ محمد بهجت الأثري نصّاً عن صاحب رسالة «**الخط المنسوب**» أن ابن أسد كان يكتب الشعر بنسخٍ قريب من «**المُحقّق**» فأحكمهُ وحَرَّر (**قلم الذهب**) وأتقَنَهُ، ووشّى بُرد الحواشي وزيَّنَهُ، ثم برع في «**الثلث**» و«**خَفيفَهُ**» وأبدع في «**الرقاع**» و«**الريحان**» وتلطيفَهُ، وميّز المتن والمصاحف، وكتب بـ«**الكوفي**» فأسنى القرن السالف[3].

أمّا التلميذ الثاني فهو **محمد بن علي الشيرازي السِمِساني**، لُقِّب بالسمساني، لأنه كان يبيع السِمْسِمْ، وكان أديباً مشهوراً، ولَهُ باع في علم النحو، توفي سنة 415هـ، كما يقول صاحب «**تحفة الخطّاطين**»[4].

وقد تتلمذ على يد إبن مُقلة وأخذ هو ومحمد بن أسد الطريقة عن إبن مقلة، وهذان الخطّاطان كانا بمثابة حلقة الوصل الفنيّة التي استمرّت طوال الثلث الثاني والثالث من القرن الرابع الهجري، ووصلا إلى بداية (ق 5هـ). حيث أخذ عنها الخطّاط البارز **إبن البوّاب**، أساليب قواعد خط إبن مقلة وطوَّرها، وهو موضوع الباب القادم من هذه الدراسة.

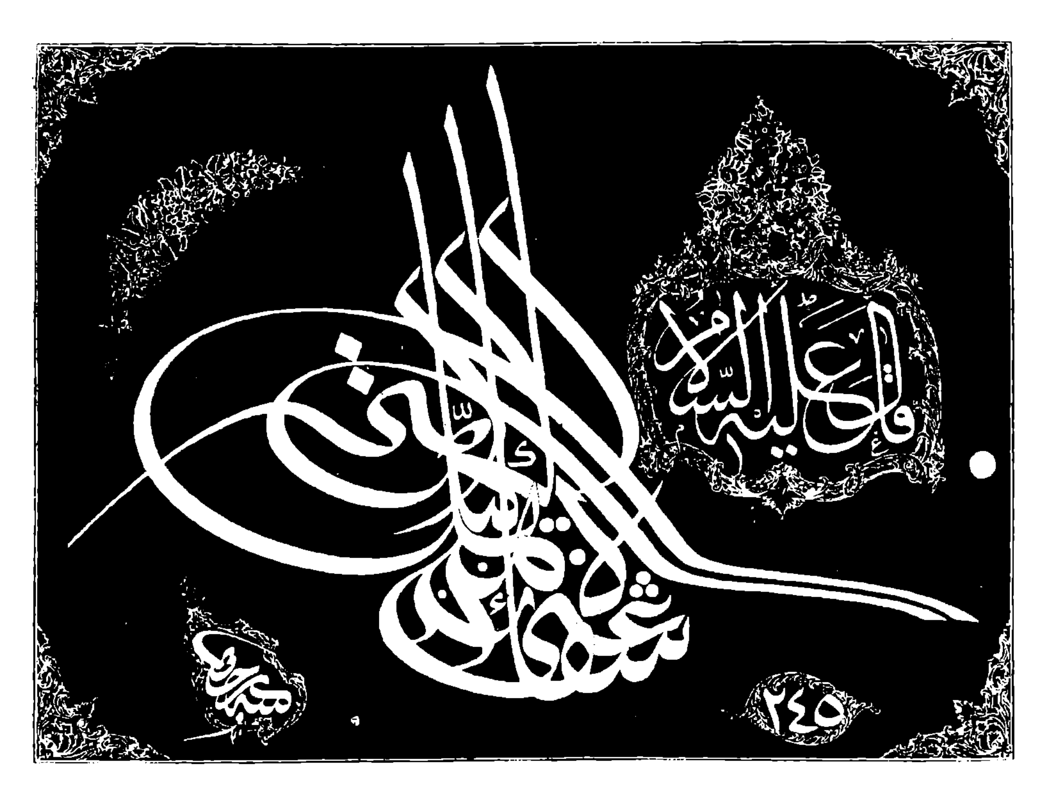
---

(1) رسائل التوحيدي/ ص 46.

(2) تاريخ بغداد 2/ 83 - الترجمة رقم 464 والمنتظم 7/ 396 والخطّاط البغدادي/التعليقات/ ص 19.
وانظر كذلك: رسالة صغيرة، نشرها د. خليل محمود عساكر بمجلة معهد المخطوطات العربية 1/ 123 - 127 ولم يذكر فيها إسم مؤلفها.

(3) راجع رسالة د. خليل محمود عساكر، مجلة معهد المخطوطات 1/ 123 - 127 وكذلك راجع - الخطاط البغدادي - التعليقات - ص 48،/ وسهيلة الجبوري/ص 74.

(4) نقلاً عن «الخطاط البغدادي» - التعليقات ص 19.




شكل ـ ٢٦٤ ـ

حديث شريف بخط الطغراء، نصّه «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». بخط [illegible]

المصدر: ناجي زين الدين - بدائع الخط العربي / ص ١٧٣




شكل ـ ٣٠٠ ـ

لوحة متراكبة بخط «ثلث جلي» وفي أعلاها خط «كوفي» مزخرف. نصّها حديث نبوي يقول: «إنما بعثت معلماً» بريشة الخطاط المعاصر يوسف ذنون الموصلي
المصدر: ناجي زين الدين / بدائع الخط العربي / ص ١٩٢ (٢٤٤).




"حلية السعادة بخطي الثلث والنسخ" من كتابة الخطاط التركي الحاج أحمد كامل - رئيس الخطاطين سنة ١٣٥٧ هـ "
المصدر: أطلس روائع الخط العربي / الجزء الثالث.

شكل ــ ٥٧٦ ــ

# الباب الرابع

## إستقرار قاعدة الخط العربي في بغداد

كما ألمحنا في - الباب السابق - إلى الكيفية الفنيّة وإرهاصاتُها في إيجاد قمة هرم للخط العربي تمثّلَت في إبن مُقلة، كقوة تعبيرية لهذا الفن الرفيع ذو المسحة الإسلامية، فإن محمولات الإبداع الفني تُملي قلقها المشروع في ذهن المُبدع لتطوير تلك الهواجس الفنيّة، بعد أن أشبع نظرهُ تملّياً في أشكالها ونماذجها. ونظراً لكون مطواعية الحرف العربي في التشكيل تعطي الفنّان القدرة على الخَلقِ والإبداع لتوليد أشكالاً أخرى، تحافظ على القاعدة (شكلاً ومضموناً) إلاّ أنها تسمح لممارسة الحِرفيّة في الشكل، وهذا يعني إيجاد القدرة على الإبداع في تطوير أشكال الحرف العربي، وهو الأمر الذي نَفْهَمُ منه تَعدّد أشكال الخطوط وتطورها تبعاً للحالة التاريخية، منظوراً إليها من زاوية الإقتصاد والإجتماع، مُعبّراً عنها ثقافياً في مختلف الفنون، لذلك نعثر، في مجال الخط العربي، على تعدّد هذه الأشكال ورسومها في كل مرحلة، والمخطوطات العربية، الإسلامية تقدّم لنا كل الدلائل.

ولغرض أن يعي الناس شكل الكتابة ورسومها، إسلوباً وفنّاً، فإن مدرسة بغداد قد قُعّدَت القاعدة وأصّلتِ الأصُول على يد عميدها إبن مُقلة، بعد أن وضع «قوانين رسم الحرف» من الناحية الإبداعية، وتجاوز - بهذه الفنيّة - النمطية السائدة في الكتابة عند الورّاقين والكُتّاب، الأمر الذي فرض مع إبن مُقلة تبدّل وظيفة القلم العربي، كما أشرنا سابقاً، وأصبح فنّاً يمارِسُهُ المُبْدِعون.

إذن إستقرار الخط أصبح واضحاً في زمن إبن مُقلة وما تلاه، إذ أن كامل القرن الرابع الهجري وبداية الخامس الهجري، تقُرُّ بالفضل لإبن مقلة، وبذا تكون قاعدة الخط العربي في الكتابة والإبداع، صار ينظر إليها وفق أُصول معرفية على أنها نمط ثقافي مستقل بشخصيته في مجال الكِتابة العربية، شقَّ طريقهُ بإبداع عن منهج الورّاقين في الكتابة والنسخ، وراح يُبرز طائفتَهُ من الكتّاب المُبدعين، وهنا يمكن تمييز شكل الزخرفة العربية التي دخلَ إليها الخط العربي ورفع من شأنها كثيراً، إذْ أصّلَ شخصيتها الإسلامية وهوّيتها الثقافية، باعتبارها فنّاً قائماً بذاته هو الآخر، وهذا فضلُ للقلم العربي. بشكل عام، وفضلٌ متميّز لمدرسة بغداد في الخط العربي، بشكل خاص، وفرادة وعبقرية لإبن مُقلة بدون منازع.

## الفصل الأول

# إبن البواب - على هُدى إبن مُقلة

قُلنا، في الفصول السابقة من الباب الثالث، أن تلاميذ إبن مُقلة ساروا بهُدى سفينة الخط على شراع إبن مُقلة، من حيث أساسيّات الخط المنسوب وقياساته الفنيّة، وذكرنا أبرز هؤلاء التلاميذ، وكان الأبرز الأبرز فيهم هو: إبن البَوّاب.

ترجمته تقول: هو أبو الحسن علي بن هلال المعروف بإبن البَوّاب[1] صاحب الخط المليح والإذهاب الفائق. ينتهي نسبَهُ - بالولاء - إلى معاويّة بن أبي سفيان، مؤسّس الدولة الأموية في الشام (ت 60هـ/ 680م). يقول ياقوت الحموي عن إبن البوّاب: «وجدتُ بخط إبن الشبيه العَلوي الكاتب صاحب الخط الفائق، في آخر ديوان أبي الطمحان القيني بخطّهِ ما صورته: «وكتب في صُفر سنة عشرين وأربعمائة» من خط أبي الحسن علي بن هلال الستري[2] مولى معاوية بن أبي سفيان» ويضيف ياقوت: «أن هذا، يقصد إبن الشبيه، كان بغير شك معاصرهُ»[3].

وهنا أراد ياقوت توكيد صحّة الحادثة.

لم يذكر المؤرخون القُدماء ولا اللآحقون تاريخ ولادته، واختلفوا في تاريخ وفاته، وهذا الإختلاف - بتقديرنا - ناشيء من أخذهم لأقدم رواية ترجمت لَهُ، وهي رواية ياقوت الحموي، والذي أشار إلى أنَّهُ مات - وفق ما يقول الصابيء، في جمادي الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، ودفن بجوار قبر أحمد بن حنبل[4].

وقد أخذ بهذه الرواية كل من الذهبي وابن الجوزي وابن تغري بردي[5].

وسار على منوالهم، في تاريخ وفاته من المعاصرين، كل من: دائرة المعارف

---

(1) إبن الجوزي: المنتظم 8/ 10؛ ووفيات الأعيان 3/ 342؛ وسير أعلام النبلاء 17/ 315؛ ومعجم الأدباء 15/ 120.

(2) الستري: سُمّي به لأنه كان بوّاباً ملازماً للستر، إبن خلكان 3/ 342.

(3) ياقوت الحموي/ معجم الأدباء/ 15/ 121.

(4) معجم الأدباء 15/ 121.

(5) راجع سير أعلام النبلاء 17/ 318؛ والمنتظم 8/ 10؛ والنجوم الزاهرة 4/ 257.

الإسلامية، وسهيلة الجبوري، ومحمد عبد العزيز، ومحمد بهجت الأثري[1]، فيما ذكر إبن خلكان أن وفاته وقعت في سنة 423هـ، وقيل 413هـ، والأول لديه راجح، وهو ما أيّده الزركلي وسُهيل أنور[2].

ونحنُ نرى أن وفاتِه وقعت في عام 423هـ، معتمدين على المصادر الثلاثة الأخيرة، وعلى نصّ ياقوت أعلاه، حيث يُشير إلى أثَرِ إبن البَوّاب في خَطِّهِ لعام 420هـ. إضافة إلى وجود أثرٍ آخر لهُ كان كَتَبَهُ عام 414هـ، مُذيّل بتوقيعَهُ في «نهاية رسالة للجاحظ» كان قد كتبها بيده وأشارت إليها مضانٍ عديدةً، حيث وردت العبارة التالية بخطهِ وهي:

«كَتَبَهُ علي بن هلال، حامداً الله تعالى على نُعَمِهِ، ومُصلّياً على نبيِّهِ محمد وآلِهِ وعترتِهِ ومسلما» وتحتها سنة 414[3].

وقد ورد ذكر هذا التوقيع في مخطوطةٍ بعنوان (رسالة في الكتابة المنسوبة)، لمؤلف مجهول قام بتحقيقها د. خليل محمود عساكر، ونشرها في مجلة معهد المخطوطات العربيّة - المجلّد الأول - الجزء الأول ص 126 - 127، طبعة القاهرة سنة 1374هـ/ 1955م، كما وُجد هذا التوقيع بمتحف تورك وإسلام أثرلي - بغداد - استانبول[4].

وهذا الإمضاء، أو الأثر، لا يقبلهُ الدكتور محمد بهجت الأثري، معتبراً ذلك «تجاوز الثابت المتحقّق من تاريخ وفاة إبن البَوّاب بسنة، فلا جُرم أن هذا المِثال ليس بخط إبن البَوّاب، وإن كان المكتوب إسمُهُ وكان الإسلوب إسلوبه، ويضيف: «والمَعقول أن كاتبَهُ هو تلميذ إبن البَوّاب، كتبَهُ على طريقتهِ، على سبيل المجاراة»[5].

ونحن نرى أن الحرف حرف إبن البَوّاب والإسلوب إسلوبه، كما أن الأثري لم يذكر إسم التلميذ الذي كتبه، ومع ذلك يبقى الأمر مطروح على أساطين الخط المعاصرين لأن يحسموا هذهِ المسألة.

في نشأة إبن البَوّاب الأولى، تُجمع كل المصادر التي ترجمت لَهُ أَنَّهُ كان «مُزوّقاً يصوّر الدور» ثم صَوّر الكتب، ثم تعاطى الكتابة ففاق بها المتقدمين، وأعجز المتأخرين،

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية 1/ 103؛ والخط العربي وتطوره ص 75؛ والعراق مهد الفن الإسلامي ص 42 والخطاط البغدادي - التعليقات - ص 21 - 22.

(2) وفيات الأعيان 3/ 343 - والخطاط البغدادي - ص 7؛ والأعلام 5/ 30 - 31.

(3) سوف نورد «هذا الإمضاء» لإبن البَوّاب في نهاية هذا الفصل.

(4) أنظر: ناجي زين الدين/ مصوّر الخط العربي/ ص 45، مطبوعات المجمع العلمي العراقي بغداد 1388هـ/ 1968م.

(5) أنظر: الخطاط البغدادي/ التعليقات/ ص 86.

وكانت طريقتهِ في التهذيب آية من الحُسنِ حيث كان يُذّهب إذهاباً فائقاً، كما يقول ياقوت[1]. بعبارة معاصرة أنَّهُ كان «مُخرج فنّي للكتب» وهنا نردُّ على الذين يعتبرون الخطّاطين «فئة منفصلة عن الورّاقين» وإبن البَوّاب شاهد حي، أنّه كان يُزوّق ويذهّب الكتب، وهذه المسألة تندرج في عمل الورّاقين.

نعود فنقول أن هذه المهنة (التزويق والتذهيب والتصوير) تُكسب صاحِبُها نظرة جمالية بعيدة، وتُرهف حِسَّهُ الفني، إذ أنَّ مزج الألوان وخلطها، ورسم النقوش وإعطائها أبعاداً هندسية، تجعل بديهيّات العمل الفني حاضرة بالذهن واليد سالكة على الدَربة.

وإذا صادف روحاً شفّافة، خَلَبَتها الطبيعة بجمالها وآسرتها بتجلياتها. وهذه المعكوسات تُخالط رؤية الفنان حالما يقع بَصَرَهُ عليها، فيمزجها بذهنهِ ويُركِّبها بخياله، ويخمِّرها بذاكرته، ووجدانه، وعندما تنضج يسقِطُها على أوراقه أو على قرطاسه، أو على البيوت أو على جلود الكتب، موعزاً إلى أناملهِ بالتحرك لتنفيذ الفكرة.

ويجب أن لا نَنْسَ أن حالة العصر الثقافية والسياسية لعبت دوراً في سقل المواهب. فالمبدع تؤثّر عليه الحالةِ سلباً وإيجاباً، فحيناً يشط، وحيناً يرتقي، حسب تفاعل حالته النفسية. فلقد عاش خَطّاطنا إبن البَوّاب لجّة التناقضات، حيث شَهَدَ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والثلث الأول من القرن الخامس الهجري، فانتقلت بهِ مراتب الحياة من مهنة إلى أخرى. فمن نقاشة الدور وتذهيب الكتب إلى التعامل مع الحرف العربي، ذلك الحرف الذي كانت الآيديولوجيا الإسلامية تَعِدَّهُ الأساس في بناء منظومتها الفكرية، وقد تعامل إبن البَوّاب بالفقه وأمور الدين، فقد عُرفَ عَنه أنه «كان يعظ بجامع المنصور»[2]، وهذا المدخل الديني في حياته قد تزاوج وإبداعَهُ الشخصي في الفَن، وأثّر في وجدانه فيما بعد[3]، وانتبه إبن البَوّاب لهذه الناحية، فوظَّفَ جولاتها الآيديولوجية لخدمة إبداعهُ من جهة، وطَوَّر في جوانبها الفنيّة من جهة ثانية، لذلك عندما انتقل من الفن إلى الكتابة «فاق المتقدمين وأعجز المتأخرين» وهي عبارة جزلة أطلقها عليه المؤرخون، وهي تعني، أيضاً، أنَّهُ لا يُشقّ له غبار، وهذه المسألة تجعَلهُ في تماحكٍ دائم مع صفوة المجتمع وأهل الزمان من الأدباء والكتّاب والساسة، وفي الوقت نفسهِ يُدنيهِ من أروقة قصر الخلافة ودواوين الوزارة، ويجعله ذا حظوةٍ عند الرؤساء والوزراء والأمراء وغيرهم.

فما أن وضع إبن البَوّاب يَدَهُ في مهنة الكتابة والتعاطي مع الحرف العربي، حتى بدأ

---

(1) معجم الأدباء 15/ 121؛ وسير أعلام النبلاء 17/ 316.

(2) معجم الأدباء 15/ 121.

(3) لقد خَطَّ إبن البَوّاب القرآن 64 مرّة وحَفَظَهُ حفظاً.

الإلهام الإبداعي يُطبقُ على فكرهِ من جميع الجهات، فدَرَسَ فنون وآثار مَنْ سبقوه في هذا المضمار، وتَعَلَّم فن الخط عن دراية وتَتَلْمُذ، فقد أخذ الخط عن شيوخِهِ المعاصرين لَهُ، وأوّلهم: محمد بن أسد الكاتب، وكان هذا قد إنتهت إليه صناعة الخط وكمال حُسْنِ الإجادة فيه، كما يقول الذهبي[1]. كما أخذ عن الشيخ محمد السمساني[2].

وقد استطاع إبن البَوّاب بذهِنِهِ الوقّاد أن يخطُوَ بخطِّ النَسْخِ نحو الكمال الفني خطواتٍ واسعة، إذ في عصره بدأ الإهتمام بتجاوز تعقيدات نِسَبِ الحروف بعضُها إلى بعض، وأصبح الجمال الفنّي هدف كل النُسّاخ، وبغية أن تكون هناك ميزةُ لإبن البَوّاب بين معاصريه من شيوخ الخط وتلاميذه، فقد إبتكَرَ نوعاً من الخط عرف «بالخط الريحاني» إمتاز بتداخل حروفه بأوضاع متناسبة لا سيما في الألف واللاّم، فإنهما كانا أشبه ما يكونان بعيدان الريحان ومن هنا جاءت هذه التسمية لهذا الخط[3].

## الفصل الثاني

# كيفَ تتلمذ على طريقة إبن مُقلة؟!

للمصادفة المباركة وقعٌ هام على ذهن المبدع، إذا كان متوحّداً مع إبداعه، فهي/ المصادفة/ قد تسمو بهِ نحو مشارف السؤدد، وتحقّق لَهُ ما لم يتحقّق لغيره، شريطة أن يكون هذا المبدع قد أدرك وجوده الإنساني أولاً، وأهمية إبداعَهُ في هذا الوجود ثانياً، بحيث تصبح هذه الجدلية - بكامل أركانها - مكمِلّة لشخصية المبدع، فمَلَكة الموهبة الكامنة في الذات تسقلها المعرفة، وتشذّبها الدرِبة، وتزيدها التجربة، ويُشَذِّبها التنقيح، ويقّومها النقد، وتُسيّرها النصيحة.

وشيخنا إبن البَوّاب هذا من ذلك الصنف المبدع المدرك لوجوده، يتحدث هو عن نفسه/ عن هذه المصادفة/ التي أدّت به إلى السير في منهاج إبن مُقلة، كما ينقلها ياقوت الحموي[4].

---

(1) سير أعلام النبلاء 17/ 315؛ وإبن خلكان 3/ 342 - 343.

(2) أنظر: الخطّاط البغدادي/ التعليقات/ ص 19، وكذلك محمد طاهر الكردي، / تاريخ الخط العربي وأدبه/ ص 334 - 335، ط 1 - 1358هـ/ 1939م.

(3) د. مرزوق/ العراق مهد الفن الإسلامي/ ص 44.

(4) معجم الأدباء 15/ 122 - 124.

يقول إبن البَوّاب: «كنتُ أتصرّف في خزانة الكتب لبهاء الدولة إبن عضد الدولة (ت 1200م) بشيرازعلى اختياري، وأُراعيها لَهُ، وأمرها مردودٌ إليّ، فرأيت يوماً في جُملة أجزاء منبوذة جُزءاً مجلّداً بأسود، قدر السُكري[1] ففتحتَهُ، وإذا هو جزءٌ من ثلاثين جزءاً من القُرآن بخط أبي علي بن مقلة، فأعجبني وأفردتُهُ، فلم أزل أظفر بجزءٍ بعد جزء، مختلط في جملة الكتب، إلى أن اجتمع تسعة وعشرون جزءاً، وبقي جزء واحدٌ، استغرقت تفتيش الخزانة عليه مُدّة طويلة فلم أظفر بهِ، فعلمت أن المصحَفَ ناقصٌ، فأفردتَهُ ودخلت إلى بهاء الدولة وقلت: يا مولانا، هاهُنا رجلٌ يسأل حاجة قريبة لا كُلفة فيها، وهي مخاطبة أبي علي الموفّق الوزير على معونتهِ في منازعة بينَهُ وبين خصم له، ومعَهُ هديّة ظريفة تصلح لمولانا، قال: أيّ شيء هي؟ قلت: مصحف بخط أبي علي ابن مُقلة. فقال: هاتِهِ وأنا أتقدم بما يريد. فأحضرت الأجزاء، فأخذ منها واحداً وقال: أذكر وكان في الخزانة ما يشبه هذا، وقد ذهب عنّي. قلت: هذا مصحفُكَ، وقصصت عليه القصة في طلبتي له حتى جمعته، إلاّ أنه ينقص جزءاً، وقلت: هكذا يطرح مصحف بخط أبي علي؟ فقال لي: فتمّمهُ. فقلت: السمع والطاعة، ولكن على شريطة أنَّكَ إذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفُهُ تعطيني خلعة ومائة دينار. قال: أفعل. وأخذت المصحف من بين يديه وانصرفت إلى داري، ودخلت الخزانة أقلّب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف، وكان فيها أنواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق، كل ظريف مجيد، فأخذت من الكاغد ما وافقني، وكتبت الجزء، وذهَّبتَهُ، وعتَّقتُ ذهبه، وقلعت جلداً من الأجزاء فجلَّدته بهِ، وجلّدت الذي قلعت منه الجلد وعتَّقتُهُ، ونسي بهاء الدولة المصحف، ومضى على ذلك نحو السنة، فلما كان ذات يوم جرى ذكر أبي علي بن مُقلة، فقال لي: ما كتبت ذلك؟!

قلت: بلى، قال: فاعطنيه، قال: فأحضرت المصحف كاملاً، فلم يَزَل يُقلِّبُهُ جزءاً جزءاً، وهو لا يتوقف على الجزء الذي بخطي، ثم قال لي: أيهما هو الجزء الذي بخطّك؟ قلت له: لا تعرفُهُ فيصغر في عينيك، هذا مصحف كامل بخط أبي علي بن مُقلة، ونكتِمُ سرَّنا. قال: أفعل، وتركتهُ في ربعةٍ عند رأسهِ، ولم يعدهُ إلى الخزانة، وأقمت مطالباً بالخلعةِ والدنانير، وهو يمطلني ويعدني، فلما كان يوماً قلت: يا مولانا في الخزانة بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح، فتعطيني المقطوع منه كُلّه دون الصحيح بالخلعة والدنانير، قال: مُرْ وخذهُ، فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع، فكتبت فيه سنين».

هذه الحادثة، أبرزت أهمية إبن مُقلة كسيِّدٍ للقلم العربي، وشيوع طريقتهِ، والتهافت

(1) نوع من حجوم الورق والكتب.

على اقتناء خطّه والإحتفاظ بهِ، وَدَّلت على الدقّة المعرفيّة والحِرفيّة الفنيّة العالية في رسم الحرف من قبل **إبن البَوّاب**. وهو ما يشير إلى تمكُنِهِ المُطلق من طريقة إبن مُقلة، حِسّاً ورسماً. وهو ما أثبتَهُ إبن البَوّاب من أنَّهُ مبدعٌ بلا جدال، ومُكَمِّلٌ لمجال سابقيه، الذين اعترف لهم بالسِبقِ، وتلك فضيلة لا يقوم بها إلاّ الفُضلاء.

لقد أتْقَنَ إبن البَوّاب منهج أُستاذِهِ إبن مقلة، وسارَ عليه وطَوَّرَهُ وشذَّبهُ، بل وحفظَ طريقة أستاذِهِ وأطالَ في عُمرها، ومن ثُمَّ سيادَتِها بعدَهُ حتى (ق 7هـ)، حيث تَلَقَّفها **ياقوت المُستعصمي**، وأوصلها إلينا - نموذجاً وتراثاً - كمدرسةٍ إبداعيّة مُنفردة في مجال الخط العربي.

## الفصل الثالث

# طريقة إبن البَوّاب في الخط

توقف **إبن خلدون** في الفصل 23 من مُقدّمتهِ المعروفة[1] مع الكتابة والوراقة، مشيراً على أنّها «من أُمّهات الصنائع الشريفة بالموضع» وقد أفرد لها (الفصل 30) من مُقدّمتهِ للخط والكتابة[2]، وقد استعرض في هذا الفصل تطور الخط العربي من أيام الحميريين إلى زمانه القرن الثامن الهجري - الرابع عشرالميلادي/ حيث ولد إبن خلدون في 1332م وتوفي 1406م. وقد توقف عند **المدرسة البغدادية في الخط** واصفاً إيّاها بالقول: «وكانت دار الإسلام - بغداد - مركز الدولة العربية، وكان الخط البغدادي معروف الرسم»[3].

ثم اشار إلى **إبن البَوّاب** بقوله: «وللأستاذ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي الشهير بإبن البَوّاب **قصيدة من البحر البسيط**[4] على روي الراء يذكر فيها صناعة الخط وموادها، لينفع بها من يريد تعلُّم هذه الصناعة»[5].

وهذه الإشارة عن «القصيدة» سقطت من جميع الطبعات العربية التي نشرت «مقدمة

(1) مقدمة إبن خلدون/ ص 405 - منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت - بدون تاريخ.
(2) المقدمة/ ص 417 - 421.
(3) المصدر السابق.
(4) والصواب هي من (البحر الكامل) كما يقول محمد بهجت الأثري، : أنظر: الخطّاط البغدادي/ ص 30 هامش رقم [1].
(5) مقدمة إبن خلدون/ ص 421.

ابن خلدون» باستثناء طبعة «كاترمير» الفرنسية التي أثبتت بقية فصل «الخط والكتابة» في نشرتها للمقدمة[1] ونظراً لأهمية هذه القصيدة في معرفة «تعلُّم فن الخط العربي»، سوف نُثبتها كاملة، للضرورة والإيضاح، تقول القصيدة[2]:

| | |
|---|---|
| يا مَنْ يريدُ إجادة التحرير | ويروم حَسْنَ الخط والتصويرِ |
| إن كان عزمُكَ في الكتابة صادقاً | فارغب إلى مولاكَ في التيسيرِ |
| أعدد من الأقلام كُلَّ مثقفٍ | صلب يصوغ صناعة التحبيرِ |
| وإذا عمدتَ لبريهِ فتوخّهِ | عند القياس بأوسطِ التقديرِ |
| أُنظر إلى طرفيهِ فاجعل بريَهُ | من جانب التدقيق والتحفيرِ |
| واجعل لجُلفَتِهِ قواماً عادلاً | يخلو عن التطويل والتقصيرِ |
| والشَقُّ وسِّطهُ ليبقى بَريَهُ | من جانبيهِ مُشاكل التقديرِ |
| حتى إذا اتقنتَ ذلك كُلَّهُ | إتقانَ طِبٍّ بالمواد خبيرِ |
| فاصرف لرأي القطِّ عزمكَ كُلَّهُ | فالقَطُّ فيهِ جُملة التدبيرِ |
| لا تطمعَنَّ في أن أبوحَ بسرّهِ | إنّي أضُنُّ بسرّهِ المستورِ |
| لكن جملةَ ما أقول بأنَّهُ | ما بين تحريفٍ إلى تدويرِ |
| وأَلِقْ دواتُكَ بادخانٍ مُدبَّراً | بالخَلِّ أو بالحصرمِ المعصورِ |
| وأضف إليهِ مَغرَّةً صَوّلت | مع أصفرِ الزرنيخ والكافورِ |
| حتى إذا خمُرت فاعمد إلى الـ | وَرقِ النقيِّ الناعِمِ المحبورِ |
| فماسِكْهُ بعد القطع بالمعصار كي | ينأى عن التشعيث والتغيُّير |
| ثم اجعل التمثيل دأبك صابراً | ما أدركَ المأمول مثلَ صبورِ |
| ابدأ بهِ اللوّح منتضياً لَهُ | عزماً تجرّدَهُ عن التشميرِ |
| لا تخجلنَ من الرديّ تخُطَّهُ | في أول التمثيل والتسطيرِ |
| فالأمرُ يصعبُ ثم يرجعُ هَيّناً | ولرُبَّ سَهلٍ جاءَ بعد عسيرِ |
| حتّى إذا أدركت ما أمَّلتهُ | أضحيتَ رَبَّ مسرّةٍ وحبورِ |

---

(1) لقد أشار إلى هذا السقط من الطبعات العربية، الأستاذ محمد بهجت الأثري في «تعليقاته» على كتاب «الخطّاط البغدادي» ص 31.

(2) نقلاً عن محمد بهجت الأثري، بتعليقاته على كتاب/ الخطاط البغدادي/ ص 30 - 31. كما أن الأستاذ - محمد طاهر الكردي - أثبت نص القصيدة بكتابه/ تاريخ الخط العربي وآدابه/ ص 428 - 429.

فاشكر إلهكَ واتَّبع رضوانَهُ إن الإلَهَ يجيبُ كُلَّ شكورِ
أرغِبْ لكفِّكَ أن تخُطَّ بنانُها خيراً تخلِّفَهُ بدارِ غرورِ
فجميع فعل المرء يلقاهُ غداً عند التقاء كتابهِ المنشورِ

ومن المؤسف أن شروح هذه القصيدة التعليمية لفن الخط لَمْ يعثرُ عليها، سوى أنَّهُ وردت إشارات في «كشف الظنون»[1] إلى شرحٍ للشيخ بُرهان الدين بن عمر الجعبري، المتوفى سنة 732هـ، والإشارة الثانية وردت في «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون»[2] حول شرح لتلك القصيدة، لشرف الدين محمد بن شريف بن يوسف الكاتب المعروف بابن الوحيد المتوفى سنة 711هـ، ولم يوجد أيَّ شرحٍ لها لحد الآن، كما يقول الأثري[3].

وهذا يعني أنّه قد فات الكثير من الخطّاطين معرفة منهج وإسلوب إبن البوّاب من الناحية الفنيّة، حيث هناك - في القصيدة - وردت إشارات فنيّة تستوجب الشرح والتفصيل، من خلال الممارسة، بمعنى أنّه كان يتوجب على تلاميذ إبن البَوّاب التصدّي لهذه المهمّة الإبداعية بحكم الإختصاص، لأننا رأينا أن المؤرخين وحدَهم هم الذين أشاروا إليها، دون معرفتهم باسرار حرفة القلم. وكنّا نتوقع من إبن خلدون أو القلقشندي أو ياقوت الحموي، التعريج بالشرح على هذه الناحية، باعتبارهم تناولوا في موضوعاتهم الكتابة والخط، بشكل أقرب إلى الإختصاص، لا سيما الأخيرين، ولكنهما لم يفعلا.

## * شرح رائية إبن البَوّاب

كنا أشرنا إلى أهمية هذه «الرائية» بفن الخط العربي، وألمحنا إلى المصادر القديمة والحديثة إلى وجودها، رغم عدم العثورعليها، ولكن كبار الباحثين العرب، لم يقنطوا لليأس في الحصول عليها، وبقيت غَصّة في روحي أن لا أحضَ بهذا النص الرائع، لا سيما بعد أن أصدرت كتابي «خطّاطو بغداد في العصر العباسي»[4] وأنا أعلم أن ترجمة إبن البواب، بقيت ناقصة، لعدم وجود شرح لرائيته الفريدة، لا سيما وأنا أتنقّل بمنفاي من بلدٍ

(1) كشف الظنون 2/ 1329.
(2) كشف الظنون 2/ 1339 - وانظر أيضاً/ تعليقات/ الأثري على كتاب/ الخطاط البغدادي/ ص 31.
(3) الخطاط البغدادي/ التعليقات/ ص 30.
(4) صدر كتابي أعلاه، عن دار النمير بدمشق عام 1996م، وكنت وقتها في موسكو أواصل دراستي العليا.

إلى بلدٍ، وقلق الخط العربي، يرافقني في حِلّي وترحالي، وسمعت بأن مجلة المورد العراقية كانت قد أصدرت عدداً خاصاً بالخط العربي هو/ العدد الرابع - المجلد 15، سنة 1407هـ/ 1986م/ ومنذ العام 1996م، وحتى نهاية عام 2006م حتى حضيت بالعدد المذكور، ليسَ في بلدٍ عربي، بل في بلدٍ أجنبي (الولايات المتحدة الأمريكية) وطلبت من أحد الأصدقاء هناك، فعثر عليه، وصوّرهُ لي كاملاً، ووصلني في منتصف ديسمبر 2006، بعد أن أنهيت - تقريباً ج4 من الموسوعة - والخاص بالخطّاطين حتى عثرتُ على شرح تلك الرائية الخالدة لإبن البوّاب، من قبل **إبن الوحيد وإبن بصيص**، وبتحقيق أحد أبرز المحقّقين العرب الأستاذ **هلال ناجي**، فغمرني الفرح وانحنيت إجلالاً للمحقّق المذكور، لما قام به من دقّة وعناية فائقة في النص، ليس في هذا النصّ وحدهُ، بل في عدة نصوص، قام بتحقيقها - بنفس العدد المذكور من المجلة، تحت عنوان «**نصوص في الخط العربي**»[1].

وهي خمسة نصوص فريدة وهامة جداً للباحثين في أصول الحرف العربي، أفادتني كثيراً وسوف، أشير إليها، وفق مقتضى السياق البحثي، أمّا في هذا المقام، فسوف أورد النص المحقّق كاملاً، حول رائيةِ إبن البوّاب، والمنشور في مجلة المورد (العدد المذكور)[2] ص 263 - ص 270. إتماماً للفائدة أولاً، وثانياً، هو وثيقة هامة، تبرز أهمية العقل الإبداعي، بتلك الفترة، من ناحية، ومن ناحية ثانية، تشير إلى مدى التأثير الفني الواضح لدى تلاميذ إبن البوّاب، وسحب هذا التأثير على الوسط الثقافي برمّته، ليس فقط في عصره، بل وفي العصور التي تَلتهُ، وهذا الأمر يؤشّر بجلاء ووضوح على الرؤية الجمالية للوعي العربي في تلك الفترة، والآن إليكم النص المحقّق:

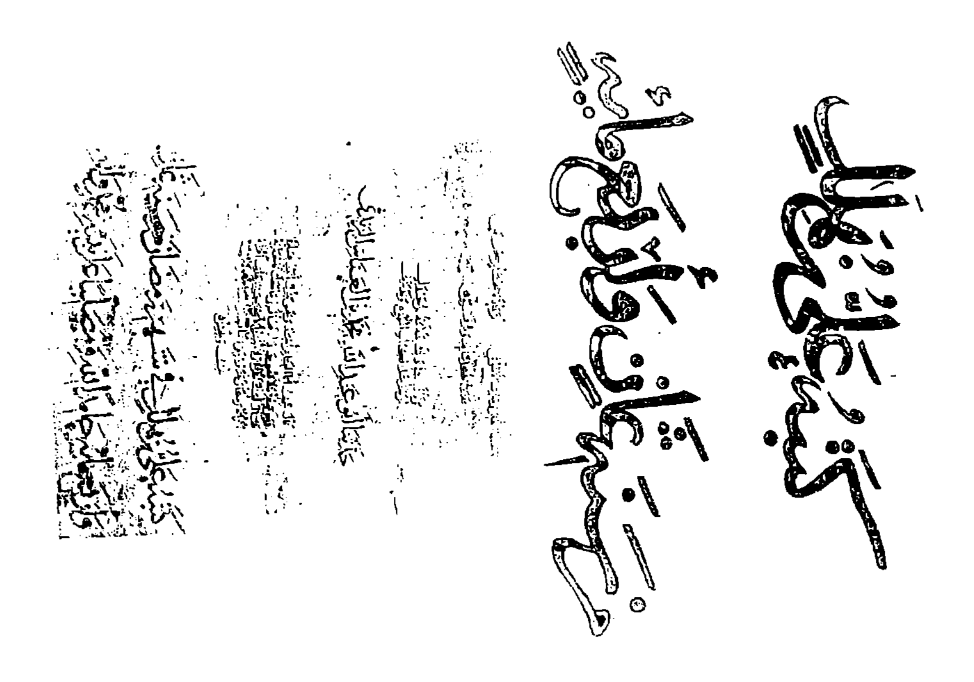
---

(1) وردت هذه النصوص الخمسة، في العدد 4 - من مجلة المورد المذكورة - ص 157 وص 270.

(2) النص ومقدماته الهامة، بشرح المحقّق - في العدد المذكور أعلاه - من مجلة المورد - يبدأ ص 259 - وص 270 وقد أخذنا النص المحقق فقط.




نموذج من خط ابن البواب سنة ٤١١هـ
وهي نهاية رسالة لأبي عثمان عمر بن بحر الحافظ






شكل ٣٢٥ (ج) ـ كتابة الصفحة الثانية لقلم الطومار كتبت بطريقة ابن البواب علي بن هلال «هلل» (متحف طوپقپو سراي خزانة قصر بغداد رقم ٧٠) قياسها ٣٢×٢٢ وهي من خزانة جنبلاط الملكي الاشرفي بمصر.



شكل ٣٢٥ (ب) نموذج كتابة بسملة بخط الطومار بطريقة الاستاذ ابن البواب علي بن هلال قياسها ٣٢×٢٢ (متحف طوپقپو سراي ، خزانة قصر بغداد رقم ٧٠) اصلها من خزانة جنبلاط الملكي الاشرفي بمصر

**المصدر: ناجي زين الدين - مصوّر الخط العربي / ص ٩٧**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# رسالة في علم القلم والحبر والكتابة والورق

## تصنيف الشيخ أبي الحسن علي بن هلال

## الكاتب البغدادي المعروف بابن البواب

وجمعت شروحها من شرح ابن بصيص ومن شرح ابن وحيد والله أعلم بالصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين هذا شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة[1].

قال الشيخ أبو الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي الشهير بابن البوّاب - رحمه الله:

**يـا مَـنْ يـرومُ إجـادةَ الـتـحـريـرِ ويـريـدُ حُـسْـنَ الـخَـطِّ والـتـصـويـرِ**

[قال ابن الوحيد] قوله: يا من يروم، وفي رواية يامن يريد، والمعنى التقديم والتأخير.

وقوله، إجادة التحرير: يعني إجادة تحرير الكتابة.

قوله، والتصوير: معناه تصوير الخط وهو الهام من كل صناعة وغايتها تشبيه فعل الطبيعة فيجب أن تكون كل كلمة كالصورة متناسبة الأعضاء.

[قال ابن بصيص]: وهو ينقسم إلى أربعة أقسام: أوضاع، ومناسبة، ومقادير، وبياضات.

فالأوضاع: التي وضعها الشيخ رحمه الله. والمناسبة أن تكون كلها بنسبه. والمقادير التي لا تزيد ألفها على لامها وهي التي تكون بين الألف واللام بياضاً متساوياً. وسائر الشطر بياضه متساوٍ. وقوله: يروم دليل على أنه لا يحصل له حتى يقصده بقلبه.

**إنْ كـانَ عَـزْمُـكَ فـي الـكـتـابـة صادقاً فارغبْ إلى مولاك في التَّيْسيرِ**
**اعْـدِدْ مـن الأقـلام كُـلَّ مُـثَـقَّـفٍ صلْبٍ[2] يصوغ صياغةَ التَحبيرِ**

---

(1) عبارة (هذا شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة) كانت بعد عبارة - رحمه الله تعالى - وهذا من سهو الناسخ فيما أظن، فأعدتها إلى موضعها الذي به يستقيم السياق.

(2) في الأصل المخطوط (هش) وهو من وهم الناسخ فالتجربة تدحضه، والتصويب عن شرح ابن الوحيد بتحقيقنا.

[قال ابن الوحيد]: قوله أغْدِدْ فيه إشارة إلى تفضيل الأقلام العتيقة المختزنة على الحديثة العهد بالقطع، وتحريض على تعتيقها.

ومُثقف مُقَوَّمٌ، وهو مُشتَق من الثِقاف وهي الخشبة التي تُقَوَّمُ منها الرماح والسهام، ويُروى «مُثَقَّفٍ هَشّ ﴿ والتجربة تخالفها، لأن القلم الرِخو يضطرك إلى تقصير جِلْفَتِهِ ويَحْفى سريعاً.

«ويصوغ استعارة.

«التحبير»: النقش من الحبرة.

وإذا عَمَدْتَ لِبَرْيِهِ فَتَوَخَّهِ عند القياس بأوسط التقدير

[قال ابن الوحيد]: يعني متوسّطاً في طُوله وقِصَرِهِ وثخانته ورقّتِهِ، إلا أن تبري للطومار فتستغلظه وبالضدّ.

انظر إلى طَرَفَيْهِ واجْعَلْ بَرْيَهُ مِنْ جانبِ التدقيقِ والتَخصيرِ

(177 ب)

[قال ابن الوحيد]: يعني أن البَرْيَ يجب أن يكون من رأس الانبوبة فإنَّهُ أَصْلَبُ أجزائها لأن رطوبته قد جَفَّتْ بسبب انكشاف قشرها عنه ودوام قرع الشمس له، ولذلك صار رأس الأنبوبة أدق لتلزُّزِهِ، وقد بَيَّنْت أنّ صلابةَ القلم مطلوبة، ورأسُ الأنبوبة أَصْلُها.

واجْعَلْ لجِلْفَتِهِ قَواماً عادلاً يخلو من التطويل والتقصيرِ

[قال ابن الوحيد] لكُلِّ قَصَبَةٍ جلفة بحسب صلابتها، فالصُلْبَةُ تُطَوَّلُ، وحَدُّها أن لا تأخذ في الخطّ ولا تُعطي فتختلف ثخانةُ الكتابة.

[قال ابن بصيص]: وينبغي أن تضع القلم على الأرض فيتدحرج ثم يقف، فابْرِ منه الموضع الذي وقف عليه فإنّ البَرْيَةَ لا تجيءُ مفتولةً، والله أعلم.

وكذلكَ شحمته اعْتِدْ تَوْسِيطَها لتكون بين النقصِ والتوفيرِ

الشَحْمَة إذا عَظَمَتْ سَترَتْ الفركات وإذا قَلّت جَصّتْ رطوبة الكتابة.

فإنْ كان القلمُ مُحَرَّفاً رَقَّتْ منتصباتها رقَّةً تُنافِرُ بها ثخانَةَ منسطحاتها وفَحَشَت بها الفركات، والمُدَوَّرُ ثخن به المنتصبات.

[قال ابن بصيص]: والشحمة في صدر القلم إذا وسع [كذا] على الورق في فتحته، فمنهم من يأخذها، ومنهم من يجعلها بارزة، ومنهم من يقصد بها التوسط، وهو اختيار الشيخ رحمه الله.

والشَـقَّ وسّـطْـهُ لِـيـبْـقـى حِـبْـرُهُ مـن جـانِـبَـيْـهِ مُـشـاكِـلَ الـتـقـديـر

[قال ابن الوحيد]: توسَّط شَقَّهُ القلم لينزل الحبر في وسط الخط، ولئلا يضعف أحد شِقَّيْ القلم فتفسدَ الكتابةُ، لكن إنْ عَظِمَ السِنُّ الأيمن قليلاً لم يَضُر:

حـتّـى إذا أحـكـمـتَ ذلـك كُـلَّـهُ إحْـكـامَ طَـبٍّ بـالـمـراد خـبـيـرِ

[قال ابن الوحيد]: الطَبُّ بفتح الطاء والطبيب بمعنى، مثل اللُبِّ واللبيب.

والشيخ يحض على التحرير.

فـاصْـرِفْ لـشـأن الـقَـطِّ عَـزْمَـكَ كُـلَّـهُ فـالـقَـطُّ فـيـه جُـمـلَـةُ الـتـدبـيـرِ

أول ما شرع في البري، وتقدم الكلام فيها، ثم شرع في القطّ ليكون علتها ويقول: اصرف إليها همتك وكليّتك.

[قال ابن الوحيد] لأن النحت في القلم والشق لا يباشر أحدهُما (178آ) الخطَّ بنفسه. والقَطَّةُ هي التي تصوِّر الكتابة بذاتها فمتى زاغتْ شفرةُ السكين عن الهيئة التي يجب أن تكون عليها عند وقعها على القطّة مقدارَ رُبْعَ شعرةٍ أفسدت القطة فلا تَصُحَ الكتابةُ، فلذلك يجب أن تصرف إليها صادقَ العناية والعزم.

[قال ابن بصيص]: وصِفَتُها أنْ تأخذ قصبةً يابسةً صُلبَةً وتضع السكين على البرية فوق القصبة فتحزّ فيها حَزّاً مستقيماً ويطلع لها حِسٌ قويٌّ. فإذا كانت القطَّةُ حادّةً تجيءُ الكتابةُ صافيةً، وإن كانت غير حادة تجيء الكتابةُ شعثة. والقطّةُ عليها العَمَلُ عند سائر الكتبة، ومن عرفَ القطّة عرف الكتابة، والله أعلم.

لا تَـطْـمَـعَـنْ فـي أنْ أبـوحَ بـذكـرِهِ إنّـي أضِـنُّ بِـسـرِّه الـمـسـتـورِ

[قال ابن الوحيد]: إنّما بخلَ الشيخُ بالتصريح به حتى لا يعرفه إلا مرتاضٌ في فكِّ رموزِ الحكمة على عادة الحكماء في صيانة أسرارهم بالرمز عن الجُهَال.

لـكـنَّ جُـمْـلَـةَ مـا أقـول بـأنّـه مـا بـيـنَ تـحـريـفٍ إلـى تـدويـرِ

قال ابن الوحيد: رمَزَ عن القطَّةِ في هذا البيت لما عانى في تَعَرفها من الشدَّة، ولأنَّ الهمَمَ كانت في طلب الفضائل عاليةٌ في زمانه، ولأنَّ جدوى هذه الصناعة كانت عظيمة، فَرَمَزَ السببَ في اتقانها بقوله: «ما بين» ولما غَيَّر الهِمَمْ في بلوغ الغاية من هذه الصناعة، رأيتُ كشفَ رمزه واجباً وهو أنه قال جملةً فَتَحْتَهَا تفصيل والمعنى: أنَّ لكل قَلَم مُسَمّى كالمحقق والنسخ قَطّةً تَخُصُّه، فقطّة الريحانِ أشَدَهَا تحريفاً، ثم تقل حتى تكون قطَّة الرقاع أقَلَّها، فصارت أنواعاً من التحريف إلى التدوير.

**فـابـذل لَـه مـنـكَ اجـتـهـاداً كـافـيـاً فَـعـسـاكَ تَـظْـفَـرُ مـنـه بـالـمـأثـورِ**

[قال ابن الوحيد]: قال الشيخ ﷺ يَحُضُّ على مزاولة القط بالنقل، فأنا لنقلي من جيّد قَطْعهِ الأقلامَ كلَّها وقياسي على قطّاتِهِ المختلفة، صَحَّتْ لي بطول التجربة (178 ب).

**وأَلِـقْ دواتَـكَ بـالـدُّخـانِ مُـدَبِّـراً بـالـخَلِّ أو بـالـحِصْـرم الـمـعـصـورِ**

[قال ابن الوحيد]: اختار الدخان لنعومته وتطويسه، واختار العصارتين لغلظهما وقبضهما وبعدهما عن الفساد، وأنا أرى أن المركب على البارد خيرٌ منه وهو نسخة السمعاني: جزء عفص ونصف جزء صمغ وربع جزء زاج، يُطحن ويدعك بماء الجُلَّنار في الهاون أيّاماً حتى يتحد ويصفىّ ويُلقى عليه من الشبِّ والملح الاندراني والزنجار والصبر لكل رطلٍ منها نصف أوقية، ويوضع في الشمس اسبوعين لا ينمحي.

قال ابن البصيص: ينبغي أن تكون الليقة من حرير مغسولة بالصابون منشّفة تنشيفاً جيداً، ثم تأخذ الحبر العال المُطوّس وتُلقيه على الليقة وتحركها. والحبر يُستخرج من الحوائج المذكورة وهي صبر سقطرى ودرهم زعفران جيد وثلاثة دراهم زنجار بلا حد (كذا) وثلاثة دراهم ملح اندراني، تُدَقَ هذه الحوائج كُلّ واحدٍ بمفرده ويداخل العفص الأخضر صحيحاً سالماً من كلّ عيب ويدق ناعماً ثلاثاً وأربعاً والوزن ثلاث أواق وينقع ثلاثة أيام مع شيء من ورق الآس ويخلى إلى أن يذهب ثلثه ويصفى من الرابعة على الحوائج المذكورة ويترك سبعة أيام ثم يؤخذ من زيت الكتان ويجعله مكان الصمغ فإنَّه يُعطيه سواداً زائداً ويجعل معه زاجاً قبرصياً خالصاً ليقوى سواده وتطويسُه، وإذا فرغ من ذلك غمره بالليقة الحرير المغسولة نظيفاً، فإذا انغمر في الليقة واستقرت به في الدواة ورأى الكاتبُ قوامهُ مختلاً غمره بالخلّ أو بالحصرم المعصور ويضاف إليه المغرة المُصَوَلة والزرنيخ مع الكافور ليزداد إشراقاً، وهو معنى قوله «وأضف إليه مغرةً قد صُوِّلت».

**وأضِـفْ إلـيـه مـغـرةً قـد صُـوِّلـت مع أصفر الزرنيخ والكافور (179أ)**

[قال ابن الوحيد]: يعني المغرةَ العراقية وهي تكسوه حمرةً وتجعل له جسماً على القلم فتزيد معنى الرطوبة، والزرنيخ يُحَسِّنُ لونَهُ ويمنعُ الذبابَ ويميتَهُ، والكافور يَحْفَظُهُ من الفساد ويُطَيِّبُهُ.

**حتـى إذا خَـمَّـرْتَـهـا فـاعـمـد إلـى الـ ورقِ الـنـقـيّ الـنـاعـم الـمـخـبـور**

[قال ابن البصيص]: أي إذا خمرّتَ دواتكَ وبريتَ قلمك فاعمد وخذ الورق الجسيم الناعم.

[قال ابن الوحيد]: المخبور في قوله للصقال، وأنْ لا يتقطع فيه الخطُّ، وأن يطيب فيه مَشْيُ القلم ولا يَتَقَصَّف بعد القطع.

فاكْبِسْهُ بَعْدَ القَطْعِ في المعصارِ كَيْ يَـنْـأى عـن الـتـشـعـيـث والـتـغـبـيـرِ

[قالا] إذا كُبِسَ بعد القطع والبخُّ الناعم زال منه التشعيب والتشعيث أي بالعروق والوبر ولم تتغيرَ مائيَّتُهُ وصقالهُ.

[قال ابن البصيص] وقد قال [الشاعر]:

تَـخَـيَّـرْ ثـلاثـاً واعـتـمـدهـا فـإنَّـهـا عـلـى بـهـجـة الخـطِّ الـمـلـيـحِ تُـعـيـنُ
مِـداداً وطـرسـاً مُـحْـكـمـاً ويـراعـةً إذا اجـتـمـعـتْ قَـرَّتْ بـهـنَّ عـيـونُ
ثُـمَّ اجْـعَـلِ الـتـمـثـيـلَ دأبـكَ صـابـراً مـا أدركَ الـمـأمـولَ مِـثْـلَ صَـبـورِ

[قال ابن الوحيد]: «التمثيلُ» التجويدُ على مثالٍ وتمثيله في أوراق كثيرة مراراً قبل وضعه في المبيّضة لتجسر عليه.

إيــدأ بــه فــي الــلــوح أوّل مــرّةٍ فـكـذاك فـعـل الـمـاجـدِ الـنـحـريـرِ

[قال ابن بصيص]: أمر الشيخ ﷺ بمراقبة المثال الذي يُمَثِّله الشيخ المبتدىء ليلاً ونهاراً ينظر فيه حتى ينال بعضه، وجعل الصبر هو الأصل وإذا لم يصبر لم يدرك قصده، ثم أمره أن يبدأ به في اللوح في أوّل ما يكتب ليسهل عليه لأنّه يمكنه أن يمحو فيه كلما جاء غير مناسب، ولا يبدأ به إلا في قلم المحقق والأشعار لأنّه أقرب إلى التحقيق، وقال أوّل مرة ولم يأمر إلا مرة واحدة وهي البداية «فكذاك فِعْلُ الماجد» الذكي الألمعي.

[قال ابن الوحيد]: هذا الكلام للمنتهي، ويدل على ذلك البيت الآتي:

ثـم انـتـقـلَ لـلـدَرْجِ مُـنْـتَـضـيـاً لَـهُ عَـزْ مـا تـجـدُّدُهُ مـن الـتـشـمـيـر

[قال ابن بصيص]: أمر الشيخ بعد اللوح أن ينتصب للكتابة، والانتصاب أن (179ب) يكون قعوده على ركبةٍ ونصف ويأخذ القلم ويضع الكتابة في الدرج والدرج هو الورق المنسوب للكتابة والمبيضات على الشيخ وينقله بخطه.

[قال الجامع]: وأظنُّه تَصَحَّفَ عليه قولُ الشيخِ «مُنْتَضياً له» بالضاد المعجمة والياء المثناة تحت.

[قال ابن الوحيد]: هذا للكاتب المنتهي لا يضع سطراً فيما يُبَيِّضه حتى يبدأ به فيما يبطله ليتخيَّرَ وَضعَهُ.

وابْسط يمينكَ بالكتابة مُقْدِماً ما أدركَ المطلوبَ مثلُ جَسُورِ

[قال ابن بصيص]: وابسط يمينك بالإقدام وهو الهجوم على الشيء والدخول فيه من غير فزعٍ ولا مَلَلٍ فإنَّ الجسارةَ مطلوبة في كل شيءٍ وللدخول فيه.

[قال ابن الوحيد]: أقول إنَّ تَهَيُّبَ القلبِ لوضع الكتابة سَبَبٌ عظيمٌ لضعفها واضطرابها، وأكثر الناس يخاف أن لا تأتي على مراده فتختلَّ يده لجُبْنِهِ.

لا تخجلنَّ من الرديءِ تَخُطُّه في أوّل التمثيل والتصويرِ

[قال ابن الوحيد]: الجاهل الضعيف يستحي أن يرى الناسُ نَقْصَهُ في ابتداءِ تعلمه للفن، فيمتنع من التعلّم لِكِبْرِه وغباوته فيبقى جاهلاً طول حياته.

والأمرُ يَصْعُبُ ثم يَرْجِع هَيِّناً ولَرُبَّ سَهْلٍ جاءَ بعد عسيرِ

[قال ابن الوحيد]: هذا البيت يُحذِّر الطالب عند استبطائه وضجره من القنوط، ويُبَشِّر الصابرَ بنيلِ المطلوب.

فإذا بَلَغْتَ مُناكَ فيما رَمْتَهُ وغدوتَ حِلْفَ مَسَرَّةٍ وحُبورِ

[قال ابن بصيص]: أي إذا أدركتَ ملأً في الكتابة وأقسامها فتنقسم إلى أقسام فمن ذلك ما ينقسم إلى أصلين، الأول: قلم المحقق وهو أول ما يبدأ به ذلك لتحقيق حروفه وهو أن تكون واوه مفتوحة وكذلك تاؤه وميمه[1] وحروفه تحققت، ومنه يستخرج قلم الريحاني والنسخ هو الذي تكتب به الأحاديث النبوية - على قائلها أفضل الصلاة وأتمّ السلام - وكتب الفقه وكتب النحو وكتب اللغة وغيرها.

والأصلُ الثاني: هو القلم الثلث، وهو أصل الكتابة المنسوبة ومتى أتْقَنَهُ الكاتبُ أتقنَ جميعَ حروفِ الكتابة، ومنهُ تفرعت (180 آ) الأقلامُ، وفرعه يستخرج منه وهو قلم التوقيعات الذي يكتب به المباشر والتواقيع عن السلطان، ومن التوقيعات يستخرج منه فرعه وهو قلم الرقاع وهو الذي تكتب به المراسلات في ديوان الانشاء وكتاب الشرط.

[قال ابن بصيص]: ثم أن الشيخ والدي ﷺ نظر إلى الأصل الأول وهو قلم المحقق وإلى الأصل الثاني وهو قلم الثلث فجمَعَهُما فامتزجا فسمّاه الأشعار وهو القلم السابع. ومنهم من يُسميَه المؤنّق، وسُل ﷺ متى يستحق الخط أن يوصف بالحسن؟ فقال: «إذا اعتدلت أقسامهُ وصحَّت أَلِفُهُ ولامُهُ، وأشرق قرطاسُه، ولم تختلف أجناسُه، وضاهى صعوده حدوره، ولم تشبه راءَه نونه».

(1) كلمة غير مقروءة.

فالمحقق هو الذي تحققت حروفه، والتوقيع الذي تداخلت حروفه وتعلقت خلاف المطلق ينظر إلى المحقق ليس هو برطوبة محضة يستدعي ما يستدعيه من التعليق ولا يباسة محضة فيحتاج إلى التحقيق.

[قال ابن الوحيد]، وقوله الحلف والحليف: المُلازم، واصله أنّ العرب كان المستضعف منها يخاف أن يتخطّفه الناس فيأوي إلى القوي بعد أن يحالفه، والحبور: المسرّة.

واشكر إلهكَ واتّبعْ رضوانَهُ　　　إنّ الإلهَ يُحِبُّ كُلَّ شكورِ

[قال ابن الوحيد]: الشكر: التحدّث بالنعمة، ومتابعة رضوانه: تحرِّي طاعته فيما يحبُّه منك.

وارغبْ لنفسك أن تخطّ بَنانُها　　　خيراً تُخَلِّفُهُ بدارِ غُرورِ

[قال ابن الوحيد]: ثم أمر بالرغبة وهي الطلب أن لا تكتب يدك شيئاً يسخط الله تعالى عليك لعَرَض الدنيا فهي غرارة، ثم قال:

فجميعُ فعلِ المرءِ يلقاهُ غداً　　　عند التقاءِ كتابه المنشورِ

[قال ابن بصيص]: واعلم بأن الكتابة حجة على الإنسان في الأخرى وحجة له، يرحمه الله تعالى بها في الدار الآخرة.

والله أعلم بالصواب (180 ب).

## الفصل الرابع

# حياة إبن البوّاب الإجتماعية

لم تتحدث المصادر التاريخية والأدبية التي ترجمت لهُ عن بعض التفاصيل في عُمق حياته الإجتماعية. وعلى ما يبدو، أنَّ منهج القُدماء لم يكن يهتم بهذا الجانب، لا سيما لأناسٍ لم يتبوّؤا مكانة مرموقة في الحياة السياسية كالوزير والأمير، فما بالُكَ بإنسانٍ كان أبوهُ «حاجباً عند الأمراء» هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنَّ إبن البَوّاب لم تكن «النجومية» تعنيه بشيء، نظراً لواقعهِ الاجتماعي، ومنشئَهُ الطبقي، فهو - كما أسلفنا - كان مزوّقاً للدور، الأمر الذي يعكس التواضع في مسلكيته، لذلك كان الجانب الإجتماعي في

حياتهِ غير واضحٍ في كتب التراجم والتواريخ التي اهتمّت بهِ، لكن الأضواء سُلِّطت على إبداعهِ الفنّي في الخط، فلم يستطع أيُّ مؤرّخٍ أن يتجاوز هذه الناحية في حياته، بل هي كانت الأبرز والأثبت والأبقى في كل المصادر، ومع ذلك ظهرت هُنا وهناك، بعض جوانب حياته الإجتماعية، لا سيما عند المؤرخين أصحاب الظُرفِ والظُرفة في كتاباتهم من أمثال إبن الجوزي وياقوت الحموي وإبن خلكان، فقد أشار إبن الجوزي في «المنتظم» إلى أنَّهُ كان يَقصُّ بجامع المدينة، وأن أبا الحسن البُتّي دخل دار فخر المُلك أبي غالب، الوزير البويهي الذي كان يشتغل فوجد إبن البَوّاب جالساً في عتبة الباب، ينتظر الإذنَ، فقال لَهُ البُتي مُمازِحاً: «جلوس الأستاذ في العَتَبْ رعايةٌ للنسب» وهي إشارة إلى أن أبيه كان بَوّاباً، فَغَضَبَ إبن البَوّاب وقال: لو أنَّ لي أمراً ما مكَّنتُكَ من دخول هذهِ الدار. فقال البُتي: لا يترك الأستاذ صفة الوالد بحال»[1].

أنظر إلى شكل المُمازحة والظرفة فيها، الأمر الذي يُظهر أن حياة أهل تلك القرون كانت مولعة بالدعابة والظُرف، وهو جزء واضح وهام في حياتهم، فما استثنوا أحداً من العَبَثِ أو التماجن فيهِ أو بحسبه ونسبه، لذلك لم ينجُ إبن البَوّاب من ألسنتهم، فقد هجاهُ أحد الشعراء مُداعباً بتلك الأبيات[2].

ماذا رأيتم من النُساخِ مُتحيِّزاً سِبال لُصٍّ على عثنون محتال[3].

هذا وأنتَ ابن البَوّاب وذو عَدَمٍ فكيف لو كنت رَبَّ الدار والمال؟!

وينصفُهُ إبن خلكان بقَولِه: «والكل معترفٌ لأبي الحسن بالتفرّدِ وعلى منوالهِ ينسجون، وليسَ فيهم مَنْ يلحق شأوه ولا يدَّعي ذلك، مع أنَّ الخَلقِ مَنْ يدّعي ما ليسَ فيه، ومع هذا فما رأينا ولا سمعنا أن أحداً إدّعى ذلك، بل الجميع أقرّوا لَهُ بالسابقة وعدم المشاركة»[4].

كما عَدّهُ الذهبي ضمن الأوائل في العرب[5] وتحدث عنه ياقوت بموضوعية ناقلاً ما قيل فيه وفي أدَبِهِ المنظوم والمنثور، يقول: «كان إبن البوّاب يقولُ شعراً ليّناً» ويضيف: «نقلتُهُ من خط الجويني، ونقلت من خطّه أيضاً، في ضمن رسالة منه قوله[6]:

«وَلو أنّي أُهديت ما هو فرضٌ للرئيس الأجل من أمثالي

(1) ياقوت الحموي/ معجم الأدباء/ 15/ 125.

(2) المصدر السابق - نفس المكان.

(3) العثنون = اللحية.

(4) وفيات الأعيان 3/ 342.

(5) سير أعلام النبلاء 17/ 319 - 320.

(6) معجم الأدباء 15/ 125 - 127.

| | |
|---|---|
| لـنـظـمـت الـنـجـوم عـقـداً إذا رَصَّـ | عَ غـيـري جـواهـراً بـلالـي |
| ثـم أهـديـتـهـا إلـيـه وأقـرَرْ | تَ بـعـجـزي فـي الـقـولِ والأفـعـالِ |
| غـيـر أنـي رأيـت قـدرك يَـعـلـو | عـن نـظـيـرٍ ومَـشَـبَّـهٌ ومِـثـالِ |
| فـتـفـاءلـتُ فـي الـهـديـة بـالأقـ | ـلام عـلـمـاً مـنـي بـصـدقِ الـفـال |
| فـاعـتـقـدهـا مـفـاتـيـح الـشـرق والـغـر | بِ سـريـعـاً والـسـهـل والأجـبـالِ |
| فـهـي تـعـتـن إن جـريـتَ عـلـى الـقـر | طـاس بـيـن الأرزاق والآجـالِ |
| فـاخـتـبـرهـا مـوقّـعـاً بـرسـوم الـ | ـبـرّ والـمـكـرمـات والأفـضـالِ |
| واحـظ بـالـمـهـرجـان وأبـلُ جـديـد الـد | هـرِ فـي نـعـمـةٍ بـغـيـرِ زوالِ |
| وابـقِ لـلـمـجـد صـاعـدَ الـجـدّ عـزّاً | والـرئـيـس الأجـل نـجـم الـمـعـالـي |
| فـي سـرورٍ وغـبـطـةٍ تـدع الـسـمـا | سَـدَّ مـنـهـا مـقـطّـع الأوصـالِ |
| عَـضَّـدتـهـا الـسُّـعـودُ واسـتـوطـن الإقـ | ـبـال فـيـهـا وسـالـمـتـهـا الـلـيّـالـي |
| أيـهـا الـمـاجـد الـكـريـم الـذي يـبـ | ـدأ بـالـعـارفـات قـبـل الـسـؤالِ |
| إنَّ آلاءكَ الـجـزيـلـة عـنـدي | شـرعـت لـي طـريـقـةً فـي الـمـقـالِ |
| أمـنـتـنـي لـديـكَ هـجـنـةُ الـرَّ | دِّ وفـرط الإضـجـار والإمـلالِ |
| وحـقـوق الـعـبـيـد عـلـى الـسـ | ـادة فـي كـل مـوسـم لـلـمـعـالـي |
| وحَـيـاة الـثـنـاء تـبـقـي عـلـى الـدهـ | ـر إذا مـا انـقـضـت حـيـاةُ الـمـالِ» |

هذه الأبيات الشعريّة، عَبَّر بها إبن البوّاب لشخصٍ أهداه «مجموعة أقلام» واراد أن يعبِّر لمُهديها عن جليل قدره لمثل هذه الهديّة النفيسة، والعِبرة ليسَ في القصيدة، بل في خطِّ كاتبها، فهي أثرٌ فنيّ لا يتجاوزَهُ أيُّ أثرٍ في هذا المضمار، فتلك قطعة نادرة في الخط العربي، وهو ما التفتَ إليه الجويني، ناقل هذا الخبر والشعر، حيث قد سَطَّر تحت هذه القصيدة العبارة التالية: «شعر ابن البوّاب، وهو عورة سترها ذلك الخط، ولولا أنَّ الإجماع واقعٌ في أنَّ الرجل يُفتَن بشعرهِ ووُلده لكان صاحب تلك الفضيلة يرتفع عن هذه النقيصة»[1].

والجويني، هو تلميذهُ، كما يقول ياقوت[2] تتبَّع أثرهُ الأدبي والفنّي، واحتفظ بأغلب كتاباتهِ الأدبية والفنيّة، ونقلها مَعَهُ إلى الديار المصرية.

(1) معجم الأدباء 15/ 127.
(2) المصدر السابق - والجويني هو «حسن بن علي الجويني».

أمّا كبار الأدباء والمفكرين المعاصرين لَهُ، فقد أثنوا عليه مُشيدين بفضلهِ وحُسْنِ «قَلَمَه» متخذينَهُ مثلاً، نظراً لما شاع عنه في جودة هذه الصناعة، فهذا أبو العلاء المعري «363هـ - 449هـ/ 973 - 1057م» يذكرَهُ في ديوانهِ «سَقطُ الزند» بقولهِ[1].

«ولاح هِلالٌ مثلَ نونٍ أجادها يجاري النُّضار الكاتب ابن هلال»

ولو لم يكن إبن البوّاب قد ملأ صيتُه الدنيا لما تعرّض لهُ أبوالعلاء في ديوانه «سقط الزند» ومن هذه الزاوية يستفيد ياقوت الحموي في ذكر أبيات هذه القصيدة، ترنُّماً وإعجاباً بالشخص - المعرّي وابن البوّاب فيورد خمسة أبيات من أجملها، وهي كلّها جميلة، يقول[2]:

«طربتُ لضوءِ البارقِ المُتعالي ببغدادَ وهناً ما لهُنَّ ومالي
فيابرق ليسَ الكرخُ داري وإنما رمى بي إليه الدَهرُ منذ ليالي
فهل فيكَ من ماء المَعرّةِ نغبةٌ[3] تغيثُ بها ظَمْآنُ ليسَ بسالي
ولاحَ هِلالٌ مثلَ نونٍ أجادها بماء النضار الكاتبَ ابن هلالِ
إذا لاحَ إيماضٌ سترت وجوهها كأني عمرو لمطي سُعالي»[4]

ومن اللاّحقين عليه، والذين ترجموا لهُ وأعجبوا بشخصيته، وضربوا به الأمثال إبن خلكان (1211 - 1282م) لا سيما في كتابه الذائع الصيت «وفيات الأعيان» حيث يورد خبراً عن شاهدٍ شعري، تكاملت فيه جزالة اللّفظ وحُسْنَ الخط، مُتَمثّلاً فيه بنابغتين في فنّين - فن البلاغة، مُمثّلةً بالصابئي، وجمال الحرف، مُمَثّلاً بإبن البَوّاب، وهذا الخبر يقول: «سألني بعضُ الفقهاء بمدينة حَلَب عن قول بعض المتأخرين، من جُملة أبيات في صفة كتاب:

«كتابٌ كوشيّ الروض خُطّت سطورَهُ يد إبن هلال عن فمِ ابن هلالِ»

فقلتُ لَه: «هذا يقول إن خَطَّهُ في الحُسنِ مثل خطِ إبن البوّاب، وفي بلاغة ألفاظِهِ مثل رسائل الصابيء، لأنَّهُ إبن هلال أيضاً». ويستطرد إبن خلكان في الحديث، مستظرفاً جمال

(1) راجع ديوان «سقط الزند» للمعري - الجزء الثالث - القصيدة رقم (58) وعدد أبياتُها 51 بيتاً - منشورات دار الكتب المصرية - القاهرة سنة 1947م/ ص 1197.
(2) معجم الأدباء 15/ 128.
(3) النغبة = الجرعة.
(4) يعتبر ياقوت الحموي، أن هذا البيت، مُشكل التفسير، بعيد المرمى - راجع شروحها في معجم الأدباء 15/ 129.

الأبيات، سائلاً عن بقيّتها فيقول[1]:

«ولما أتى منك الكتاب الذي حوى قلائدَ سِحرٍ للبيان حَلالِ
وقفتُ على ربعٍ من الفضل آهلٍ وقوفي بربعٍ للأحبة خالِ
أرقرقُ من دمعي وأدمنُ لثمه واسألُ أطلالاً تجيب سؤالي
وهِمتُ بهِ حتى توهمت لفظِهِ نجوم ليالٍ أم سَوطَ لآلي
كتابٌ كوشي الروض خُطّت سطورُهُ يدِ ابن هلال عن فمِ ابن هلالِ

وقد كان الخَطّاطون الذين جاؤوا بعده، يحلو لهم أن يُشبّهوا بهِ، ويعدّون ذلك فضيلة. كما مال الشعراء والمدّاحون إليهِ في تشبيه ممدُوحيهم بجمالِ خطوطهم بخَطّهِ، فقال أحدُهم يمدحُ رجُلاً يُعرف بإبن بدر بجودة الخط[2]:

يابن بدرٍ علوتَ في الخَطّ قدراً حينما قايسوكَ بإبنِ هلالِ
ذاك يحكي أباهُ في النَقصِ لمّا جئتَ تحكي أباكَ عند الكمالِ

## الفصل الخامس

# أهميّة إبن البوّاب وتلاميذه وآثاره

لا يكاد مصدرمّا، تحدث عن إبن البَوّاب، إلاّ ويشير إلى أنَّهُ «هَذَّب طريقة إبن مقلة ونقَّحها وكساها طلاوة وبهجة»[3] وهذا يعني أن عامل الإبداع في وَعيه «ديناميكي» وخَلاّق، والعبارة أعلاهُ توّكد أنه نظرَ بإمعان إلى طريقة إبن مقلة واكتشف أنّها بحاجة إلى تطوير في شكلها ومضمونها، ومنها بدأ إعمال العقل في تلك الخطوط التي صاغها ابن مُقلة، فهو يُعد أكبر كتّاب الخط بعَدهُ، وهذا التأمّل هو الذي هداه إلى إيجاد الخط الريحاني، منطلقاً من طريقة إبن مُقلة ذاتها، ثم التفت إلى أسِّ الخط العربي الذي انطلقت منه الخطوط وهو الخط الكوفي فاستطاع أن يُقلِبُهُ على وجهٍ يسترعي الإنتباه، وأن يستنبط منه إسلوب الثلث والنسخ ويعلو بهما إلى مرتقىً رفيع من الكمال والجودة.

(1) وفيات الأعيان 3/ 343.
(2) معجم الأدباء 15/ 129.
(3) وفيات الأعيان 3/ 342؛ وسير أعلام النبلاء 17/ 316. وغيرها من المصادر.

جاء في «ميزان الخط على وضع استاذ السلف» عن ابن مقلة.

«أن الأستاذ علي بن هلال المعروف بإبن البَوّاب، هو الذي أكمل الخط وأتمَّهُ، واخترع الكتابة بأفضل إسلوب مقبول»(1). ويشير الأستاذ **سهيل أنور** إلى أن «خط ابن البَوّاب تَدّرج في مدرج الكمال على مَرِّ الأيام، وارتقى كثيراً من بعد على يد **ياقوت المُستعصمي**، لكن الفراغ الذي استمَّرَ إلى (ق 15م) في مصر، ظَلَّ مُتَّبعاً طريقة علي بن هلال اتِّباعاً تاماً، لكنه لم يستطع في استمراره أن يبلغ مرتبة مدرسة»(2).

ونحن إذ نخالف هذا الرأي، نرى أن ابن البَوّاب أسَّس لمدرسة جديدة بإسلوب جديد، أضفت على أُطُرِ الكتابة طرائق فنيَّة حَسَّنت أسلوب الخط العربي وذلك من خلال الإبداعات الجديدة للخط الريحاني واشتقاق «الثلث» من الكوفي، وركّز قاعدة «النسخ» للخط المنسوب. وبذا تكون هذه الخطوط الثلاث وتفرعاتها هي الأركان الأساسيّة في مدرسة إبن البوّاب الفنيّة، حيث أن أساليبه في الخط ظَلّت هي السائدة حتى (ق 7هـ)، وشكّلت القاعدة الأساسيّة لمنهج ياقوت المستعصمي والذي أضاف إليها لمساتِهِ الخاصة، أهَّلتهُ لأن يتربّع على رياسة الخط العربي.

## * تلاميذ إبن البَوّاب

عندما نقول أن هناك «مدرسة» فبالضرورة يجب أن نذكر الدّالَ عليها، لأن الدّال يَدُلُّ على المدلول، وفق المنطق الفلسفي، والتلميذ دالٌ على المدرسة. وتلاميذ إبن البَوّاب يمثلون مدرستهِ الفنيّة في الإبداع، والتي نافت على القرنين من الزمان، من مطلع (ق 5هـ - ق 7هـ) أي حتى ظهور مدرسة ياقوت المستعصمي، ومن هنا نقول أن لإبن البواب مدرسته الخاصة في الخط العربي.

تشير مناهج الأقدمين في تلك العصور الزاهية من زمن الخلافة العباسية إلى أن التلاميذ كانوا في كل فن يتتلمذون على شيوخٍ لهم، وتنشأ علاقة حميمة بين التلميذ والشيخ أساسُها الواجب وحبّ التعلُّم، كُلٌ ضمن مسؤوليّته الأخلاقية والمعرفية، وكان التصوّف الإسلامي، أوضح مثال لهكذا علاقة، كما أن «رسائل إخوان الصفاء» أوردت الكثير من هذه العلاقات وكيفية بنائها(3).

(1) الخطّاط البغدادي/ ص 8.
(2) المرجع السابق.
(3) أنظر كتابنا/ النظام الداخلي لحركة إخوان الصفاء/ الباب الثاني - ص 61 منشورات دار كنعان - دمشق 1992م.

ومن الملاحظ في المدارس الفنيّة والأدبية، أن التلميذ يتبع شيخَهُ في الإسلوب والسير على خطاه المرسومة بمنهجه وطريقة تفكيره وعمله وأثاره، وعلى هذا الأساس تقام المدرسة التي تُعرف بإسمِ مؤسسّها، وعلى هذا النحو قامت مدرسة إبن مقلة، وعلى نفس المنوال حَذتْ مدرسة إبنِ البَوّاب، وبذات المسلكية يتدرّج أولئك التلاميذ الذين أخذوا عن شيوخهم اساليب الصنعة، وتبقى حالة الإبداع الفردية، منوطة بالتلميذ ذاته، وكيف يطوّر أدواته.

ومن هؤلاء التلاميذ الذين ساروا على منوال إبن البَوّاب في الخط، هم: **محمد بن عبد الملك** وعنَهُ أخذت الشيخة المحدّثة الكاتبة زينب الملقَّبة **بشهدة إبنة الأبري**، وعنها أخذ **أمين الدين ياقوت**، وعَنهُ أخذ **الولي العجمي**، وعليه كتب **العفيف**، وعنه أخذ وَلَدِهِ الشيخ عماد الدين، ويقال أن «عماد الدين» كان كإبن البَوّاب في زمانهِ، وعنه أخذ الشيخ **شمس الدين بن أبي رقيبة** - محتسب الفسطاط - وعنه أخذ الشيخ **شمس الدين محمد بن علي الزفتاوي** المُكَتِّب في الفسطاط، وصَنَّف مختصراً في قلم الثلث مع قواعد ضمّها إليه في صنعة الكتابة، أحسنَ فيه الصنع، وبهِ تخرّج - يقصد قلم الثلث - **الشيخ زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري**، محتسب مصر، الذي يقول عنه القلقشندي: «نظّم هذا المحتسب في صنعة الخط ألفيّة سَمّاها (العناية الربانية في الطريقة الشعبانية) لم يسبق إلى مثلها»[1].

هذه الأسماء «التلاميذ» مدرسة إبن البَوّاب، قد تمركزت في مصر، كما هو واضح عند القلقشندي، وقد أشرنا سابقاً إلى أن تلميذ إبن البَوّاب «حسن بن علي الجويني» كان قد جمع الكثير من آثار أستاذه في الخط، ورحل بها إلى مصر، فقد ذكر ياقوت الحموي، أن الجويني كتب بخطِّ يَدِهِ في مصر سنة 566هـ، أبياتاً لأستاذه ابن البوّاب هي[2]:

| | |
|---|---|
| «عبد الإله السديد حقّاً | بغير زورٍ وغير مينِ |
| يا شرف الدين ويا فريداً | شَرَّف بالفضلِ دولتينِ |
| يا تاج فخري وكنز فقري | ويا معيني ونور عيني |
| فقد كدتَ أسىً وأمضي | وكدتَ تبقى بلا جويني» |

(1) صبح الأعشى 3/ 18.

(2) راجع/ معجم الأدباء/ 15/ 127 - 128 - وقد ذكر ياقوت أن الجويني نقل رسائل أستاذه إبن البوّاب عن صناعة الخطوط، وهي قطعة أدبية نادرة - راجعها عند ياقوت في معجم الأدباء 15/ 130 - 132، وكذلك/ الخطاط البغدادي/ ص 47 - 48. التعليقات.

وما يُميّز هذه المدرسة وتلاميذها، هو ما ذكرهُ صاحب «رسالة الخط المنسوب»[1] حيث عرض لتبيان ما تميّزت بهِ من إتقان هذه الصناعة/ على يد ابن البوّاب/ وما تممَّهُ على طريقة إبن مقلة فقد ذكر «أن إبن البوّاب وجد الناس قد اجتهدوا قبله في إصلاح «الكوفي» وأقبلوا على ترطيب الكتابة للسر الخفي، وهو حبُّ النفس للرطوبة، لأنها مادة الحياة، وهي لدونة الخط وريِّهِ، وأن لا يرى من خارج زواياه، وكانت أسباب إتقان هذه الصناعة قد كَمَّلُه الله له بأسرها، وأرادهُ لهذه الرُتبة، فشدَّ لها أزره، وأطلَعَهُ على سرِّها، فرأى إبني مُقلة قد أتقنا قلمي «التوقيعات والنسخ» لمن لم يُرسِّخا في إتقانهما ذلك الرسخ، فكمَّل معناهُ وتَمَّمَهُ، ووجد شيخَهُ إبن أسد يكتب الشعر بنسخٍ قريب من «المُحقّق» فأحكَمَهُ، وحَرَّر قلم الذهب وأتقنَهُ، ووشى برد الحواشي وزينَهُ، ثمّ برع في الثلث أو خفيفهُ، وأبدع في الرقاع والريحان وتلطيفَهُ، وميّز قلم المتن والمصاحف، وكتب بالكوفي، فأنسى القرن السالف»[2].

**ثم يستطرد صاحب «رسالة الخط المنسوب» موضّحاً أثر مدرسة إبن البَوّاب فيقول: «ولقد زاحمت طريقة إبن البوّاب طريقة إبني مُقلة، فكَثُرَ أتباعها ومترسِّموها، من أمثال أبي علي الجويني، وعلي بن حمزة البغدادي، والوزير بن صدقة، وعُمر بن الحسين غُلام إبن خرنقا، وإبني العديم الحلبيّين، ولا سيما الحسن بن علي وعبد القاهر بن علي، ومن النساء فاطمة بنت الأقرع وأبي منصور الفضل بن عمر، وأبي طالب الكرخي، وإبن البرفطي، ومحمد بن سعد الرازي، وبينمان الأصفهاني، وإبن التبني، وياقوت بن عبد الله المعروف بالملكي، وياقوت إبن عبد الله الرومي - صاحب معجم البلدان - نزيل الموصل، وياقوت المستعصمي وغيرهم»[3].**

**ومن التلاميذ الذين نَسبتهم شجرات الخط إلى إبن البَوّاب، السيد قاسم وإسحاق بن خليل المكي، وعلي بن عبد الله البغدادي، والشيخ أُويس بن يزيد، وطلحة بن عامر[4].**

أولئك هم أبرز التلاميذ الذين أخذوا عن إبن البوّاب صنعة الخط، واسعفتنا المصادر بذكرهم، وسوف نتوقف قليلاً، عند واحد من هؤلاء التلاميذ هو غلام بن خرنقا، نظراً لما

(1) نشرت الرسالة في مجلة/ معهد المخطوطات العربية/ 1/ 123 - المجلد الأول - القاهرة 1374هـ/ 1955م تحقق د. خليل محمود عسكر.
(2) المصدر السابق - نفس المكان.
(3) انظر/ الخطاط البغدادي - التعليقات/ ص 48 - 49.
(4) الخطّاط البغدادي/ ص 18 - 19.

لَهُ من أهمية في مسلكية الخطاط البغدادي في ذلك الوقت، حيث أن شخصيته ترسم لنا بقية الفريق من أصحابه، لكنه يبقى النموذج الفريد في ذلك التأنّق في الخط وأدواته.

## * غلام إبن خرنقا

هو عُمر بن الحسين الخطّاط، المعروف بغلام إبن خرنقا، بغدادي المولد والمنشأ، كان كاتباً مليح الخط محفوظاً منه، تتلمذ على طريقة إبن البوّاب وأجاد فيها، إنصبَّ اهتمامَهُ على مهنة الخط، فاصطفاها لنفسهِ وروحه، تأنّق أشد التأنّق في أدوات الكتابة، يقول عنه ياقوت الحموي: «خَطُّهُ مشهور عند كُتّاب الآفاق، ماتَ في 11/ جمادي الآخرة/ عام 552هـ، ودفن في دارهِ بدرب الدواب، وكان لَهُ من آلة الكتابة ما لم يكن لأحدٍ من قبله، وذلك أنَّهُ بعد وفاتِهِ، بيعت آلة الكتابة بتسعمائة دينار إماميّة، منها دواة بأزهر، إشترى بعضها ولد زعيم الدين بن جعفر - صاحب المخزن - بتسعمائة دينار، وبيع لَهُ الباقي سكاكين وأقلام وبراكر «جمع بركار» وما شاكل ذلك»[1].

إن هذا النزوع الجمالي في الترتيب والتأنيق، ليس بعيداً عن مُبدعي بغداد وفنّانيها فقد عَرف البغداديون الظُرف والتَبغدُد، والتزموا بقواعدهِ، فما بالك بخطّاط مُبدعٍ تُغريه جماليات الحرف المعشوق لإظهار ذاتهِ من خلاله، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، من المؤكّد أن أُستاذَهُ إبن البَوّاب كان من ذوي الترتيب والتأنّق في خَطِّهِ وعمله وحياته، وهذه المسألة يخضعها الحس الجمالي لدى كليهما، فقد عُرف عن إبن البَوّاب تفرُّدهِ في أمورٍ لم يعرفها غيره، ذلك ما نقَلهُ ياقوت الحموي عنه بقوله: «إن الكاتب أبو نصر بن مسعود، لقيَ يوماً إبن البَوّاب في بعض الممّرات، فسَلَّم عليه وقبَّلَ يده فقال إبن البوّاب: الله الله يا سيدي، ما أنا وهذا؟!

فقال: لو قبّلت الأرض بين يديك لكان قليلاً. قال: ولم ذاك؟! قال إبن المسعود: لأنّك تفرَّدت بأشياء ما في بغداد كلها من يشاركُكَ فيها، منها الخَطّ الحسن، وإنه لم أرَ من عمري كاتباً من طرفِ عمامتهِ إلى لحيتِهِ ذراعان ونصف، غيرك.

فضحك أبو الحسن/ إبن البوّاب/ وجزاهُ وقال له: «أسألك أن تكتم هذه الفضيلة عليَّ ولا تكرمني لأجلها»[2] وهذا الخبر يؤيد تواضع ابن البوّاب وفرادته في بعض الأمور، وهو ما كان يريده لتلاميذه.

---

(1) معجم الأدباء 16/ 59 - 60.

(2) المصدر السابق 15/ 133.

## * آثار إبن البوّاب

لم يحظَ خَطّاط عربي بمثلٍ ما حظيَ بهِ إبن البَوّاب من حفظِ آثاره، والإشادة بها والتوقّف عندها، نظراً لما تركه هذا الخطّاط المبدع من نفائس ثمينة في لغَةِ الخط واساليبه، وجواهر محاسنِهِ التي خطفت الأبصار، وهو الأمر الذي استوقف مترجميه ومُتتَّبعي آثاره وأخباره. وقد إنقسَمَ هؤلاء إلى فريقين، فريق من تلاميذه، ومُريديه، وفريق آخر من الأدباء والإخباريين والرواة، مِمَّن هم على شاكلة ياقوت الحموي وإبن النديم، وبهذا التنافس الثقافي الهام حُفظت آثار هذا النابغة حتى اليوم.

إنَّ الحياة العقلية التي كانت سائدة في زمن إبن البوّاب هي الأخرى كان لها دوراً مُهماً في حفظِ آثاره، لأنه كان بالأساس مُهتمّاً بمسارها الثقافي، فهو بالإضافة إلى كونهِ خطّاطاً فقد كان مهتمّاً بالأدب من شعرٍ ونثر، فكان كما يقول ياقوت الحموي[1]: «يدٌ باسطة في الكتابة وفصاحة وبراعة، ولَهُ رسالةٌ أنشأها في الكتابة» احتفظ بها تلميذه الحسن بن علي الجويني ونقلها ياقوت الحموي، إضافة إلى بعض مقطوعاتهِ الشعرية، ومن هذه الآثار الفنيّة الهامة، والتي كان للأدب أثرٌ واضح فيها، ما كتَبَهُ بيدهِ من دواوين ورسائل أدبية لمثقفي عصره والسابقين عليه. ومن هذه الآثار ما نَقَلَهُ ياقوت بقوله: «قرأت بخط سلامة بن عياض: رأيت بالريّ بخط علي بن هلال كتاب «مَن نُسبَ من الشعراء إلى أُمّهِ» لأبي عبد الله ابن الإعرابي، وهم خمسون شاعراً، وعلى ظهره مكتوب «كتَبَهُ علي بن هلال في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة» وعلى آخر هذا الكتاب تعليق لإبن البوّاب نَصُّهُ: نقلتُهُ من نُسخةٍ وجدتُ عليها بخط شيخنا أبو الفتح عثمان بن جني النحوي - ايَّدهُ الله -»[2] وهنا نلاحظ اهتمام إبن البوّاب بالسند والمرجعيّة، وهو جزء هام من الأمانة العلمية.

ومن أثاره الأخرى، ما وَجَدَهُ ياقوت أيضاً، رقعة بخطِّهِ قد كتبها إلى بعض الأعيان، يسألُهُ فيها مساعدة صاحبهِ إبن منصور، وإنجاز وعدهِ بهِ، لا يساوي دينارين، وقد بسط القول في ذلك[3]، ويُعلِّق ياقوت عليها بقولهِ: «إستطلتها، فإنها كانت نحو سبعين سطراً فألغيتُ إثباتها»[4].

---

(1) معجم الأدباء 15/ 130 - وأنظر «الرسالة» هناك.

(2) معجم الأدباء 15/ 129 - 130.

(3) المصدر السابق.

(4) من المؤسف حقاً أن ياقوت الحموي لم يورد هذا النص الهام، من الناحية الإجتماعية والفنية، وكذلك أهملَهُ المؤرخون الذين جاؤا بعد ياقوت، كما فعل الذهبي في سيرأعلام النبلاء 17/ 316.

وقد بيعت بسبعة عشر ديناراً إماميّة، ويضيف: «وبلغني أنها بيعت مرّة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً»[1].

وثمة حادثةٌ طريفة في جمعِ آثارهِ، قام بها أحد تلاميذهِ، الذين نشأوا على طريقته في الخط، وإسمهُ أحمد البرفاني، المتوفي بَعدَهُ بقرن، توفي البرفاني سنة 625هـ، وهو أحد الورّاقين الذين عنوا بجمع آثار ابن البَوّاب، فقد عُرف عنه أنه جمع عشرين قطعة من خط إبن البَوّاب، ينقل ياقوت عنه كيفية جمعهِ لهذه الآثار النفيسة، يقول البرفاني: «سَمِعْتُ أن أحد المعلمين في أحد أحياء بغداد، يملكُ كثيراً من الجزاز - القطع الصغيرة - ورثها عن أبيه، وقلت لنفسي، إنَّ من المحتمل أن يكون بين هذه الجزازات شيء عن الخط المنسوب، فقصدتهُ، ثم قلت له: إني أود أن تريني ما تركهُ أبوكَ لك، فلربما أكون راغباً في اقتناء بعضٍ منها، فأخذني إلى غرفة في الطابق العلوي، وبدأت أُفتِّشُ، حتى عثرتُ على ورقة بخط ابن البوّاب، ، مكتوبة بخط الرقعة، فأخذتها، وأضفت بعض الشيء مِمّا لا أود شراءَهُ إلى هذه الورقة، وقلت له: بكم هذا؟! فقال: يا سيدي، هَلاّ يوجد شيء في كل هذا مِمّا ترغب فيه! فقلت: إنّي على عجل وربما عدتُ لك في فرصة أخرى. فقال: إن ما اخترتَهُ لا يساوي شيئاً، خذهُ هبةً مني لك. فقلت: هذا ما لا أفعَلَهُ، ثم أعطيتَهُ بعض الخردة، وقيمتها نصف دانق، فقال: يا سيدي إنَّكَ لم تأخذ شيئاً يستحقُّ هذا، عليك بأخذ شيء آخر مقابل ذلك، وقد ألَحَّ علي فأجبته:

إني لا أطلبُ شيئاً، ثم أخذت الورقة، وعندما وصلت الطابق الأرضي شعرتُ بخجلٍ وقلت لنفسي: مِمّا لا شَكَّ فيه أنَّ الرجل لا يدري شيئاً عن قيمة ما باعني إيّاه، والله سوف لا اقتني خط إبن البوّاب بمثلِ هذا العمل غير الشريف. فرجعتُ إلى الرجل وقلت لَه: إن هذه الورقة من خط إبن البوّاب يا أخي. فأجاب الرجل: وما ذنبي أنا إن كان من خط إبن البوّاب؟! فقلت له: إن ثمنها ثلاثة دنانير إماميّة[2] قال: أرجوك لا تمزح، هل أنّك تقصد إرجاع الورقة، أو أنَّكَ وجدتها غالية!! فقلت: لا، إيتني بميزان، فجاءني به، فوزنت ما قيمتُهُ ثلاثة دنانير، وقلت: هل ترغب أن تبعيني هذه الورقة بهذا المبلغ؟! فردَّ بالإيجاب، ثم أخذ المبلغ ومضيت في طريقي»[3].

هذه الحادثة تُعبِّرُ بصدق عن تقدير الناس لقيمة هذا الخطّاط، من جهة، ومن جهة

---

(1) معجم الأدباء 15/ 121 - 122.

(2) الدينار الإمامي، يزن عشرين قيراطاً. والعُهدة في ذلك على الباحثة سهيلة الجبوري التي أشارت إلى ذلك - راجع كتابها: الخط العربي وتطوره/ ص 80، الهامش.

(3) معجم الأدباء 15/ 122.

ثانية، تؤكّد مدى احترام التلميذ النجيب لآثار أستاذه، فلا يقبل أن يحطّ من قدر قيمته الفنيّة.

وتحكي آثار إبن البَوّاب، أنّه كان يتلافى الخطأ الذي يقع فيه أثناء الكتابة برسومات زخرفية، فهناك أثرٌ لخطّهِ وقع فيه الخطأ[1] وكان من الصعب محو الكتابة بدون عمل ضرر بالورقة، لذلك اختار أن يُغطّي السطور المغلوطة بواسطة وصلة مزيّنة قاتمة أخفت هذه الأخطاء. وهناك إسلوب آخر لديه، هو أن ينقُلَ الأثر المخطوط على جانب الورقة. فهناك تصحيح له، وقع الخطأ فيه، حيث حذف إبن البَوّاب آيةً من إحدى السور القرآنية، ووضع الآية المحذوفة في الحاشة، مع علامةٍ تؤكّد ذلك[2].

وذكرت الباحثة سُهيلة الجبوري: «أن لإبن البَوّاب قرآناً بخط يده، مُزيّنةٌ صفحاته، كتبَهُ في بغداد سنة 391هـ، قبل أن يصل هذا المخطوط إلى مكتبة «جستربتي» Chester Beatty كان حواشيَهُ مقصوصة، اكتسب لونَهُ لوناً رمادياً فاتحاً بتقدم الزمن، ومع ذلك فهو محتفظ بصورة حسنة جدّاً ومكتوب بخط النسخ»[3]. كما أشارت، في موضعٍ آخر[4] إلى أن إبن البَوّاب قد استخدم قصب الطيب، وقطع رأسه بصورة مستقيمة، وبهذه الواسطة حصل على حبرة قلم غير متباينة العرض، خَطَّ بها ذلك القرآن.

فيما ذكرت **دائرة المعارف الإسلامية**[5] أن إبن البَوّاب خَطَّ **64 مصحفاً** بيدهِ. وهناك نُسخةً بالخط الريحاني أخذها السلطان التركي **سَليم الأول** (1512 – 1520م) بخط إبن البوّاب، وأهداها لجامع «لاله لي» بالقسطنطينية[6]. فيما ذكر د. سهيل أنور، أنَّهُ يوجد قرآن في متحف الآثار التركية الإسلامية تحت رقم (449) يقال أنَّهُ كتبَهُ في سنة 401هـ، ببغداد دار السلام[7].

ومن آثاره، رسالة من القطع الصغير، مؤلّفة من 7 صفحات، بقلم الثلث، كُلّها من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هي:

---

(1) أنظر: سهيلة الجبوري – المرجع السابق/ ص 85 - 86 - اللّوحة رقم (10).

(2) سهيلة الجبوري/ الخط العربي وتطوره/ ص 85 - اللوحة رقم 11، وهذه اللوحات لا تزال موجودة في قرآن «مكتبة جستربتي .«Chester Beatty»

(3) المصدر السابق/ ص 83.

(4) المصدر السابق.

(5) دائرة المعارف الإسلامية 1/ 103 - مادة (إبن البَوّاب).

(6) دارة المعارف الإسلامية 1/ 103 - مادة (إبن البَوّاب)

(7) الخطّاط البغدادي/ ص 30.

- الورقة الأولى:

1 - «بسم الله الرحمن الرحيم»

- الورقة الثانية:

1 - «رَحَمَ الله أمرأ عرف قدرَهُ ولم يَتَعَدَّ طورَه».

2 - «إعادة الاعتذار تذكيرٌ بالذنب».

2 - «النُصْحُ بينَ الملأ تَقريع».

3 - «إذا تَمَّ العَقلُ نَقَصَ الكلام».

4 - «لا كَرَمَ أعزُّ من التُقى».

5 - «مَنْ كَثُرَ مزاحَهُ لَمْ يخَلُ من حقدٍ عليه واستخفافٌ بهِ».

- الورقة الثالثة:

1 - «كَفا بالظَفَرِ شَفيعاً للمُذنب».

2 - «ظَنُّ المؤمنِ كَهانة».

3 - «مَنْ نَظر إِعْتَبرْ».

4 - «مَنْ لانت أسافِلهُ صَعُبَت أعاليه».

5 - «الشَرُّ جامعٌ لمساوىء الأخلاق».

6 - رُبَّ رَجاءٍ يَؤولُ إلى الحِرمان».

- الورقة الرابعة:

1 - «في كُلٌ جَرعةٍ شَرقة».

2 - «أكْرمُ الحَسَبِ، حُسنَ الخلُق».

3 - «أكرَمُ النَسب، حُسنَ الأدَب».

4 - «أوحَشَ الوحشة العَجَب».

5 - «أفقَرُ الفقر، الحُمق».

6 - «أكثر مصارع العُقول، تحتَ بُروق الأطْماع».

7 - «الطامعُ تحتَ وثاق الذُلّ».

8 - «مَنْ أبَدى صَفْحَتِهِ للحَقِّ، هَلَكْ».

- الورقة الخامسة:

1 - «إذا أمْلَقْتُمْ فتاجِرُوا الله بالصَّدقة».

وفي حواشي الصفحات تعليقات كثيرة على كلام علي بن أبي طالب.

ومن الآثار الأخرى التي وجدت له، مخطوطةٍ بخطِّهِ في خزانة قصر بغداد بمتحف «سراي طوب» يحمل عنوان «شعر سلامة بن جندل السعدي» مؤرّخة بإمضاء «كتبَهُ عل بن هلال، في شهر رمضان سنة 408هـ»[1].

كما وجدت لَهُ بخط الثلث، رسالة للجاحظ تحمل عنوان «رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في مدح الكتب والحثُّ على جمعها» وهي تقع في 26 ورقة، وموجودة الآن في خزانة الآثار التركية الإسلامية برقم (2014)[2].

وفي خزانة مكتبة آيا صوفيا، عُثرَ على كتاب بعنوانٍ «بحثٌ في الآداب والحكم» في مجموعة مرقومة بـ (2120) كتب على ظهرها إسمُهُ داخل قطعٍ ناقصٍ، دقيق وجميل، وتحته هذه العبارة بقلم الثلث «طريقة الأستاذ الجليل علي بن هلال المعروف بإبن البوّاب رَحِمَهُ اللهُ وعلى يمين هذه الكتابة ختم بايزيد الثاني (1481 - 1512م) يحتمل أن تكون هذه المجموعة، كما يقول سهيل أنور، من كتب خزانة السلطان محمد الفاتح (1413 - 1421)[3].

ووجد في خزانة كتب قصر بغداد - بمتحف سراي طوب - تحت رقم (70) رسائل تُنسب إليه، كتب في أعلاها «قلم الطومار» طريقة الأستاذ علي بن هلال[4].

وحوت خزانة أبهاء - في متحف سراي طوب - مخطوط برقم (609) كتب فيه عبارة «قلم المسلسل والغبار - طريقة الأستاذ إبن البوّاب» وفي الصفحات الثلاث المتعاقبة، يُشاهد كيفية استنباط حروف الثلث بعضُها من بعض، كما جاءت تعريفاتها بعد هذه العبارة «تصاوير الأحرف، طريقة الأستاذ الكبير، أستاذ هذه الصناعة، وتبركة الجماعة علي بن هلال سامحَهُ ذو الجلال»[5].

ولدى مجموعة بهاء أرسين 27 صفحة من دُعاء لزيد بن ثابت بخط إبن البوّاب[6].

---

(1) الخطّاط البغدادي/ ص 26 - 28.

(2) المصدر السابق/ ص 28.

(3) نفس المصدر السابق/ ص 24.

(4) الخطّاط البغدادي/ ص 30.

(5) تشير هذه الصفحة من المخطوط إلى الطريقة المتّبعة في رسم الأحرف، وفق نسبٍ معلومة وقياسات محدّدة على أساس بعض الأحرف كالألف والباء والصاد وغيرها، راجعها عند سهيل أنور/ الخطاط البغدادي/ ص 32.

(6) الخطّاط البغدادي/ ص 33.

تلك هي أهم الآثار الفنيّة التي ترك إبن البوّاب بصماتَهُ عليها، والتي وجدت حتى الآن، وأمّا المفقود منها، فالعلمُ بها عند الله، حيث أنّ حياته كانت كلّها مخصّصة لهذا الفن الرفيع.

## * وفاة إبن البَوّاب

أقفل إبن البواب حياتَهُ الغنيَّة والفنيّة، مودعاً الدُنيا في سنة (423هـ) - كما أسلفنا - تاركاً وراءَهُ فراغاً لا يُسد، مبقياً، بأثره المنهجي، باباً مفتوحاً لكل طالب علم في صناعة الكتابة والقلم العربي. وما أن إستخبر أدباء ذلك العصر، حتى استفقدوهُ، وعلموا مقدار خسارته فقال قائلهم[1]:

«إستشعَر الكتّاب فقدَكَ سالفاً ... وقضَت بصحّة ذلكَ الأيامُ

فلذلك سُوِّدت الدويّ كآبة ... أسفاً عليكَ وشقّتِ الأقلامُ»

هذان البيتان من الشعر، يمثلان التعبير الوجداني الجمعي والحقيقي لكتاب تلك الفترة، أساتذةً وتلاميذ، أدباء وشعراء، ولكن بغداد كُلّها فجعت بهِ، فانبرا نقيب الطالبين الشريف المرتضى «علي بن الحسين (966 - 1044م» يرثُيهِ في بُكائية رائعة، أوردتها كل المصادر التي ترجمت لَهُ وقد عَبَّر بها «الشريف المرتضى» عن تقدير عظيم، وعاطفة صادقة، وتخليداً منهُ بهذا العبقري في الخط العربي، قَلَّ مثالُهُ، محملاً أحزانَ بغداد كلّها لفقد هذا الخطاط النادر، إبن البوّاب، يقول فيها[2]:

مِنْ مِثلها كنت تخشى أيها الحذرُ ... والدهرُ إن هَمَّ لا يُبقي ولا يذرُ

نعاكَ ناعٍ إلى قلبٍ كأنَّ بهِ ... لواذع الجمرُ لمّا ساءهُ الخبرُ

فلم يكن لي إلاّ أن أقول لَهُ ... نبيك ناعي هذا الراحل الحجرُ

كَمْ ذا نداءٍ لماضٍ مُلتفتٍ ... وكم عتابٍ لجانٍ ليسَ يعتذرُ

فكلما استلَّ منّا صاحبٌ نمضى ... ولا إيابٍ لهُ قالوا: هو القدرُ

وليسَ يدري الفتى لم طال عمرُفتىً ... ولا لأيّة حال ينقضي العُمرُ

وقد طلبنا فلا نجحٌ ولا ظَفَرٌ ... وقد هربنا فلا مُنجي ولا عَصَرُ

وهذه لا شكّ مالئةٌ بها ... مِنّا العيون ولكنّ أينَ مُعْتَبِرُ

---

(1) صبح الاعشى 3/ 18؛ وإبن خلكان 3/ 343، وأورد صلاح الدين الصفدي هذه الأبيات في رثاء إبن مُقلة في «الوافي بالوفيات» 4/ 111، وهو وهم وُقع فيه.

(2) راجع ديوان الشريف المرتضى، قافية الراء.

نُعَلُّ من كُلِّ مكروهٍ ويملِكُنا حُبُّ الحياة التي أيّامُها غَرَرُ
وما التزام المُنى والمرءُ وهنُ ردىً إلاّ جنون يغول العَقْل أو سَكرُ
يا قاتلَ الله هذا الدهرَ يُوزِعنا ثم الحصاد فمنه النفع والضَرَرُ
فإن يَكن مُعطياً شيئاً فمرتجعٌ وإن يكن مبطئاً يوماً فمبتدَرُ
داءٌ يكن عَرا آلَ قحطانٍ فزال بهم وذاقَّ منهُ نزاراً وحتى مُضرُ
من بعدِ أن لبسوا التيجان واعتصموا وأركبوا ثَبج الأعواد واشتهروا
وأوسعواالناس من رغبٍ ومن رهبٍ وعاقبوا باحترام الذنب واغتفروا
تندى مفارقهم مِسْكاً فإن جَهلوا نمّت عليها بريّا قشرها الأزرُ
ويحسبون ذيول الريط ضامنةً إن ليس تُسحب إلاّ منهمُ الحِبَرُ
قالوا قضى غيرذي ضَعْفٍ ولا خورٍ فقلت: ما كلّ أسباب الردى كِبَرُ
وعزَّني فيك برٌّ بعد طُولِ ضَنىً ومن بيت خطراً أودى خطرُ
رُديتُ بابنَ هلالٍ والردى عرضٌ لم يحمِ منهُ على سخطٍ لَهُ البشَرُ[1]
ما ضَرَّ فقدك والأيام شاهدةٌ بأنَّ فضلَكَ فيها الأنجمُ الزُّهرُ
أغنيتَ في الأرض والأقوام كُلُّهمُ من المحاسِنِ ما لم يغنه المَطَرُ
فأنت شمسُ الضُحى للساربين وللسـ ـارين في جُنحِ ليلٍ ضوؤكَ القمرُ
إن تُمسيَ ميتاً ولا بَصَرٌ فطالما أنتَ السمعُ والبَصَرُ
وإن تبت حصراً عن قولٍ فاضلة فطالما لم يكن من دأبكَ الحَصَرُ
قالوا: اصطبر عنهُ ياساً أو مجاملةً والصبرُ يلعق في أثنائه الصبرُ
ولو درى من على حُزنٍ يَقَرُّعنّي بمن فجعت ومن خَولَتِهِ عذروا
وكيف أسلو وما في غيره عِوضٌ من الرجال ولا لي عنه مَصْطَبرُ
وكيف لي بعدهُ ميلٍ إلى وطرٍ وليس لي إداء في غيرهِ وطرُ
مجاوراً دار قومٍ، ليسَ جارهَمُ بنصرهم أبد الأيام ينتصرُ
في أربعٍ كلّما زادوا بها نقصوا نقص الفناء وقلّوا كلما كثُروا
فاذهب كما شاءت الأقدار مقتلعاً منّا بهِ الخوف مجنوباً بهِ الحَذرُ

(1) لم يرد هذا البيت في ديوانِهِ، وأضفناهُ من معجم الأدباء 15/ 134 - وكذلك أضافهُ - محمد بهجت الأثري في/ شروحاته/ على «الخطاط البغدادي/ ص 24.

فبالقلوب التي أبهجتَها حَزَنٌ وبالعيون التي أقرَرتها سَهَرُ
وما لعيشٍ وقد ودّعته أرجٌ ولا لليلٍ وقد فارقته سحرُ
وما لنا - بعد أن أضحت مطالعنا مسلوبةً منكَ - أوضاحٌ ولا غُرَرُ

# مُلحق

## وضاحة الأصول في الخط
## نظمها عبد القادر الصيداوي
### (قبل القرن الثاني عشر تقديراً)

حققها
هلال ناجي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

### بين يدي النص

هذه الأرجوزة واحدة من سلسلة أراجيز وقصائد نظمها مصنفوها في علم الخط، وهدفوا من ورائها جمع قواعد الخط في متون علمية يسهل حفظها على الطلبة وشداة العلم.

وتعد قصيدة ابن البوّاب أقدم منظومة وصلتنا في علم الخط، وقد شرحها عالمان جليلان: أولهما شرف الدين بن الوحيد المتوفى سنة 711هـ، وقد نشرنا هذا الشرح في تونس عام 1967. وثانيهما: برهان الدين بن عمر الجعبري المتوفى سنة 732هـ ولا نعرف مصير هذا الشرح.

وللوزير إبن هبيرة ارجوزة في علم الخط ذكرها ابن خلكان في وفيات الأعيان.

ولإبن الوحيد قصيدة نونية في علم الخط وصلتنا منها أبيات ذكرها محمد بن الحسن الطيبي في كتابه «جامع محاسن كتابة الكتاب».

وللشيخ علاء الدين السرّمرّي ارجوزة في الخط ذكرها القلقشندي في صبح الأعشى وأورد بعض نصوصها ونشر كثيراً من آراء السرّمرّي.

وقد بلغ الغاية في هذا الباب زين الدين شعبان بن محمد الآثاري المتوفى سنة 828هـ في ألفيته التي نشرناها ببغداد سنة 1979م تحت عنوان «العناية الربانية في الطريقة الشعبانية».

وهي ألفية في فن الخط قال عنها القلقشندي: «أنه لم يسبق إلى مثلها».

ومن أراجيز الخط الشهيرة «بضاعة المجوّد في علم الخط وأصوله» لمحمد بن الحسن السنجاري وقد نشرها والدنا السيد ناجي بن زين الدين - عطر الله جدثه - في كتابه «مصور الخط العربي» المطبوع ببغداد سنة 1968م.

و«وضاحة الأصول في علم الخط» مما ينتظم في هذا السلك. وهي أرجوزة تدل على فهم ناظمها لقواعد هذا العلم وغوصه عبر أمواجه، وفيها علم غزير ومعرفة دقيقة بكل ما يتعلق بدقائق هذا الفن وما اختلف فيه أعلامه من مذاهب وآراء: نظمها عبد القادر الصيداوي، ولم نوفق إلى الظفر بترجمة لهذا الشاعر العالم وإن كنا نرجح أنه عاش في الفترة بين منتصف القرن التاسع ومنتصف القرن الثاني عشر. ذلك أن القلقشندي المتوفى سنة 821هـ لم يذكره في كتابه، فلا بد أن يكون قد ولد ونبغ بعد هذا التاريخ وحيث أنه من الثابت أن ناسخ المخطوطة المصرية كتبها سنة 1157هـ وهذا يعني أن ناظمها قد نظمها قبل هذا التاريخ.

فيكون الصيداوي قد عاش في الفترة بين منتصف القرن التاسع ومنتصف القرن الثاني عشر الهجريين - على الراجح -.

وليس يقدح في هذا أن الزبيدي لم يذكره في «حكمة الاشراق» فالزبيدي أغفل ترجمة وذكر أعلام الخطاطين العرب بعد ابن الصائغ المتوفى سنة 845هـ وحصر جهده في تعقب أعلام الخط الاتراك.

لكننا يمكن أن نجزم بأن نسبة الناظم تشير بوضوح إلى مدينة صيدا في لبنان.

لقد اعتمدنا في نشرتنا هذه على مخطوطتين: الأولى تامة كاملة كتبها الخطاط الشهير محمد الأزهري، سنة 1157هـ، والأزهري أخذ الخط عن سليمان الشاكري الذي أخذه بدوره عن حسين الجزائري وهذا أخذه عن شيخه «الدرويش علي» الإمام الماهر المجدد الملقب بالشيخ الثاني والمتوفى سنة 1086هـ.

وهي نسخة مصورة عن مخطوطة أصلية في خزانة صديقنا الشاعر الأديب سيد بن إبراهيم أمير الخطاطين بمصر وأستاذ هذا الفن بمدارسها المختصة وعضو اللجان المختصة بالمجلس الأعلى لرعاية العلوم والآداب والفنون التشكيلية بمصر.

والمصورة تكرم فأهدانيها عام 1961 في القاهرة، فأرسلتها لأبي ﷺ فنشر منها مقتطفات في كتابه «مصور الخط العربي»، وتتماز هذه المخطوطة بالنماذج القلمية المرسومة على هوامشها.

وقد بحثت طويلاً عن مخطوطة ثانية لهذه الأرجوزة حتى ظفرت بقطعة منها ضمن مجموع في الخزانة العامة بالرباط مكتوبة بالخط المغربي وناقصة وغير مزينة باللوحات الفنية، لكنني اتخذتها أصلاً ثانياً ورمزت لها بالحرف (ر) وأثبت أختلافات النسختين في الهوامش.

لقد أثبتّ في نشرتي هذه انموذجات من المخطوطتين، كما أثبت جميع النماذج القلمية المرسومة على هوامش المخطوطة المصرية توضيحاً للأصل، وأني إذ أهدي عملي هذا إلى صديقي الكريم المفضال سيد بن إبراهيم أمير الخطاطين بمصر، تحية فضل سبق، آمل أن يكون في نشر هذا النص إضافة ذات فائدة في ميدان نشر قواعد الخط العربي ونصوصه القديمة.

والحمد لله الذي أعان، إنه نعم المولى ونعم المستعان. . .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين

الحمد لله الذي اجرى القلم * وزاده فخرا باقسام القسم
قال الله فيه نون والقلم * وعلم الانسان ما لم يعلم
ثم الصلاة والسلام سرمدا * على النبي المصطفى محمدا
وآله وصحبه الامجاد * ما جرت الاقلام بالمداد
وبعد علم الخط للاملا * سألني بعض الاخلاء الفضلا
ارجوزة اوضح فيها ما خفي * [illegible] لمن اهملا [illegible]
فعاودوني فاجبتهم الى * ما سألوا مستنجزا رب العلا
سميتها وضاحة الاصول * في الخط لا تربو على المنقول
والله ارجو نفعها لمن نظر * فيها ولن يرى لها عيبا ستر

* باب في اختيار الاقلام واختيار السكين *

يختار للخط من الاقلام * ارفعها قشرا قويا سالم
لعلها استوت كليها العظم * بين رخاوة وصلب فخم
لا ترمو جلا ولا المعتوه لا * اذ فيهما لن تبلغ المأمولا
وكل ما [illegible] له فلم * [illegible] بحسبه القلم

مرابته

صورة/ الورقة الأولى من مخطوطة الرباط/

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أجرى القلمْ … وزاده فخراً بإجراءِ القَسَمْ
قال تعالى[1] فيه ن[2] والقلم … وعلّم الانسان ما لم يعلم
ثم الصلاة والسلام سرمدا … على النبي المصطفى محمّدا
وآله وصحبه الامجادِ … ما جَرَتِ الاقلامُ بالمدادِ
وبعد: علمُ الخطّ لمّا أهملا … سألني بعض الأجلاّالفُضَلا[3]
أرجوزةً أوضح فيها ما خفي … فقلت: أني لست أهلاً فأفي[4]
فعاودوني فاجبتهم إلى … ما سألوا مستنجداً ربَّ العلا
سمّيتها «وضاحة الأصول … في الخط» لا تربى عن المنقول
والله أرجو نفعها لمن نَظَرْ … فيها وان رأى بها[5] عيباً سَتَرْ[1]

## باب في اختيار الأقلام واختيار السكين

يُختارُ لِلْخَطّ من الأقلام … أرفعها قشراً قويما نامي[6]
اعدلها استوا كثيراللحم[7] … بين رخاوة[8] وصلب ضخم
لا تبر معوجّا ولا مفتولا … إذ بهما لن تبلغ المأمولا
وكل خطٍّ عندهم له قلمْ … غلظ أو[9] دقّ بحسب ما ألَمْ
مدينه لطيفة رقيقه … ماضية مرهفة دقيقه
لانها أن ثخنت تفسد ما … تشقّه وإنْ تمله انقسما

---

(1) في ر: الله.
(2) في ر: نون.
(3) في ر: الاخلا.
(4) العجز في ر مختل ونصه: فقلت لست أهلا في.
(5) في ر: لها.
(6) في ر: سام.
(7) في ر: كثيف.
(8) في ر: رخاءة.
(9) في ر: و.

## فصل في معرفة بَري القلم

| | |
|---|---|
| أركـانـه أربـعـة تـروى فـقـط | فَـتْـحٌ ونَـحْـتٌ ثـم شَـقٌّ ثـم قَـطْ |
| فـالـفتح فـي الـبري[1] تزد تـقـعيرا | والـلـيِّـن اجـعـل نـحـتـه يـسـيـرا |
| والـنـحـت نـوعـان قـد اخـتـصّا بـه | نـحـت حـواشـيـه ونـحـت بـطـنـه |
| مـسـاويـا مـن جـهـة الـشـقّ فـلا | تضعف[2]لاحدى الجهتين يهزلا |
| وطـوّل الـفـتـحـة فـي الـصـلـب وان | لان فـقـصـرهـا إذا تـكـن فـطـن[2] |
| وإن يـكـن مـعـتـدلا فـاسـلـك بـهِ | بـيـنـهـمـا مـن غـيـر مَـيْـلٍ شَـقِّـه |
| حـدّد وسـنّـم جـانـبـي شـحـمـتـه | يـحـسُـن جـريـه عـلـى آلـتـه[3] |
| وابـدأ بـبـريـه مـن الـمـنـخـصـر | مـن نـصِّ الاسـتـاذ الـفـتى الـمـعـتـبر |

## فصل في معرفة قط القلم

| | |
|---|---|
| إعـلـمْ بـأنّ الـقـطّ فـي الـتـصـويـرِ | مـا بـيـنَ تـحـريـفٍ إلـى تـدويـرِ |
| طـريـقـة الاسـتـاذ وهـو لـم يـبـح | بـسـرّه ولـو أبـاح لـربـح |
| لـكـلِّ نَـبْـتٍ قَـطَّـةٌ تَـخُـصُّـهُ | بِـحَـسَـبِ الاقـلامِ هـذا نَـصُّـهُ |
| فَـأَمِـلِ الـسـكـيـنَ مَـيْـلاً مـرفـقـا[4] | لـيـمـنـةٍ وحَـرِّفِ الـمـحـقّـقـا |
| وإنْ تـرم مـدوَّراً فـلا تَـمـل | أو بـيـن تـحـريـف وتـدويـر فَـمِـلْ |
| لـداخـل الـفـتـحـة حـدّ الـمـديـه | مـلـهُ قـلـيـلا كـي تـحـسّـنْ بَـرْيَـهْ |
| لـكـي يـكـون الـقـشـر زائـداً عـلـى | شـحـم الـيـراع ولأنْ لا يـبـلـى |
| فـيـحـسـن الـتـوقـيـع إن دَوَّرْتَـهـا | كـذلـك الـريـحـان إنْ حَـرَّفْـتَـهـا[5] |
| واخـتـلـف الـكـتـاب فـي قـط[6] الـقـلـمْ | على وجوه خمسة فالخلف عمّ [3] |

(1) في ر: الصلب.
(2) في ر: يضعف.
(3) في ر: ألمه.
(4) في ر: مرتقا.
(5) في ر: ظرفتها.
(6) في ر: خط.

يـاقـوتُ مـيمـن قَـطَّـهُ مُـحَـرَّفـا في سـائـر الأقـلام مـن غـيـر خـفـا
لأجْـلِ ذا لا يُـحْـسِـنُ الـتـوقـيـعـا ولا الـرقـاعَ الـقـلـمَ الـبـديـعـا[1]
وأحـسـنَ الـريـحـانَ والـمـحـقـقـا أن[2]نـاسـب الـتـحـريـف ذاك وارتـقـا
نـعـني بـالـتـحـريـف سِنّاً مرتـفـعْ[3] من جـهـة الـيـمـيـن فـافـهـم واتّبـع[4]
أمّـا الـوَلـيُّ قَـطـةٌ مُـدَوَّرا فـأحْسَنَ الـتـوقـيـعَ والـنـسـخ أزهـرا[5]
وبـيـن ذي الـتـحـريـف والـتـدويـر فـي سـائـرِ الأقـلام لـلـوزيـر
وشـذّ قـوم رفـعـوا سـنّ الـقـلـم من جـهـة الـيـسـرى قـلـيـلاً فـانـسـقـم
وابـن هـلال وكـذا مَـنْ صـاحَـبَـهْ أعـطـى لـكـلّ قَـلَـمٍ مـا نـاسَـبَـهْ
هـذا مـحـرفـا وذا مـدوّرا وبـيـن تـحـريـف وتـدويـر بـرى
لاجـل ذا سـاد عـلـى الـكـتّـاب وصـارفـي الأوْجِ عـلـى الـصـواب[6]

## فصل

اعـلـمْ بـأنّ الـطـول في رأسِ الـقـلـمْ عـون خـفـيـف الـيـد في الـسـرعـة ثـم[7]
وعـكـس ذلـك الـقـصـيـر الـراس والـقـلـم الـطـويـل في الـقـيـاس[4]
أخـفـّهـا كـتـابـة وأضـعـف وعـكـسـه بـعـكـسـهِ مـتـصـف
أمّـا الـذي يـخـتـاره الـوزيـر وهـو الإمـام الـقـدوة الـكـبـيـر
مـا كـان مـن هـذى[8] الأمـور وسـطـا غـيـر طـويـل أو قـصـيـر فـرطـا
ومـا اسـتـوى في الـغـلـظ والـترهـيـف أيـضـاً والاسـتـواء والـتـحـريـف
والـقـول في الاقـلام صـعـب الـحـصـر لـقـولـهـم[9] واقـنـع بـهـذا الـقـدر

(1) في ر: البديع.
(2) في ر: اذا.
(3) في ر: مرتفعا.
(4) في ر: واتبعا.
(5) في ر: ارا.
(6) في ر: الكتاب.
(7) في ر: ثم. وهو الاصوب.
(8) في ر: هذا.
(9) في ر: لخلفهم وهو الاصوب.

## فصل في معرفة الخطوط

ريحانُنا فَرع لذا[1] المحقق مُسْتَنْبَطاً منهُ إذاً فَحَقّقِ
فالفرق بين الأصل والريحان تخانة[2] الاصل ودق الثاني
وضبط أصله بغير قلمه وهو بكل القلم المُلمّ به[3]
وتفتح الأعين في الإعراب في الأصل والفرع بلا غياب
والفرقُ بين النسخ[4] والريحان قلّةَ ضبطه وضبط الثاني
في النسخ تعليق وطمس قَدَنا من الرقاع شَبَهاً مبيّنا
إنْ ضُبِطَ الرقاعُ صار نسخا معلّقا لكن فيه استرخا[5]
واعلم بأن الثلث أصْلٌ مستقلْ وقلم التوقيع منه منتقل
واستنبطوا الرقاع من توقيع فصارفرع الفرع في المجموع
وقلم التوقيع أيضاً إن ضُبط فهو خفيف الثلث صارمرتبط[5]
من أدمن[6] الثلث على الدوام أعانه في سائر الأقلام
وقلم الاشعار سَمِ مونقا فلك أن تكتُب به محقّقا
واكتبه[7] بالثلث تراه قد سما لأنّه أصلٌ تركّب منهما
اختار هذا النصّ نَصْرُ الله لذا[8] ابن بصيص بن عبد الله
وانكر الاستاذ هذا وهدى بانّه اصل بذاته بدا[9]
والفرق في هذا وفي المحقّق القصرُ والتعميق في المؤنّق
في الواو والنون ويا والراء فافرق ولا تخلط ودَعْ مرائي

---

(1) في ر: لذي.
(2) في ر: نخانة.
(3) العجز في ر مختل ونصه: وهو بكل القلم به.
(4) في ر: النسج.
(5) في ر: منضبط.
(6) في ر: أحسن.
(7) في ر: واكتب.
(8) في ر: كذا، وهو الاصوب.
(9) في ر: غدى.

فــي هــذه الاربــعــة الــحــروف[1] فـي الـثـانـي[2] قـصـرٌ ثـم عـمّق تـوف
فـبـانَ أنّ الـقـلـم الـمـونّـقـا اصـلٌ بـذاتـه غـدا مـنـطـلـقـا
فـان تـرم تـكـن مـن الـكـتّـاب الـسـادة الـقـادة والانـجـاب [6]
اصّـل وفـصّـل هـذه الأمـور ولا تـكـن مُـدَّعِـيـاً بـالـزورِ

## فصل في معرفة كيفية مسك القلم

والأصْلُ وضعُ القلم المبري على انـمـلـة الـوسـطـى بـذا قـال الـمـلا
وان تـضـع أصـبـعـك الـمسبّحة[3] عـلـى يـمـيـن الـظـهـر فـوق الـفـتـحـة
وان تـضـع انـمـلـة الإبـهـام عـلـى يـسـار الـظـهـر بـاهـتـمـام[4]
إنّ لـكـلّ اصـبـعٍ خـاصـيّـه تـعـجـز عـنـهـا اخـتـهـا الـقـويّـه
ولا تَـضَـعْـهُ فـوق ظـهـرالـوسـطـى ذلـك ضـعـف مـنـك لا يُـغَـطّـى
ومـسـكـك[5] الـيـراع فـوق الـبَـرِيَـهْ عـرض ثـلاث مـن شـعـيـرالـقـريـه
أو تـجـعـل الـوسـطـى بـهـا مـلـتـصـقـه ذاك الـمـراد فـي اخـتـفـاء الـفـركـه[6]
ويـنـبـغـي الـجـلـوس لـلـكـتـابـة[7] طـاويـا[8] الـيـمـيـن مـن ركـابـه
مـقـيـمـهـا فـي صـدره تَـوَرُّكـا لـرجـلـه الـيـسـرى بـهـذا قـد حـكـى

## فصل في معرفة قواعد الكتابة

إعـلـم هـداك الله فـالـكـتـابَـهْ سـبـعـة أقـسـام عـلـى الاصـابَـهْ [7]
مـنـسـطـح ومـنـحـن ومـنـتـصـب كـذاك مُـنْـكَـبٌ ومـسـتـلـقٍ كُـتِـبْ

---

(1) في ر: حروف.
(2) في ر: في الثلث.
(3) صدر البيت في ر: ويضع الاصيبع المسبحه.
(4) رواية البيت في ر:
انـمـلـة الابـهـام وضـعـهـا عـلـى يـساره واكـتـب بـه نـلـت الـعـلا.
(5) في ر: ومسلك.
(6) في ر: الخفا في البركه.
(7) في ر: في الكتابة.
(8) في ر: طاوي.

ومــســتــديــرٌ بــعــده مــقــوّسُ — مــن فــهــم الاقــلام حــقــا يــرأسُ[1]
أولــه مــمــدود خــط الــســلــس — مــن الــيــمــيــن يــســرة ويــنــعــكــس[2]
والــمــنــحــنــي كــالــدال ان أفــردتــه — وغــيــره كــذاك ان هــذّبــتــه
وثــالــث هــو الــذي يــســامــت — لــقــامــة الانــســان وهــو نــابــت[3]
والــرابــع الــمــنــكــبّ إن صــوّرتــه — مــثــل إبــتــداء الــواو قــد أصــبــتــه
والــخــامــس الــمــســتــلــق ان تــنــكــســه — مــن يــمــنــة ويــســرة أو[4] اعــكــســه
والــمــســتــديــر إن أردت تــكــشــفــه — كــدور حــاءٍ ثــم عــيــن فــاعــرفــه
ســابِــعُــهــا مــقــوّس كــالــقــافِ — والــنــون والــســيــن بــلا خــلاف

## فصل

قــال الــوزيــر كــلُّ مــنــصــوبٍ أَلَــمْ — نــتــعــتــمــد[5] فــيــه عــلــى سِــنَّــيْ قَــلَــمْ
وكــل خــطّ ذاهــب مــعــتــرضــا — مــن يــمــنــة إلــى يــســار فــرضــا
أمــالــة الــقــلــم شــيــنــا يــســره — والــعــكــس بــالــعــكــس فــكــن ذا خــبــره[6]

## حرف الألف

الألــف الــمــفــرد خــطّ مــنــتــصــب — ومــســتــقــيــم قــائــم ومــصــطــحــب
يــكــتــب بــصــدر الــقــلــم الــمــعــيّــن — آخــره بــســن حــرف الايــمــن
فــإن تــرد ريــحــانــا أو مــحــقّــقــا — فــلا تــمــل آخــره بــل اطــلــقــا
وإن كــتــبــت ثــلــثــا أو تــوقــيــعــا — آخــره رطّــب ومــل ســريــعــا
واظــهــر الــقــطــةَ فــي راس الألــفْ — فــي ســائــرالاقــلام اطــلــق لاتــقــفْ
وشَــظُّ ألــف الــثــلــثِ والــمــحــقّــق — وألــف الــريــحــان والــمــؤنــق

(1) في ر: برس.
(2) في ر: وينعس.
(3) في ر: لقامة الكاتب وهو كاتب.
(4) في ر: و.
(5) في ر: نتصمد.
(6) هذا آخر بيت في مخطوطة الرباط الناقصة.

وفي التواقيع الكبار شظيه — بأيمن السنّ ترى مرتضيه
وألِف الرقاع والغبار — فأنت في الشظية بالخيارِ
والنسخ والوضاح والمنثور — كذا الحواشي لا تشظّى زور
شاركه في شظية وتركها — دال وطا لامٌ ونونٌ فادرها
والالف الموصول فيما قبله — فاصعد به مقوما لا ميل له
في قلم الريحان والمحقّقِ — واظهر القطّة فيه وانتقي [9]
في قلم النسخ ثلاث قد أُلِفْ — ظهور قط واستقامة الألف
وميلها اليمين مع تحديد — آخرها يحسنُ من سديد
وألف الثلث فملهُ يسره — عالية مع ظهور القطه
كذا التواقيع مع الرقاع — لكن يزيدون بالاتباع
بان يمالوا يمنة محدّدا — كأحد الاوجه في النسخ اقتدا
والالف اكتبه على أصناف — ثلاثة أحدّها يوافي
في طوله قريب من عشر نقطْ — خُصّ بريحانٍ واصله فَقَطْ
الثاني سبع طوله تقريبُ — يختص بالثلث اختبر تُصيبُ
ثالثها خمس بالإتباع — يختَصّ بُالتوقيع والرقاعِ

## حرف الباء

الباء من خطيّن رَكّبْ وابِخ — تجدهما منتصبا ومنسطح
بقول الاستاذ الهمام العلّمِ — تكتب كلها بصدر القلم
آخرها محدّد ملمومِ — مقابل لراسها معلوم [10]
أوشئت اطلق رأسها أو اربطه — بحيث أن تظهر فيه القطه
وهذه الثلاثة الاشكال — تدخل في الاقلام لا محال
يصلح مدها لمدِّ البَسْمَلَهْ — في النسخ والريحان ثم الأصْل لَهْ
وإن حذفت مُنْتَصِبْ أوّلها — لا تظهر القطّة في آخرها
إن كانت الباء على هذا النَمَطْ — تخصّ الاقلام المرطبه فقط

## حرف الجيم وأخواتها

رَكّبْهُ من خطين وابدأ منسطح ... بقدر ثلثي الالف ولا تلخ
ومستدير وهو نصف دائره ... منها تقابل راسه وآخره
ان زدته زيادة يسيره ... سامح بها أن لم تكن كثيره
والجيم إنْ افرد ينقسم إلى ... ثلاثةٍ فشظّ منها الأوّلا
يدخل ذاك كل الأقلام سوى ... نسخٍ فنوعُهُ سوى ذاك استوى
والثاني نوعٌ كالزناد مُتَّصِفْ ... كذلك الثاني محلّق عُرِفْ
فرأس أولى منهما كرأس را ... ورأس ثانٍ راس با فاكتب ترى [11]
يدخل ذا النوعان في كلِّ قَلَمْ ... رطب وان تَبْغِ الخلافَ تُتَّهَمْ

## حرف الدال والذال

رَكّبْهُ من خطّين خطٍ منحني ... كذاك مستلقٍ وفي النسخ أَبِنِ
لان ثاني النسخ صفْ منسطحا ... والقط فيه ظاهر إتَّضَحا
وان خطّطت ألفاً من اسفله ... إلى علاه كان كافا متّجه
طوله قدر الألف المعلومه ... والمنحني منه كذا مقسومه
وان وصلته بسلام سبقه ... فاصعد به ثلاثة كي لا تلحقه
ثم تميل الثلث من أعلاه ... وارجع بحبر زائدٍ ثلثاه
وارسله كي تُحاذي مبدا الدال ... يختصّ بالثلث بلا إهمال
وإن ترد محققا عُدْ فيه ... أكثر من ثلثيه كي تفيه
وَمِلْ رقاعاً يُمْنَةً قليلا ... وارسله كالمخلاب مِلْه ميلا

## حرف الراء والزاي

مُرَكّبٌ مُقَوّسٌ وهو على ... ثلاث أنواع فَدَوِّر أوّلا [12]
ودوّر الآخر ربع دائرهْ ... رَوِّسْهُ او رَطّبْهُ يَحْسُن سائره
وأظهر القَطّةَ في مبداه ... يختص بالثلث كذا فرعاه

والثاني نوع مشبه لأوّله فارقه الثاني بمشق آخره
وفارق الرقاع والنسخ فلا رأس ولا ترطيب فيهما انجلا
وثالث الانواع را مستلقيه يخرج منها الصاد والها تاليه
شاركه في البدء ياء مفرده والسين والنون ابتدىء معلقه
وراس كاف ثم راس ياءِ أيضاً يكونا مثل رأس الراءِ

## حرف السين والشين

رَكّبْهُ من ثلاث تقويساتِ ثلاثة إنْ زدتَ فيها تاتي
والثاني مستلق بمدٌ أنْسبه من بعد ترطيب لمدّ اليسر له
ورأسه كراس راء في الشبه يختص بالثلث وباقي الرطبه

## حرف الصاد والضاد

ومن خطوط اربع قد ركّبا مستلقياً وبعده منتصبا [13]
وبعده منسطحٌ، وتلوه مقوّس، فافهم وذا تركيبه
فرأس صاد رأس را معلّق والثاني والثالث باء تسلق
رابعها نون بها مُقَوّسُ ومطلق ان شئت ذاك كَيِّسُ

## حرف الطاء

عقدته كالصاد زِيدَ المنتصب في رأسه واحذف التقويس تُصِبْ

## العين والغين

العين من منكب ثم منتصبْ ومستدير بعده إذا كُتِبْ
مُنْكَبُها أبداً بسنّ الأيمنِ مرفقا ملطّقا بالأحسنِ
بقية المنكب ثم المنتصب بصدره دَوّرْهُ كالجيم تُصِبْ
وإنْ كتبتها فَنَوِّعْ اربعا صاديّة فرد وإنْ مُدَّتْ معا
أو حرف مستلق كرا ملويّه والثاني من أنواعها النَعْليّه

بـأن تـلـيـهـا ألـف أو هـاء ٭أو دال أو لام وراء يـاءُ
ثـالـثـهـا مُـحَـيَّـرٌ نـوعٌ أتـى من بعده نحو مقوس وتا [14]
والـفـرق بـين الأعين المذكوره يظهر من أوساطها المشهوره
فوسط الصاديّة المتحده يجيء منه راس باء وحمّده
والوسط الثاني من النَغليّه كراس نونٍ جالس سويه
وأوسط الأجزا من المحيّره كرأس را مقوّس مشتهره
ورابع الانواع ذو قرنين يسبقها حرفٌ وفَتْحُ العين
في الثلث والريحان والمحقَّقِ وفي التواقيع وفي الموثّقِ
وإنْ طَمَسْتَ باقي الاقلام فَحَسَنٌ في رأيهم وسامي
وجاء في المفتوحة المركّبه ثلاث أوجهٍ أتَتْ مُرَتّبه
ساوى سوادها من الجنبين واظهر القطة في القرنين
والثاني أكْثِرْ من سواد الأيسر مع ضعفه في الايمن المصدر
ثالثها منع السواد أصلا من جانب الايمن فاتبع أصلا

## حرف الفاء

الفاء ركّب من ثلاث مُتَّضِحْ منكّبٌ زِدْ مُنْتَصِباً ومُنْسَطِحْ [15]
إنْ زيل منكب فباء وافى أو ألفا تزيدها فكافا
والفاء والقاف إذا تَفَرّدا في أوّل الحروف فاطمس واقصدا
بذلك الرقاع والنسخ وفي بقية الاقلام عكسه اكتفي
وإنْ توسّطا بحرف سامي لا يطمسا في سائر الاقلام
أو كانت الفا آخر الحروفِ لا طمسَ أيضاعكس قافٍ توفي
في قلم الرقاع والنسخ أطمسن وجاز فتحه وطمسه حسن
ولا يجوز الطمس في المحقق وفرعه والثلث والموثَّقِ
كذا التواقيع الثلاثية لا تطمس فقد نصّ بذلك الملا

## حرف القاف

رَكِّبْهُ من خَطَّيْنِ مُنْكَبّاً كذا — مُقَوّساً لا غير قد نصّ بذا
تقويسه كالنون والصاد انشره — لأنه في القدر نصف دائره

## حرف الكاف

رَكِّبْهُ من اربعة ستتضح — أوّلها المستلق ثم المنسطح [16]
وتلوه منتصبٌ ومنسطحْ — فالأوّلان الياء ردّها تَصحْ
باقيهِ باءٌ تمَّ هذا الشكلُ — لا يأت مفرداً وهذا النقلُ
ولا يجيءُ آخر الكلام — وأدخلوه سائر الاقلام
وزاد في الريحان والمحققِ — كذاك في النسخ واعكس ما بقي
وآخر منتصب ومنسطح — تجده من ألفٍ وباءٍ مُتّضحْ
محلّهُ في آخر الكلام — افرد أو أضيف في الدوام
يدخل ذا الشكلان في كل قلمْ — من سائر الأقلام هذا القول عَمْ
وإنْ تُليه الفاً أو لاما — أبداه دالاً تبلغ المراما
واصعد به ملاصق الراس ترى — بياضه كحبّة الكُمَّثْرى
وإن يليه غير لام والفْ — طَوّلْهُ عمّا قبله بذا أُلِفْ
كنصف لام ألفْ ملويّه — نحو اليسار فافهم الكيفيّه

## حرف اللام

منتصبٌ وبعده مقوّسُ — وأصله ألف وباء مجلسُ [17]
طولهما على السّوا في الرطبه — ويابس الاقلام زد منتصبه
إن كان رطباً وهوثاني الحرفِ — ارجع به ثلثيه وافرقه تفي
أو كان يابساً ونَسْخاً فاخترْ — ترجع من غير سوادٍ أو تَذَرْ
وابْسِطْهُ عمّا قبلهُ يسيرا — في يابس والفتح زِدْ كثيرا

## حرف الميم

الـميـمُ اقـسـام تـرى الـمُـجَـلَّـسَـهْ تـخـرج واواً ثـم را مُـقَـوَّسَـهْ
يـدخـل ذا فـي سـائـر الاقـلام قَـصْـرُهُ في الـنسـخ عـلـى الـدوام
والـثـانـي نـوع رأس حـا مَـشْـظِـيّـه مـشـقّـتـه مـشـقّـة را مـسـتـلـقـيـه
ومـنـه نـوع رأسـهِ مـحـلَّـقُ يـخـتـص بـالـرطـبـة فـيـمـن يـسـبـق
وثـمَّ نـوع رأس جـيـمٍ وأَلِـفْ تـوسّـطـا بـرأس بـاء قـد عُـرِفْ
يـدخـل فـي الاقـلام ثـم تِـلْـوَهُ مـيـمٌ بـه طـمـسٌ وآلـفٌ بَـعْـدَهُ
يـدخـل فـي الـتـوقـيـع والـغـبـارِ كـذاك نـسـخٌ ورِقـاعٌ جـاري

## حرف النون [18]

قَـوّسٌ مُـقـوّراً أو اطـلـق آخـره فـهـي إذاً تـكـون نـصـف دائـره
ادخـلـهـمـا فـي سـائـر الاقـلام شـبـهـهـمـا الـقـافـان فـي الاحـكـام
وثـالـثٌ عَـلِّـقـهُ ورَتِّـبَـهْ يُـدخـلـه فـي أقـلامـه الـمـرطّـبـه

## حرف الهاء

أقْـسـامُـهـا تُـعَـدُّ إحـدى عَـشَـرَهْ أوّلـهـا دالٌ وهـا مـن يُـسْـره
نـصـفٌ بـه الـمـنـكّبّ ثـم الـمـنـسـطـح يـدخـل في الاقـلام وهـو الـمـتّـضـح
ودور لامٍ أَلِـفٌ مَـسْـلـويّـه يـخـتـصّ بـالـرقـاع والـنـسـخـيّـه
ثـالـثـهـا دالٌ وفـاء يـابـسَـهْ رابـعـهـا كـرأس مـيـم جـالـسَـهْ
تـشـبـه خـصـيـة الـحـمـار الـمـبـلـس عـالـيـهـا يـشـبـه أُذُنَ الـفَـرَسِ
خـامـسـهـا كـرأس جـيـمٍ قـاعـده سـادسـهـا كـرأس بـا مـوحّـده
سـابـعـهـا يـشـبـه رأس الـحـاءِ ثـامـنـهـا تـعـلـيـق رأس الـراءِ
تـاسـعـهـا يـشـبـه رأس الـعـيـن عـاشـرهـا صـاديـن كـامـلـيـن
وحـادي عـشـرهـا تُـرَكّـب دالا كـالأوّل أسـلـك سـلـكـهـا مـقـالا [19]
مـن أربـعٍ مـنـهـا لـتـسـعٍ رُتْـبَـهْ وادخـل بـه أقـلامـك الـمـرطـبـه

وثـالـث وعـاشـر وخـتـمـهـا أدخـلـه فـي الاقـلام كـي تَـعُـمّـهـا
رَكّـبْـهُ مـن خـطّـيـن كـبّ أوّلـه وقـوّس الـثـانـي ربـع دائـره
واكـتـبـه أنـواعـاً وخـصّ الاوّلا بـالـثـلـث والـتـواقـيـع الـمـكـبـره
وبـالـتـواقـيـع الـرقـاعـيـة خـصْ ثـانـي الـواوات هـكـذا يُـنَـص
وثـالـث يـخـتـصّ بـالـرقـاع رابـعـهـا بـالـنـسـخ بـاتـبّـاع
خـامـسُـهـا يـخـتـصّ بـالـمـحـقّـقِ وفـرعـهـا الـريـحـان ثـم مـا بـقـي

## حرف لام ألف

رَكّـبْـهُ مـن ثـلاثـة سَـتـنَّـضِـخْ أوّلـهـا الـمـنـكـبُّ ثـم الـمـنـسـطـخْ
كـذاك مُـسْـتَـلْـقٍ تُـرى مـلـويّـه تـدخـل فـي الأقـلام بـالـسـويّـه
فـي الـنـسـخ والـريـحـان دَوَّر دائـره ولا تـقـرن فـي الـمـرطـب سـائـره
والـثـانـي لام وألـف مُـنـكـبّـه من سائر الاقلام خصّ الرطبه [20]

## حرف الياء

أوّلـهـا مـسـتـلـقـيـا مـشـتـقّـا مـن رأس راءٍ ثـم نـونٍ عـلّـقـا
كـذاك رأسُ الـكـاف إن شَـقُـقْـتَـهُ مـجـلّـسـاً فـرأس كـافٍ سـقـتـه
والـرأس والـمـنـكـب إنْ ردَدْتَـهُ مـقـلـوب دالٍ كـامـلٍ صَـيَّـرْتَـهُ
وإنْ شـرعـتَ بـعـده مُـقـوَّسـا رأيـتَ دالاً ثـانـيـا مـجـلّـسـا
تـقـويـهـا كـالـنـون والـقـافـات كـذلـك الـلاّم بـلا مـدّات
وإنْ تَـزِدْهـا أوّل الـتـقـويـس ألـفـاً تـرى لامـاً عـلـى الـتـأسـيـس
ونـوع ثـانٍ يـاؤه مـردوده مـن الـيـسـار يـمـنـةً مـمـدوده
نـوعـيـن: أولـى رأسـهـا مـرطّـب مـحـدودة الآخـر رطـب مـعـرب
ونـوعـهـا الـثـانـي بـعـكـس الاولـى فـلا تـرطّـبـه أفـهـم الـمـنـقـولا
أنـواعـهـا الأربـعـة الـمـذكـوره تـدخـل فـي أقـلامـنـا الـمـشـهـوره

* * *

| | |
|---|---|
| نجزت الأرجوزة النسّابَهْ | وضّاحة الأصول للكتابَهْ |
| تهدي لمن ضلّ عن الصواب | وظلّ معدوداً من الكُتّابِ [21] |
| ناظمُها عبدٌ فقيرٌ راوي | يدعي بعبد القادرالصيداوي |
| يرجو من الكريم حُسْنَ الخاتمه | بجاه خير الانبيا والخاتمه |
| ولجميع المسلمين عامه | ومن رآها من جميع الأمّه |
| وصَلِّ يا ربّ على المختار | وآلهِ وصحبهِ الاطهارِ |

* * *

تم الكتاب بعون العزيز الوهاب على يد الفقير محمد الازهري من تلاميذ سليمان الشاكري بمصر ومحمد الكريدي بقسطنطينية، كلاهما تلميذي حافظ عثمان وهو عن مصطفى الايوبي وشيخه درويش علي وهو عن خالد العزيز وهو عن بير محمد وهو عن الدرويش محمد وهو عن مصطفى دده وهو عن والده واضع هذا الاسلوب الشيخ حمد الله الاماسي السهروردي النقشبندي متصلا سنده إلى أمر حضرة سيدنا ومولانا رسول الله.

والحمد لله وحده [22].

## نماذج للخطوط الرئيسيّة التي أبدعها إبن البوّاب وتلاميذه

1 - الشكل - 212 - نماذج الأقلام الستة عشر كما كتبها الخطاط، فريد زمانه، محمد بن حسن الطيبي على طريقة إبن البواب، في القاهرة سنة 908هـ. في كتابه «جامع محاسن كتابة الكتّاب ونزهة أولي البصائر والألباب» المحفوظ في متحف «طوب قبو سراي» باستنبول، والنموذج أعلاه بقلم الأشعار.

2 - الشكل - 213 - نموذج قلم الثلث الذي اخترعَهُ يوسف الشجري أخو إبراهيم الشجري وهو على طريقة إبن البواب.

3 - الشكل - 214 - نموذج من قلم المنثور، على طريقة إبن البَوّاب.

4 - الشكل - 215 - نموذج من قلم التواقيع على طريقة إبن البَوّاب.

5 - الشكل - 216 - نموذج من قلم جليل الثلث على طريقة إبن البَوّاب.

6 - الشكل - 217 - نموذج من قلم المصاحف على طريقة إبن البَوّاب.

7 - الشكل - 218 - نموذج من قلمي المسلسل والغبار على طريقة إبن البَوّاب، ويلاحظ أن قلم الغبار أدق الأقلام.

8 - الشكل - 219 - نموذج من قلم النسخ الفضّاح على طريقة إبن البَوّاب.

9 - الشكل - 220 - نموذج من قلم الجليل المحقّق، وهو على شكل المحقّق وبسملته، على طريقة إبن البَوّاب.

10 - الشكل - 221 - نموذج من قلم الريحان على طريقة إبن البوّاب - القلم الرقيق المكتوب بين السطور هو الريحان، وهو كالمحقّق.

11 - الشكل - 222 - نموذج من قلم الرقاع على طريقة إبن البَوّاب.

12 - الشكل - 223 - نموذج من قلم الرياشي على طريقة إبن البَوّاب.

13 - الشكل - 224 - نموذج من قلم اللؤلؤي على طريقة إبن البَوّاب.

14 - الشكل - 225 - نموذج من قلم الحواشي على طريقة إبن البَوّاب.

15 - الشكل - 226 - نموذج من قلم المقترن على طريقة إبن البَوّاب.

16 - الشكل - 227 نموذج من قلم العقد المنظوم، من وضع محمد بن الحسن الطيبي.

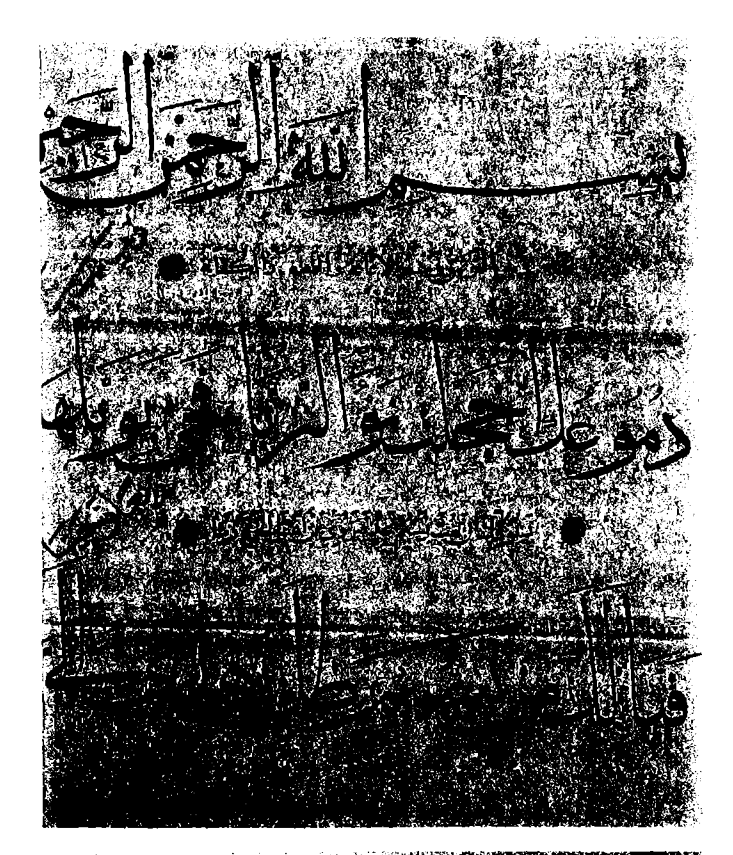
17 - الشكل - 228 - نموذج من البسملة بقلم المحقّق على طريقة الاستاذ حمد الله الأماسي ويلاحظ اختلاف «الريحان العربي عن الريحان التركي».

18 - الشكل - 229 - نموذجين - البسملة، بقلم الثلث على طريقة الأستاذ حمد الله الأماسي والاسفل، كتابة بقلم النسخ على طريقة الأستاذ حمد الله الأماسي.

19 - 20 - الشكل - 232 و233 - نماذج أخرى للأقلام الستة، من كتابات الشيخ حمد الله الأماسي، أو منسوبة إليه أو ما يعرف « شش قلم».

وهي: المحقّق، الريحان، التوقيع، الرقاع، الثلث، النسخ، وهي ضمن مجموعة، خليل أيثم، ملك جلال - استانبول 1948.

المصدر: ناجي زين الدين/ بدائع الخط العربي/ ص 148، ص 158.




شكل ـ ٢١٢ ـ




شكل ـ ٢١٣ ـ



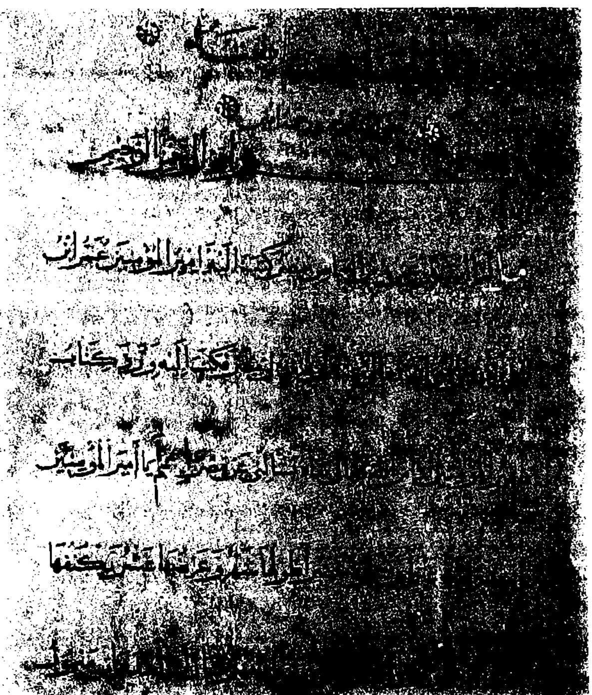
شكل ــ ٢١٤ ــ



شكل ــ ٢١٥ ــ




شكل ـ ٢١٦ ـ



شكل ـ ٢١٧ ـ



شكل ـ ٢١٨ ـ



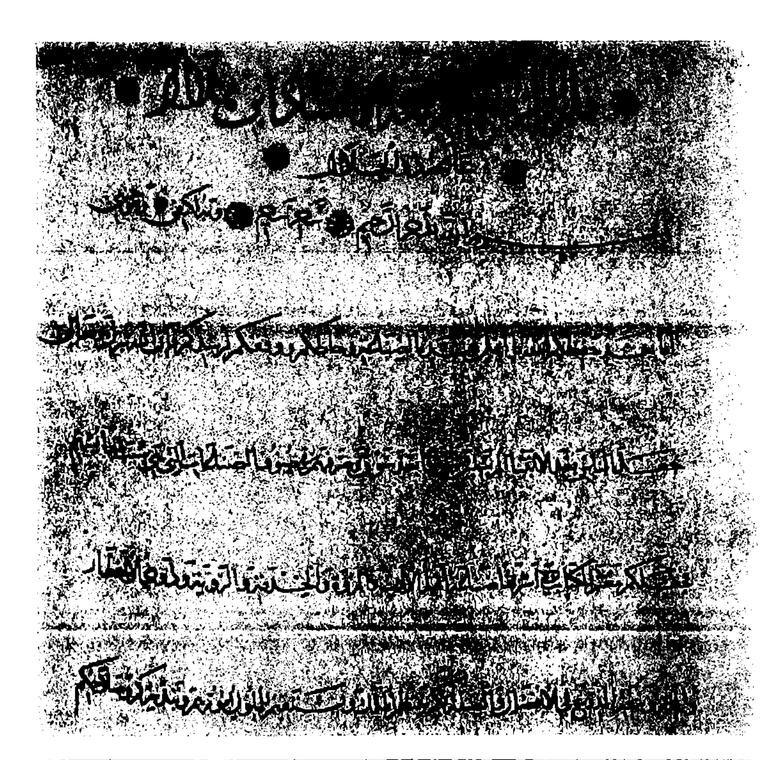
شكل ـ ٢١٩ ـ



شكل ــ ٢٢٠ ــ



شكل ــ ٢٢١ ــ



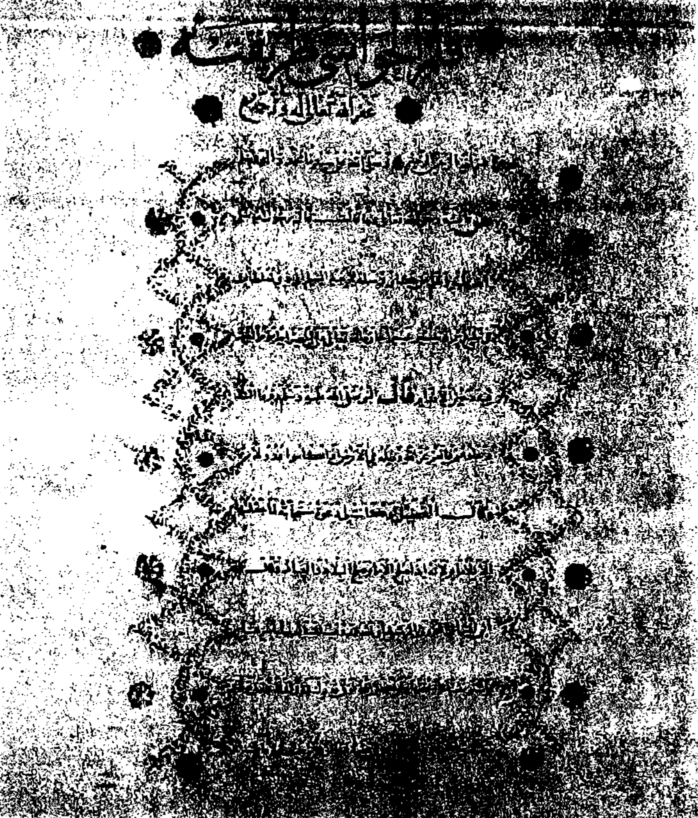
شكل ـ ٢٢٢ ـ



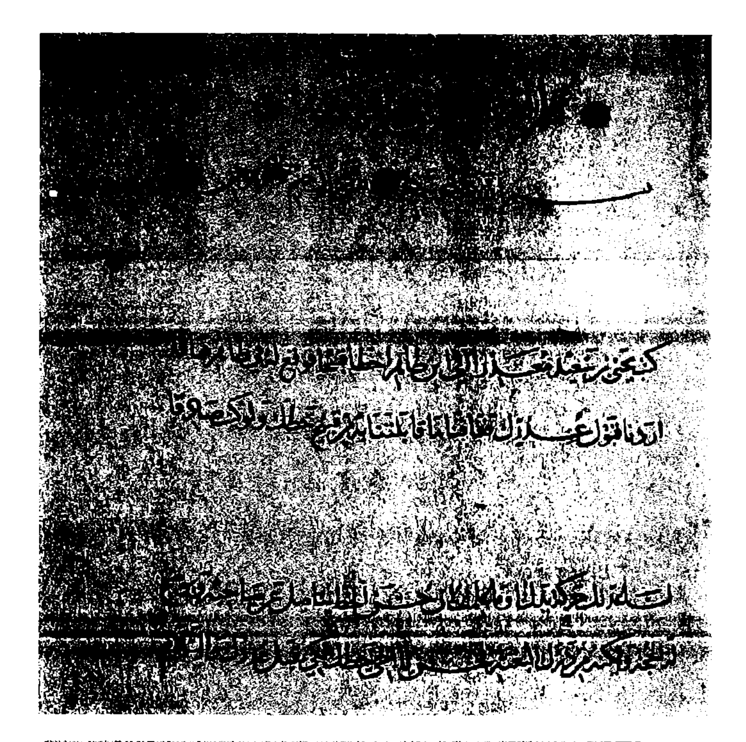
شكل ـ ٢٢٣ ـ



شكل ــ ٢٢٤ ــ



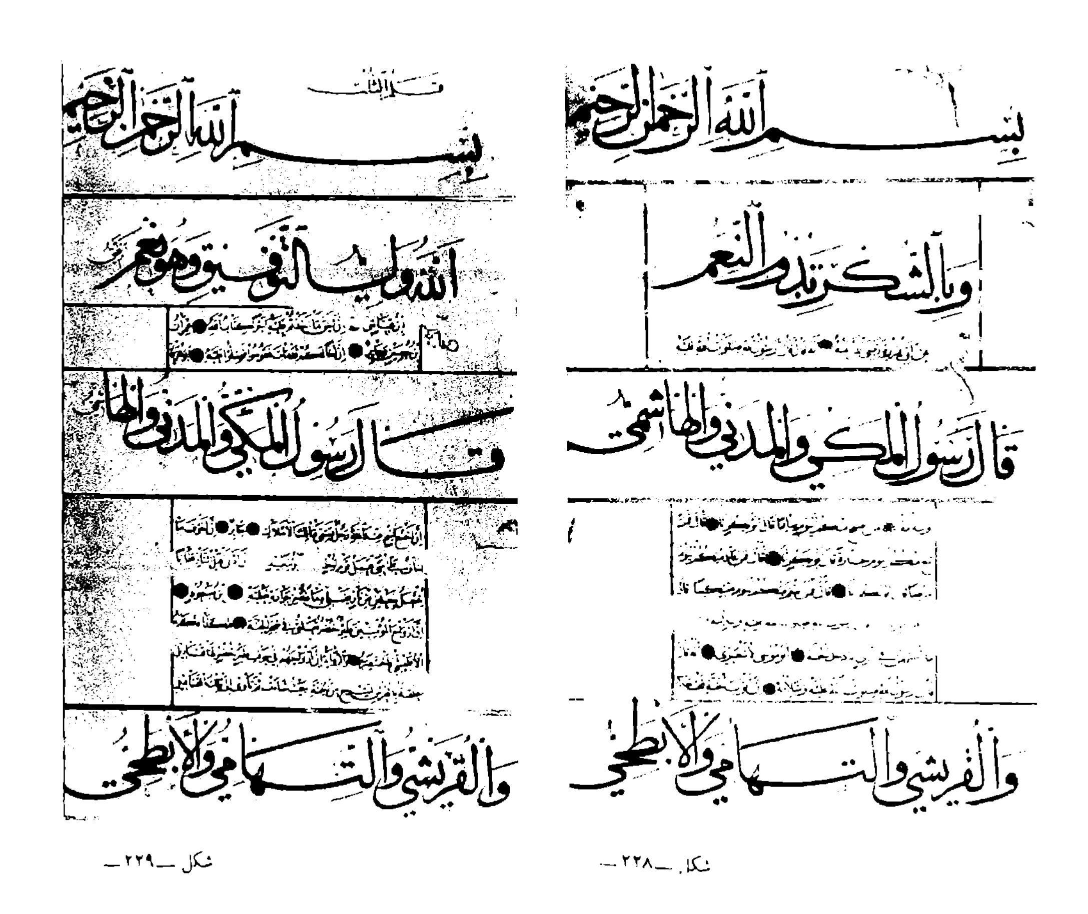
شكل ــ ٢٢٥ ــ



شكل ـ ٢٢٦ ـ

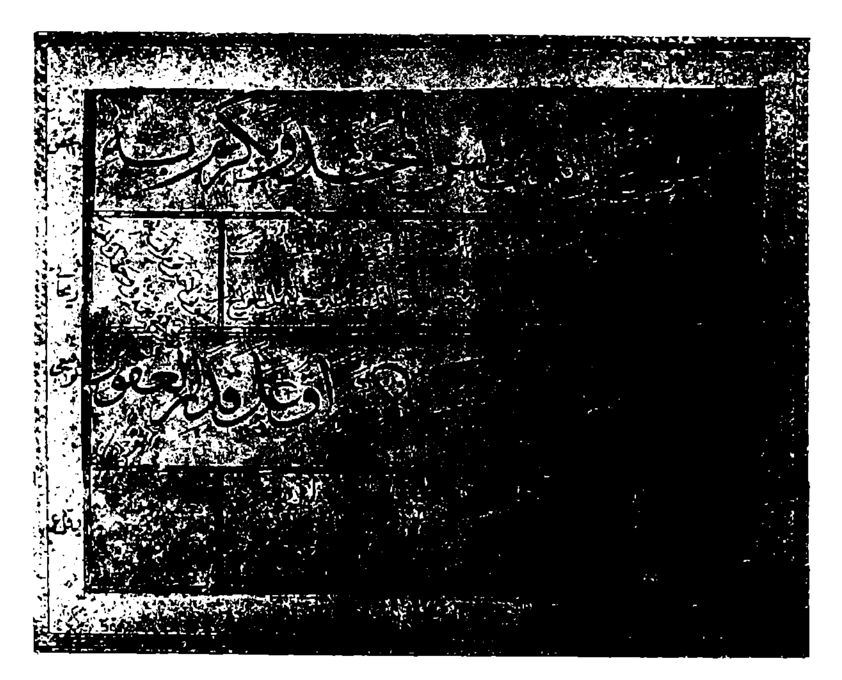


شكل ـ ٢٢٧ ـ

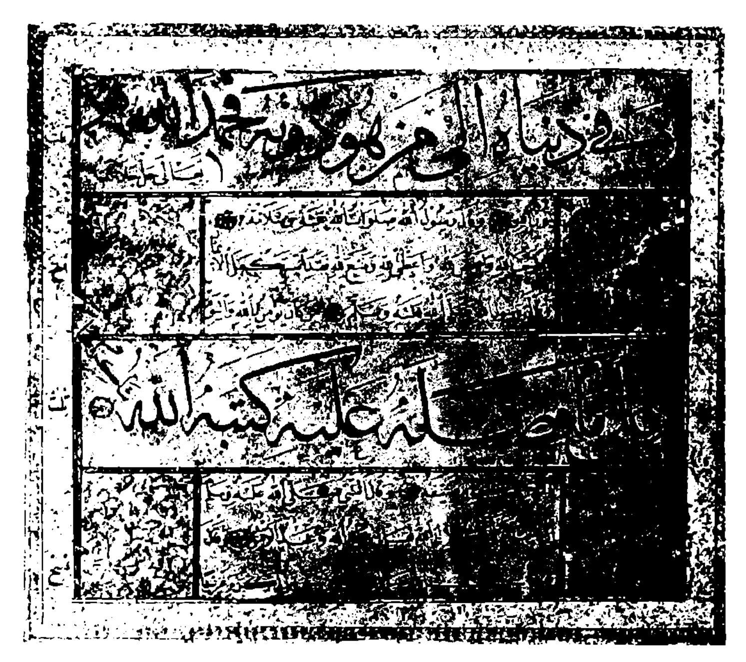



شكل ـ ٢٢٨ ـ

شكل ـ ٢٢٩ ـ



شكل ــ ٢٣٢ ــ



شكل ــ ٢٣٣ ــ

## نماذج لخط التعليق والنستعليق «الفارسي»

1 - الشكل رقم - 733 - لوحة للخطاط عدوي، جلي تعليق. والبسملة بخط النسخ.

2 - الشكل رقم - 734 - لوحة متعاكسة التناظر، متراكبة الكلمات، نصّها، «من صبر ضفر» كتبها محمد أمين يمني سنة 1378هـ، وهومن المعمرين الذين تجاوزوا «المئة» وهو يعمل الأختام في بغداد.

3 - الشكل - 741 - لوحة فنيّة تجمع سبعة نصوص مختلفة، كتبت بخط ديواني جلي من قبل الأستاذ محمد عزت الكركوكي.

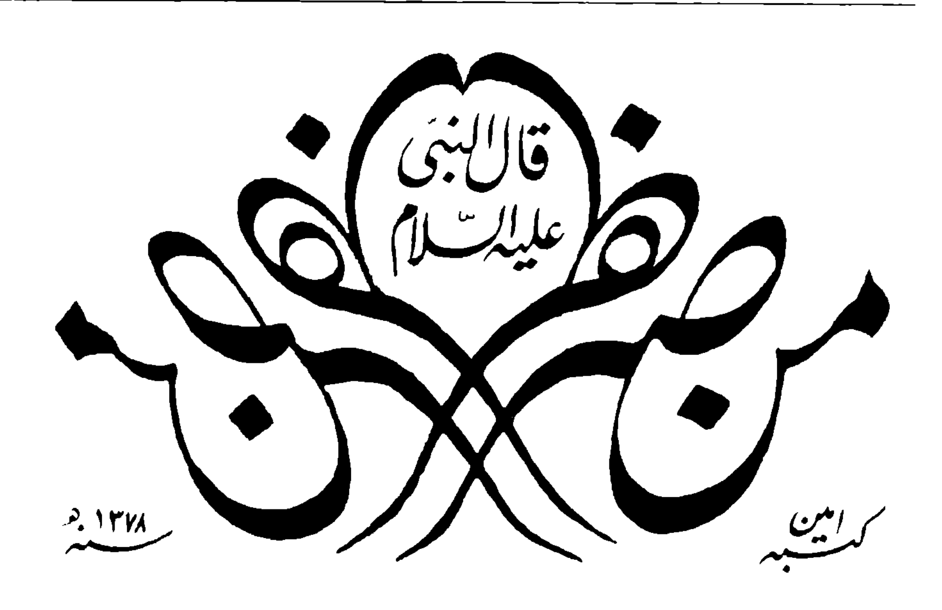
المصدر: ناجي زين الدين/ بدائع الخط العربي/ ص 397 وص 401.

4 - لوحة بإسلوب فارسي للخطاط رسا، متحف دمشق 1914م، من كتاب الخطاط حسن المسعود/ الخط العربي/ ص 68.

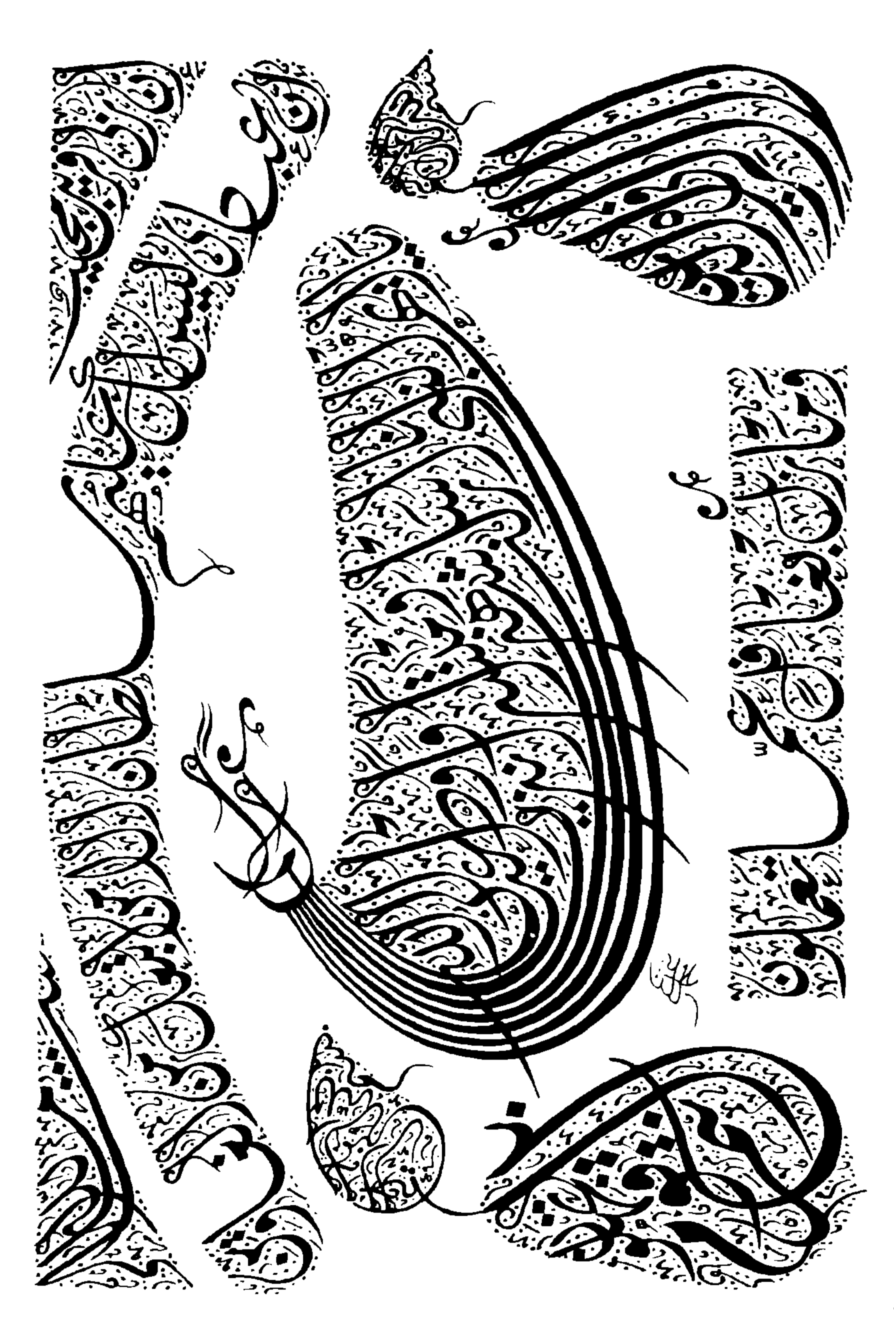
5 و6 - خط فارسي بكلام فارسي - حصلنا عليها من كتاب لتعليم الخط الفارسي.




شكل ـ ٧٣٣ ـ




شكل ـ ٧٣٤ ـ



شكل ـ ٧٤١ ـ

لفَارسِي ولد هذا الخَـطِ في إيران وَيُستعـمل بكـثره هناك كَـما في كُـل البلدان الاسـلاميّـة وَيمتـاز بـالرشـاقـة وَالانـاقة ، وَتوجد منه تفرعَـات كخـطِ الشكسـتة .

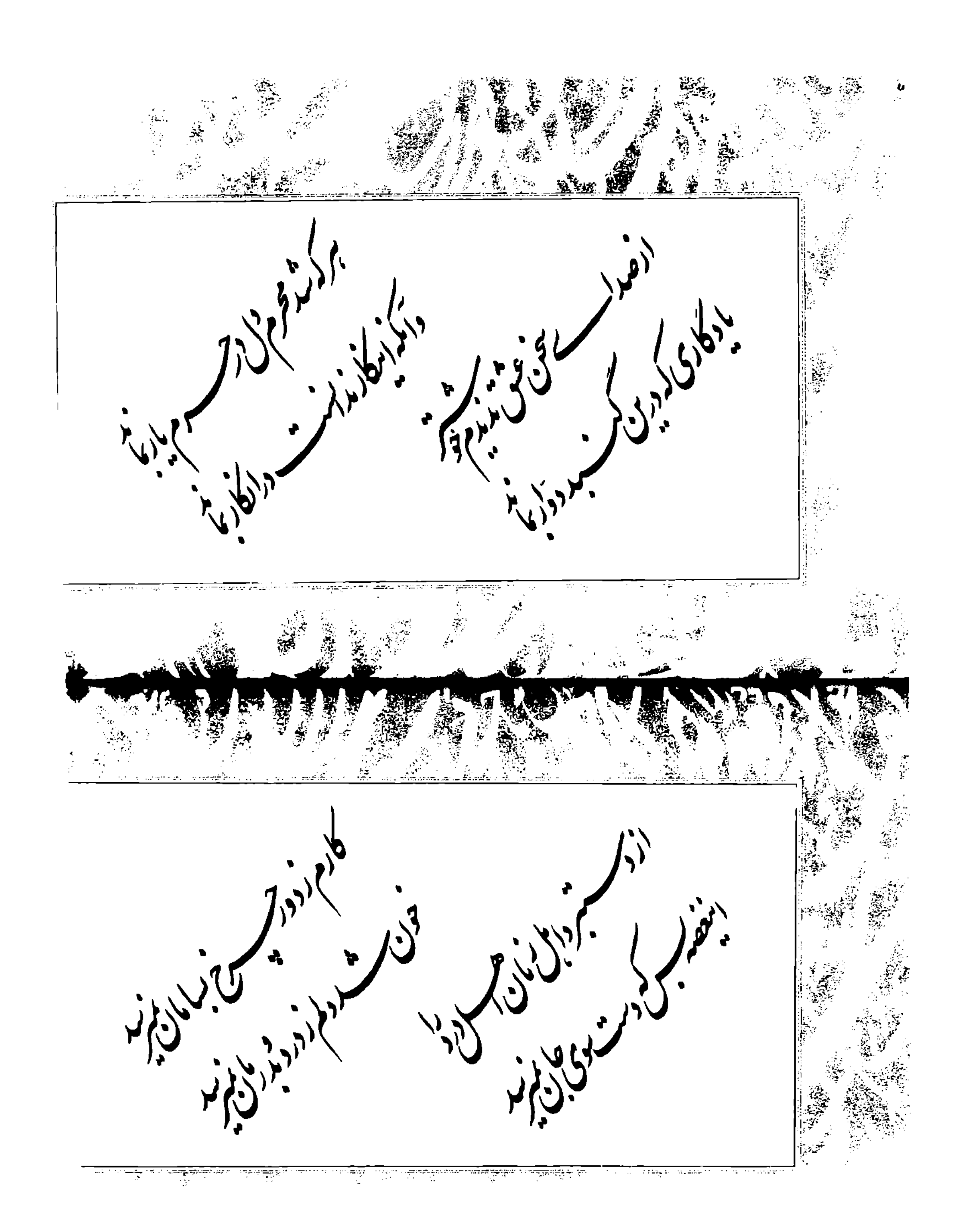
**Farsi** ou **Taliq** : écriture cursive très élégante qui est née en Perse, puis s'est étendue aux pays musulmans.



Style Farsi par le callıgraı
Musée de Daı

ـلوب فارسي للخطاط رسا
١٩١ م - متحف دمشــق


هر که شد محرم دل در حرم یار بماند
وانکه این کار ندانست در انکار بماند
از صدای سخن عشق ندیدم خوشتر
یادگاری که درین گنبد دوار بماند
کارم ز دور چرخ به سامان نمی‌رسد
خون شد دلم ز درد و به درمان نمی‌رسد
از دستبرد جور زمان اهل درد را
این غصه بس که دست سوی جان نمی‌رسد


هر که شد محرم دل در حرم یار بماند
وانکه این کار ندانست در انکار بماند
از صدای سخن عشق ندیدم خوشتر
یادگاری که در این گنبد دوار بماند
کارم ز دور چرخ به سامان نمی‌رسد
خون شد دلم ز درد و به درمان نمی‌رسد

# الباب الخامس

# ياقوت المستعصمي
# آخرُ المَدرَسَة البغدادية في الخط العربي

إنَّ المتتبّع لتاريخ تطور الخط العربي يُدرك تماماً أهمية المدرسة البغدادية في هذا الفن الرفيع، فما أن يأفل نجمٌ من مشاهيرها حتى يبزُغَ نجم آخر ليحُلَّ محلَّهُ، فما خلت بغداد قطُّ من عَلم في هذا الفَن، منذ عرفت للأقلام موطن ابتداعها حتى هذا الوقت[1]، وراية الريادة في إبداع القلم ما زالت بيد أبنائها، وهم يبدعون الأقلام الجديدة المتطورة، حتى لقد كانت لهم الأسبقية في دخول الحرف العربي - كفن - في مجال «الكمبيوتر»[2] في نهاية القرن العشرين.

وقد لاحظنا أن إبن مقلة خلق هذه المدرسة، وتَسلَّم إبن البَوّاب من بعدِهِ الراية والريادة، وظلّت تحمل إسمهُ حتى (ق 7هـ/ 13م)، حيث آلت رياسة الخط وسفينة القلم العربي لياقوت المستعصمي، بوصفِهِ الركن الأساسي الثالث في هذه المدرسة الفنيّة ذات الإبداع الخالد:

## الفصل الأول

## من هُوَ ياقوت المستعصمي؟!

هو إنسان رومي الأصل، دَفَعَتْهُ أقداره لأن يُشترى كرقيقٍ أو مَولىً، وكان من حُسنِ

---

(1) يعتبر الخطاط هاشم محمد البغدادي، هو استمرار لتلك المدرسة وأحّد المطوّرين فيها في القرن العشرين.

(2) لقد استطاع الخطاط العراقي/ محمد سعيد الصكار/ أن يدخل - الخط العربي - إلى الكمبيوتر وأن يجعل استخدام هذا الفن/ الخط/ يدخل في هذا العالم الواسع «الكمبيوتر» كما أنه أبدع عدّة خطوط عربية/ لا سيما الخط الحديث/ في لغة الصحافة اليومية، حيث اشتقَّهُ من تمازج النسخ والرقعة، في شكل بديع، في مطلع السبعينات من القرن العشرين.

حَظِّهِ أن اشتراه الخليفة المستعصم بالله العباسي (عبد الله بن المستنصر - 640 - 656هـ/ 1242 - 1258م) وقد رُبِّيَ ياقوت بدار الخليفة واعتنيَ بتعليمه الخط بناءً على وصيّة الخليفة ذاته، وأسندت هذه المُهمّة إلى الشيخ صفي الدين عبد المؤمن، ومن ثم كتب على الشيخ إبن حبيب[1].

لُقِّب بجمال الدين، وكنِّي بـ«أبي الدُر» واشتهر بياقوت المستعصمي، نظراً لكونهِ مولى الخليفة المستعصم بالله، وإسمُه الكامل هو «ياقوت بن عبد الله المستعصمي»[2] الرومي الطواشي، لقَّبُه اللاحقون عليه بـ«قبلة الكتّاب» وعنهم أخذ المحدثون[3].

إختلفت في ترجمتهِ المصادر القديمة، لا سيما بشهرته «ياقوت المستعصمي» حيث كان هناك إسمٌ آخر لخطاطٍ وكاتبٍ ثانٍ بهذا الإسم، يُعرف بـ«ياقوت المستعصمي بن عبد الله الموصلي المتوفّى سنة 618هـ» وهو الآخر كان مجيداً للخط، ومتَّبعاً طريقة إبن البَوّاب. وهذا الإشكال وقع فيه الذهبي في «سير أعلام النبلاء 22/ 149» الترجمة رقم (98) وقد إنتبهَ إبن تغري بردي إلى ذلك، وفَصَّلَهُ بشكل دقيق في «النجوم الزاهرة» الجزء 5/ 283، في أخبار سنة 543هـ، حيث يذكر كل الأُدباء والخطّاطين والكتّاب الذين يشتركون بهذا الإسم.

والغريب في الأمر أن خطّاطاً وباحثاً معاصراً، ومُهتمّاً بتاريخ الخط العربي، هو الأستاذ «محمد طاهر الكردي» يقع في هذا الإشكال، في كتابه (تاريخ الخط العربي وآدابه) ص 368 - 369، فلم يُميِّز بينَهُ وبين سَمِيِّهُ الموصلي المعروف بلقب «أمين الدين الملكي» نسبة إلى ملكشاه السلجوقي (1055 - 1092م). وقد ترجم ياقوت الحَموي في «معجم الأدباء» لياقوت بن عبد الله الموصلي - مولى السلطان ملكشاه، ولم يترجم لياقوت المستعصمي، نظراً لوفاتهِ قبله، حيث توفى ياقوت الحموي في عام 622هـ[4].

---

(1) أنظر: إبن الفوطي «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة» ص 237 - طبعة دار الفكر الحديث - بيروت 1407هـ/ 1987م.

(2) إبن تغري بردي «النجوم الزاهرة» 5/ 283 و8/ 187، وراجع - الذهبي: «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» 5/ 443، وإبن كثير - البداية والنهاية - 14/ 6 الطبعة الأولى مكتبة المعارف - بيروت 1966م - والزركلي 8/ 131 - 132.

(3) تحفة الخطاطين - نقلاً عن الخطاط البغدادي - ص 21، وتعليقات محمد بهجت الأثري عليه ص 82.

(4) راجع «معجم الأدباء» 19/ 312 - 313 - وعن وفاته راجع - الزركلي في الأعلام 8/ 131.

نشأ «ياقوت المستعصمي» في بغداد، واكتسب عادات أهلها، واشتغلَ خازناً بدار الكتب المستنصرية، كما يقول إبن الفوطي[1].

ثم إنتهت إليه رياسة الخط المنسوب. كان يكتب على طريقة إبن البَوّاب[2]، وكانت لَهُ حظوة ورعاية من عند علاء الدين الجويني صاحب الديوان، وأحد أبرز تلاميذ إبن البَوّاب[3]، وما أن حَلّت قدَمَهُ في الديوان، حتى أوعز علاء الدين الجويني لأولادِهِ وابن أخيهِ شرف الدين هارون أن يكتبوا عليه[4].

ومن بغداد ذاتها شاع ذكر ياقوت المستعصمي، حتى طبقت شهرته الآفاق واعترفوا لَهُ بالعجز عن مُداناة رتبته[5]. وقد ذكرت المصادر التاريخية أن الكثيرين من أولاد الأكابر أخذوا عنه صناعة القلم، وكان محترماً مُعظماً، يقول عنه إبن كثير: «كان فاضلاً، مليح الخط مشهوراً بذلك، كَتَبَ خِتَماً حساناً، وكتب الناس عليه ببغداد»[6].

لقد شَهَدَ ياقوت المستعصمي سنة 656هـ/ 1258م، وأهوالها إذ تهاوت أمام عينيه صروح الحضارة العباسية وهي تُداس بسنابك خيل المغول والتتار وتنقضُّ على معالم بغداد الأثرية والثقافية، وكيف أضحت مخطوطاته ومخطوطات غيره، نهباً للنار أو غرقاً في دجلة، أو ضياعاً تحت أقدام المغول. وهذه الفترة من حياتهِ، لم تُسلّط عليها الأضواء بشكل دقيق من لدن المؤرخين الذين كتبوا عنه، حيث ذكرت المصادر أن ياقوت المستعصمي تُوفي سنة 698هـ[7] أي بعد سقوط الخلافة العباسية بنحو 42 سنة، هي الغير واضحة ولا مكشوفة بشكل جلي في حياته فيما ذُكرت إشارات بأن الناس أخذوا عنه، ولم نعثر على مصدرٍ هام يُشير إلى إبداعاته وإضافاته على الخط، وتلاميذه الذين أخذوا عنه أو قلّدوه في الطريقة والمنهاج، سوى إشارة وردت عند الأستاذ بهجت الأثري تحدث فيها عن إستمرار شجرة الخط العربي بعد ياقوت المستعصمي إلى عبد الله الصيرفي، وعنه أخذ

---

(1) نقلاً عن ناجي معروف/ تاريخ علماء المستنصرية/ ص 385، ط1 - بغداد سنة 1379هـ/ 1959م، وسهيلة الجبوري/ الخط العربي وتطوره/ ص 92.

(2) إبن العماد الحنبلي/ شذرات الذهب 5/ 443.

(3) راجع الباب الرابع/ تلاميذ إبن البوّاب/ في هذه الدراسة.

(4) إبن الفوطي/ الحوادث الجامعة/ ص 236.

(5) كشف الظنون 1/ 711.

(6) البداية والنهاية 14/ 6.

(7) الحوادث الجامعة - ص 236؛ شذرات الذهب 5/ 443؛ النجوم الزاهرة 8/ 187؛ البداية والنهاية 14/ 6؛ كشف الظنون 1/ 711؛ الخطاط البغدادي ص 20 - 21؛ الزركلي 8/ 131؛ سهيلة الجبوري ص 93.

الشيخ حمد الله بن مصطفى دده الإماسي وعنهُ أخذ خير الدين المرعشي، وهذا الأخير تخرّج عليه خَلْقٌ كثير، وتوفي سنة 876هـ[1].

## الفصل الثاني

## آثاره الفنيّة والأدبية

أشار مُعظم المترجمين الذين أرّخوا لحياتهِ إلى إلمامهِ بالأدب، من نظمٍ ونثر، إلى جانب اختصاصهِ في الخط، وذكروا لَهُ المؤلفات الأدبية التالية[2]:

1 - أسرار الحُكماء - طبع بالإستانة سنة 1300هـ.

2 - أخبار وأشعار ومُلح وحكم ووصايا منتخبة - طبع بالإستانة سنة 1302هـ.

3 - رسالة في الخط.

- أمّا آثارهُ الفنيّة، فهناك نموذج بخطّه «بقلَم الثلث» كتبها سنة 682هـ/ في الصفحة الأخيرة من/ ديوان الحادرة/ محفوظ الآن في «متحف طوب قبو - خزانة رقم 1642 - إسطنبول[3].

- كما يوجد أثر آخر لهُ، بخط النسخ، مؤرخ بسنة 681هـ[4].

وذكر المقريزي، أن بمدرسة الأشرف شعبان بن حسين بن محمد إبن قلاوون في القاهرة «عشرة مصاحف» طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة، في عرض يقرب من ذلك، أحَدها بخط ياقوت، وآخر بخط إبن البَوّاب وباقيها بخطوط منسوبة، ولها جلود في غاية الحُسن معمولة في أكياس كالحرير[5].

---

(1) الخطاط البغدادي - ص 84 من «التعليقات».

(2) جرجي زيدان/ تاريخ آداب اللغة العربية 3/ 143؛ وأعلام الزركلي 8/ 131؛ ومحمد بهجت الأثري في/ تعليقات على كتاب الخطاط البغدادي/ ص 83؛ وسهيلة الجبوري ص 93.

(3) راجع: مصوّر الخط العربي/ لناجي زين الدين المصرف/ ص99 - طبعة المجمع العلمي العراقي.

(4) محمود شكري الجبوري/ نشأة الخط العربي/ ص 67؛ مكتبة الشرق الجديد/ بغداد/ 1974، وسيجد القارىء - نماذج - من خطهِ في نهاية هذا الفصل.

(5) سهيلة الجبوري/ الخط العربي وتطوره/ ص 82 - 83.

فيما ذكر الأستاذ محمود شكر الجبوري أنَّ لياقوت المستعصمي آثاراً أدبيّة خطّت بقلمه وهي[1]:

1 - درر الحكم، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت 429هـ) وهي موجودة في دار الكتب المصرية.

2 - طيف الخيال، ومنه نسخة في خزانة السلطان أحمد الثالث كتبها ياقوت سنة 674هـ.

3 - نسخة ديوان قطبة بن أوس وهي مخطوطة في برلين - ورقة رقم 2694.

4 - إسبوعيات - ليس عليها إسم المصنّف، كتبت سنة 689هـ.

5 - قرآن «جزء 12» مع ترجمة فارسية قديمة كتبت سنة 684هـ بيد ياقوت.

6 - كما توجد لَهُ آثار في متحف دار الكتب المصرية وفي متحف النيل بالقاهرة، وفي غيرها من المتاحف العالمية[2].

- كما أجمعت المصادر، التي ذكرت شعر «ياقوت المستعصمي» على استحسانه، لا سيما الغزلي منه، ومن ذلك ما نقله «إبن الفوطي»[3].

«بدا بوجهٍ مخجلٍ ... شمس النهار المشرقة
في أذنهِ لؤلؤة ... كأنها والحلقة
قد أخذت في وردةٍ ... بالياسمينِ ملحقة»

وقال يهنىء أحدهم بعيد[4]:

هَمُّكَ إسعافٌ وإسعادُ ... فدمتَ تزدان وتزدادُ
ما العيد في عصرك مستظرفاً ... جميع أيّامكَ أعيادُ

وقال معاتباً أحد أحبَّتِهِ[5]:

صدقتم في الوشاة وقد حَظا ... في حُبّكم غيري ولي تكذيبها

---

(1) أنظر بحثه الموسوم بـ«الخطاط ياقوت المستعصمي» والمنشور بمجلة (المورد) عدد خاص عن الخط العربي - العدد 4 - المجلد 15 - السنة 1407هـ/ 1986م/ ص 152.

(2) د. محمد عبد العزيز مرزوق - العراق مهد الفن الإسلامي/ ص 44.

(3) الحوادث الجامعة في المئة السابعة/ ص 236؛ والبداية والنهاية 4/ 6.

(4) إبن الفوطي/ الحوادث الجامعة في المئة السابعة/ ص 236.

(5) المصدر السابق/ ص 237.

وزعـمـتـم أنّـي مَـلَـلـتُ حـديـثـكـمُ    مَـنْ ذا يَـمَـلُّ مـن الـحـيـاة وطـيـبـهـا

وقال متغزلاً[1]:

أراكَ فـأُغـضـي الـطـرف عـنـك مـخـافـة    عـلـيـكَ وعـنـدي مـنـكَ داءٌ مـخـامِـرُ

يـزيـدُ عـلـى مَـرِّ الـجـديـديـن جُـدَّةً    ولـيـس بـبـالٍ يـوم تُـبـلـى الـسـرائـرُ

تلك هي حياة المبدع ياقوت المستعصمي التي عثرنا على بعض تفصيلاتها من المصادر، ولكن ما هو «ضائع» أكثر من ذلك بكثير، فعسى أن نحض بهِ ذات يومٍ من أحَّدِ المخطوطات التي لم تُحقق بعد، والتي هي تزيد على الملايين، ولم يكشف عنها النقاب حتى هذه اللحظة.

(1) إبن الفوطي/ الحوادث الجامعة في المئة السابعة/ ص 237.

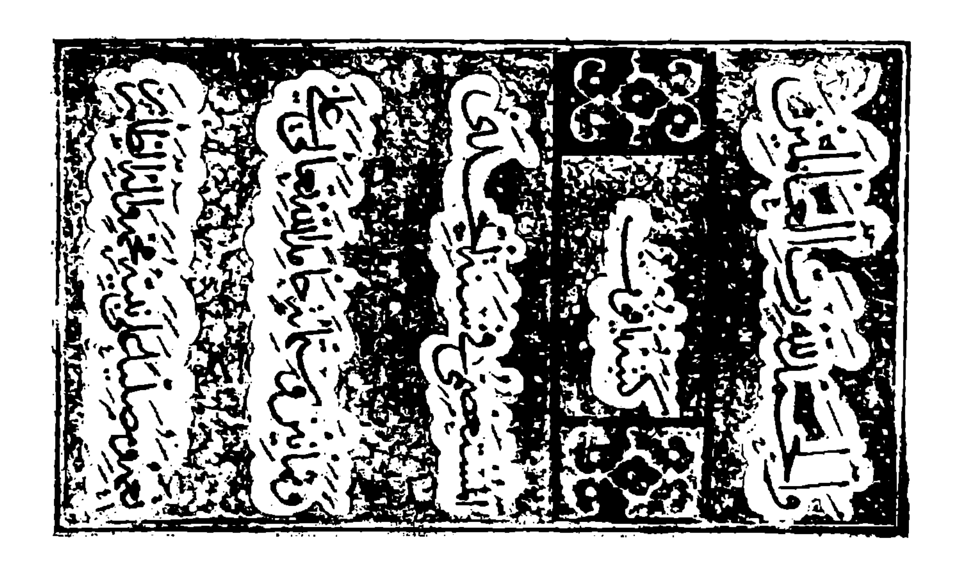
ياقوت المستعصمي

في صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة والحمد لله

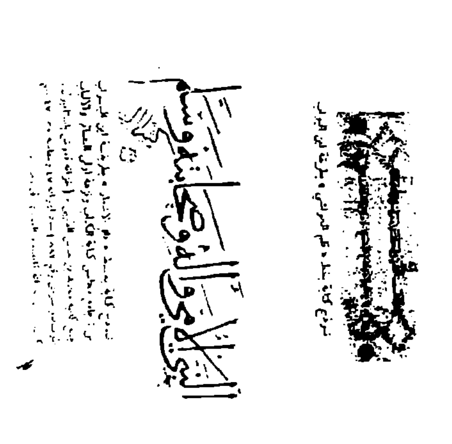
وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله وسلامه

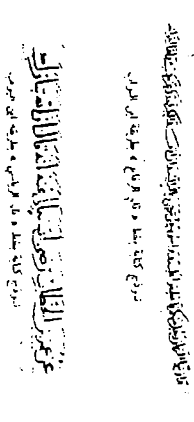
نموذج كتابة بخط ثلثي على قواعده التامة في عصره
من نسخة نفيسة كتبها ياقوت المستعصمي في سنة ٦٨٢ هـ

صور من خطوط ياقوت المستعصمي



الخط النسخي كما أبدعه ذلك الكاتب ياقوت المستعصمي





## الفصل الثالث

# المرأة والخط العربي

لقد ذكرنا في هذه الموسوعة [ج 5 أعلام الورّاقين] نسوةً كانت لهنَّ مشاركة فَعّالة في مهنة الوراقة، في مختلف الأمصار الإسلامية، لا سيما بغداد واشبيلية وقرطبة. ونظراً لتطور مسارات الخط العربي في العصر العباسي، والإرهاصات الفنيّة التي سبقته، وعندما بلغت المدرسة البغدادية في الخط ذروتها على يد آخر أعمدة هذه المدرسة «ياقوت المستعصمي» حيث انتشرت تأثيرات الخط العربي على مختلف الأمصار الإسلامية، ومسّت كل طبقات المجتمع وأجناسه وأصبح التعاطي في الخط والأدب والشعر وفنون الثقافة الأخرى، إحدى مظاهر «الظُرف» بوصفهِ حالة ثقافية في المجتمع العباسي، وعليه أصبح من اللازم أن تتعاطى المرأة وتتفاعل مع ميسم الثقافة العام، فالحالة الناهضة للعصر - من كافة الوجوه - أصبحت عامل دفع قوي للمجتمع فظهرت المغنيات والفنانات[1] والظريفات والأديبات والشاعرات والورّاقات والخطّاطات أيضاً، وهو الأمر الذي يكشف تفاعل المجتمع العباسي مع عصرهِ المتطور.

ونظراً لأهمية موضوع المرأة في الفنون الإسلامية عامة ومسألة الخط، خاصة، إرتأينا أن نذكر تراجم مختصرة، لمجموعة من النساء الخطّاطات، بهذا الباب، منوهين بمبدأ السبق للسيدة ظمياء محمد عباس التي نشرت مقالاً بعنوان «نساء خطّاطات» صدر في العدد الخاص بالخط العربي، من مجلة المورد العراقية، العدد/ 4 - المجلد 15 - السنة 1986م، والذي أفادنا كثيراً في هذا الفصل.

قد ذكرنا - في ترجمة إبن البوّاب وتلاميذه، أنّه كان هناك سلسلة غير منقطعة لتعاطي هذا الفن الجميل بين الرجال والنساء، وقد ذكرنا منهن «شهدة الكاتبة وفاطمة بنت الأقرع» اللّتان كانتا بمثابة «أساتذة» لتعلم هذا الفن، وعنهن تؤخذ أصولَهُ وقواعده، وعليه سوف نفرد في هذا الفصل - ترجمة للخطّاطات والمزوّقات للمصاحف - كُلٌ مِصْرٍ على حدا، تسهيلاً للقارىء، وانسياقاً مع منهجنا الذي سرنا عليه في هذه الموسوعة.

(1) لقد أفردنا كتاباً لنا بعنوان «مغنيات بغداد في عصر الرشيد وأولاده» لهذه النخبة من المغنيات - صدر بدمشق عام 1991م من منشورات - وزارة الثقافة السورية.

## أ - الخطّاطات البغداديّات

### 1 - مريم بنت مصطفى

واحدة من البغداديات اللآتي إستهوتها مهنة الخط، فأوجدت طريقة مازجت بها بين الحرف - كشكل - يعبّر عن معنى، وبين استخدامهِ كوحدة زخرفية بشكل مبسط. فقد وجدت نسخة من «مختار الصحاح للرازي» بخطّها، محفوظة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، تحت رقم (1074) توحي بمقدرتها وتمكنها من الكتابة الفنيّة بشكل واضح، حيث إسلوبها يشير إلى المقدرة على التفنن في مد الحروف وتطويعها مستخدمة خط النسخ الرقيق المشكول، لكتابة متن الكتاب بمدادٍ أسود، وجعلت عناوين الكتاب بمداد أحمر، وبخط النسخ أيضاً، وبقلم أغلظ من قلم المتن، وشغلت الحواشي بتعليقات ومنقولات من كتاب «صحاح الجوهري» ووضعت في نهاية كل نصٍ منقول وقفات بأشكال زخرفية دقيقة وكتابتها تلك تعود لسنة 959هـ/ 1551م. في مدينة سلانيك[1].

### 2 - الخطاطة رابعة بنت مُلا نازك

إمرأة بغدادية، يبدو أنها تعلمت تلك المهنة من الوسط الذي تعيش فيه، فقد عثر لها على كتاب بخطّها «شرح المواقف» محفوظ في مكتبة المتحف العراقي ببغداد تحت رقم (25332) مستخدمة خط النسخ والمداد الأسود في كتابة المتن والعناوين بمداد أحمر، إتّسمت كتابتها بدقة الخط ورشاقتهِ، إلاّ أنها لم تكن دقيقة في نسخهِ، حيث كثر التصحيف والتحريف والعثرات اللغوية، والنسخة مكتوبة سنة 1101هـ/ 1689م، وعدد الصفحات 761 صفحة[2].

### 3 - عَريب المغنية[3]

ذكرها صاحب «الدر المنثور» بأنها كانت مغنية محسنة، شاعرة جيدة الخط، ولدت سنة 181هـ/ 797م، خرج بها مولاها إلى البصرة، فأدّبها وعلمها الخط والنحو والشعر والغناء، توفيت سنة 277هـ/ 890م[4].

---

(1) راجع - ظمياء محمد عباس/نساء خطاطات/مجلة المورد (العدد 4 - مجلد 15/لعام 1986م) ص 142.

(2) المرجع السابق/نفس الصفحة.

(3) أنظر ترجمتها المفُصلة في كتابنا/مغنيات بغداد في عصر الرشيد وأولاده/ص 180 - ص 196.

(4) الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور/ص 331؛ وأعلام النساء لكحالة 2/1000 - 1007.

### 4 - خديجة بنت محمد الشاهجانية

واعظة من واعظات بغداد، ولدت سنة 376هـ/ سمعت أبا الحسين بن سمعون الواعظ، وروت عنه الجزء الثاني من أماليه، وكتبت بخطّها عن جماعة، توفيت سنة 460هـ/ 1067م[1].

### 5 - فاطمة بنت الحسن بن علي الأقرع

كنيتها، أم الفضل الكاتبة، كانت أحسن الناس خطّاً على طريقة إبن البَوّاب، أخذ الناسُ عنها جودة الخط، نعتها السمعاني بالقول «كان لها خطٌ مليح حسن»، الأمر الذي أهَّلها لكتابة «كتاب الهُدنة إلى ملك الروم من ديوان العزيز، بعد أن غادرت بغداد إلى مصر - وقد كان والدها عطّاراً من أهل بغداد، توفيت ببغداد سنة 480هـ/ 1087م[2].

### 6 - شهدة الآبري

هي بنت أبي نصر أحمد الآبري، الدينورية الأصل، البغدادية المنشأ والمولد والوفاة. تعلمت الأصول وأخذت العلم من كثير من الشيوخ وأجازوها باقتدار. تعلمت الخط على يد محمد بن عبد الملك الذي أخذ الخط عن إبن مُقلة. عُرفت بـ«شهدة الكاتبة» لجودة خطّها، ومنها تعلم الخطّاط ياقوت بن عبد الله الملكي النوري سنة 618هـ/ 1221م كاتب سلطان ملكشاه، توفيت ببغداد سنة 574هـ/ 1118م، ودفنت بباب أبرز[3].

### 7 - حافظة خاتون بنت محمد سعيد أفندي

والدها كان «نائب الحِلّة سابقاً» تتلمذت على الخطاط سفيان الوهبي البغدادي، تميّزت بإجادة خط النسخ والثلث. هناك بعض آثارها الفنية «رُقع خطيّة، وآيات قرآنية» توفيت ببغداد سنة 1346هـ/ 1927م. ودفنت في مقبرة الإمام الأعظم[4].

---

(1) أعلام النساء 2/ 290؛ وأعلام الزركلي 4/ 130؛ وظيماء محمد عباس/ مجلة المورد/ ص 144.

(2) المرجع السابق 2/ 144؛ والزركلي 2/ 49؛ وظمياء عباس/ المرجع المذكور/ ص 144؛ وراجع كذلك - فصل - تلاميذ إبن البواب - في هذا الكتاب.

(3) وفيات الأعيان 2/ 477؛ أعلام النساء 2/ 699؛ أعلام الزركلي 3/ 178؛ وكذلك ظمياء محمد عباس/ مجلة المورد - العدد 4 - لعام 1986م/ ص 144.

(4) إبراهيم الدوري/ البغداديون - أخبارهم ومجالسهم/ ص 258، نقلاً عن ظمياء محمد عباس/ ص147.

## 8 - صالحة خاتون النقشلي

نشأت وترعرعت في بغداد، وحفظت القرآن، وأحاطت بمبادىء العلوم العقلية والنقلية، درست على العلامة الشيخ عبد السلام، مدرّس الحضرة القادرية، كان لها خطٌّ حسن، تعلمت أصوله على الخطاط سفيان الوهبي البغدادي، كتبت مصحفاً بقلم الثلث والنسخ، على قاعدة ياقوت المستعصمي، محلى بالذهب، وأوقفتهُ على الحضرة القادرية[1].

## 9 - فضّة بنت أحمد بن محمد علي البلاغي

ولدت في النجف وتوفيت فيها في حدود سنة 1230هـ/ 1814م، متزوجة من السيّد حسن البلاغي، كتبت بيدها «كشف الغطا» والذي زادت صفحاته على 350 صفحة، محفوظ لدى عائلتها في النجف[2].

## 10 - فريال العمري

نشأت بالموصل، وتخرّجت من معهد إعداد المعلمات بالموصل سنة 1965م، وأصبحت معلمة للتربية الفنية، تعلمت الخط من الفنان الخطاط (يوسف ذنون) منذ عام 1972م، تجيد كتابة خط الرقعة والديواني والكوفي. ولها مشاركات عِدّة في معارض للخط العربي أقامت معرضها الأول سنة 1981م[3].

## 11 - جَنّة عدنان أحمد عزّت

ولدت بالموصل سنة 1962م، وتلقت دروس الخط من الخطّاط يوسف ذنون، أجازها الخطّاط المصري سيد إبراهيم سنة 1395هـ/ 1975م، ثم أجازها الخطاط التركي حامد الآمدي سنة 1395هـ/ 1975م[4].

## 12 - فرح عدنان أحمد عزّت

ولدت بالموصل سنة 1965م، تلقت دروس الخط على الخطاط يوسف ذنون، كذلك كأختها «جنة» أجازها الخطاطان/ سيد ابراهيم وحامد الآمدي/ سنة 1395هـ/ 1975م[5].

---

(1) المرجع السابق أعلاه/ ص 270 - 271؛ وظمياء عباس/ المورد/ ص 147.

(2) ظمياء محمد عباس/ نساء خطاطات/ مجلة المورد - العدد 4 - لسنة 1986/ ص 147.

(3) المرجع السابق/ نفس المكان.

(4) نفس المرجع/ ص 148.

(5) نفس المرجع/ ص 148. (سيجد القارىء نماذج لهاتين الخطّاطتين مع هذا الفصل).

## ب - خطّاطات بلاد مصر

### 1 - الخطّاطة بنت خداوردي

وردت أخبار طريفة عَنّها نقلها المؤرّخ إبن عبد المعطي الإسحاقي المتوفى سنة 1060هـ/ 1650م، في كتابه (أخبار الدول فيمن تصرّف في مصر من أرباب الدول) حيث قال: «يروى أنَّهُ في زمن الملك الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد (سنة 624هـ/ 1226م) أحضرت من الإسكندرية إمرأة خُلقت من غير يدين، فجيء بها بين يدي الوزير رضوان، فعرَّفَتْهُ أنها تعمل برجليها ما تعمله النساء بيديها من خطٍّ ورقم، فأُحضرت لها دواة، فتناولت برجلها اليسرى قلماً، فلم ترضَ شيئاً من الأقلام المبريّةَ التي أحضروها فأخذت السكين وبرت لنفسها قلماً، وشقَّتْهُ، وقطّتْهُ، وأخذت ورقة فأمسكتها برجلها اليسرى، وكتبت باليمنى أحسنَ ما تكتبهُ النساء بأيديهن[1].

### 2 - عائشة بنت علي بن محمد بن علي بن أبي الفتح

عالمة محدِّثة، ولدت بالقاهرة سنة 761هـ/ 1359م، تعلّمت الخطَّ حتى أصبحت تكتبُ جيداً، وحدّثت، وسمع عليها غير واحد، وخرجَ لها الزين رضوان جزءاً فيه عِشاريات وتُساعيات، مبتدأ بالمسلسل، قال عنها البقاعي، «كتبت الكتابة الحسنة» توفيت سنة 840هـ/ 1436م[2].

### 3 - كلثوم بنت عُمر بن صالح النابلسية

مُحدِّثةٌ وكاتبة، ولدت بالقاهرة سنة 772هـ/ 1370م، سافرت مع أبيها لدمشق،

---

(1) الإسحاقي/ أخبار الأول من أرباب الدول/ ص 263.
ونقلت السيدة ظمياء محمد عباس ملاحظة هامة، أشارت فيها إلى وجود بعض المخطوطات والرقع الخطيّة، مجهولة الناسخ، إلاّ أن بعضها يعود لخطّاطات لم يذكرن أسماءهن الصريحة واكتفين بذكر إسم العائلة أو الزوج أو الكنية (كأم الخير بنت أحمد بن عيسى، وزوجة السردار عبد القدوس خان - معتمد الدولة الأفغانية من أهل أفغانستان التي كتبت سورة الفاتحة بخط التعليق، وزيّنتها بالزخارف الملوّنة) صورة خطّها منشورة في تاريخ الخط العربي/ ص 302 - نقلاً عن صورة منشورة في «مجلة كابل» كما وردت خطوط لزين النساء أورتكذيب» التي كانت توقّع بأسماء مستعارة.
راجع مجلة المورد/ العدد 4 - السنة 1986/ نساء خطاطات/ ص 143.

(2) كحّالة/ أعلام النساء 2/ 927؛ وظمياء محمد عباس/ مجلة المورد/ ص 145.

وأقامت فيها لحين وفاته، قرأت القرآن، وسمعت الصحيح على أبي المحاسن يوسف بن الصيرفي، كتبت الخط الحسن، توفيت بالقاهرة سنة 856هـ/ 1452م[1].

### 4 - زينب بنت علي بن محمد الطوخيّة

واحدة من المحدّثات الكاتبات، ولدت سنة 830هـ/ 1426م، بالقرب من طوخ فنشأت بها. حَفَّظها أبوها القرآن، وبعض العُمدة، والحاوي، ومختصر أبي شجاع، وجميع الملحة، وعَلَّمها الكتابة، قرأت على زوجها الشمس بن رجب بن غالب الصحيحين، توفيت في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[2].

## ج - خَطّاطات بلاد الشام

### 1 - سارة الحَلبيّة

واحدة من اللاّتي عرفن بتزويق المخطوطات واللّوحات الخطيّة لمشاهير الخطّاطين، وكانت تكتب الخط الجيّد، وتحل الذهب وتكتب بهِ، ويبدو أنها من أهل حلب، رغم أن «كحّالة» لم يُشر إلى ذلك[3].

### 2 - زُمرد بنت جاولي

هي أخت الدقّاق صاحب دمشق، سمعت الحديث على بعض الشيوخ، وقرأت القرآن وحفظتهُ، إستنسخت الكتب، وشيّدت المدرسة الخاتونية بدمشق، توفيت سنة 557هـ/ 1161م[4].

### 3 - خديجة بنت يوسف بن غنيمة البغدادي

عالمة فاضلة، روت الكثير عن إبن الكتبي ومكرم، قرأت النحو، وجوّدت الخط على جماعة، سمع عليها «رسالة السكون» بسماعها عن مكرم سنة 671هـ/ 1272م، وقرىء عليها بمنزلها بدمشق سنة 669هـ/ 1270م من «كتاب البعث لأبي بكر بن أبي داود بسماعها إبن الكتبي، توفيت في رجب سنة 699هـ/ 1299م[5].

---

(1) المرجع السابق 3/ 1334.
(2) المرجع السابق 1/ 508؛ وظمياء محمد/ نفس المكان.
(3) أعلام النساء/ لكحّالة 2/ 708.
(4) المرجع السابق 1/ 450؛ والزركلي/ الأعلام/ 2/ 49؛ وظمياء عباس/ المورد/ ص 144.
(5) نفس المرجع السابق 1/ 292.

## 4 - فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البعلبكي المعروف بالبطائحي

محدثة دمشقية، مُسندة، أخذ عنها السبكي وغيره، أجادت الخط والكتابة، توفيت بقاسيون سنة 711هـ/ 1311م[1].

## 5 - فاطمة بنت علم الدين البزرالي

محدثة من أهل دمشق، سمعت الحديث من جماعة، وحفظت القرآن، وكتبت رُبْعَهُ منه، وأحكام إبن تيمية، وصحيح البخاري، توفيت سنة 731هـ/ 1330م[2].

## 6 - خديجة بنت عثمان الهوري

محدّثة بدمشق، كانت جيدة الخط والإنشاء، تكتب بخطّها الإجازات، توفيت سنة 734هـ/ 1333م[3].

## 7 - ست الوزراء بنت محمد بن عبد الكريم

دمشقية الأصل، كانت تكتب الخط الجميل، قرأت القرآن والفقه على والدها كانت حيّة سنة 737هـ/ 1336م[4].

## 8 - شهدة بنت عبد العزيز بن بدر الدين بن جماعة

محدثة سمعت بقراءة أبيها، وتعلمت الكتابة، توفيت سنة 757هـ/ 1356م[5].

## 9 - أم الخير بنت أحمد بن عيسى

قارئة دمشقية، حافظة للقرآن، ولدت سنة 810هـ/ 1407م، لقيها البقاعي سنة 849هـ/ 1445م، وقرأ عليها وقال: أنها كاتبة، قارئة، حافظة، وأجاز لها جماعة[6].

---

(1) الأعلام/ للزركلي/ 4/ 129؛ وظمياء عباس/ المورد/ ص 145.
(2) أعلام النساء/ لكحّالة 3/ 1176.
(3) أعلام النساء 1/ 284.
(4) تاريخ الخط العربي/ ص 298؛ وظمياء محمد عباس/ المورد/ العدد 4 - لعام 1996م/ ص 145.
(5) أعلام النساء 2/ 702.
(6) المصدر السابق 1/ 332.

### 10 - زينب بنت إبراهيم بن محمد بن أحمد الشنوهي

محدّثة، سمع عنها السخاوي، كتبت الخط الجيّد، توفيت سنة 897هـ/ 1474م[1].

### 11 - عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونية

شاعرة، أديبة، فقيهة، كاتبة، نسبتها إلى باعون «من قرى شرق الأردن» ولدت وتوفيت بدمشق، درست اللغة والأدب، ورحلت إلى مصر سنة 919هـ/ 1513م، لها مؤلفات كثيرة، منها: «البديعة، والملامح الشريفة في الآثار اللطيفة»، والدر الغائص في بحر الخصائص، والإشارات الخفيّة في المنازل العلمية، وإرجوزة في التصوف، وفيض الفضل - بخطها محفوظة في المكتبة التيمورية بدارالكتب المصرية، وديوان شعر، والمورد الأهنى في المولد الأسنى».

أجيزت في الإفتاء والتدريس، توفيت بدمشق سنة 922هـ/ 1516م[2].

### 12 - مريم بنت مصطفى

أصلها من سلانيك أو لم يشر كاتبوا سيرتها إلى أيِّ مصر تنتمي[3]، ولم تحقق السيدة ظمياء محمد عباس في ذلك، سوى أن المصادر أعلاه قالت: «هي من نساء القرن العاشر الهجري/ 16م. إستنسخت بعض الكتب، منها نسخة من كتاب «مختار الصحاح - للرازي» سنة 959هـ/ 1551م، محفوظة نسختهُ في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد تحت رقم (1074)[4].

### 13 - فاطمة بنت عبد القادر المعروفة بنت قريمزان الحلبيّة

ولدت سنة 878هـ/ 1473م، تولّت مشيخة العادلية والزجّاجية معاً، أخذت العِلم عن زوجها كمال محمد بن جمال الدين بن قلي درويش الأردبيلي، نزيل المدرسة الرواحية بحلب، اشتهرت بحسن خطها، حتى انتهت إليها رئاسة نساء زمانها في حلب لما لها من جودة الخط وكثرة نسخ الكتب[5].

(1) أعلام الزركلي 1/ 456.
(2) أعلام الزركلي 1/ 456.
(3) نهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد. د. عبد الله الجبوري 3/ 252 - وتاريخ الأدب العربي في العراق - عباس العَزّاوي 1/ 66. وظمياء محمد عباس/مجلة المورد/العدد 4/ ص 146.
(4) المصدر السابق.
(5) تاريخ الخط العربي/ص 298؛ وأعلام النساء لكحّالة 3/ 1171؛ وظمياء محمد عباس/ مجلة المورد/ العدد 4، ص 146.

### 14 - زينب بنت محمد بن أحمد الغزّي الشافعي

عالمة أديبة، شاعرة كاتبة، ولدت بدمشق سنة 916هـ/ 1510م، قرأت على والدها «تلقيح اللُّبابة» وقسماً من «المنهج» وكتبت لهُ كتباً بخطها، ومدحته بقصيدة، توفيت بدمشق سنة 980هـ/ 1572م[1].

### 15 - كوهر شاد بنت مير عماد

لم تذكر مصادر ترجمتها إلى أيّ مصر تنتمي، ويبدو أنها من أهل بلاد الشام. كان خطّها في غاية الحسن والجمال، ولعلّها إبنة مير عماد الحسيني - كما يعتقد محمد طاهر الكردي[2]، والذي أشار إلى أن والدها توفي سنة 1024هـ/ 1615 ولم تدقق السيدة ظمياء محمد عباس في ذلك[3].

## د - خطّاطات البلاد التركيّة

### 1 - فاطمة آني شهري

أصلها من الإستانة، كانت تجيد خط النسخ، شاعرة، كانت حيّة حتى سنة 1122هـ/ 1710م[4].

### 2 - حليمة بنت محمد صادق

أصلها من الإستانة، تعلّمت الخط وبرعت فيه، وقد كتب لها محمد اسم إجازة بتاريخ 1169هـ/ 1755م[5].

### 3 - دُرّة هانم

هي بنت السلطان محمود خان، جيدة الخط، كتبت بيدها مصحفاً سنة 1172هـ/ 1758م كان محفوظاً في المدينة المنورة. ثم نقل إلى الإستانة عند خروج الأتراك من الحجاز سنة 1334هـ/ 1915م[6].

---

(1) أعلام النساء/ لكحالة/ 1/ 520.

(2) تاريخ الخط العربي وآدابه/ ص 300.

(3) نساء خطاطات/ مجلة المورد/ العدد 4، لسنة 1986م/ ص 146.

(4) تاريخ الخط العربي وآدابه/ للكردي/ ص 298.

(5) المصدر السابق/ ص 299.

(6) تاريخ الخط العربي/ للكردي/ ص 300.

### 4 - رُشديّة هانم

لم تشر مصادر ترجمتها إلى ميلادها ووفاتها، سوى أنه ذكرت «أنّها نسخت كتاباً في التاريخ سنة 1192هـ/ 1778م، كان محفوظاً في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة، ونقل إلى الإستانة عند خروج الأتراك سنة 1334هـ/ 1915م[1].

### 5 - أسماء عبرت بنت أحمد

ولدت سنة 1194هـ/ 1780م، وهي زوجة الخطّاط محمود جلال الدين، وعليه أخذت قواعد الخط، اشتهرت بجودة خطّها، كتبت لوحة تمثّل الحلية الشريفة، يحيط بها شجرتان كتب داخلهما أسماء الله الحسنى، وأسفلها شريطان كتب داخل إحداهما «لا إله إلا الله حقاً» و«محمد رسول الله» وكتب أسفل الحليّة «نصر من الله وفتح قريب» و«أنّك لعلى خلق عظيم» كتبت الحلية سنة 1209هـ/ 1794م، وزوّقها محمد شوقي، الحلية محفوظة في متحف طوب قبو سراي، بإسطنبول[2].

### 7 - رابعة بنت مُلا نازك بن يوسف

من نساء القرن 12هـ/ 18م، كتبت بخطها نسخة من مخطوطة «شرح المواقف سنة 1195هـ/ 1780م، محفوظة نسخته بالمتحف العراقي برقم (25332)[3].

### 8 - فاطمة بنت إبراهيم

أصلها من الإستانة من نساء - ق 12هـ/ 18م -، تعلمت الخط من زوجها توقاتي محمود أفندي ومنحها إجازة، كانت تجيد خط النسخ والثلث والجلي ديواني[4].

### 9 - زاهدة بنت عالي باشا

أصلها من الإستانة، تعلمت الخط من مصطفى عزت وأجازها، فكانت تكتب الخط الحسن. توزّعت أعمالها في مساجد وتكايا الإستانة، كانت حيّة حتى سنة 1290هـ/ 1973م[5].

---

(1) المصدر السابق/ نفس الصفحة.
(2) مصور الخط العربي/ لناجي زين الدين/ ص 208.
(3) مخطوطة شرح المواقف/ نقلاً عن ظمياء محمد عباس/ مجلة المورد/ عدد 4، 1986، ص 147.
(4) تاريخ الخط العربي/ للكردي/ ص 299.
(5) تاريخ الخط العربي/ للكردي/ ص 299.

## هـ - خَطّاطات بلاد الأندلس

### 1 - فَضل

حافظة كاتبة، من القيروان، مولاة أبي أيوب أحمد بن محمد، تركت من آثارها مصحفاً كتبته سنة 295هـ/ 907م، محفوظ في مكتبة جامع عقبة بن نافع بالقيروان(1).

### 2 - لبنى بنت عبد المولى

شاعرة وعالمة بالنحو والحساب والعروض، تكتب الخطّ الجيّد وتجيد قواعدهُ، أصلها من الأندلس، كانت كاتبة المستنصر بالله الأموي، توفيت سنة 384هـ/ 984م وقيل سنة 394هـ/ 1003م(2).

### 3 - عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية

قال عنها إبن حبّان القرطبي: «لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعادلها علماً وفهماً وأدباً وشعراً، وكانت تمدح ملوك الأندلس، حسنة الخط، تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب، وتعنى بالعلم، ولها خزانة كتب كبيرة، توفيت سنة 400هـ/ 1009م(3).

### 4 - درة الصنهاجية

من النسّاخات المشهورات في الأندلس، كانت تعاصر الورّاق علي بن أحمد الورّاق، أحد نساخي القصر الصنهاجي، من آثارها مصحف مؤرخ تحبيسه سنة 410هـ/ 1019م(4).

### 5 - عائشة بنت عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني

واحدة من شواعر المغرب في ق 6هـ/ 12م، كانت تجوّد الخط، كتبت بخطّها «يتيمة الدهر للثعالبي» في ثمانية عشر جزءاً، محفوظة نسخة منه في الخزانة السلطانية ببجاية، وصفتها المصادر بأنها «كانت أديبة أريبة، فصيحة، كان لها خطٌّ حسن»(5).

---

(1) آداب المتعلمين لابن سحنون - تحقيق حسني عبد الوهاب - منشورات القاهرة ص 39؛ وظمياء محمد عباس/ ص 143.

(2) أعلام النساء/ لكحالة 1/ 289؛ وتاريخ الخط العربي/ ص 297.

(3) المصدر السابق 2/ 758؛ وأعلام الزركلي 3/ 240.

(4) مصور الخط العربي/ لناجي زين الدين/ ص 337.

(5) ظمياء محمد عباس/ نساء خطاطات/ مجلة المورد/ العدد 4 - السنة 1968م - ص 144.

### 6 - سيدة بنت عبد الغني بن علي الغتبري «أم العلاء»

غرناطية الأصل رغم ولادتها بتونس أوائل القرن 7هـ/ 13م، إعتنى والدها بتربيتها وتعليمها ليؤهلها لحرفة تعليم النساء، فتؤمّن بذلك مؤونة العيش، فحفظت القرآن، وتلقت بعض العلوم، وجوّدت الخط، وعلّمت في تونس في بلاط السلاطين من بني حفص. نسخت بخطها إحياء علوم الدين للغزالي. وغيره من المؤلفات، أقعدت، فلزمت دارها ثلاثة أعوام، وأنابت في التعليم إبنتيها، توفيت بتونس سنة 647هـ/ 1249م، يروى عنها أنها كانت تتبرّع بكل ما تتقاضاه من أجر تعليمها وما ينالها بمن الجوائز الملوكية لفقراء أسارى المسلمين[1].

تجدر الإشارة هنا إلى إنّنا ذكرنا - في الجزء السادس من هذه الموسوعة، «ورّاقو الأمصار الإسلامية» فصل - ورّاقات الأندلس - ذكرنا «سبعين ورّاقة» بالرقم، لا بالأسماء، كلهن كُنَّ يكتبن المصاحف بالخطوط الحسنة، لذا استوجب التنبيه والإشارة إلى ذلك.

## و - خطّاطات بلاد فارس

### 1 - خديجة بنت محمد بن أحمد الخراساني

فقيهة، أخذت الفقه عن أبيها، تكتب الخط الجيّد، والدها من قُضاة نيسابور، عُرف بالفقيه أبو الرجاء الجرجاني.

توفيت سنة 372هـ/ 982م[2].

### 2 - بادشاه خاتون بنت محمد بن حميد تابنكو

أديبة شاعرة، كتبت بخطها بعض المصاحف، كانت حيّة حتى سنة 695هـ/ 1295م[3].

تنويه: ذكرت الباحثة، السيدة ظمياء محمد عباس، في مستهل دراستها المعنونة بـ«نساء خطّاطات» والمنشور بمجلة المورد العراقية العدد 4/ سنة 1986، عدد خاص

(1) أعلام النساء/ لكحالة/ 2/ 669؛ وأعلام الزركلي 3/ 148.
(2) أعلام النساء/ لكحالة/ 1/ 289؛ وتاريخ الخط العربي/ ص 297.
(3) تاريخ الخط العربي/ ص 297 - 298؛ وظمياء محمد عباس/ مجلة المورد/ 4 - ص 145.

بالخط العربي، ذكرت أسماء «خطّاطات حجازيات» من أمثال: «عائشة بنت سعد بن أبي وقاص وكريمة بنت المقداد، والشفاء بنت عبد الله العروية القرشية وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وهند بنت أبي سفيان، وأم كلثوم بنت عقبة» ونحن لم نأتي على ذكرهن والترجمة لهن، نظراً لكون تلك الفترة لم يظهر - الخط - كفن، بل كن مجرد تعلّم للكتابة، والخط ظهر في العصرين الأموي والعباسي، والأخير هو الأوضح والأدق[1].

(1) راجع الصفحات 141 وما بعدها من المجلة المذكورة.




صور من نماذج للخطلطات العربيات

الفصل الرابع

## ملحق [إرجوزة الشيخ الأمام محمد بن الحسن السنجاري]

### المعروف بإسم (بضاعة المجوّد في الخط وأصوله)

إن هذه الإرجوزة، واحدة من أنفس الأراجيز التي كتبت للخط العربي، وأصوله وقواعده، ونظمت شعراً، لتسهيل حفظها على المتعلم، وهذا الأمر يشير إلى مدى تأثير الخط العربي على الثقافة العربية الإسلامية، ناهيك عن الآراء الفنيّة والمعرفية التي جاء على ذكرها العالِم «السنجاري» لشيوخ الخط قبله من أمثال إبن البَوّاب وغيره، ليؤكّد ديمومة التواصل مع أساطين الخط ولو بعد قرون من وفاتهم، هذا أولاً، وثانياً: في موسوعتنا هذه، نريد إحياء الأصول وتجذير ثقافة الخط في محمول هويتنا الثقافية، إضافة إلى أننا نضع - في هذه الموسوعة - كتاباً مرجعياً عن تاريخ الكتاب العربي وأدوات كتابته، والمراحل التاريخية والأشواط المعرفية التي قطعها في هذه المسافة التي تزيد على ألف عام، وما زالت نابضة بالحرف العربي، رغم كل الإنتكاسات المعاصرة.

وبغية الحفاظ على الأمانة العلمية، للسابقين علينا، سوف نورد نص الإرجوزة كما وردت محققة ومهمّشة بهوامش المحقق الفذ الأستاذ هلال ناجي كاملة، والتي نشرها بمجلة المورد العراقية العدد 4 - لسنة 1986، العدد الخاص بالخط العربي، إقراراً بفضله وسبقه، وعلى صورة ما نشر، دون تدخل منا، والله من وراء القصد.

# بضاعة المُجَود في الخط واصوله

## للشيخ الإمام محمد بن الحسن السنجاري

### كان حيا سنة 846هـ

تحقيق

هلال ناجي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## المقدمة

بضاعة المجود إحدى الاراجيز المهمة التي نظمها علماؤنا الأفذاذ في علم الخط وأصوله، وناظمها عراقي هو الشيخ محمد بن الحسن السنجاري كان حياً سنة 846هـ[1].

وهو مصنف فاضل، من آثاره: «الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم» فرغ منه سنة 846هـ، و«بضاعة المجود» وهي ارجوزتنا هذه. وكتابه «الثغر الباسم» توجد منه نسخة مخطوطة في خزانة الاحمدية، بتونس برقم 4582 ولم تطبع حتى اليوم[2].

أما ارجوزة «بضاعة المجود» فقد نشرت أول مرة في آخر كتاب «خط وخطاطان» المصنف باللغة التركية لمصنفه حبيب أفندي والمطبوع في مطبعة أبي الضيا في القسطنطينية سنة 1305هـ اشغلت منه الصحائف 278 - 285. ولم تكن تلك النشرة علمية لخلوها من الاشارة إلى الأصل المخطوط المعتمد وإهمالها ترجمة الناظم وإغفالها ضبط النص.

وقد أعاد والدي ﷺ نشر هذه الارجوزة نقلاً عن الكتاب المذكور في ذيل كتابه «مصور الخط العربي» المطبوع ببغداد سنة 1388هـ، واشغلت منه الصحائف 392 - 395، ولم يعتمد كذلك اصلاً مخطوطاً، وأشار في الهامش إلى أنه وجدها في خاتمة الكتاب المذكور مجهولة التاريخ.

---

(1) انظر ترجمة الناظم في معجم المؤلفين/لكحالة 9/ 201 - 202، حيث حرّف لقبه إلى السخاوي (كذا)، وانظر كشف الظنون 521 وإيضاح المكنون 1/ 185.

(2) انظر فهرس الأحمدية/ ص 36.

وكنت قد وفقت قبل سنوات طوال إلى الظفر بمخطوطة خزائنية نفيسة تحتجنها مكتبة في الاستانة برقم 8012 وهي مما أوقفته والدة السلطان عبد المجيد خان سنة 1266 هجرية وحصلت على مصورتها وهي تقع في تسع أوراق مضبوطة بالشكل وقد كتب عنوان الكتاب على الورقة الأولى مع اسم مصنفه وتحته ثبت تحبيس الواقفة، ولم يذكر في المخطوطة اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

ولأن هذه الارجوزة لم تنشر قبل اليوم نشرة علمية رأيت النهوض بهذه المهمة بإحياء هذا الأثر معتمداً النسخة الخزائنية المشار إليها.

والسؤال: ما الذي تقدمه هذه المخطوطة من جديد جدير بالاحياء؟

والجواب: إن ناظمها قد وقف على آراء بالغة الأهمية لإمامين من أئمة الخط هما: علي بن هلال الشهير بابن البواب (ت 413 هـ)، وياقوت النوري (ت 618 هـ)، فنظم هذه الارجوزة مضمناً تلك الآراء الأصيلة في الخط وقواعده، وقد ابتدع الناظم طريقة للفصل بين هذه الآراء مجملها أنه رمز لابن البواب بحرف (هـ) ولياقوت بالحرف (ي)، وكان يضع الرمز في أول البيت على هامشه إشارة إلى صاحب الراي، وحين يتفق ابن البواب وياقوت على رأي ما كان يقرن الرمزين معاً في الهامش هكذا ي هـ.

إن كثيراً من هذه الآراء القويمة لهذين العلمين قد ضاعت بضياع أصولها، فحفظتها لنا هذه الارجوزة، ذاك هو الجديد الذي تقدمه لنا هذه المخطوطة.

وبعد: فإني أسأل الله جل وعلا أن يديم نعمه عليّ وأن يمنحني من الصحة وراحة البال ما أستطيع معه إحياء الجليل من تراث أسلافنا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

| | |
|---|---|
| يقولُ راجي كَرَمَ الغفّارِ | محمَّدُ بنُ حَسَنِ السِّنجاري |
| الحمدُ للهِ الذي عَلَّمنا | مالم نكُنْ نَعلَمُ بَلْ ألْهَمَنا |
| عَلَّمنَا الخطَّ القويَّ المُغرَبِ | وخَصَّنا بالهاشميِّ العَرَبي |
| مُحَمَّدِ المبعوثِ بالرسالهْ | صَلَّى عليه اللهُ ثُمَّ آلَهْ |
| ثُمَّ على أصحابِهِ الكرامِ | وتابِعِيهِمْ بِمَدَى الأيّامِ |
| وبَعْدُ: إنَّ أحْسَنَ الخُطوطِ | أقْواهُ في المنسُوبِ والمخطوطِ |
| ما وُضِعَتْ أصولُهُ القَويمَهْ | وسَلِمَتْ فُروعُهُ السليمَهْ |

وقد نَظَمْتُ هذه الأُرْجُوزَهْ أرجوزةً ظَريفةً وَجِيزَهْ
ما اختارَهُ الاستاذُ ذو الفَضْلِ العلي «ابنُ هلال» الكاتبُ الحَبْرعلي»
مُنْشِي أصول هذه الصِّناعهْ إذ رِبْحُها كان له بضاعَهْ

(2 آ)

وما الّذي إختارَهُ «ياقوتُ» الكاتبُ المُحَرِّرُ المَنْعُوتُ
مُستَخرِجُ الطريقَةِ القَوِيّهْ الحلوَةِ الكافِيَةِ المَرْضِيَّهْ
ياقوتُ قُوتُ هذه الكتابَهْ وهكذا قد أجمع النّسابه
فهؤلاء عَلَما الكُتّابِ في الشرق والغرب بلا ارتيابِ
من شاءَ أن يَظْفُرَ بالحلاوه وقُوَّةِ الخطّ بلا غَباوَهْ
يأخُذُ مِنْ خَطَّيْهما بالأقوى وما خَلا إنْ كانَ مِمَّنْ يَقْوى
جَعَلْتُ لِلْفَتى عَليَ هاءَ ولِلْفَتى ياقوتُ رَمْزاً ياءَ
إذا هُما إتَّفَقا في أَصْلِ أقْرِنْهُما فيه بغير فَصْلِ
وإنْ هُما إخْتَلَفا فَرَّقْتُ بَيْنَهُمَا كما ترى وَضَعْتُ
سَمَّيْتُها بِضاعَةَ المُجَوِّدِ فاقْفُ لما نَظَمْتُهُ وَجَوِّدِ
قالا جميعاً: يجمعُ الكتابَهْ بابانِ فافْهَمْ يا أخا النِجابَهْ

(2 ب)

# الباب الأوّل

## في شروط الكتابة واتخاذ آلاتها

### وفيه فصول

قالا جميعا من شروط الكاتبِ يكونُ ذا حِرْصٍ وفَهمٍ ثاقبِ
وبذْلُ الأموالَ في تَطْلابِها فَمَهْرُها يغلو على خُطَّابِها
ابنُ هلالٍ قالَ: كَمْ أنْفَقْتُ مِنْ ذَهَبٍ حَتَّى بِهِ كَتَبْتُ

## فصل في انتخاب القلم

تُنتخبُ الصَّلابَةُ القَوِيمَهْ ذات الصّلابِ الرطبة السَّليمه
وهي التي قد أدركَتْ ونَصَعَتْ في أصلها في الدرْكِ ثُمَّ قُطِعَتْ
لِقَلَمِ النَّسْخِ اللّطيف الصافي والثلثِ والرقاعِ كُلُّ جافي

## فصل في البراية

هـ: إذا أَرَدْتَ بَرْيَها مِنْ أسْفَلِ من مَشْرَبِ الماءِ لها فافْعَلِ
وطَوِّلِ الجلْفةَ بالسِّكّينِ وشُقَّها في الوَسْطِ بالتمكينِ

(3 آ)

واجْعَلْ لها شُحَيْمَةً لَطِيفَهْ من بَطْنِ قِشْرٍ ولتكُنْ خَفِيفَهْ
ي: وإنْ تكُنْ قِشْرَتُها سَمِينَهْ فاسْلِبِ الشَّحْمَةَ بالسِّكِّينَهْ
ي هـ: ثُمَّ انْحتِ اليمينَ والشِمالا نَحْتاً سَوِيّاً هكذا قد قالا
وَنَظِّفِ البَرْيَة يا حَرِيفي من شَعَثٍ وشَحْمِها الكثيفِ
ي: وإنْ تُرِدْ تحريفَها يا كاتبُ فإنّ في تَحْرِيفَها عجائبُ
فاجْعَلِ البَرْيَةَ ذات سَلْبِ وانهِبِ الشَّحْمَةَ أيَّ نَهْبِ

وقَوِّرِ الجلفةَ بالتَّغميقِ ... من صَدْرِها والرأسِ بالتَّدْقيقِ
ي هـ: واجْعَلِ البَرْيَةَ مَسْحَ القلمِ ... تحظَ بها من غير شكٍّ فأفهَمِ
ي هـ: واجْعَلِ اليمينَ بالزيادَةْ ... بِقَدْرِ شَعْرَةٍ تَنَلْ إرادَهْ
ي: وَرَطِّبِ البَرْيَةَ بالنَّحْتِ لها ... فَكُنْ لما نَقَلْتُه مُنْتَبِها
هـ: وَقَطْعُها بالحَدِّ يا حَرِيفي ... ما بَيْنَ تَدْويرٍ إلى تَحْرِيفِ

(3 ب)

ي: وإنْ تشا التَحْرِيفَ فاحذَرْتخطي ... فلا تحرفها لكي تَشْتَطّ

## فصل في القطة

وإنْ أرَدْتَ القَطَّ للبراعَةْ ... فاسْمَعْ لما فيها من الصّناعَةْ
ي هـ: فاجْعَلِ الحَدَّ عليها بالسَّوا ... واغطِها من نحو كِتْفِكَ القِوا
واكبِسِ الجبينَ كبساً شافي ... حتّى يجيء قَطْعُها بالوافي
وإن سَمِعْتَ وَقْعها كالمشرفي ... فذاك قَطٌّ كاملٌ لا يختفي
وَحِفّها من بعد هذا حَفّاً ... حتى يموتَ حَدُّها ويَخْفى

## فصل في اتخاذ السكين

ي هـ: واتَّخِذِ السكينَ غير جافِيهْ ... لطيفةٌ كذاكَ فَهْيَ كافِيَهْ
بِكِلْوَةٍ خَفيفَةٍ لطيفَهْ ... صالحةٍ لهذه الوظيفَهْ

## فصل في المقط

(4 آ)

أَجْوَدُه من قَصَبٍ صافٍ صَلِبْ ... مُدَوَّرٍ جافٍ لِيُبْلِغَ الأربْ

## فصل في المداد

وَخُذ مِن المَدادِ ما قَدْ نظفا دُخانُه بِسَخْقِهِ قد لَطُفا
ي هـ: مُرَكَّبٍ مُطَوَّسٍ مَصْنُوعِ طَوْعِ اليراعِ طَيِّعٍ سَرِيعِ

## فصل في الورق

ي هـ: وخُذْ من الأوراق ما قد جاده في صَقْلِهِ تظفرُ بالإجادَهْ

## فصل في إمساك القلم

واجْعَلِ الابهامَ والسبَّابَهْ والإصبعَ الوُسْطَى لذا الكتابَهْ
فاجْعَلِ الوسطى لها كالفَرَسِ تجري بذي البراع مِثْلَ النفَسِ
وَبَعِّدِ الثلاثَ عن فَتْحَتِها قَدْرَ شعيرتَيْنِ عن رُتْبتَها
وخَفِّفِ الشَدَّ عليها واعتَمِدْ على انكبابِ رأسه ثُمَّ اجْتَهِدْ

(4 ب)

# الباب الثاني

## في الحروف المفردةِ والمرتبةِ والمولدةِ

### وفيه فصول

ي هـ: فاقصدْ هُدِيتَ صِحَّةَ الحروفِ ... في الأَصْلِ والوَضْعِ بلا تَحْرِيفِ
في وَضْعِها خمسةُ أشياءٍ تفي ... إذا عَرَفْتَ حَدَّها فتكتفي
إشباعُها مع التَّمام الوافي ... واتَّخِذِ الإرسالَ فهو كافي
وكَمِّلِ الكمالَ يا رفيقي ... تنال منها غايةَ التحقيقِ
وَاقْسِمِ البياضَ في الترتيبِ ... فإنَّهُ يأتي من العجيبِ
إذا الخُطوطُ وَرَدَتْ مُرَكَّبَةْ ... من شَكْلٍ تَسْطيح لمَنْ قد كَتَبَهْ
وإنْ أَتى مُنْسَطِحٌ أو مُنْجِزُ ... أبْرِزْهُما في صَنْعَةٍ تُعَجِّزُ

### فصل في الاتمام

تُعْطِيهِ حَظَّهُ من الإتمامِ ... من غَيْرِ توقيفٍ ولا إحجامِ
ي هـ: وَفِّ الطويلَ والقصيرَحَقَّهُ ... كذلكَ الصغيرُ إن تَحُقَّهُ

(5 آ)

### فصل في التقويس والتسطيح والانكباب

إعْطِ لذي التقويس والتسطيحِ ... والانكبابِ جودة التصحيحِ
ي هـ: وإنْ أتى مُسْتَلْقِياً في الخطِّ ... كَمِّلْ له مُوَفَّياً لا تخطي

### فصل في الإشباع

لِكُلِّ حَرْفٍ قِسْمَةٌ فاشْبِعِ ... بالصَّدْرِ من قَلَمِكَ المُوَقَّعِ

كَيْما يجيء نِسْبَةَ التَّساوي ويصطفي الخطَّ من المساوي
بحيث لا يجيءُ فيها غِلَظُ ولا سقيمٌ ناحلٌ مُرَفَضُ
واكتُبِ المُرْسَلَ بالإسراعِ من غير توقيفٍ ولا امتناع

## فصل في التفصيل

فَحَسِّنِ المَدّاتِ في المُفَصَّلِ إذا أتاكَ مُفْرَدٌ من مجملِ
وانْظِمِ الخطَّ على التسطير من غير تَعْويجٍ ولا تحبيرِ

(5 ب)

## فصل في الحروفِ المركبةِ والمولدةِ والمفردةِ

الألِفُ المُنْتَصِبُ المُقَوَّمُ القائمُ المُعْتَدِلُ المُسَلَّمُ
فما لَهُ حَرْفٌ إليه يُنْسَبُ كذاك فَهْوَ مُفْرَدٌ مُغْتَرِبُ

### الألف

هـ: يُشْبِهُ للراهبِ في محرابِهِ السَّابلِ الشَّعْر على أثوابهِ
هي سَبْعَةٌ من نُقَطٍ فاكْتُبِ واسْلُبْهُ كالحيَّةِ سَلْباً تُصِبِ
ي: وخذْ عن النُقْطَةِ في كَمينها بجانبِ القَلَمِ في تَمْكِينها
ي هـ: وكُلُّ خطٍّ راجعٌ إلى الألِفْ من أصلِهِ وغيره قد يَغْتَرِفْ

### الباء

ي هـ: الباءُ إنْ رَكَّبتَها في ألِفِ تَصِيرُ كافاً يا أُخيَّ فاعرفِ
واصُلُها فانْظُرْ إلى التجويدِ من ذَنَبِ الحَيَّةِ في التجريد

(6 آ)

ي هـ: وقَدْرُ انسطاحها كالألِفِ فافْهَمْ لما قَدْ قُلْتُهُ واعْرِفِ
لأنَّ فيها اليبسَ والرطُوبَهْ وهكذا قَدْ وَرَدَتْ مكتُوبَهْ

## الجيم

خطّانِ باليمينِ والشِّمالِ   من فوق تَقْويسٍ على الكَمالِ

ي: بَلْ نِصْفُ الِفٍ راكبٍ لمثْلِهِ   في نِصْفِ بَيْضَةٍ لحُسْنِ شَكْلِهِ

ي هـ: بَياضُهُ مُثَلَّثُ الأضلاعِ   فاكتُبْهُ هكذا بلا نِزاعِ

## الدال

هـ: خطتان من فَوْقٍ ومن تَحْتٍ لها   حَلاوةٌ كاتبها فيها انتهى

ي: هي أَلِفٌ مَقْصُوصَةٌ نِصْفَيْنِ   بَياضَة أجاصَةٌ لِلْعَيْنِ

وإنْ أَتَتْ مكتوبةٌ في لامِ   فاضْمُمْ إلى ثلثيهِ عن تَمامِ

ما بَينَ تعميقٍ إلى تَدويرِ   وحَسِّنِ الشَمْرَةَ بالتَحْريرِ

(6 ب)

## الراء

ي هـ: الراءُ من خطٍ مُقَوَّسٍ أَتَتْ   رُبْعُ مُحيطٍ قَدْرُ أَلِفٍ وَضِعَتْ

في رَأسِها سُنَيْنَةٌ مُقَدَّرهْ   في أَلِفٍ فاصْنَعْ لذاك تَنْظُرَهْ

ي: وقيلَ هيَ من أَلِفٍ مَحْلُولِ   وهكذا قد جاءَ في المنقُول

## السين

ي هـ: أربعة منتصبٌ مُقَوَّسَ   فلا تَكُنْ في وَضْعِهِ تُوَسْوِسُ

وقيلَ مِيمانِ بلا تعريقِ   وصَدْرُ نونٍ حَسَنُ التَعْريقِ

## الصاد

هـ: مُقَوَّسَينِ فيه ثُمَّ مُنْتَصِبْ   فهكذا تَصويرُهُ فاسْمَعْ تُصِبْ

ي: بَياضُهُ من لَوْزَةٍ قد رُكِّبَتْ   وراء مِنْ فَوْقٍ وتَحْتٍ كُتِبَتْ

قد لُصِقَتْ بشَكْلِ نُونٍ فاكْتُبِ كما أقولُ واقفِ هذا تُصِبِ

(7 آ)

## الطاء

ي هـ: الطاءُ جاءَتْ رأسُ صادٍ فاكتفِ كما نُسِبْ حقيقةٌ فاعْرِفِ

## العَين

ي هـ: جاءَتْ بِخَطَّيْنِ مُقَوَّسَيْنِ تُهدى لهذي العَيْنِ ألْفُ عَيْنِ
وتارَةً تُشْبِهُ شَكْلَ نَغْلِ وتارَةً بالصّادِ فافْهَمْ نَقْلي
وتارَةً بِفَكِّ سَبْعٍ ضاري أو فكِّ ثعْبانٍ فلا تُماري
وقد تَجي من كُلِّ ذا مُخَيَّرَه وَأُذنُ فِيلٍ قد أَتَتْ مُخْتَبَرَهْ
وإن أَتَتْ في معرضِ المركَبِ تشبَهُ للشَّفرة فاسْمَعْ أَدَبي

## الفاء

ي هـ: الفاءُ ياءٌ رُكِّبَتْ في واوِ فافْهَمْ لما نَسَبْتُهُ يا راوي
بياضُهُ عجمةُ تُفّاح اكتُبِ ولا تغنقها لذاك تُصِبِ

(7 ب)

وَهْيَ إذا ما كُتِبَتْ مُرَكَّبَهْ بياضُها حُمُّصَةٌ يا كَتَبَهْ

## القاف

ي هـ: القافُ واوٌ رُكِّبَتْ في نون مُعَرَّقٌ مِنْ يَدِ ذي تمكينِ
بياضُهُ العُجمةُ من سَفَرْجَلَهْ وصَدْرُ واوٍ هكذا قد نَقَلَهْ

## الكاف

ي: الكافُ من ياءٍ وواوٍ رُكِّبَتْ ... ورأسُها صادٌ كذا قد كُتِبتْ
ي هـ: وصَدْرها صادٌ وشَكْلٌ مُنْسَطِحْ ... فافْهَمْ هداكَ اللهُ مِمَّن قَدْ نَصَحْ
وقد يجي في أوّلِ الكتابَهْ ... في ألفٍ قد ذكَرَ النسّابَهْ
بانَّها دالٌ بألِفٍ لُصِقَتْ ... بياضُها إجاصَةٌ قَدْ فُهِمَتْ
وإنْ أَتَتْ مُفرَدَةً مُعَلقَهْ ... باءٌ ولامٌ كُتِبَتْ مُحَقَّقَهْ

## اللام

(8 آ)

ي هـ: اللامُ شَكْلٌ قائمٌ ومُنْسَطِحْ ... مِنْ أَلِفٍ ونِصْفِ نُونٍ قد وضح

## الميم

ي هـ: الميمُ من سينٍ وراءٍ أُرْسِلَتْ ... خشخاشَةٌ بياضَةٌ قد وُصِفَتْ

## النون

شَكْلٌ مُدَوَّرٌ بنصف دائره ... في راسِه سُنَيْنَةٌ مُقَدَّرَهْ
ي هـ: مُعَرَّقٌ كحاجِبٍ مُقَوَّسٍ ... فاكتُبْ بذي الأصْلِ ولا توسوسِ

## الهاء

ي هـ: الهاءُ دالٌ عُقِفَتْ شَمْرَتُها ... بياضُها ثُلْثٌ في كَيْفِيَّتها
إن رُكِّبَتْ في غيرها فدالُ ... في فا كذا قد ذَكَرَ النُقّالُ
خِصْيَةُ بَغلٍ واذنُ فحلٍ قد أتَتْ ... ما بين حَرْفَيْنِ كذا قد وَرَدَتْ
خرطومُ نَمْلَةٍ إذا ما رُكِّبَتْ ... كذاك صادَيْن بلامٍ كُتِبَتْ

(8 ب)

أو عُـلِّـقـتْ فـي أوّل الـمُـرَكَّـبِ خـصـيَةُ بَـغـلٍ واذنُ فَـحْـلٍ فـاكـتُـبِ

## الواو

ي هـ: الـواوُ مُـنْـكَـبٌّ ومـن مُـسْـتَـلـقي ثُـمَّ مُـقَـوَّسٍ فـافْـهَـمْ وَفـقـي
راءٌ عـلـيـهـا شـرفَـتْ هـامـتُـهُ وانْـعَـطَـفَـتْ فـي ثُـلْـثِـه شـمـرتُـهُ
وسُـلِـبَـتْ فـي قَـلَـمِ الـمُـحَـقّـقِ فـاخـذِ لـمـا قـد قُـلْـتُـهُ وحَـقّـقِ
والـنَّـسْـخَ والـريـحـانَ هـكـذا اكـتُـبِ فـهـذه أُصُـولُـهُ يـا لـلـعَـجَـبِ
يُـشْـبِـه قُـنْـفُـذا إذا مـا اجـتـمـعـا والـسـبـع إن أَقْـعَـى بـعـجـزٍ أجـمـعـا

## اللام ألف

إنْ رُكِّـبَـتْ تُـشْـبِـهُ لِـلْـمَـقَـصِّ فـاكـتُـبْ كـمـا نَـسَـبْـتُـهُ واسـتـقـصِ
أسـفَـلُـهُ صِـفَـةَ هـاءٍ أفـرِدَتْ مُـثَـلَّـثٌ بـيـاضُـهُ قَـدْ وُصِـفَـتْ
وإن أتَـى مُـرَكَّـبـاً فـي لام فـاقْـلِـبْـهُـمـا لامَـيْـنِ فـي الـنـظـامِ

(9 آ)

أو أَلِـفٌ ولامُ فـوق عَـيْـنِ كـشـفـرةٍ جـاءت بـغـيـر مَـيْـنِ

## الياء

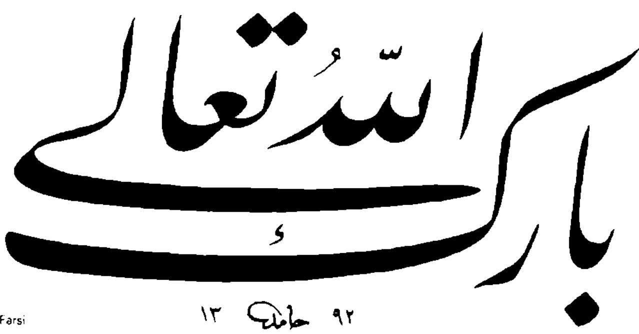
ي هـ: الـيـاءُ مـن دالَـيْـنِ مـقـلـوبَـيْـنِ كـشـفـرَةٍ لَـطـيـفَـةٍ مـن ذَيْـنِ
فَـهـذِهِ الأصـولُ لـلـكـتـابَـهْ مـن حـازهـا يـفـوز بـالـطـلابـه
والـحـمـدُ لـلـهِ عـلـى الـتَـمـامِ والـشـكـر لله عـلـى الاسـلامِ
تـمـت بـحـمـد الله وعـونـه رحـم الله مـؤلـفـهـا آمـيـن

(9 ب)




خط الاجازة على القاعدة التركية الماخوذة من العربية ،بقلم الخطاط يوسف ذنون الموصلي سنة ١٩٧٢
المصدر: ناجي زين الدين - بدائع الخط العربي /ص٤١٧

صور لخط الإجازة وخطوط للأستاذ حامد الآمدي

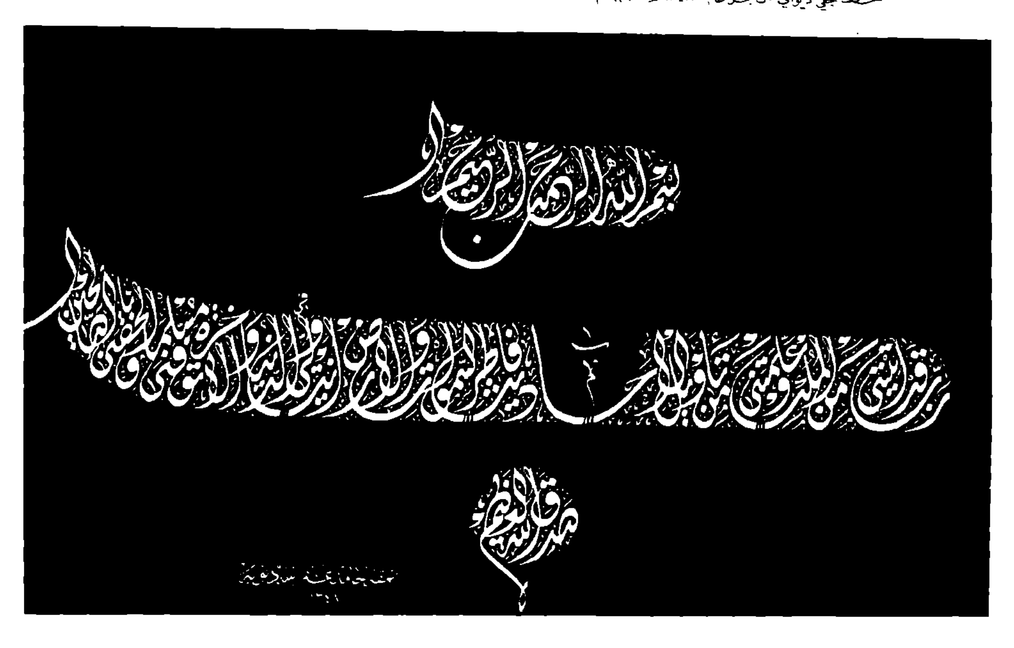



Calligraphie en style Farsi de Hamed. Istanbul, 1972

خط بالأسلوب الفارسي بخط حامد ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

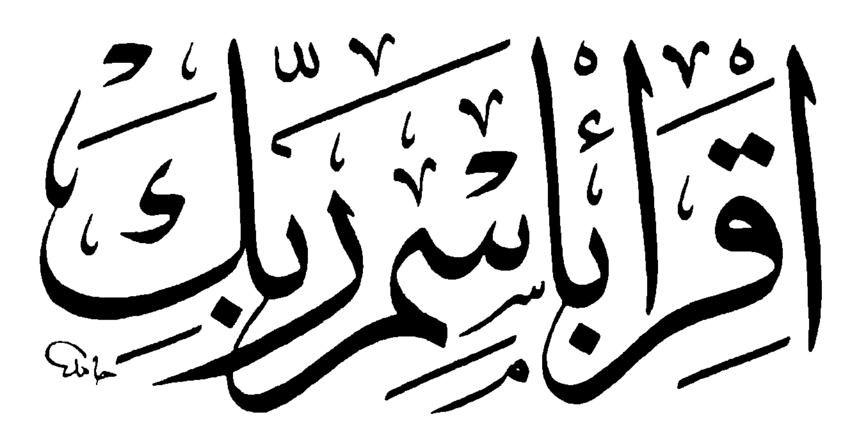
Calligraphie Jeri Diwani de Hamed. 1929.

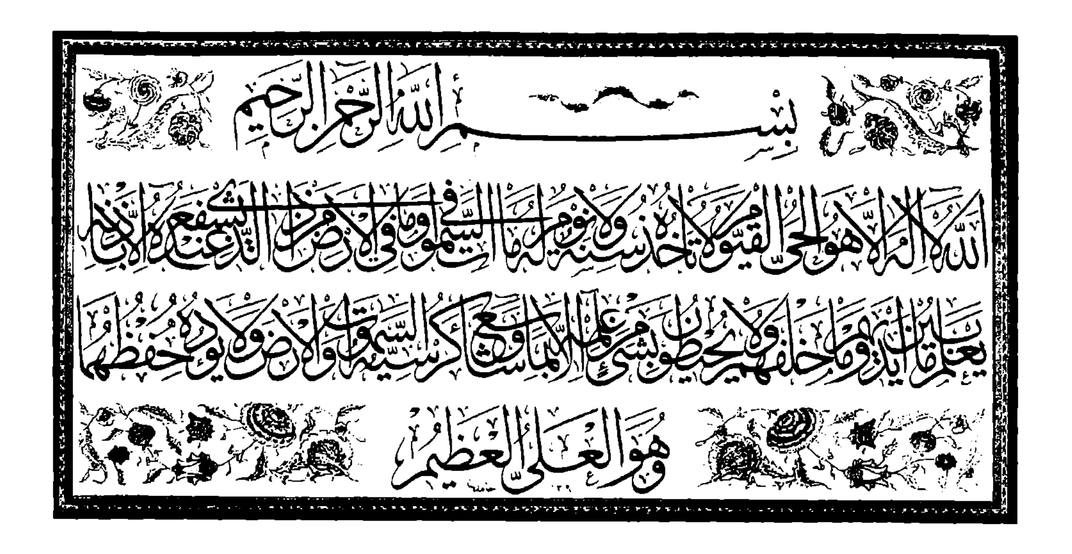
خط جلي ديواني أنجز عام ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م






شكل ــ ٣٠١ ــ




بسم الله الرحمن الرحيم
الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما
وهو العلي العظيم



خمسة نماذج من الخط العربي بقلم الاستاذ حامد الآمدي - آخر عباقرة الخط وفي تركيا والعالم الاسلامي
النموذج ١و٢و٥- من كتاب حسن السعودي / الخط العربي - ٣و٤ من كتاب ناجي زين الدين بدائع الخط العربي

# الباب السادس

## شخصيّة الحَرْفُ العَرَبي

تنطلق الأساسيّات الأولى لولادة الحرفُ العربي من ضرورة أملتها هذه الولادة، كي يكون الوَليد، مكتسب شخصيته الذاتية مُنذ أول لحظة يَرى فيها النور، فقد رفض الحرف العربي أيَّ تماثُلٍ لَهُ مع الخط الحميري أو النبطي، اللذان كانا قد سبقاهُ في الولادة والتكوين والنشأة، وانشقّ عنهما بمفارقة عجيبة فرضت التمايز بينَهُ وبين تلك الحروف، وقد كانت النقوش الحجرية التي عُثر عليها كنقش النمارة ونقش زبير ونقش حَرّان[1] من أكثر الدلائل، تاريخية، على هذا التمايز والمفارقة، إذ منذ البدء، وتحديداً في العصر الجاهلي، عَرّف شخصيته بإسم «الخط الحيري» كي يُدلَّ على إسم المكان الذي وُلدَ فيه، وهو/مدينة الحيرة العراقية/ ورغم هذه الصدفة الجغرافية للولادة، إلاّ أنَّ قلق الحرف ذاته كان يبحث عن مكان للإستقرار كي يولد معافى وصحيح النشأة، فكانت الأنبار المحطة الثانية لإستقرارهُ، وهو ما زال في طور النشأة، ثم ارتحل إلى الحجاز وعاد إلى العراق ثانية ليستقرَّ في الكوفة، ليبدأ نشأة أخرى ذات مواصفات فنيّة، بدأت تُقلق كيانه كي يرسمُ بها ذاته من خلال الأيادي التي بدأت تتعلَّمهُ وتتعاطى معه، بوصفهِ أداة معرفية أولاً، وبكونه حامل لآفاق الفن في الرسم والتشكيل، فأخذ شخصيتَهُ الكوفيّة، من خلال المكان، واستقرَّ فيها، باسطاً نوعاً من التسمية عليه، عُرفت بإسم الخط الكوفي. وبهذا الإعتبار برزت معالم الشخصية الفنيّة للحرف العربي، قبل مجيء الإسلام وأخذ هذا النفوذ ينتشر في شبه جزيرة العرب، كما أوضحنا ذلك في «المقدمات التاريخية لهذا الموضوع»[2] ومن هنا سيكون النظر إلى شخصية الحرف العربي، بكونها شخصية فنيّة، ذات قسمات

---

(1) «نقش النمارة: هو نقش قديم مُدّون على حجر، مُؤرّخ في (328م) وينسب إلى - النمارة - وهو قصر صغير يُعود إلى الروم، يقع في الحرّة الشرقية، و«نقش زبد» هو نقش على حجر مدون بثلاث لغات - العربية والسريانية واليونانية، وينسب إلى زبد، وهي خربة بين قنسرين ونهر الفرات. (و«نقش حَرّان» ينسب إلى حرّان السورية، وتقع في المنطقة الشمالية لجبل الدروز - راجع الفصول الأولى من هذه الدراسة).

(2) راجع الباب الأول من هذه الدراسة - فصل: بدايات الحرف العربي في الكتابة.

خاصة، إضافة إلى بدايات التدوين الكتابي بهذا الحرف، لا سيما وإن **المعلقات الشعرية** في الأدب الجاهلي كانت قد كتبت فيه، باعتبار أن الخط الكوفي كان في بداية أمره بسيطاً خالياً من أيّ تعقيد فنّي يتوجّب الأخذ به، لذلك نشاهد المدونات العربية الأولى كانت بهذا اللون من الخط العربي.

## الفصل الأول

# التشكيل الفَنّي للحرف العربي

تتداخل الحُقب التاريخية مع بعضها عند الإشارة إلى بدايات التدوين الكتابي عند العرب، لا سيما في مسألة/ الفنون العربية/ والخط العربي منها.

فرغم أن البدايات **للخط الكوفي** كانت مع العصر الجاهلي، إلاّ أنَّهُ لم يظهر كفنٍ كتابي إلاّ مع الحقبة الإسلامية، وتحديداً بعد الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، بمعنىً آخر، إن حالة إستقرار **الدولة العربية - الإسلامية** كانت لها التأثيرات المباشرة في تطوير كل العلوم والفنون وعلى هذا الأساس كانت الفنون **الإسلامية** الأولى، هي مزيج متفاعل بين الجاهلية والإسلام. ورغم أن **الخط العربي** يكاد يكون ذو فرادة خاصة بالنسبة إلى الفنون الإسلامية، إذ أنَّهُ أوّل وليد لا يدين بالكثير إلى الفنون التي سبقت الإسلام[1]، ومع بداية الإسلام كان **الخط الكوفي** صاحب الحضوة والريادة في خط آي القرآن، حيث كانت انطلاقته الأولى بشكل رسمي/ كفن كتابي/ مع الخليفة الثالث **عثمان بن عفان** (قُتل 35هـ/ 656م) حيث جمع القرآن بين دفتي مصحفٍ واحد، وبخطٍ واحدٍ هو **الكوفي**، الذي كان سائداً في تلك الحقبة الزمنية، حيث كان هذا الخط، بداية أمره بسيطاً وخالياً من الزخرفة، لذلك كانت هذه البداية، هي **التشكيلة الفنيّة** الأولى للخط العربي، وقد تأصّلت مع كتاب العرب الأول «القرآن» وبذا أصبحت لهذه التشكيلة الفنية الهِيبة والقدسية في محمولها الديني أولاً، ثم تطورت فنيّاً مع كامل **الحقبة الراشدية** وجزء من عهد بني **أُميّة** وحتى بداية الدولة العباسية عام 132هـ/ 750م، وقد انتشرت **«كتابة المصاحف»** في صدر الدولة الإسلامية، في عهد **علي بن أبي طالب** الخليفة الراشدي الرابع (قتل 40هـ/ 661م) حتى بقيت هذه المهنة قائمة لفتراتٍ طويلة وصلت حتى سقوط الدولة العباسية على يد المغول

(1) ناجي زين الدين/ بدائع الخط العربي/ ص 22.

656هـ/ 1258م وبقي الخط الكوفي هو صاحب السيادة في هذا النوع من الكتابة للمصاحف، إلى أن فرض إبن مقلة إسلوباً فنّياً آخراً، هو الخط المنسوب على كتابة المصاحف وغيرها، كما أوضحنا في الفصول والأبواب السابقة من هذا البحث.

ومن كتابة المصاحف إلى الأبنية والعمائر وشواهد القبور وأروقة المساجد ومحاريبها وقبابها ظلّت شخصية الحرف الكوفي قائمة بقوة في كل هذه الفنون، إذ أن هذا النمط في الكتابة العربية، نالَ قسطاً من التجويد، وتنوّعت على مَرِّ الزمن أشكالهِ، وتعددت صوره، وغدت لَهُ مُسحةً زخرفية خاصة بهِ، عُرفت باسم الزخرفة الكوفية، نسبة إلى تلك المدينة - الكوفة - التي ولد فيها ومنها إنتقل، بعد أن ثبّتت قواعده وأساساته للحروف العربية[1] إلى بقية الأمصار.

ومن الملاحظ أن أهل الكوفة قد أفرطوا في استخدام الصورة اليابسة في كتابة المصاحف التي دامت أربعة قرون[2]، رغم أن الخط الكوفي كان في بداية تشكيلهِ بسيطاً لا توريق فيه ولا تزهير ولا تشابك ولا ترابط بين حروفهِ - كما أوضحنا في سياقات البحث -[3]، ثم اتخذ عِدّة مسميات فنيّة تُعرّف بشخصية الحرف في كُلّ مُسمّى وهي: **الخط الكوفي البسيط، والخط الكوفي ذو المثلثات، والخط الكوفي المورق، والخط الكوفي المزهر، والخط الكوفي المضفور، والخط الكوفي المربّع**[4].

إن تبدّل الحرف العربي من شكلٍ لآخر، ومن فترة لأخرى لهو دليل قاطع على تغيُّر مستمر في شكلانيته التي تؤشر إلى شخصيته القلقة، بالمعنى الجمالي - الفلسفي، حيث تشير تلك التجليات إلى البحث عن الكمال في هذا التبدُّل لإستقرار على شكل يُميّز الهوية لهذا المخلوق العجيب، وما تلك التحولات في شكله الأول - **الكوفي** - إلاّ دليلاً آخر على هذا القلق الإبداعي الكامنُ فيه، والذي ظَلَّ يرافقهُ حتى عصر ابن مقلة الذي غيّرَ هذا الشكل إلى حالة أرقى زادت في تاصيل هويته العربية وشكلها الفني الذي تلازمة حالة دائمة من الديناميكية المتطورة.

---

(1) راجع مقالة د. صلاح حسين العبيدي - الخط العربي ركن من أركان الحضارة الإسلامية/المنشور في مجلة/آفاق الثقافة والتراث - العدد 43 - أكتوبر 2003م صـ 89.

(2) المصدر السابق/ ص 90.

(3) راجع، فصل/ العباسيون وتأصيل الخط العربي/ من هذه الدراسة، في هذا الجزء.

(4) راجع، تفاصيل هذه التقسيمات الشكلية الفنية عند د. صلاح حسين العبيدي في بحثه الآنف الذكر أعلاه.

## الفصل الثاني

# جمالية الخط العربي في وعي المسلمين

أشرنا، في الباب الأول، الفصل الثاني، من هذه الدراسة إلى الكيفية التي تعامل بها رسول المسلمين وخلفائهم للتعاطي مع «حرف القرآن» لا سيما في كتابة المصاحف، للإعتبارات الدينية، باعتبار أن القرآن كتاب الله المنزل، لذا انصبّت الجهود الأولى للمسلمين على هذا الجانب، لكن الإيحاءات الجمالية، كانت تبرز من الحرف ذاته، لتغازل مخيلة الكاتب لهذا الحرف، فمرّة تستوجب بعض نهايات الكلمة مَدَّ الحرف ومرّة تقويسهُ، وثالثة تشابك أحرف الكلمات، وهي الضرورات التي كانت تبصرها العين من خلال إيعازات العقل لإيجاد تشكيلٍ ما، تقبَلَهُ النفس ويعبِّر عن إرتياحها، دون أن يَخُلَّ ذلك بالمحمول العقائدي للإسلام، فأخذت تبرز بعض الكتابات بشكل زخرفي على أغلفة الكتب، ومنها «المصاحف» وحلّت الزخرفة محل التصوير المشخَّص/ نتيجة تحريمه/ وهنا ظهرت البدايات الأولى للمنمنمات العربية (الآرابسك) دون أن يكون لها قانوناً فنيّاً محدداً، بل الفطرة الإنسانية عند المسلم دفعته لتحريك الذهن في مجال إبداعات الخط بدلاً من التصوير المجسّم الذي حَرّمُه الإسلام[1].

بمعنى آخر، أن الزخرفة كانت هي لغة الفن الإسلامي الأولى، وعمادها الأبرز كان الخط العربي، حيث استحدث أهل العراق الزخرفة الكتابية بشكل لا سابق له، حتى أصبحت هذه الزخرفة من الفنون التي يتباهى بها باعتبارها المدرسة الإسلامية الأولى عند كل المؤرخين لهذا الفن وراصديه من عربٍ ومستشرقين وغيرهم[2].

أن الوعي الجمالي عند الإنسان المسلم بدأ يأخذ حيّزاً واسعاً في تفكيره مع تطور الأفق الحضاري للخلافة العباسية، وخصوصاً بعد إنشاء وتطور صناعة الورق والكتابة وظهور مهنة الوراقة، إذ تكشف لنا كتابات المفكرين الإسلاميين عن «نظريات جمالية في

---

(1) راجع كتابنا/ خطاطو بغداد في العصر العباسي/ ص 7 - منشورات دار النمير - دمشق 1996م. ط. 1

(2) انظر - آرنست كونل/ الفن الإسلامي/ ص 78 - 79. ترجمة د. أحمد موسى منشورات دار صادر - بيروت 1996م - وكتابنا - خطاطو بغداد في العصر العباسي/ ص 9.

الفن» لا سيما عند الفلاسفة أمثال: **الكندي والفارابي وابن سينا وابن مسكويه**، وفي موسوعة «**إخوان الصفاء**» المتمثّلة في «رسائلهم» وبعض كتابات **أبي حيان التوحيدي** وغيرهم.

لقد عكست الزخرفة العربية بوقائعها المحسوسة بالحسِّ العقلاني من حبٍّ للواقع واحترام للنظام الإسلامي القائم، وإيماناً بالتعالي، فالتوريق، سواءٌ تخلَّلَهُ رسوم الحيوان أو الطبيعة وما فيها من أشجار وطيور، طبعت صناعة الزخرفة بطابع عملي تطبيقي وقرّبتها من المجتمع وأورثتها مقولات الجمال والروعة[1].

لقد بدأت في الوعي الإسلامي بعض الإرهاصات الفلسفية لقراءة ظاهرة التكرار في الزخرف العربي، فقد فسّرها البعض بأنها «**السعي وراء الله وداعية إلى الله الذي منه وإليه تنتهي الأسباب والمسبّبات**» ولذلك كانت الرقشة الزخرفية بغير بداية أو نهاية، فهي سرمديّة إستوحت قواعدها من القواعد الرياضية إلى تكرار الموضوع والرغبة في حل معادلة اللاّنهاية، كما يقول «**مارسيه**»[2] فيما فَسَّر ذلك د. **زكي محمد حسن** بما أسماه «**كراهية الفراغ**» فيما فسّرت **دائرة المعارف الإسلامية** ذلك التكرار في الزخرف العربي تفسيراً فنياً بارعاً حين أرجعته إلى مبدأ **الترابط اللانهائي**»[3].

وقد رأى **إخوان الصفا** في «**رسائلهم**» إن أحكم المصنوعات وأتقن المركبات ما كان تأليف أجزائه وأساس بنيتِهِ على النسبةِ الأفضل، ومن أمثال ذلك صناعة الكتابة التي هي أشرف الصنائع، وبها يفتخر الوزراء والكتّاب وأهل الأدب[4]، ثم يتوقفون مع **الخط العربي** في مقولتهم «النسبة الأفضل» على النحو التالي: «**ينبغي لمن يريد أن يكون خَطَّهُ جيّداً وكتابته صحيحة أن يجعل لها أصلاً يبني عليه حروفه، وقانوناً يقيس عليه خُطوطه، والمثال في ذلك كتابة العربية، وهو أن يُخَطَّ الألف أولاً، بأي قدر شاء، ويجعل غُلظُهُ مناسباً لطوله وهو (الثُمُنْ $\frac{1}{8}$) وأسفلَه أدق من أعلاه، ثم يجعل الألف قطر الدائرة، ثم يبني سائر الحروف مناسباً لطول الألف ولمحيط دائرة الألف مساوياً لقطرها وأن يجعل الباء والتاء والثاء** كل واحدة منها مساوياً لطول الألف، وتكون رؤوسها إلى فوق الثُمن، والنسبة الأفضل في هذا الشأن على المُثل والمُثل، والنصف والمُثل والثلث والمُثل والرُبع

(1) ناجي زين الدين/ بدائع الخط العربي/ ص 23.

(2) أنظر كتابه «الفن الإسلامي» ص 45 - نقلاً عن ناجي زين الدين/ ص 24.

(3) دائرة المعارف الإسلامية/ مادة - فنون/ ترجمة الشنتاوي وجماعته/ طبعة القاهرة.

(4) راجع «رسائل إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء» 1/ 162 - 163 - تحقيق خير الدين الزركلي. الطبعة المصرية - القاهرة - 1347هـ/ 1928م.

والمُثل»[1]، هنا يضعنا **إخوان الصفاء** في «حدود نظرية دقيقة» تعتمد البُعد الرياضي وحدةً للقياس في الخط العربي عند الكتابة والتشكيل، وهو أمرٌ فائق الدلالة في الوعي الجمالي عند المسلمين.

وعندما فَصَلَ **إبن مُقلة** وظيفة القلم - كما أوضحنا -[2] في العصر العباسي من وظيفة دلالية في الكتابة إلى وظيفة جمالية، تغيّر نظر المسلم إلى الحرف وزادت هيبة الإبداع لديه هيبة جمالية ذات مفعول سحري للعين، وتزايدت طرق العناية الفنية في رسم هذا الحرف، حتى غدت أنواعهِ تربوا على الثمانين نوعاً[3].

إن هذا التعدد لأسماء **الخط العربي** كان إستجابة لروح الفنّان المسلم، ليس فقط العربي، بل وكذلك **السلجوقي والتركي والأتابكي والمغولي والتركستاني والفارسي، والشعوب الأخرى التي دخلها الإسلام**. فلقد أجرت هذه الشعوب تحسينات على الخط العربي لتعبّر به عن هويتها القومية، ضمن المحمول الديني الإسلامي، ولكن بشكله العربي، بمعنى آخر أن شكل الحرف ظلّ عربيّاً، فعلى سبيل المثال، تغيّر تسمية **قلم الطومار إلى إسم جلي الثلث**، والذي استخدمته الدولة العثمانية على منشآتها الدينية وداخل المساجد والجوامع، كما فعل قبلهم **أهل تركستان في ما وراء النهر**، فجعلوا عرض القلم في بعض كتابات الجدران والمحاريب (10 - 25سم) محققّين بذلك كلمة (**الجلي**) التي تُطلق على ما يكتب بالحرف العريض الكبير في أغلب الكتابات الكبيرة **كالكوفي، والمُحقّق، والثلث الجلي أو ثقيل الثلث**.

وقد سُمّيت هذه الأقلام **بالجلي**، وشملت التسمية أيضاً **خط التعليق الفارسي** حيث سُمّي «**جلي تعليق**» وكلمة «**جلي**» تعني «**الواضح**» وأطلقت هذه التسمية نظراً لما في حروفهِ من سعةٍ على ما تقتضيه الموازين ووضع الكتابة في مواضعها من واجهات المساجد والقباب وغيرها[4].

إن هذا التبدّل والتقلّب الدائم في شخصية الحرف العربي من حيث **التسميات** هي حالة ديناميكية متطورة على الدوام، حيث نلحظ في هذا **التقلّب**، إستجابة روحية لشخصية الفنان المسلم من جهة، ومن جهة ثانية، تبديل **ثوب الشكل للحرف العربي** مع الحفاظ على خصوصيّته العربيّة، ومطواعيّته الفنية في التشكيل وفق كل مراحل تطوراته، فقلم

---

(1) رسائل إخوان الصفاء 1/ 164.

(2) راجع - الباب الثالث من هذه الدراسة/ فصل ابن مقلة عميد مدرسة بغداد للخط العربي/ .

(3) ناجي زين الدين/ بدائع الخط العربي/ ص 465.

(4) أنظر: ناجي زين الدين/ بدائع الخط العربي/ ص 465.

**الريحان** مثلاً، ينحدر من **قلم الطومار** العربي الأصل، والذي سُميَّ «**جلي الثلث**» عند **العثمانيّين**، وكذلك **قلم المُحقق**، والذي سُمِّي بهذا الإسم نتيجة تحقيق أجزاء حروفه، وإعطاء كل حرف مالَهُ وما عليه، ولا يوجد في **المحققِ** طمسٌ لعيونِهِ، ومثله، كذلك، **قلم الريحاني**، والذي سمي بذلك نتيجة سبب تلاقي حروفه الصاعدة كعيدان نبات الريحان، ونلاحظ أن تكتب حركات **قلم المُحقّق** بنفس قلمه (القصبة أو الريشة) أمّا حركات **قلم الريحاني** فلا تكتب إلاّ بقلمٍ أدق، أقل عرضاً، وتكون عراقات هذين القلمين أقل عُمقاً وتقويساً من عراقات **قلم الثلث**، أي أنَّ بطون **الجيمات والصادات والعَين** فيها مُرسلة، أمّا **عيون الفاء والقاف** فمُفتّحة. **والمُحقّق** مرسل الحروف، قليل التقوسات، جميل السطور، مُحبَّبٌ إلى النظر أكثر من **الثلث**[1].

لقد سحر قوام **الحرف العربي** وأفتن الكثير من الخُلفاء والسلاطين في مختلف العصور، فهذا المأمون، الخليفة العباسي المعروف يقول: «لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها لفاخرناهم بما لنا من **أنواع الخطّ**، يقرأ بكل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد في كل زمان»[2]. وعندما وصلت الخلافة الإسلامية **إلى العثمانيين** فإن سلاطينهم اختاروا نوعاً من الخط العربي أسموه «**الطغراء**» اتّخذوه شعاراً لهم، نسبوا إليه **القدسية والعظمة** يقول ملك آقسل: «**إن الطُغراءات** من بدائع التفانين التركية منذ مئات السنين، إمتزج بها الخط بالرسم»[3]، حيث شُبّهت هذه «**الطغراء**» بالطير الإسطوري «**سميرغ**» عن الفرس و«**العنقاء**» عند العرب. كما أختير **الخط الديواني والجلي ديواني**، والذي يُسمّى «الهمايون» للكتابة بأسفل الطغراءات، وذلك لانسجامِهِ ومجانستهِ كتابة الديوان الأعلى في الدولة التي يرأسها السلطان، تميّزاً لإسمهِ، وبُعدهِ عن العامة[4]. كما أن جمالية الخط العربي إنعكست بأرواح المحبين المسلمين وعاطفتهم، حتى أصبحت تقارن مفاتن الجمال الجسدية مع بعض الحروف، فلقد قورنت خصلة الشعر على صدغ الفتاة بنهاية حرف «الكاف - ك -» كما شبّه حرف «الراء» بالحاجب المتعرّج الأنيق، وشبّه حرف «النون» بالشامة على خد العاشق[5].

---

(1) المرجع السابق، نفس الصفحة - راجع ما بعدها حول الفروقات التفصيلية بين بقية الخطوط.

(2) سهيلة الجبوري/ نشأة الخط العربي وتطوره/ ص 3.

(3) ملك أقسل «تركلر دهديني سملد» استانبول 1967 - والنص أعلاه أخذ من كتاب ناجي زين الدين/ بدائع الخط العربي/ ص 469.

(4) ناجي زين الدين/ المرجع السابق.

(5) راجع ج5 - من الموسوعة/ أعلام الوراقين البغداديين/ فصل «النساء الورّاقات».

## الفصل الثالث

# الحرف العربي في فلسفة التصوف الإسلامي

للإبداع الصوفي، كما لأيِّ إبداع حر، تضاريسهُ ومدياته الأرحب، وقد تمثَّل هذا الإبداع عند المتصوفة المسلمين ما أسموهُ بـ«لسان الحال» وليس «لسان الحال» سوى المعاني المترامية في الحرف والكلمة والعبارة باعتبارها «أصوات الحقيقة» وأنغام التجربة الفردية، أي أنَّ لسان الحال هو لسان الخلجات العميقة والحدس الخالص للرؤية المتراكمة في صيرورة الروح المبدع. كما يقول باحث معاصر[1]. والإبداع الحُر، في التجربة الصوفية، هو تجلّي وبحث دائمين عن النسب الجميلة في الوجود من خلال وجدها الفردي ومعاناتها في الروح والجسد، بمعنى التحسس والقبول عند الجوارح، وعلى هذا التصور يكون لسان الحال الصوفي هو تنسيق الإحساس والعقل والحَدْس في وجد الوجود والتعبير عن النسب المعقولة في تجانس الكينونة الإنسانية وصيرورتها الثقافية في مواقفها من القضايا العابرة والخالدة[2]. بمعنى آخر، أن السلوك المعرفي لرؤية التصوف الإسلامي يخضع لإسلوب صيرورة الروح الصوفي ذاته، إذ تشترط (تقليدية المسار الصوفي) تمظهرها في إلزامية المقامات، لأنها إسلوب صيرورة الروح الصوفي المبدع، ولأن تقليديتها، مقيدة بمساعي بلوغ الحق «المطلق»، كما وجد ذلك إنعكاسَهُ أيضاً في تمييّز اللسان الظاهري والباطني للتصوف، وهو ما يظهر في مصطلحات التصوف/ ظاهرياً/ كالتلوين والتمكين والصحو والمحو، والهيبة والأنس والقوامع واللّوامع والبواده «في الطرائقيات» والرتق والبرزخ والحروف العاليات، والعنقاء، والياقوتة الحمراء «في الملكوتيات» والخضر والدبور، والران، ورسوم العلوم، ورقوم العلوم «في النفسانيات» والأنانية وسدرة المنتهى، والبيّت المقدس، وعين الله، وعين العالم، والورقاء «في الروحانيات وأم الكتاب، والحكمة والدرّة البيضاء، وعين اليقين، والذوق «في العقليات» والأعيان الثابتة، والأنيسة، ويسرَّ سِرِّ الربوبية، وحقيقة الحقائق، والحلول السرياني «في الوجوديّات» أمّا في

(1) د. ميثم الجنابي/ حكمة الروح الصوفي/ ص 397 - منشورات دار المدى - دمشق 2001.
(2) المرجع السابق/ ص 398.

الباطن، فيتجلّى في تنسيق إخلاص البيَان والبُرهان والعِرفان للحق[1] وعلى هذا الأساس، ينطلق النّفـّري - أبو عبد الله محمد (ت 354هـ/ 965م) في تعريفه للإخلاص قائلاً: «أوقفت الحرف قدام الكون، وأوقفت العقل قدام الحرف وأوقفت المعرفة قدام العقل وأوقفت الإخلاص قدام المعرفة، فقال لي: ما الإخلاص؟ فقلتُ: لوجهك»[2].

ومسألة التعامل مع الحرف العربي ضمن منظومة التصوف الإسلامي، تخضع لتلك الآيديولوجيا التي رسمها ذلك الفكر الوَهّاج، فهي عندهم تخضع إلى مسألة التأويل الباطني ضمن الكُلّ المعرفي، كتجسيد لَهُ دلالتِهِ تشخّص الحرف وفق بيانه ورسومه وتوظيفه ودلالاتهِ الأبعد، إذ أن الحرف هو ليس فقط ميدان المقارنات الممكنة للعقل «المنطقي» والوجد البياني والمعنى «الحدسي» بل رمز الوجود، وعنصر الكون والفساد كما عبَّر عنه النفري في المخاطبة 23، قائلاً[3]:

«الحرفُ لغات، وتصريف، وتفرقة وتأليف، وموصول ومقطوع، ومبهم ومعجم، وهيئات، والذي أظهر الحرف في لغة، هو الذي صرفه، والذي صَرَفَهُ هو الذي فرّقه، والذي فرق، هو الذي ألّفه، والذي ألّف هو الذي واصل فيه، والذي واصل فيه هو الذي قطعه، والذي قطعه، هو الذي أبهمه، والذي أبهمه هو الذي أعجمه، والذي أعجمه هو الذي أشكله، والذي أشكله هو الذي هيأه، ذلك المعنى هو معنًى واحد، ذلك المعنى هو نور واحد ذلك الواحد هو الأحد الواحد». هنا نلمس وضوح الرؤيا في التطابق مع المطلق «الحق الواحد» وهذه الدلالة هي ذاتها التي عبَّر عنها متصوف آخر إشتغل في هذه الرؤية حول تأويل معاني الحروف، هو الشيخ عبد القادر بن محمد بن أبي الفيض (ولد بحماة سنة 971هـ وتوفي بحلب سنة 1040هـ) في كتابه «المواقف الإلهيّة» حيث يقول في «موقف الأنانية»[4].

«أوقفني على بساط الأنانية، ثم كشف لي عن سِرِّ قيام النفس الرحماني والسيرُّ الباعث لروح الكشف والإنتباه في القلب الإنساني» ثم يقول: «وكشف لي عن أهم الحروف العالية، وتنزُّلها في قوالب الكلم المرموقة، فرأيت لكل حرف سبعة أبطن، وظهر

(1) د. ميثم الجنابي - المرجع السابق/ ص 398.

(2) النفري - المواقف والمخاطبات/ موقف المحضر والحرف/ ص 68، وقد اعتمدنا على طباعة هذا المصدر من «موقع المصطفى الالكتروني» وفق تصحيفاته، أنظر الموقع على الرابط التالي: www. Al - mostafa. Com

(3) المواقف والمخاطبات/ ص 104 من طبعة «المصطفى».

(4) أنظر - عبد القادر بن محمد بن أبي الفضيل «المواقف الإلهية» والمنشور على موقع (الصوفية) www. Alsoufia.com.

بها في أشعة أنوار القلب على اللسان، وقال لي: هي صورٌ سبعة: الأولى الفهم، ثم القبول، ثم العِلم، ثُمَّ التجلّي والنزول، ثم النطق آخر الصور» ثم يضيف لها مرمىً آخر في التأويل يُعمّق المعنى والدلالة في هذا الإسقاط المعرفي الموظّف، فيقول[1]:

«ثم كشف لي عن مراتب طبقاتها وعَرَّفها لي فقال: الأولى هي الحال، ثم التحقيق، ثم الحُكم، ثم البيان، ثم الإخبار، ثم السَماع، ثم الإيقان».

هذا التراتب المعرفي هو حقيقة السير في (الطريقة) الصوفية لمعرفة أسرار الغيب في الوجود، ضمن تراتب «البيان والبرهان والعرفان». والخطاب هُنا لذوي الصفوة والذوق عند الأقطاب والأتباع والمريدين. بمعنى أن «القانون» المعرفي لدى هؤلاء يوقفهم على أسرار سر الحرف، وربط ذلك بتأويل محمول الكلام مع الحق «المطلق» وهو ما تضيفه عبارة ذلك القطب الصوفي عبد القادر بن محمد، على النص السابق، حيث يقول فيه: «ثم كشف لي عن مراكز تنزلاتها في الثقلين، فرأيتها في السبعة أقطاب وانفردت في القطب الغوث بالسبع المثاني، ورأيت دورانها في أفلاك التسعة والتسعين إسماً[2] ومن هنا نفهم علاقة الفرد بالوجود وترابط الحالة مع المطلق بعرف التصوف.

ثم يميلون «المتصوفة» إلى تقريب رؤاهم من تبسيط حقائق الأشياء ومحمولاتها المؤولة في منظومتهم الفكرية، إنطلاقاً من أسرار الحرف المودعة في الكتاب وفي الوعي وفي الوجود، يقول «ابن أبي الفضل»: «وكشف لي قيام اسرار حرف الألف، فرأيت قيام إمتداد (الهمزة) بكل حقيقة خفيّة، (واللاّم) بكل عالم كوني جلي و(الفاء) بمعرفة كل معروف عند تعريفه»[3].

ثم يعرّج بتعريفات أخرى على مضمون كلمة «شمس» وأبعادها الروحانية قائلاً: «هذا السِرُّ لا يظهر إلا عند أُفول قمر البشرية، وتجلي شمس الروحانية، ثم قال لي: وفي ظهورها قوة «شين» المشيئة و«ميم» الكلام، و«سين» السلطان، في حُجُب السبحانية، وهي ظل الغُمام التي بها انجلى لأهل القيامة، وبالنور قيام «نون» النبوة و«واو» الولاية، و«راء» أحكام الربوبية في البشر لمظاهر مراتب الإلوهة»[4].

وعلى هذا الفهم قد صاغ النُفرّي رؤاه حول دلالة الأشياء بأصولها والأسماء بحروفها، فهو القائل: «وقال لي: لكل شيء شجر، وشجر الحروف الأسماء، فاذهب عن

---

(1) المصدر السابق/ نفس المكان.
(2) المصدر السابق/ نفس المكان.
(3) نفس المصدر.
(4) نفسه.

الأسماء تذهب عن المعاني»[1]. وتتجذر تلك المعرفة عنده (النفّري) حين يجعل الحرف قادراً على التعبير عن مكنون ذاته، فهو القائل: «الحرفُ ناري، الحرفُ قدري، الحرفُ دهري، الحرفُ خزانة سرّي»[2].

وهنا نفهم بأن لكل لغة حروفها والمعبّر عنها في مصير الذات الإنسانية في القدر والمصير ومكمن الأسرار، بعبارة أخرى «أنَّهُ سرَّ المعنى القائم في الكلمة، لأن الكلمة هي وحدة حروف، ومعناها موقف وعقد فنيّة يتجلّى في ظاهر الكلمة وباطنها[3].

ومن هنا نعرف حقيقة موقف النُّفرّي في توظيف الحرف للمعنى المقصود بقوله: «المعرفة حرف جاء لمعنى، فإن أعربته بالمعنى الذي جاء لَه نطقت به»[4] وفي موقف آخر يؤكد: «الحرفُ يسري حيث القصد، جيم جنّة وجيم جحيم»[5]. والنُّفري هنا يقصد أن معاني الكلمة في مقاصدها، أي في تطابق الحس والعقل والحدس فيها، بحيث يجعل منها تعبيراً عن الحقيقة بدلالة الحرف الموظّف وجهة التوظيف فالإبداع ليس تركيباً للحروف في الكلمة بل صهر الحروف في المعنى، أي تركيب الكلمة من معاناة المعنى - كما يرى د. ميثم الجنابي[6].

وعلى هذا الأساس من التفكير الباطني، أكمل صاحب «الفتوحات المَكيّة» هذه الفلسفة للحرفة حيث أعطاها أبعاداً حسيّة وعقلية وذوقية، من خلال نظرته إلى العالم، باعتباره «كتاباً مسطوراً ومرقوصاً ومجهولاً» إذ جعل العالم كتاباً يتوجب القراءة، وإدراك كلماته من أجل إدراك معناه، لذلك يقول إبن عربي مؤوِّلاً الكلمة، باعتبارها «وجود بين حرفٍ ومعنى» في معرض تفسيره لكلمة حروف المعجم «من عجمتها» لأنها عجمية عن الناظر فيها معناها، فغياب المعنى، أو عجمة الحروف ينبع من كونها «ائمة الألفاظ» كما يقول إبن عربي[7]:

«إن الحروفَ أئمة الألفاظ ... شهدت بذلك ألسنُ الحُفّاظ

وتقول لولا وجودي ما بدت ... عند الكلام حقائق الألفاظِ»

---

(1) النُفرّي/ المواقف والمخاطبات/ موقف التذكرة/ ص 18.

(2) المصدر السابق/ مخاطبة رقم 53 - ص 122.

(3) د. ميثم الجنابي/ حكمة الروح الصوفي/ ص 408.

(4) النّفري/ المواقف والمخاطبات - موقف بين يديه/ ص 53 - 54.

(5) المصدر السابق/ موقف المحضر والحرف/ ص 72.

(6) د. ميثم الجنابي/ حكمة الروح الصوفي/ ص 409.

(7) نقلاً عن المرجع أعلاه - نفس الصفحة.

وهنا إبن عربي يُطوّر منظور النُفّري القائل «بسريان الحرف حيث القصد» إذ يضفي عليه أبعاداً شاملة من حيث الصيرورة والكينونة والإبداع، حيث أنَّهُ تكلم عن مراتب الحروف والكلمات والعالم[1].

إن مقصد الحروف في دلالاتها المعنوية، هو تحديد وجهة توظيف الحرف في بناء الكلمة، من حيث المعنى المقصود، وحسب رؤية الشيخ الأكبر السالفة «**الحروف أئمة الألفاظ**» حيث أن هذهِ المقولة كان قد أسَّس لها النفرّي بشكل واضح في أحد (مواقفه) الرائعة، حيث قال: «**الحرف يسري في الحرف حتى يكوّنه، فإذا كوَّنه سرى عنه إلى غيره فيسري في كل حرف فيكون كل حرف**»[2].

ثم يضيف تأكيداً آخراً على هذا المنظور التجذيري للحرف فيقول: «**وقال لي: إذا انطقت بالحرف رددتَهُ إلى المبلغ الذي تطمئنُّ بهِ فيسري بحكم مبلغه في الحروف، فيسري إليك الحكم السوي**»[3].

هذا التأكيد التصوفي هو لإقرار وحدة الموضوع المؤوّل للعلاقة بين الحرف والكلمة وبين الذات والموضوع، وبين الوعي والمحمول المعرفي، وبين الحس والعقل والحدس، وبمعنى أشمل تحقيق وحدة موضوعات البيان والبرهان والعرفان والطريقة والشريعة والحقيقة، وجمع كل ذلك في المنظومة الفكرية لعقل التصوف الإسلامي، إنطلاقاً من موضوعة الحرف، والذي يشكل/ في تلك المنظومة/ الأس الأقوى والعمود الأرأس الذي شيّدت عليه تلك المنظومة في غالب تأويلاتها المعرفية، عند رجالاتها الأقطاب الذين صاغوا لها تلك المعارف.

حتى أن النفرّي يربط عملية توظيف الحرف في الكلمة في مسألة «الثواب والعقاب الآخروي» حيث يقول: «**الحرفُ الحَسَن يسري في الحروف إلى الجنّة، والحرف السوء يسري في الحروف إلى النار**»[4]، وعلى هذا الأساس إشتقَّ شعارهُ الرائع «**فلنقتبس حرفاً من حرف كما نقتبس ناراً من نور**»[5].

وعلى هذا الأساس من «الإعتبار الديني» يُطوّر إبن عربي منظومة المعارف الإسلامية

---

(1) نفس المرجع/ ص 410.

(2) النّفري/ المواقف والمخاطبات - موقف العهد/ ص 50.

(3) المصدر السابق/ نفس المكان.

(4) المواقف والمخاطبات/ موقف العهد/ ص 50.

(5) المصدر السابق/ مخاطبة 53/ ص 122 - وقد وردت في النص على الصيغة التالية «فإذا أرسلتك إلى الحروف فلتقتبس حرفاً من حرف كما تقتبس ناراً من نار) ويبدو أن المحقق/ أحد المستشرقين/ لم ينتبه إلى عبارة «ناراً من نور» فكتبها هكذا. .

- التصوفية إلى أبعاد أكثرَ إستشرافاً لعمق المعاني، بحيث يجعل من الفكر الذي يتعاطى مع هذه المنظومة أكثر انفتاحاً وشمولاً، لتجاوز **شكلية النص** - أيَّ نص - إنطلاقاً من **تأسيسات الحرف العربي** ويبدأ ذلك مع **النص القرآني**، في إفتتاحيات السُوَر، فهو يرى إلى أحرف/ سورة البقرة الأولى (ا. ل. م)/ أبعاداً شاملة في الصيرورة والكينونة والوجود والإبداع، إذ تكلم عن مَراتب **الحروف والكلمات** والعالم، كما لو أنَّهُ أراد تنسيق وترتيب وتنغيم النسبة «العلاقة» بين الحس والعقل والحدس والبيان والبرهان والعرفان، والطريقة والشريعة والحقيقة، والملك والملكوت والجبروت، والنماذج الأخرى في وحدة لها معناها الخاص في الكلمة، فقد وجد في هذه الأحرف الثلاث (ا. ل. م) تجلياً لثلاثية المُلك والملكوت والجبروت.

**فالألف** إشارة إلى التوحيد أو الواحد «الملكوت» **والميم**، إشارة للمُلك، الذي لا يهلك «الوجود» **واللاّم**، إشارة للواسطة «الجبروت»[1] وعلى هذا الأساس من **التأويل**، ينظر إلى كلمة «الله» بشكل جعل منها نموذجاً للصيرورة والكينونة والوجود والإبداع[2].

وقد ربط إبن عربي إشكالية **«الظاهر والباطن»** في الإنسان **بإشكالية المعنى في «الحرف والكلمة»** أي أن حقيقة كل منهما على قدر تجانس الظاهر والباطن، والحقّ والمعنى، فكما أن وحدة الإنسان والحقيقة تتكون في مجرى معاناة صهر الباطنِ بالظاهر، فكذلك المعنى الحق يتكون من حروف **المُعاناة المصهورة في الكلمة**، إذ الحروف، هي العناصر الجوهرية في تضاريس الإبداع الحُر، لأنها توجد في كلمة الروح، كما لو أنها الضمير والمعنى، ومن هذا الإمتزاج تتكون معاني الكلمات باعتبارها إبداعاً تتوقّف قيمته على كيفية النسب وتركيبها، لأن «الإبداع كلمة مثلما نسمّي الشخص الواحد منّا إنساناً» كما يقول **إبن عربي**[3].

فعالم الكلمات ينشأ من عالم الحروف، وعلى هذا الفهم والتصور إشتقَّ إبن عربي مبدأً خلاقاً في الوجود الإبداعي تجسَّدَ في مقولته الشهيرة: **«الحقيقة في الكلمة هي أن تكون كلمة الروح روح الكلمة»**[4].

ومن هنا ندرك أهمية ما قدمَهُ **التصوف الإسلامي** للكلمة والحرف العربي، باعتباره

---

(1) د. ميثم الجنابي/ حكمة الروح الصوفي/ ص 410.

(2) راجع استطرادات د. ميثم الجنابي، في شرح هذه الأمور وأبعادها في المصدر أعلاه. حيث فيه استطرادات كثيرة وغاية في الأهمية، لمن يروم الإستزادة.

(3) المصدر السابق/ ص 410.

(4) راجع أيضاً د. ميثم الجنابي/مقالة بعنوان «تضاريس الابداع في التجربة الصوفية» والمنشور في مجلة (نزوى) الفصلية العُمانية/العدد 26 - أبريل - 2001م.

أحد النماذج الرفيعة للثقافة العربية - الإسلامية، حيث العبارة والمصطلح الصوفي، يعبّران في إستقامة الروح الخالصة عن إعوجاج الثقافة وانحرافاتها وانكساراتها وتعرجاتها في ميادين البيان والبُرهان، حيث العثور في هذه الثقافية الصوفية على إخلاص نادر لوحدة الحقيقة والمعنى[1]، مركّزاً على فلسفة الحرف وأهميّته التأويلية في مسارات الثقافة العربية - الإسلامية، وأعطى «تجريداً» إلى بلورة تقاليد الفقه والكلام وعلوم اللغة ومسارات الأدب، وقد كانت ثقافة الحرف عندهم بمثابة «الإمام» المتّبع، حيث يميلون معهُ اينما مال.

## الفصل الرابع

# الحرف العربي والفنون التشكيلية

المتابع لمسيرة تاريخ الخط العربي وتطورهِ وتبدّل أشكاله، من صيغة كتابية إلى أخرى، يستنتج أن هذا الحرف يُؤثّر ويتأثر بنظر المتلقي، بمعنى آخر، أن التأثير السايكولوجي يبدأ على المشاهد حالَ وقوع الرؤية على أشكال رسم الخطوط، فتبدأ بقية الأحاسيس بالإستجابة والتفاعل والنظر إلى العمل الفني من أكثر من زاوية، بغية الإدراك المُعمّق لشكل وجوهر الشيء المنظور، لأن هذا الشيء يحرّك في المتلقي جُملة من الأحاسيس الداخلية كي تشبع رغبةَ النفس لما تريد استكناهَهُ، لا سيما العمل الفني، ومن هنا جاءت نظرية روبرت فيشر (ت 1872) في «الفن السايكولوجي» والقائلة: «أن الدينامية - الحركية - والعلاقات الشكلية في العمل الفني تفترض تحريك مواقف إحساسيّة وعضلية وعاطفية للناظر - المتلقي - والناظر يختبر هذه المشاعر والأحاسيس كأنها صفات الشيء الذي ينظر إليه فنيّاً»[2].

وتشكيلات الحرف العربي - فنيّاً - تمسك المشاهد بقوة غير عاديّة، وتحرّكه بشدّة،

---

(1) المصدر السابق/حيث فيه شروحات وافية عن تأويل لفظ الجلالة «الله» الى مديات فلسفية كبيرة وواسعة.

(2) Vicher, Rober: Das potiche formgeful reprinted in drei schrften zum as the tischen form problem, Hoell 1927

باللغة الألمانية، ومختصره المترجم إلى الانجليزية.

page 25 - in Empathy from and space problems in Germany in Germany aesthetics (1873-1893) California, Getty center for the history of Arts and Humanities (1994).

لا سيما نظرَهُ ورأسه، ثم تتحرّك خطاه، بين اقتراب وابتعاد عن اللوحة، أو التسمر بالمكان أمام اللوحة، والنظر وحدهُ شاخص بحالة من الصفاء والتأمّل، لذلك الحرف المرتبط بحرف آخر، ومعانقاً حرفاً ثالثاً، ورابعاً، لتشكّل كلمة، ضمن فسحةٍ محدَّدة، على ورقٍ أو على جلود أو موادٍ أخرى، لتصير - فيما بعد - إلى شكلٍ معماري، يُسمى «التشكيلة الخطيّة». وهذه التشكيلة تفرض إيقاعية معينة للحرف في الرسم والتشكيل، فارضه نوعاً من التأمل الخاص، تتوازن إيقاعاتُهُ مع مسارات النظر بخطوط وهمية تُحدِّدُها عين الرائي، مشكّلةً كُلاً متناغماً لا يقبل الإنكسار أو التشظي في جسم الكلمة أولاً، وفي تناسق الحروف، وفق هارمونية ذلك التناغم بين الحروف ذاتها ثانياً، ومن ثم تقبلَهُ العين - جمالياً - عند النظر إليه، فينخلق الإحساس الروحي لذلك الجمال.

وبعكسهِ، فإن نفور العين عند المتلقي، تسحب ظلال ذلك النفور على كامل الوعي الحسّي لدى الإنسان، فيجافي اللوحة وصاحبها، رغم تزيين تلك اللّوحة بإطار ذهبي من خشب الأبنوس أو غيره، إذ العين،كحاسة للبصر، تبقى لها رؤيتها في تحديد شخصية الحرف ودلالتِهِ الجمالية، من خلال ذلك التشكيل المرسوم وأحاسيس الراسم فيه وروحه.

ثمة دلالة معرفية وحسّية وجمالية وشخصية أيضاً توجد في الحرف، عَبَّر عنها اليابانيون بشكل دقيق حين قالوا: «إن الخط هو الإنسان نَفسهُ»[(1)]

حيث أن **الخطاط** يُولّد بأنامِلهِ تشكيلات خطيّة، توحي بأنه يخرج أشكالاً يختزنها في مخيلتهِ إخراجاً عفوياً تلقائياً، بينما هي نتيجة تفكير عقلاني، مارسَهُ الخطاط نفسه - كما يقول خطاط معاصر[(2)] إذ أن الممارسة «المهنية» عَوّدت الخطاط لأن يعيد بناء الجمل بناءً ثانياً، يختلف من حيث الشكل، إذ أنَّهُ يعيد هذا البناء بحسٍ جمالي، حيث تصبح التشكيلة الخطيّة كمراةٍ تعكس أفكارَهُ وأحاسيسَهُ الداخلية[(3)] أذ الإعادة التشكيلية للحرف تفرض مظهراً آخرَ لَهُ من حيث الخُفة أو الثقل، بزيادة البياض أو السواد الكثيف للحرف، وتفضيل الإنحناءات في الخط أو رشاقة الخطوط المنتصبة، وبتصعيد حرارة الديناميكية، أو بإعطاء برودةً للسكونية، حيث أن هذه الحالة تبرز لنا طبيعة الخطاط النفسية، ومسارات حياتهِ، حتى[(4)].

---

(1) انظر: حوار مجلة الأفق، مع الأستاذ الخطاط حسن المسعود، والمنشور في العدد (118) الصادر في 25 - أيلول - 1986م.

(2 - 4) هو الأستاذ حسن المسعود - أنظر - مقالة «سلام مراد» الخطاط حسن المسعود، «تجربة الخط تجربة الحياة» المنشور في (جريدة الإسبوع الأدبي) التابعة لاتحاد الكتاب العرب بدمشق/العدد 1030/ في 11/ 11/ 2006.

أضف إلى ذلك أن عالم الخط واسع وصعب المراس، والجوانب التجريدية فيه تلعب دوراً أهم وأكثف من الجوانب المادية، فالفراغ الذي يحيط بالحرف أهم وأعلى قيمة من الحروف الحاضرة، والطاقة الآتية من تلاقي الحروف وتشابكها تشكل بعداً جمالياً عميقاً للحرف العربي، كما يقول المسعودي[1].

ومن الملاحظ، للعين الباصرة الفنيّة، بأن لكل حرف **قُوَّةً تعبيرية**، تظهر في الخط، توحي بالقوة أو الضعف، وتعطي هذا الإحساس بمجرد النظر إليها، وأحياناً تستدعي صورَ أشياء نعرفها، فالألف في خط الثلث تبدو كسيفٍ مستلّ، والعين كمنقار صقر دقيق وقوي، بينما هناك خطوط أخرى ضعيفة وكأنها خيوط قطنية لا تثير المشاعر، ولا تعطينا الغذاء الروحي الذي نبحثُ عنه[2].

كما أن لهذه الحروف تنغيمات وإيقاعات، تظهر بتكرار الحروف المتشابهة في نفس التكوين الخطّي، حيث يتوصّل الخطّاط إلى ابتكار أنغاماً مرئيةً، كما أن المدّات الطويلة في الكلمات، تُؤدّي دور لحظات الصمت واللاّ تلفظ، فاستمرار الحرف مسحوباً يجعل العين تتابع هذه المسيرة حتى لحظة التوقّف المفاجيء والتشابك مع حروفٍ أخرى، فتوحي لنا هذه التقاطعات بالحركة وبطء النغم وسرعته[3].

والأشكال التي تعطي الإيقاعات في الخط العربي هي دائماً الألف واللاّم، وبشكلٍ عمودي، بينما تعطي الجرّات العناصر الأفقية للنغم في الحروف، بينما الإلتواءات والدوائر تأتي من حروف السين والحاء والعين والواو. وهذه «التنغيمات الإيقاعية»، هي عناصر ضروريّة يفكّر بها الخطاط عندما يعمل تكوينه الخطّي، وقد توصَّل بَعضهم إلى روائع تبدو وكأنها سمفونيات موسيقية، متجمدة على الجدران في المعالم الحضارية - المعمارية - كالمساجد والمدارس القديمة؛ الأمر الذي يوضّح لنا الذوق العالي عند الخطاط وقدرته الحسيّة العالية واجتهاده من أجل تنظيم حروفه بهذا الشكل الإيقاعي[4].

وتشكل مسألة **الكُتلة والفرْاغ** «مبدأ هاماً في تشكيلات رسم الحرف العربي وأساليبه، حيث هذه المسألة، تعطي الخطاط الحُريّة الفنيّة، لأن يتحكّم في مسارات الأحرف وفق إيقاعاته المرسومة بذهنِهِ. حيث أن تناسب بعض الحروف والفضاء المحيط بها يكون متعادلاً في التكوينات، مع بعضها البعض، ليخلق هارمونية في سطورهِ المتعادلة، بحيث لا

---

(1) جريدة الإسبوع الأدبي/العدد 1030 في 11/ 11/ 2006م.

(2) الخطاط حسن المسعود: الخط العربي/ص 84. منشورات فلاماريون - ط 1 - باريس 1981م.

(3) المرجع السابق - نفس المكان.

(4) انظر - الخط العربي/لحسن المسعودي/ص 84.

يخلق تزاحماً في الحروف من حيث الإقتراب والإبتعاد، وتنعدم الفجوات داخل السطر لغرض جمالي، عدا بعض الحالات، كما في **الجلي ديواني**، واختيار نسب مساحات الفراغ حول الحروف يكون أكثر تعقيداً، حيث الفراغ هو وليد اللحظة، وعلى الخطاط، كما يقول المسعودي، تقع مسؤولية استغلالِهِ وتنظيمه وتوسُّعِهِ بأحسن ما يمكن، مع استخدام الحركات التزينيّة للخط[1].

إن القِيَمَ الجمالية للخط العربي بدأت تفرض نوعاً من العِشقَ البصري لدى **الفنّان التشكيلي** في البلاد الإسلامية وغيرها من بلدان العالم، حيث بدأت تلك القيم الجمالية تظهر في الفنون الإسلامية الأولى من خلال شكلين رائعين من أشكال التعبير الفنّي هما: **«فن الأرابسك»** أي الزخرفة بالخطوط العربية أو فن الزخرفة العربية عموماً، **«وفن الكتابة» أو الخط العربي**.

وقد أشار الفنّان العراقي الراحل **الأستاذ شاكر حسن آل سعيد** إلى أنّه «منذ أوائل القرن العشرين، ظهرت مكانة **الخط التعبيرية والتجريدية بل والتكعبية** في المجال الفني، ممّا حدا ببعض الفنّانين الأوروبيين إلى استخدامه كعنصر من عناصر العمل الفني، أمثال **«بيكاسو، باول كلي، والفنان المستقبلي مارينتي»** وهو في شكله الكتابي، أي كحرف[2]، ثم يضيف: وفي النصف الثاني من القرن العشرين أكتشفت أهمية الحرف العربي نفسه، كعنصر زُخرفي ثم تكويني في العمل الفني، وأخذ الفنان العربي على عاتِقِهِ لأوّل مرة في التاريخ الحديث، مسألة تطوير قيمة هامة من قيم حضارة، هو ممثِّلُها الشرعي، فارتأى مواكبة النهضة الفكرية في العالم، في سبيل الكشف عن قيمة الحرف الروحية والمادية معاً بواسطة التعبير الحرفي»[3].

وأهل الفن التشكيلي، يوصفون الخط العربي بعبارة دقيقة، وفق إحساسهم الفني بالشكل التالي: «إنَّهُ مخطوط يُدوّن وفق وضعٍ أُفقي، بحيث يتكون من علامات صوتية مميّزة وحروف، وإن هذه الأشكال المقترنة ببعضها البعض إنما تكون القاعدة لصف غير محدود من الأشكال الخطيّة، لا تظهر على الصفحة فقط بل وعلى الدار أو التنويعات

---

(1) المصدر السابق/ ص 94.

(2) أنظر: شاكر حسن آل سعيد/ مقالة البُعد الواحد/ نُشرت في أكثر من مكان وقد حصلت عليها من موقع ألكتروني نشرها بتاريخ 18/ 11/ 2005 هو موقع «فنون وآداب» في الوقت الذي قدّمها - كمقدمة أو بيان، لتنظيراته الفنية لمشروع «البحث عن البُعد الواحد» في أحد المعارض الفنية لهُ ولمجموعة من الفنانين التشكيليين العراقيين في مطلع سبعينات القرن الماضي عام 1971م.

(3) المرجع السابق أعلاه

الأخرى من السطوح» ويضيفون على ذلك: «إن الحركة العامة للخط هي ما تحدث بفعل التأثير الطباقي لنبضٍ أو باعثٍ شعري روحي، على أن هذا التشخيص الجامع يصح اعتبارهُ أيضاً من إيقاعية النص في إيقاع يُمهِّد لظهورهِ بحركة اليد الخاصة، وهي تجمع ما بين فنّي الرقص والموسيقى»(1). أو بعبارة أخرى أدق توصيفاً تقول: «والخط هو فن الكتابة، بل وفنٌ كوني... والخطّاطون العرب يعتبرونهُ هندسة الروح يُعبَّر عنها من خلال الجسد»(2).

إن التعرجات الفنيّة في رسم الحرف العربي وإيجاد مساحات بين الإرتفاع والإنخفاض، تتناظر فيما بينها على السطح المكتوب، ما هي إلاّ دليلاً على إستقامة الروح المُبدعة لخلق حالة من التوازن الروحي بين البصر والبصيرة، والروح والجسد، يشهدها المتلقي - بصرياً - كي يشعر بالجمال رسوماً بحرفٍ يعبّر عن ذاته.

أو ما يفهَمَهُ التشكيليون العرب على النحو التالي: «الفنان المُولع باقتباس الحرف لن يكتفي بالفن التشكيلي لذاته، لأنه سيضيف إليه العلامات الحروفية، ومعنى هذا أن اللوحة الفنيّة ستصبح أكثر من محاولة تشكيلية، لأنَّهُ إذا كان التشكيل الفني في صُلبِهِ تكويناً مكانيّاً، فإن إقحام العنصر اللغوي يخرج بهِ عن صميم هذه الممارسة إلى أفقها الزماني، ومعنى هذا - كما يقول الفنان شاكر حسن آل سعيد: «أن ما يريد أن يناقشهُ الفنان حينئذ، ليس هو هذا الوجود الإنساني ولا المكاني، بل مشكلة الوجود المكاني والزماني معاً»(3).

بمعنى آخر، إن الأستاذ شاكر حسن آل سعيد، بوصفهِ أحد كبار الفنّانين التشكيليين العرب، قد صاغ «نظرية البُعد الواحد» إعتماداً على بُنية وشكل الحرف العربي، باعتباره عنصراً أسياسيّاً في جوهر اللغة العربية - ثقافياً - واعتباره، عنصراً فعالاً. في - التجريد الفني - جمالياً. بمعنى ثان، أن الحرف العربي ألهم بحضوره عقلية الفنان المبدع في

---

(1) The Splender of Islamic Caligraphy - Abdul Kebir Khatbi and Mohammed. Sijlmassi. نقلاً عن شاكر حسن آل سعيد: الخط العربي جمالياً وحضارياً - مقالة منشورة في مجلة المورد العراقية - العدد 4 - المجلد 15 - السنة 1986 - عدد خاص بالخط/ ص 51.

(2) نفس المرجع أعلاه.

(3) يستطرد «شاكر حسن آل سعيد» بهذه النقطة، موضحاً آرائه الفنية بمسألة «البعد الواحد» حيث يقول: «فموضوع البعد الواحد إذن هو أساس هذا الوجود الكوني نفسه، إن نظرية البعد الواحد، بهذا المعنى تفترض أن المعنى الحقيقي للكون يتحقق بالعودة من الشكل إلى أزله الخطيّ، ومن الحجم إلى أزلهِ الشكلي، إنه ممارسة (للتجاوز) من خلال العلاقة المعقودة ما بين الذات والعالم الخارجي، بحيث لا تصبح هذه العلاقة قيداً يتحجرّ فيه الوجود الإنساني الذاتي، بل يصبح علاقة متطورة وموضوعية، تشعر فيه الذات بكيانها في الوجود». راجع شاكر حسن آل سعيد/ البُعد الواحد: إعداد جميل حمودي - مقال (الجوانب الفلسفية والنقدية والتعبيرية للبعد الواحد) ص 5 - بغداد 1973م.

مجال الفن التشكيلي ليغريه في الوقوع بدائرة سحر التشكيل الحرفي، مقدماً لهُ إغراءات جمالية تنسجم ورؤية التشكيل في وعيه، باعتباره «حركة» يمكن التكيّف بها في مساحات اللوحة وزواياها، ولهذا قال شاكر حسن آل سعيد: «فإن إستخدامه - الحرف - في الفنون الجميلة يظل بمثابة الصيغة الجديدة للذهنية العربية المعاصرة، تلك التي كانت تتخذ من الوضع الأمثل قيمة جمالية حضارية - كمُدرك شكلي للهوية العربية في الفن..». ويضيف: «وبعد أن كان الخط نفسَهُ يمتلك هذه الهوية ويحقّقها في وحدتهِ، ضمن المنطق الحرفي كفن للكتابة، يضحى الآن مُمتلكاً إيّاها في حالة تحقيقها ضمن المنطق المعرفي للحضارة العالمية»[1].

إن هيئة الحرف العربي، بشكله وقوامه، هي التي طاوعت الفنان التكشيلي لأن يستفيد من هذه «الخصوصيّة» التعبيرية، فشكل الحرف العربي ذو هيئتين، شاقولية وأفقية، فالهيئة الشاقولية، هي التي تمتد إلى الأعلى كالألف واللاّم والطاء، أمّا الأفقية، فهي تتوجد في الباء وأخواتها والفاء، وتلك الهيئتان معروفتان بأهميتهما في التأليف والتشكيل الفني، مما يساعد الفنان التشكيلي على توظيف هذه «الهيئات» في قوام اللوحة، مضافاً إليها أن جسد الحرف يتكون من رأس بالجهة اليمنى، وعقب إلى اليسار، كما في «الفاء» أو من رأس في الأعلى وعقب مُمتد إلى الأسفل كما في «العين والحاء والميم» والرأس، يكون دائماً مُعقداً ملفوفاً، أمّا العقب، فهو رشيق ممدود[2].

كما أن «الدائرة» تشكّل وحدة تشكيلية في رسم الحرف العربي، حيث تكرّر وتكبر وتصغر وتمس بعضها البعض، وتظهر، وتغيب، حسب شكل الحرف، كما في «الواو والسين واللاّم والقاف والراء والهاء» وغيرها. ولعل ذلك قريبٌ لمبدأ التقوير أو التدوير في الخط. كما يعتقد الفنان شاكر حسن آل سعيد[3] ويضيف بأن «النقاط، والشكل» يخلقان أرضية فنيّة لجسد الحرف «باستثناء الخط الكوفي» حيث لَهُ شخصية مسيطرة في التأليف الفنّي لا تحتاج إلى إدغام أو تأطير» وعلامات الشكل الكثيرة والحركات المتعدّدة تُعطي الفنان الحُريّة دون التقيّد بإعراب الكلمة نحوياً»[4].

كل هذه «الميزات» في الحرف العربي، جعلته لأن يكون «بمفردهِ تجريد» ولهذا

---

(1) أنظر - شاكر حسن آل سعيد/ الخط العربي جمالياً وحضارياً/ مجلة المورد - العدد 4 - لعام 1986، ص 60.

(2) شاكر حسن آل سعيد/ مقالة البُعد الواحد/ المرجع السابق.

(3) نفس المرجع.

(4) نفسه.

استعملَهُ الفنانون رمزاً أو شكلاً فنياً مجرّداً. وعلى هذا الأساس دخل في أعمال الفنانين المحدثين عند التجريديين والمستقبلين، والتكعيبيّن والداداثيين، وكذلك في الفن البصري، وفي الرسم الإشاري «Sign Painting» حيث في سنة 1913 إستخدمه براك ثم بيكاسو في الرسوم الملصقة «Collage» كما ظهر الحرف في رسوم «كلي «Klee» وشويترز Schwitters، ورواوشنبرك، ونولارد، وهويفر، وتروكس، ومانسيه Manissier ومن العراقيين، **جميل حمودي وشاكر حسن آل سعيد ومديحة عمر، وغيرهم**[1].

ويعتقد الأستاذ شاكر حسن آل سعيد، بأن «الحرف العربي من أجمل الصيَّغ المجردة، خاصة بالنسبة لإنسان لا يفقه دلالته، أو يعمل هذه الدلالة لكي يستمتع **بالشكل الجمالي الصرف**»[2]، كما أن «**الطب النفسي**» عمد هو الآخر إلى إستكتاب المرضى للفحص والمعالجة بتحليل إسلوب ربط الحروف وترددها وزواياها، والشكل العام الطاغي على كتابة المريض، حتى وإن كانت خالية من المعاني المسلسلة، لأن الحرف وجد للتعبير عن خلجات النفس ومكنونات الفكر، وهو بدوره يتأثر شكلاً ورسماً بما يجول في ضمير الراسم ونفسيته، وعين الحال تماماً عند الفنانين الذين أهملوا معنى الكلمة، واتخذوا الحرفَ نفسَهُ موضوعاً أو دافعاً فنيّاً بحثاً في عوالم الجمال والخلق[3].

## آراء الفنّانين التشكيلّين في الحرف العربي

**في العودة إلى عام 1971م، هو العام الحافل في بغداد، الذي أُكتشف فيه الفنانون التشكيليون أهمية الحرف العربي في فنونهم، حيث ظهر [تجمع البُعد الواحد] من الرواد الأوائل، بقياة الفنّان شاكر حسن آ ل سعيد، وهم النخبة الفنيّة التي جَسَّدت هذا الإتجاه بالفن التشكيلي، ومن ثم انطلق إلى البلدان العربية، وعليه، سوف نستعرض آراء أولئك الفنانين الأوائل، الذين غامروا بنجاح هذه التجربة بالنسبة للحرف، باعتباره قيمة مجردة، يمكن لها أن تطور الفن التشكيلي، بضمّها لهذا العنصر في الفن التشكيلي العربي وسوف نكون أمناء في نقلِ تلك الآراء التي وردت في «البيان التأسيسي» لهؤلاء الفنانين، والتي جمعها فيما بعد، الفنان جميل حمودي بكتابه «البُعد الواحد 2» الصادر ببغداد 1973م.**

---

(1) شاكر حسن آل سعيد/ مقالة - البُعد الواحد/ .
(2) المرجع السابق.
(3) نفسه.

## 1 - شاكر حسن آل سعيد

- «تعبير ممارسة الحرف العربي، والحرف عموماً، في التشكيل الفنّي، محاولة للعودة إلى القيم الحقيقية في الفن».

- «التعبير بالحرف، هو في صُلبهِ محاولة مشروعة وتطور تاريخي للفن نحو تخطي الواقع السطحي ذو البعدين، كمناخ طبيعي للعمل الفني إلى حقيقة الخط «أو البُعد الواحد».

- «إن لمساهمة الحرف في التشكيل الفني إنسانيته، بل إنسانيته الكاملة، فهو يقتضي بحكم وجوده، حصيلة إلتقاء بين الفنان والمشاهد وبين الأثر المرئي والعمل الفني، كعملية تأمّل، وليس كمجرد رؤية بصرية، ومغزاهُ من ثم أن يتسامى بالذات الإنسانية إلى مستواها الإنساني التام، أي أن يعبّر عن وجود الذات البشرية عِبرَ مراحلها جميعاً، منذ لحظة تكوينها حتى فنائها.

وهكذا فإن تحقيق البُعد الواحد بواسطة الحرف هو نزعة تأمُليّة لوجود الذات الإنسانية عند مستوى الوجود الكوني... ومع ذلك فإن أهمية التعبير الحرفي في الفن مناطة بإدراكنا للنظام العقلي الذي يمنحهُ اهتمامَهُ. على أن دور الحرف في الفن التشكيلي بحدِّ ذاته كان في نفس الوقت، مفارقة للذاتية وكشفاً للحقيقة، سرعان ما أشاد صرحَ فنٍ قائمٍ بذاته هو «فن الكتابة».

ومن هنا، فإن الإكتشاف المعاصر للخط كحرف وكبُعد هو بدورهِ استمرار غيبي لعقلية فنان متجاوز لذاته وواقعهِ النسبي في سبيل أن يستقصي أصولَهُ من جذوره، وأن يطوّر إبداعَهُ عِبرَ ثماره... إن ممارسة الحرف في التشكيل الفني، محاولة للعودة إلى القيم الحقيقية في الفن.

كانت ممارسة الحرف في العمل الفني - أول الأمر - محاولة «تجريدية» وذلك بالكشف عن النظام الداخلي لحركة هذا الرمز اللغوي المفصول بواسطة الفن عن قيمته الأولى كوسيلة تكوينية، إنّه تأمّل للكون، أو وصف شهودي للعالم الخارجي وبواسطة لقية فنية يتوحّد فيها الإنسان والعالم.

## 2 - ضياء العَزّاوي... (ملاحظتان في الحرف)

- «في بداية تكوين (الحرف) كان جمال العنصر التشكيلي يتحقّق في التنوّع، فالكُل (حدود اللّوح النحتي أو الكتابي) يحدّدهُ التكرار الإيقاعي لتوزيع الأجزاء بينما تحولت بعد تطورها إلى وحدات تشكيلية، ضمن توزيع هندسي، يكون المستطيل الشكل الأكثر أهمية

في التوزيع، عند ذلك لا تصبح الكتابة (كوحدة تشكيلية جمالية) في حالة وجودها ضمن لوح نحتي مجرد إشارة للمآثر والأعمال الإنسانية، وإنما تصبح جزءً من نقطة في التكوين العام، وبؤرة للعلاقات التشكيلية مّما تساعد على تقوية وتركيز الأحاسيس، بالرغم من أن واقع الأسطورة والجانب الميثيولوجي هي أكثر حدّة وقوة مِمّا ينتجه أيَّ شكل من الأشكال الفنيّة».

- الحرف العربي، تكوين متحرّك ضمن نقاطٍ منظورية مختلفة، يتجه إلى خارج الشكل بالقدر الذي يُعمّق الإحساس بحركتهِ نحو الإنفلات من تلك النقاط فالحرف (تشعُّب خطّي) يحتل الكل، ويمنح داخل اللّوحة صوتاً إيقاعياً يحقّق من عناصر أخرى رؤيا خاصة، فإذا كان توحّد المشاهد مع اللّوحة يتم عِبرَ فرض خارجي يصبح تحقيق الحريّة اللازمة الضرورية، لعملية تقيّم مشروطة كنقطة بداية لما يمكن أن يحقّقهُ التكوين التشكيلي من إلغاء لكل تصور مسبق عن مكانية وزمانية وحدة الحرف أو (الآرابسك) وبالتالي في الحدود التشكيلية التي تمتلكها اللوحة ضمن (جغرافية) الفن الواسعة.

- إن الحرف أو الآرابسك - عند وجوده كشكل ضمن تكوين عام، لا يفقد الحريّة التي يمكن طرحها عندما يكون الكل في اللّوحة، فالحرية تنبثق خلال تحرّك هذا الوجود باتجاه منظور واضح. . . والحرف عندما يكون قيمة تعبيرية ضمن الوحدة العامة للتكوين، يصبح تجربة جاهزةً وسهلة للمشاهد، ومن ثم تنسحب خاصيّة اللوحة للداخل، لتستحيل هذه الواسطة في التعبير «عملية الرسم» إلى شاهد للحظةٍ متحجّرة. إن وجود الفعل المؤثّر، يتحقّق من خلال وجودهِ كحركة دائمة، وأيّة وسيلة تعبيرية من الحرف أو «الآرابسك» كشاهد للوعي بشرطيّتها الخاصة «الإسلوب الخاص بالرسام» من خلال فهم الحركة كوحدة تشكيلية مُضافة، أو وحدة فاقدة لوجودها الأساسي كحاجة إنسانية يمكن أن تجرّد العمل الفني من ميزته الضرورية، أعني وجوب إحداث التأمُّل المحرّك لوجود الإنسان وبالتالي خلق الوعي الحضاري للتطور.

فالحرف بهذا مُسار نحو لحظة مفقودة، يترك خلال ذلك وجودهُ المكاني بينما يظل يمارس علاقته بالزمن يوجد فيه. ففي حدود الممكن يكون الحرف على حافة التجربة، يتسلّق جزيئاتها ليحقّق من خلالها وحدَتِهِ التي تكتسب شرطيّتها ضمن الوجود الجديد له. وبهذا يتحول من أرضية تعبيرية للإنسان بوحدتها الصوتية والأدبية إلى حدود ملغية، وفي أرضية ترتبط بالخلفية الحضارية للعصر «اللوحة أو الجداريات» مُمَزّقاً بذلك حدود المساحة التي ارتبط الحرف العربي بها منذ عصور طويلة، بخلاف ما نجدهُ في تطابق الحرف وإلغاء حدود المساحة خلال الحضارة الآشورية.

## 3 - عبد الرحمن الكيلاني

- إن استعمال المربّع، فتح باب الخروج عن الإلتزام بشاقولية وأُفقية الخطوط التي فرضتها المادة، ومكّن من إحداث الخط المائل الذي حقَّق الحيوية، بسبب تحقّق الذبذبة الناتجة عن وضع المربعات جنب بعضها، وبهذا الشكل يؤكّد إنحناء السطح أن جميع الخطوط المائلة على منائر بغداد هي خُطوط حلزونية في نفس الوقت، وتوحي بحركة الإسطوانة التي تحيط بها حركة دائرية على محورها وبنفس اتجاه الخطوط الصاعدة الساكنة والخط المائل المتحرك. بناءً على ما تقدم فإن التخلّي عن هذه الوحدة يؤدي حتماً إلى عدم تحقق ما أشرنا إليه من مزايا، ولهذا فالمربّع هو الإختيار الوحيد للمعمار مصمّم النصوص والزخارف، وبالتالي فهو مجبر على اختياره، اللهُمّ إلاّ إذا أراد الإستعانة بخبرات أخرى عدا خبرة البناء الذي ليس عليه إلاّ أن يضع المربّع في محلّه، وكذلك المدة.

- إن قسرية الإسلوب هذه لعبت دوراً كبيراً في شحذ خيال المُصّمم لمواجهة تحدّيها، فابتكر وتصرّف في أشكال رسم الحروف وتحايل بإحدى الطرق التالية:

1 - اللّي، الدمج، الإستعاضة، العكس، التكرار المضطرد، تكرار التجمعات، وهذه الأخيرة تكون على أشكال منها: التجمع المتناظر تناظراً جانبياً، والتجمع الثلاثي، والتجمع الرباعي(1).

## 4 - جميل حمودي

إن اللحظة التي وثبتْ فيها إلى ذهني فكرة استيحاء الحرف العربي في العمل الفني، كانت في ساعتها نوعاً من الإبتهال والصلواة لنفسٍ أفزعها الفراغ الذي ملأ الحياة الأوروبية التي كنت حديث العهد بها.

## 5 - مديحة عمر

ساهمت السيدة مديحة عمر منذ الأربعينيات/ القرن الماضي/ في بحث الحرف العربي عِبرَ الفن التشكيلي، متوخية الكشف عن طاقاته الإبداعية كبعدٍ واحد وكمركز حياتي، خاصة في استخدام الحرف الكوفي، ومن هنا أهميتها في البحث تعود إلى كونها من الرواد الأوائل لوضع الحرف في محلِّهِ الملائم كأحّد عناصر الابداع في الفكر المعاصر.

---

(1) راجع تفاصيل ذلك في/ البُعد الواحد/ عند جميل حمودي - مرجع سابق.

## 6 - محمد غني

إن اهتمامي بتحوير الخط داخل الحرف يحمل مشاركة حقيقية مملوءة، ابتدأت منذ سنوات طويلة، وليس الإنفعال كمظهر هو ما جذبني إلى الإهتمام بهذه التشكيلات، التي تحمل اللّعب والعراك معها، فالخط الذي يحمله الحرف يمتد ميّتاً ويستقيم حيّاً ويحيى ويتكرّر ويتكوّر، فيصبح بعد الإمتزاج مَعهُ جزءاً مهماً من علاقة نظرتي إليه كشكل يحملُ معنىً أو معانٍ قابلة للتغيّير باستمرار، فهي - أي الحروف - كالحياة، معنىً لا ينضب من الإستلهام الذاتي لتجريد المعاني.

إن داخل الحرف إنسجام رائع تكشفه العين من خلال الظلال الجانبية لكل حرف عند تحويلها من الخط إلى الكتلة التي ترسمُ أشكالاً ملموسة ذات بُعدين أو ثلاثة، لتعطي بالإيحاء وبالخيال العلاقة لمركز الإنسان داخل الواقع الذي لا يريد الإفصاح عنه، فيستبدل الخط الأفقي أو المنحني إلى إشارة حركية تنعكس على الكتلة لتحمل معنىً جديداً ذا شكلٍ إنساني، مملوءً بالتفسيرات العقلانية والوجدانية، وهذا ما أُريد إعطاءهُ للمشاهد الذي تسهل عليه الفرص للمشاركة بتجريد الحرف التجريدي كشكل.

## 7 - رافع الناصري

المتأمّل للحرف العربي مجرّداً من معناه، مفصولاً عن أية خدمة لغوية يراد التعبير عنها، يجدهُ ذا قيمة تشكيلية مستقلة، تعتمد على الأُسس الفنيّة من شكل وحركة وفراغ، فأيّ حرف من الحروف العربية بحدّ ذاته يعطي الشكل التجريدي الكامل، والرمز المعنوي للعالم الداخلي والخارجي للإنسان، وتعاملهُ مع كليهما أو منفصلاً، حيث تبقى بعض هذه الحروف تعيش داخل الإنسان، وتعطي معانٍ روحية وسايكولوجية أكثر مِمّا لو استعملت خارجهُ، مكتوبة أو محكية، وبالتالي فاستعمالها في الرسم لهُ تأثير خاص تتفاعل وتتّحد مع الشعور الإنساني مكونة الجو الروحي الخاص للناظر.

- الحرف في الرسم يبقى حاملاً لرموز ذات معاني أعمق ممّا فسروها، حيث يبقى الحرف في الصورة رمزاً مطلقاً، وهذا ما أسعى إليه.

## 8 - نوري الراوي

الحرف... الإنسان الظل... والحقيقة هنا، ومنذ الأزل ما فتئا يتصديان فيؤسراه مرة، ويطلقاه تارة أخرى، وإذا استطاع أي منهما أن يجمد دَفقهُ السرمدي، في لحظة تجلّ متاحة، أبدع منه صورة وجوده، وهتف بالصورة أن تكون ذلك الإنسان فكانت، ومنذ أن

صار الحرف ظلاً لمعنى، إنفكَّ الأسير والآسر، وألَّفَ هذا الفعل الحيوي، بمعنىً ما، عالماً من التعلّق التراجيدي الذي ظَلَّ ينساب عِبرَ الدهور حتى تأكَّدَ معناه التشكيلي الخالص النقي مرة، والوظيفي مرة أخرى.

في أتون الفخار، تحت شفرة الحَفّار، في خفقات ريشة الفنان، في سَنّ ريشة الكاتب، تشكل الحرف لينير المساحة التي تحتضنهُ. ومن تألُّقِهِ الذي ظل ينبع من الداخل، أخذ الرسام الحديث أجمل صياغاتهِ الحرفية، ، مبتدراً أيّاماً بالتصعيد، ليجعل منها قيماً تشكيلية ورموزاً لخلاصه.

إذا انتقل الحرف من صيغة إلى أُخرى، إستسلم لعمليات تأيّن مستمرة تنتهي في فناء مادة ضمن مادة، وتحول هذه الأخيرة إلى معنى قد يكون صدّاحاً موسيقيّاً، فإما أن يكون اللّون بسحرهِ المُقدّس، أو قد يكون زمناً متصلباً ينذر بفناء الإنسان! خارج حدود اللوحة لا موضع للحرف إلاّ في معناه، وهو هاهنا، حينما يدخل في بُعديها يصبح بُعداً واحداً لا انقطاع لسلساله.

## 9 - سَعد شاكر

إنَّ الخط، البُعد «الواحد» أهم العناصر في الفن التشكيلي، فهو وسيلة لشد العين نحو نقاطٍ متحركة، وقد يكون خطّاً خارجياً لشكل مُجسّم إذا رأينا ظِلَّهُ، وقد يكون محيطاً ومحدّداً للأشكال، فالخط يوحي بالراحة والهدوء والحركة والحياة، كما أنه يعطينا قيمة لونية، إنّه يجمع عنصري القوة والجمال... ومجموعة من الخطوط قد تعطي دورة تأملية تفكيرية، وهي في نفس الوقت حلمٌ مخطط.

## 10 - فريد الله ويردي

الحرف هو المنطق الذهني الذي ينطوي على امتزاجٍ زماني - مكاني، في آنٍ واحدٍ، أنَّهُ من الناحية الموسيقية صمتٌ نسبي يتخلَّلَ الوجود الصوتي فهو في هذه الحالة يوازي في كيانه المعنى المكاني - الزماني للحرف في الفن التشكيلي... هنا يصبح الصمت العنصر الأساسي للوجود الموسيقي في حين يصبح الصوت وجوداً عرضياً له.

## 11 - عبد الرحمن طهمازي

يقنعني بعد نقل الحرف من موضعه في الكلمة، وعزله من مكان غير مألوف - أي تجريده - أن يعمد إلى تحريره من معناه (أو حقيقة أن هذا التحرير تم منذ الوهلة الأولى) وفصله، ولو لبرهة من الزمان عن اللّوحة، كما نفعل كثيراً مع الكلمات في الشعر، نحن

نحاول أن نغمرها بجُملٍ وصورٍ من انفعالنا، بغض النظر عن تأكيدات الشاعر حول الكلمات.

إن «الصوت» و«المعنى» طارئان في الرسم إذ هما على هيئة «الحرف» وأهمية الحرف لا تستغرق أكثر من أهمية (الخط) أو ملىء الفراغ، إن الرسام لا يغامر بإلقاء «الحرف» من اللوحة دون إضافة، وهنا من ثمَ توقع «المشاهد - القارىء» في كتابة جملة تكون لها قيمة تشكيلية، تُبتز من اللوحة في كثير من الأحيان لقد جاءت القيمة التشكيلية للحرف في الفن الإسلامي من كونه عُنصراً مُهمّاً من عناصر العمل الفنّي، أنَّهُ كل اللّوحة (بحسابه من الخط) عدا اللون والمادة، ولم يكن «للشكل» الحق في طي معالم «الحرف» الذي لم يكن مستقلاً عن «الجملة» وعن قواعد الخط، وقد أضفت تلك الجُمل وَهْماً تشكيليّاً حول الحرف لأنه لم يكن وحيداً مع الكتلة واللّون، وكانت حركتهِ من كمال الجملة والموضوع والشكل.

- الرسام الحديث، حَوَّر الحرف من الخط أو من القيم الجمالية الكلاسيكية، حيث كان للخط غايات جمالية من الزخارف النباتية أو الهندسية، مِمّا يعطي الدلالات عن روحية ويقين الفنان المسلم. ففي «النسخي» الذي يتحرك بحرية، نجد إشارة إلى المطلق «في الزخارف» وإلى تزاوج فذ ما بين الظل والنور، وفي «الكوفي» إشارة إلى الإستقرار والثبات بشيء من الجمال الرياضي. . . وهكذا كان للخط مُهمّتهِ في التكوين الزخرفي، لكن خروج الحرف عن الخط وتطور فن الرسم وإتاحة الفرصة للفنان كي يتخلّى عن الزخرفة بدافع تطور المجتمع الإسلامي. دفع الإسلام العربي الحديث إلى التخلي عن تمثيله للحرف، بسبب ما للحرف من تعين واستقرار، ومن ثم إحالته إلى جزء من اللوحة بعزلهِ عن الجملة والكلمة، وتمييعهِ تبعاً للكتلة والمساحة واللون.

هنا يجد الحرف نفسه في مكان آخر، هنا يتحول إلى تجريد تام لا يستند إلاّ على «وضع اللوحة» الخاص (وينفي حرفيّته) نفي كونه قاعدة الكتلة والحركة.

## 12 - سُهيل سامي

إنَّ النماذج التشكيلية الحديثة في استخدام «الخط» تُطالب لنفسها إسم «الإتجاه» وهو مطلب ليس غريباً ضمن الإتجاهات الحالية. . . إن كل إتجاه جديد، ومن ضمنه هذا الإتجاه، في ظل شروط انعدام نقطة البدء. . . هذا المجال أكثر خصوبة والتحاماً، حيث يتضمّن مواد تاريخية وحضارية حياتية، لها صوت، ودلالة، ووظائف مستورة مكتملة أو غير مكتملة: الخط، الحرف، الكلمة، الآية القرآنية، كلمات الرُقى والتعاويذ والسحر، وكل ما تعرفه عن السلوك اللغوي والكتابي المورروث.

## 13 - وضّاح فارس

الحرف، في هذه الرسوم غادر موقعه التقليدي، كأداة لفظية لتركيب كلمات ذات مدلول خاص، أو حدسٍ مُعيّن إلى عالمٍ آخر، تحكمهُ نواميس أكثر لا واقعية من عالم التعبير الشكلي، حيث المدلول الشكل.

الحرف وحدة تماماً، كالخط أو النقطة في الرسم، بهِ يتصرّف الفنان في كل بُعد وإمكانية، ليخرج عملاً فنياً متكاملاً.

## الفصل الخامس

# كلمة في الحَرفِ العربي

تتشاكس لحظات ولادته الأولى مع الرحم الذي انبجسَ منه، مُعززاً ولادته بسمتٍ عربي كامل الهيئة، رافضاً التماثل والتبعية للحرف الحميري، الذي سبقه، وكان سبباً لوجوده، يسيرُ الهوينا في مدارج العقول، ويُنبش الذاكرة العربية لتجد لَهُ الفضاء النفسي والجسمي والجغرافي والبيئي والثقافي حتى يعبِّر بها عن نفسه، سطى على المخيلة العربية في زمن الصحراء، وأبدل قحطها بينابيع التأمل الفكري، جاعلاً من إسمهِ علامةً لقومٍ أرشفوا أدبهم في المعلقات، وأرجزوا بنبراتهِ في أسواق الجاهلية، فكان وتر القوس الذي رموا بهِ سهام المعرفة من كنانة التأصيل.

كان مفتاح الفصاحةِ عند أعراب البوادي، وأهلُ الحضر إليهِ يشدّون الرحال، بهِ عُرفت الأسماء الأولى، والأبجدية الأولى، والمسيح إليه أشار عند الولادة الأولى، موحياً إلى حَمامةِ نوحٍ والجبل الذي رست إليه السفينة، بهِ دُوِّنت الأسفار الأولى في العقل العربي، وبهِ نزلَ الكلمُ المُقدّس، وعليه مدار القَسَمُ الرباني في التنزيل، جعلتهُ السُوَرُ مفتاحاً لها، وبهِ تشاكلت العقول واختلفت في التفسير والتأويل حتى اليوم.

أمَّ بهِ الأُميون شعوب الشرق، وإلى مدارسِهِ شُدّت مُطايا وأرحُلُ، وبهِ جال «الحديث» وعُرفت «الصحاح» وتميّزت «الرجال».

حمله العباسيون على هاماتهم بَنْدا، وتفاخروا بهِ على أعدائهم عهدا، إحتضنهُ الفكر الإسلامي، فأسَّسَ بهِ مدارس للعقول، ومذاهب للأدب في المُنزلِ والمنقول، وبهِ صال الشعر، وعلى هَدْيهِ تمايزَ النثر، بهِ خَطَّ الجاحظُ بيانَهُ، وأعلى التوحيدي سِنانه، وعلى

تأويلهِ كان التصوف الإسلامي يشدُّ أركانه، ويخوض صراعاتِهِ بوحدة بيانه، وبهِ توالى الأقطاب في «الشطحات» وفي اختلاف رسومهِ كانت البيِّنات.

«بينَ التذلُّلِ والتدلُّلِ نقطة    في فهمها يتحيّر النحريرُ[1]
هي نقطة الأكوانِ إن جاوزتها    فهو المراد وعندهُ الإكسيرُ»

فهو عندهم «حرفُ لغات وتصريف، وتفرقة وتأليف، وموصول ومقطوع، ومبهم ومعجم، وأشكال وهيئات»[2].

والحروف عند الشيخ الأكبر: «أئمة الألفاظ» وتجلياً للمَلَكِ والملكوت والجبروت في «أ ل م» هُنَّ المنتهى والمبتدأ، وبالحروفِ سارت الأقلام، وشدا الوجد في الوجود عندهم.

مع الفتحِ فتح لبقية الشعوب طاقات النور، وسيّدَ رَسْمُهُ على بقية الحروف واللغات، وعشقته أعين الأقوام، ومالت إليهِ نفوسهم، وبهِ سطَّروا معاجمَ وجدهم ولغات أسلافهم، وتجذر بهِ إسلامهم.

الحرفُ، هو نقطةُ البدءِ في علوم الورّاقين، وهو كفُّ الكفاية لهم للتخلص من ربقة السلطان، وسيطرة الوالي، وعنجهية الوزير، بهِ حَرّروا العقل من دهاليز الظلام، وصانوا النفس عن ذِلّة السؤال في طلب النَوال، فكفكفَ عيشهم، وصانَ مروؤتهم، وحفظَ إبداعهم وإبداع غيرهم، فنشروا على المَلا علومه، وتدارسوا فنّه ورسومه، ووضعوا الأصول لكتابتهِ وحجومه، وعَقَّلَهُ ابن مُقلة وهَنْدَس أصلهِ وسقله، وأخذ الناسُ عنه منهاجهِ وفصله. وفتح أبوابه إبنَ البَوّاب، وأزال عن غوامضهِ كل حجاب، فأشرقت حروفه على مشارق الدُنيا ومغاربها، وتغنّت بأقلامهِ نوادي الأدب، وعرف بهِ أصحاب الكفاءة في الرُتب، وبهِ خُطَّ القرآن كتاباً للعرب.

تحاقبت عليه العهود، وما زال في الفكرِ يجود، لَهُ معالم الإشراق تبدو، وإليه نفوس المبدعين تغدو، تنقّلت بهِ المدارس، وترسّمت بهِ أسماء المُدن وأزالت الغِبار عن كُلِّ دارس، في الكوفةِ عَلَّمَ خُطاه، وتوشّحت بهِ بغداد في «مأمونها»، وبهِ ازدانت الأمصار في رسومه على المعابد، وعلى شرفات المآذن ومحاريب المساجد، فكان الشاخص الثقافي

(1) راجع أخبار الحَلاّج - لعلي ابن أنجب الساعي - تحقيق - لويس ماسنيون وبول كراوس - منشورات مطبعة العالم - بيروت - 1936. وراجع كذلك - ناجي زين الدين/ بدائع الخط العربي/ ص 476.
(2) أنظر - المواقف والمخاطبات/ للنُفري - المخاطبة/ رقم 23.

الأبرز في ثقافة الإسلام، والفن المميّز في عبقرية الأعلام، هو نقطة الفصل في الفنون[1]، وهو أداة القَسَم في «النون» هو الثابت الذي تجليه حَدقات العيون، وهو المُتحوّل إليه في نزوات الفتون، هو الوتد الذي نصبَ الأوائل عليه خِيَمِ المعارف، وهو الطنب الذي شَدَّ الأواخر بهِ صيوان التعارف، هو قُبلة الكتّاب في سَفرِ الحجيج، هو الهويّة التي تفصِحُ عن ذاتها في كُلِّ فج. هو اللسان المترجم عن ذواتِ حامليه في تفاصح الأجناس، هو العلامة التي لا تندرس في صفحة الحَجَرِ أو القرطاس. هو المعادل الموضوعي في تمايز الثقافات، والإشارة التي لا تُدانيها كل العلامات، هو القوّة في التعبير، والباعث على التماسكِ في التدوير، هو المرونة في ريشة الخطّاط، هو المطاوعة في استدارة اليد في الرسم على المرامرِ والبلاط، هو الجمال في المفردات العربية، وهو المقياس الفني في رسوم الأبجدية، هو صاحب القابلية على التشكيل هو السُنّة التي ليسَ لها تبديل، هو الظاهر والباطن في كل حروف «التنزيل» هو الآية التي ميّزت لسان العرب في سورة الحضارة ومواقع التفضيل.

هو الحقّ الذي حَصْحَصَ في عقول المستشرقين، فأشاروا له في البيان، وهو الصورة الأوضح في وجدانهم عند الكلام على معارج العرفان، هو رنين الماضي التليد، وإيقاع الحاضر المجيد، لم تتجاوزهُ حروف الطباعة كما تجاوزت غيرهُ من الحروف، وظَلَّ شامخاً في مخيلة الإبداع رغم تباعد سني المألوف، أُلّفت فيه الأبحاث الطويلة وأنشدت فيه القصائد الجليلة.

هو الباعثُ على الإلهام في «التشكيل»، وهو النقطة والسطر في لوحات الفن الجميل. تَعشِقهُ عيون الناظر، وتشرأبُّ لهُ الأعناق والنواظر، هو سيّد المساحات على الورق، وهو نبض الكلمات في ميادين القلق، هو الميل والإنسياب في زخارف العِشق، وهو الجدائل المضفورة في مُقرنصات الأفاريز، وحاملُ الكلمات المطرّزةِ بالإبريز، هوالوشمُ الذي يزيّنُ وجه الكعبة، وهو السلسال الذي يُطوّق محراب الصلاة.

هو درّةُ تاج الفنون الإسلامية، ، الذي لا يُدانيه تاجٌ آخر في مسارات الثقافة العربية.

والحرفُ. . . إنّما هو الإنسانُ ذاته.

---

(1) من المؤسف حقّاً، أن بعض مؤرخي الفن الإسلامي، يجهلون قيمة الحرف الإبداعية في الفن، فيمرّوا به مَرَّ الكرام. دون توقف دقيق يبرز أهمية بوصفهِ حامل شعلة الحضارة في الفنون الإسلامية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، لم يدرسه الأستاذ أبو صالح الألفي، بشكل دقيق، وذكرهُ عابراً في كتابه/ الفن الإسلامي/ص 102 - 104. الصادر عن دار المعارف بمصر - بدون تاريخ - والكتاب من الحجم الصغير، ويبدو أن المؤلف، ليس لهُ خبرة في الخط العربي.

## مجموعة نماذج للخط العربي بمختلف الأقلام

تُبيِّن إستخدامات الحرف العربي - كفن - في مختلف الأغراض الفنيّة والمعمارية والرسم والتشكيل، كقابلية ومطاوعة نادرة للحرف العربي.

- أغلب اللّوحات من كتاب/ حسن المسعود - الخط العربي/ ، فيما اللوحة الأخيرة من كتاب/ ناجي زين الدين - بدائع الخط العربي/ ص 230.



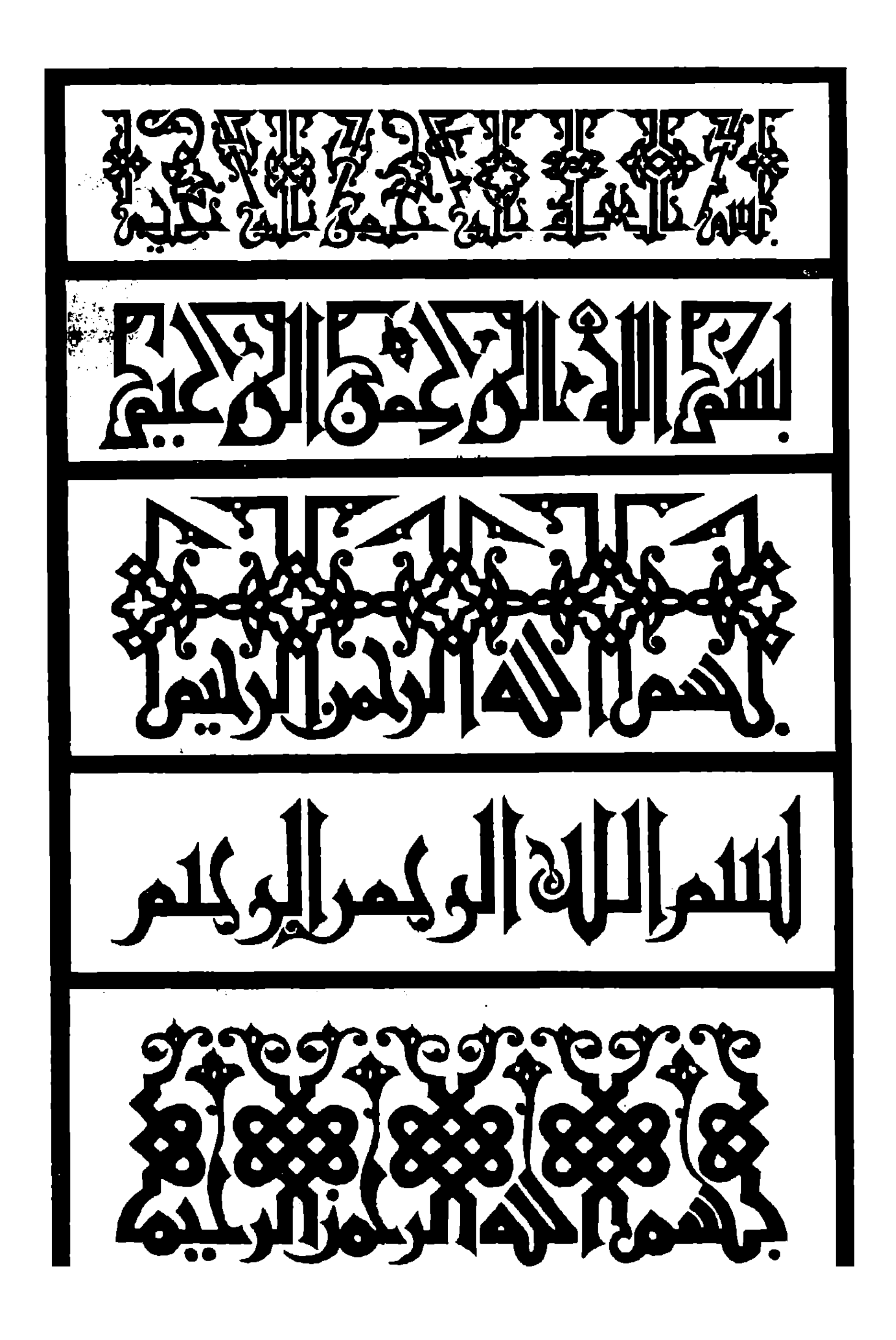

خط جلي ديواني على هيئة زورق ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م

Composition en style Jeli Diwani de Hachem, 1957.

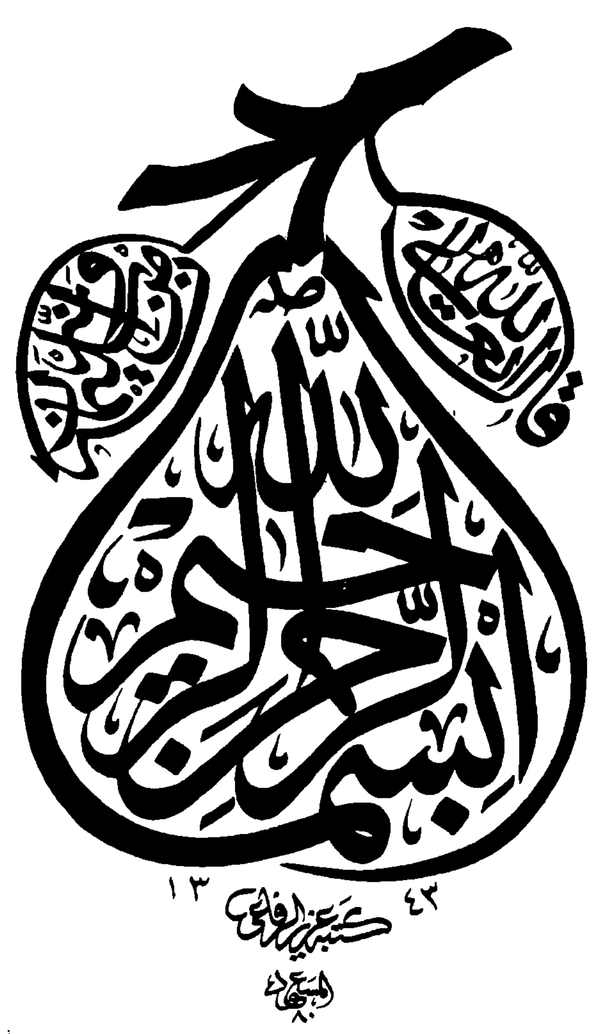



Calligraphies Thoulthi de Hachem, 1968.

خط ثلث مجموعة المؤلف ١٩٦٨م


بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم





بسملة على هيئة
إجاصة بخط الثلث
منقولة عن
لوحة للخطاط عبد العزيز الرفاعي
١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

« Au nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux. »
Relevé d'une calligraphie Thoulthi,
en forme de poire,
de Abd Al Aziz Al Rifâi, 1924

بسملة على هيئة طائر ،
منقولة عن خط للخطاط راقم ١٨٠٨

« Au nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux. »
Calligraphie sous forme d'oiseau.
D'après Raqim, 1808.



CALLIGRAPHIE ET DESSIN

Quelques calligraphes sortent des formes traditionnelles en faisant des lettres proches du dessin. D'autres poussent leur recherche afin de trouver des compositions exprimant des formes figuratives. La figuration des êtres animés est mal vue dans la société islamique, bien que le Coran ne l'interdise pas. Cela n'a pas empêché la création de miniatures peintes ou de calligraphies figuratives. Le calligraphe écrit un texte religieux, ou des noms de saints, et, par l'agencement des lettres, il représente un visage, un corps, un animal...
Le calligraphe a dessiné avec les lettres. Le peintre, lui, a aimé l'écriture, qu'il a intimement mêlée à la miniature ; souvent d'ailleurs le peintre et le calligraphe ne sont qu'une seule et même personne.
A l'époque contemporaine, certains peintres arabo-musulmans emploient encore des lettres dans leurs œuvres.

في الاعلى رسمان لاسدين عملا من الحروف . وهما منقولان عن لوحات التكيات الصوفية . والنصوص تتضمن اسم الامام علي ومديحًا له . والمعروف ان احد اسماء الامام علي هو - اسد الله -

Ces deux lions sont entièrement figurés avec des lettres. Ils ont été souvent repris par des calligraphes d'époques différentes. Le texte contient des éloges de l'imam Ali, souvent appelé le « Lion de Dieu ». Relevés de tableaux de confréries soufies.





في الاعلى
سورة الناس كُكبرت فيها حروف السين بأسلوب الثلث داخل شكل دائري يُوحي بالحَركة بينما تركت باقي الحروف داخل هذا التكوين الدائري صَغيرة وَبأسلوب كوفي ثقيل الحَرَكة.

في الاسفل
آية قرآنية كُكبرت فيها حروف الواو فقط. وبنفس طريقة اللوحة العليا.

اللوحتان من:
جامع أولو - بورصة - تركيا

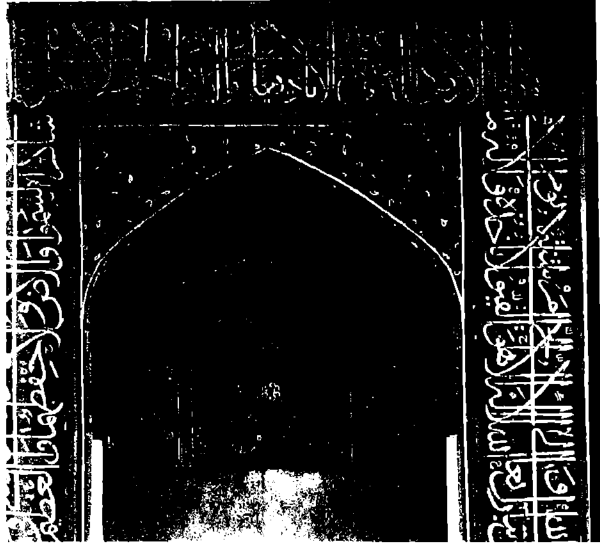
Chaque fois que dans un mot apparait la lettre Sin (س), elle est agrandie en Thoulth. Le reste de la phrase est en Koufi. Sourate des Hommes.

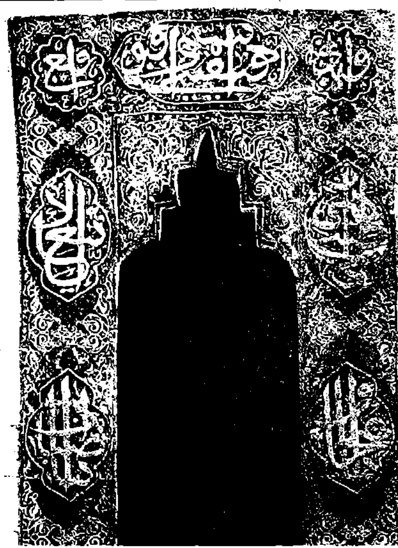
Ici c'est la lettre Waw (و) qui est agrandie.
Début de la sourate du Soleil.

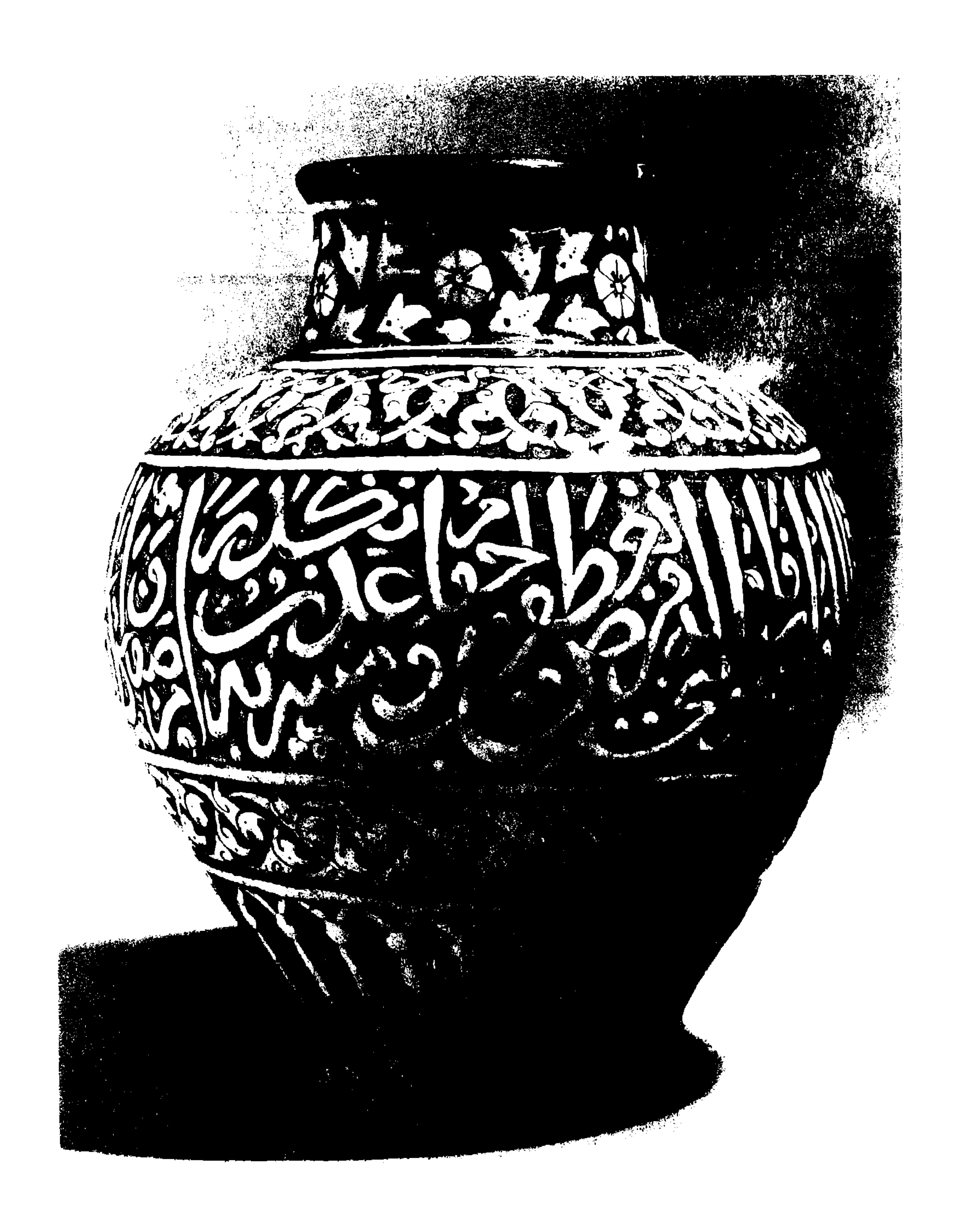
Ces deux compositions se trouvent à Ulu Jami, Bursa, Turquie



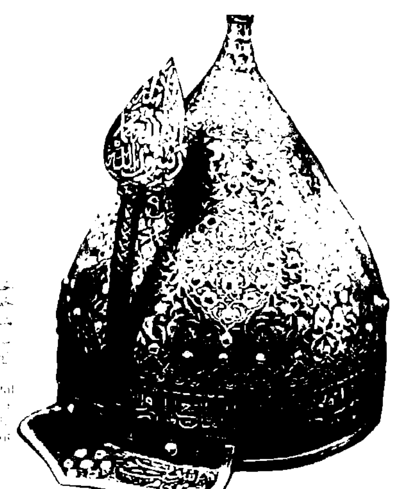












خط كوفي محفور على علبة [illegible]
[illegible]
القرن [illegible]
محفوظة في متحف اللوفر، باريس

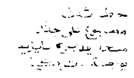
Calligraphie sculptée dans [illegible]
[illegible]
Musée du Louvre, Paris

خط على
خوذة [illegible]
متحف [illegible]
[illegible]
[illegible]

Calligraphie sur métal
Casque
Style [illegible]
Musée de [illegible], Istanbul

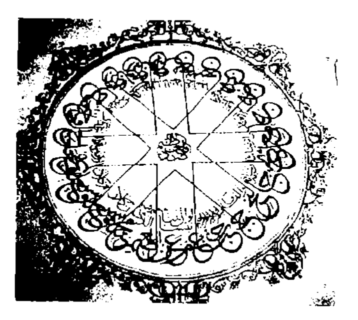
خط كوفي وثلثي [illegible]
[illegible]
[illegible]
القرن الثامن عشر الميلادي

[illegible]



خط ثلث
[illegible]
[illegible]
[illegible]

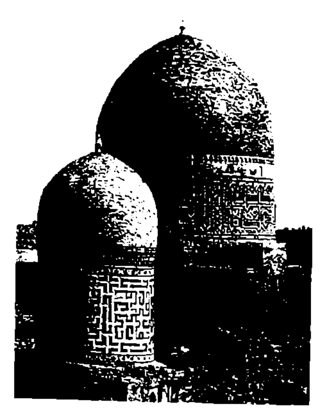
[illegible]



جزء من خط كوفي
[illegible]
[illegible]
الثاني عشر الميلادي
متحف الفنون الإسلامية
استنبول

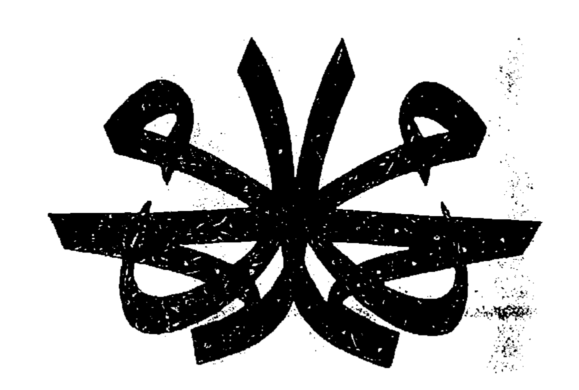
[illegible]
Musée islamique, Istanbul





خط كوفي هندسي
على طابوق مزجج
في مقبرة غازي الرومي
سمرقند، أوزبكستان
القرن الخامس عشر

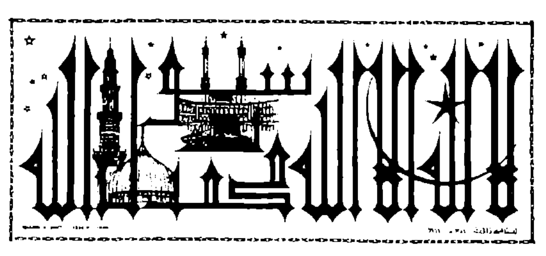
Calligraphie sur brique émaillée
style Koufi géométrique.
Mausolée de Ghazi [illegible],
Samarkand, Ouzbékistan,
[illegible]



شكل ـــ ٣٨٩ ـــ




شكل ٣٩٠



شكل ـــ ٣٩١ ـــ

## المصادر والمراجع

1 - إبن الأثير: عز الدين أبي المحاسن علي بن أبي الكرم الشيباني.

* الكامل في التاريخ - 12 جزء - منشورات دار صادر، بيروت 1385هـ/ 1965م.

2 - إبن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن بن يوسف الأتابكي.

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - 16 مجلد - طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1963م.

3 - إبن أبي الفيض: عبد القادر الحلبي.

* «المواقف الإلهية» منشورات موقع «الصوفية» www. Alsoufia. Com.

4 - إبن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي.

* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - 10 أجزاء ط1، حيدر آباد 1358هـ.

5 - إبن خلدون: عبد الرحمن بن محمد المغربي.

* مقدمة ابن خلدون - منشورات دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.

6 - إبن خلّكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر.

* وفيات الأعيان - 8 أجزاء - تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

7 - إبن الساعي: تاج الدين علي بن أنجب بن عبد الله.

* أخبار الحلاّج - تحقيق لويس ماسنيون وبول كراوس، منشورات مطبعة العلم، بيروت 1936م.

8 - إبن سحنون: آداب المتعلمين - تحقيق حسني عبد الوهاب، القاهرة، بدون تاريخ.

9 - إبن عبد ربّه: أبو عمر بن محمد الأندلسي.

* العقد الفريد - 7 أجزاء - تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1363هـ/ 1944م.

10 - إبن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا.

* الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة، تحقيق محمد توفيق الكتبي، منشورات المطبعة الرحمانية بمصر، بدون تاريخ.

11 - **إبن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق تاج الدين بن أحمد.**

* الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة. منشورات المكتبة العربية، بغداد 1351هـ وطبعة دار الفكر بيروت 1407هـ/ 1987م.

12 - **إبن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي.**

* البداية والنهاية - 14 جزءً - منشورات مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر، الرياض، سنة 1966م.

13 - **إبن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري.**

* لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، عِدّة طبعات.

14 - **إبن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق.**

* الفهرست، منشورات المطبعة الرحمانية بمصر، وطبعة لا يبزك 1872م.

15 - **أبو تمّام: حبيب بن أوس الطائي.**

* ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي - 4 أجزاء - تحقيق محمد عبده عزام منشورات دار المعارف بمصر 1964م.

16 - **أبو حيّان التوحيدي: علي بن محمد بن العبّاس.**

* رسائل التوحيدي، تحقيق د. ابراهيم الكيلاني، ط1، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بدمشق 1951م، ودار طلاس بدمشق 1985م.

17 - **أبو العلاء المعرّي: أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي.**

* ديوان سقط الزند - 4 أجزاء - طبعة القاهرة 1301هـ/ 1905م.

18 - **أبو عُمر الداني: عثمان بن سعيد.**

* المحكم في نقد المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة والارشاد السورية، دمشق 1960م.

19 - **أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي - منشورات دار المعارف بمصر - بدون تاريخ.**

20 - **أبو المُطهر الأزدي: محمد بن أحمد.**

* حكاية أبي القاسم البغدادي، بعناية آدم ميتز - طبعة هايدلبرج سنة 1902م.

21 - **إخوان الصفاء.**

* (رسائل إخوان الصفا وخلاّن الوفا) تحقيق خير الدين الزركلي، الطبعة المصرية لعام 1347هـ/ 1928م.

22 - آدم ميتز: المستشرق المعروف.

* الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - جزءان - ط3، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة القاهرة 1377هـ/ 1957م.

23 - الإسحاقي: محمد بن عبد المعطي.

* لطائف أخبار الدول فيمن تصرف بمصر من أرباب الدول.

24 - البلاذري: أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن جابر.

* فتوح البلدان، طبعة ليدن 1866م وطبعة دار النشر للجامعيين، تحقيق عبد الله أنيس الطبّاع وعمر أنيس الطبّاع لسنة 1377هـ/ 1957م.

25 - الثعالبي: أبو منصور عبد الملك النيسابوري.

* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار النهضة المصرية 1384هـ/ 1965م.

26 - الجنابي: د. ميثم.

* حكمة الروح الصوفي، منشورات دار المدى بدمشق، ط1، 2001م.

* تضاريس الإبداع في التجربة الصوفية - مقال - مجلة نزوى الفصلية العمانية، العدد 26 - ابريل - 2001م.

27 - الجبوري: سهيلة ياسين.

* الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق، بغداد 1381هـ/ 1962م.

28 - الجبوري: د. عبد الله.

* فهرست المخطوطات العربية، في مكتبة الأوقاف ببغداد.

29 - الجبوري: محمود شاكر.

* نشأة الخط العربي، منشورات مكتبة الشرق الجديد، بغداد 1974م.

30 - الجهشياري: أبو عبد الله محمد.

* الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى السقا وجماعته، ط1، طبعة البابي الحلبي، القاهرة 1357هـ/ 1938م.

31 - حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله.

* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - 6 أجزاء - مع الذيل، منشورات مكتبة المثنى ببغداد وبيروت، بدون تاريخ.

32 - حمادة: د. محمد ماهر.

* المكتبات في الإسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها، منشورات مؤسسة الرسالة، ط6 بيروت 1414هـ/ 1994م.

33 - الحموي: ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي.

* معجم الأدباء - 20 جزءاً - تحقيق أحمد فريد رفاعي، منشورات دار المأمون المصرية 1357هـ/ 1938م.

34 - الحنبلي: إبن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الدمشقي.

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب - 8 أجزاء - منشورات دار المسيرة، ط2، بيروت 1399هـ/ 1979م.

35 - الخطيب البغدادي: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي.

* تاريخ بغداد - 14 جزءاً - ط1، منشورات مطبعة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد، ومطبعة السعادة بمصر 1349هـ/ 1931م.

36 - دائرة المعارف الإسلامية - ترجمة أحمد الشنتاوي وجماعته - 20 مجلد.

37 - الدالي: د. عبد العزيز.

* الخطاطة - الكتابة العربية - طبعة القاهرة، مكتبة الخانجي 1980.

38 - الدروبي: إبراهيم.

* البغداديون، أخبارهم ومجالسهم، بغداد 1958م.

39 - دفتر صالح وآخرين:

* الخط العربي، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية بغداد 1990.

40 - الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.

* سير أعلام النبلاء - 24 جزءاً - منشورات مؤسسة الرسالة، ط1 بيروت، تحقيق شعيب الإرناؤوط وجماعته، 1403هـ/ 1983م.

41 - رضا: الشيخ أحمد.

* متن اللغة، منشورات مكتبة الحياة بيروت 1377هـ/ 1958م.

42 - الزركلي: خير الدين.

* الأعلام - 8 أجزاء كبيرة - ط5، دار العلم للملايين، بيروت 1980.

43 - الزمخشري: جار الله، أبو القاسم محمود.

* أساس البلاغة، منشورات دار الكتب المصرية، 1341هـ/ 1923م.

44 - الزبيدي: محب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي.

* حكمة الإشراق، تحقيق عبد السلام هارون - من نوادر المخطوطات المجموعة 5 - ط1، مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد 1373هـ/ 1954م.

45 - زين الدين: المهندس ناجي المصرف.

* مصوّر الخط العربي، ط2، بيروت 1394هـ/ 1974م.

2 - بدائع الخط العربي - منشورات وزارة الإعلام العراقية - بغداد 1972م.

46 - آل سعيد: شاكر حسن.

* البُعد الواحد 1 والبُعد الواحد 2، إعداد جميل حمودي بغداد 1973م.

47 - سعيد: د. خير الله.

* النظام الداخلي لحركة إخوان الصفاء، دار كنعان، دمشق 1992م.

* مغنيات بغداد في عصر الرشيد وأولاده، وزارة الثقافة السورية، دمشق 1991م.

* خطّاطو بغداد في العصر العباسي، دار النمير، دمشق 1996م.

48 - السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.

* المزهر في اللغة، الطبعة المصرية، القاهرة 1282هـ.

49 - السجستاني: أبو بكر عبد الله بن أبي داود.

* كتاب المصاحف، تحقيق آرثر جيفري، منشورات المطبعة الرحمانية بمصر، القاهرة 1936م.

50 - سهيل أنور.

* الخطّاط البغدادي، علي بن هلال، تحقيق محمد بهجت الأثري وعزيز سامي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد 1377هـ/ 1958م.

51 - السوداني: د. مزهر.

* جحظة البرمكي، حياته وشعره، طبعة النجف في العراق، ط1، 1977م.

52 - سلام مراد: حوار مع الخطاط حسن المسعود بعنوان «تجربة الخط تجربة الحياة».

* جريدة الإسبوع الأدبي، التابعة لاتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 1030 الصادر في 11/ 11/ 2006م.

53 - الشريف المرتضى: الإمام علي بن الحسين بن موسى.

* ديوان الشريف المرتضى - 3 أجزاء - بعناية وتحقيق رشيد الصفّار ومصطفى جواد ومحمد رضا الشبيبي، طبعة البابي الحلبي، القاهرة 1958م.

54 - شيخو: الأب لويس اليسوعي.

* النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، منشورات دار المشرق، ط2 بيروت 1989م.

55 - الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك.

* الوافي بالوفيات - 25 جزءاً - تحقيق هيلموت ريتر، استانبول 1931م.

56 - الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى الشطرنجي الكاتب.

* أدب الكتّاب، تحقيق بهجت الأثري، منشورات المكتبة العربية ببغداد والمطبعة السلفية بمصر 1341هـ.

57 - العبيدي: د. صلاح حسين.

* الخط العربي - مقالة - مجلة آفاق الثقافية والتراث - دُبي - العدد 43، إكتوبر 2003م.

58 - العَزّاوي: عباس.

* الأدب العربي في العراق، بغداد 1938م.

59 - عساكر، د. محمد خليل.

* رسالة صغيرة في الخط، منشورة بمجلة معهد المخطوطات العربية بمصر، العدد 1.

60 - القرآن الكريم.

61 - القفطي: الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف.

* أخبار العلماء بأخبار الحكماء. تحقيق محمد أمين الخانجي، مصر 1326 هـ.

62 - القلقشندي: الشيخ أبو العبّاس أحمد.

* صبح الأعشى في كتابة الإنشا - 13 جزءاً - طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1340هـ/ 1920م.

63 - كَحّالة: عُمر رضا.

* أعلام النساء - 5 أجزاء - طبعة محمد هاشم الكتبي، ط2 دمشق 1378هـ/ 1959م.

64 - كونل: آرنست.

* الفن الإسلامي، ترجمة د. أحمد موسى، منشورات دار صادر، بيروت 1966م.

65 - الكُردي: محمد طاهر بن عبد القادر المكّي الخطّاط.

* تاريخ الخط العربي وآدابه - ط1 القاهرة 1358هـ/ 1939م.

66 - محمود: محمد شكر.

* الخط العربي والإسلام - مقالة - مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد 6 السنة 4 شباط 1979م.

67 - مريخ: عادل عماد مسعود.

* العربية القديمة ولهجاتها، منشورات المُجمّع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2000م.

68 - مرزوق: د. محمد عبد العزيز.

* العراق مهد الفن الإسلامي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد 1971م.

69 - المسعود: الخطّاط حسن.

* الخط العربي، منشورات فلاماريون، ط1، باريس 1981م.

70 - المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري.

* أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن 1909م.

71 - معروف: د. ناجي.

* تاريخ علماء المستنصرية، بغداد 1379هـ/ 1959م.

72 - ملك أفسل: التركي.

* تركلرده ديني سملر، طبعة استنبول 1967م.

73 - النُّفري: أبو عبد الله محمد «كتاب المواقف والمخاطبات» طبعة قديمة.

74 - اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن واضح.

* فتوح البلدان، طبعة ليدن 1891م.

* مجلات وصحف ومواقع الكترونية.

75 - مجلة/ المورد/ العراقية - عدد خاص بالخط العربي، العدد رقم 4 المجلد 15 لعام 1407هـ/ 1986م.

76 - مجلة آفاق عربية - العراقية العدد/ 6 - السنة 4 - شباط 1979م.

77 - مجلة آفاق عربية - العراقية - العدد/ 11 - السنة 4 - تموز 1979م.

78 - جريدة الاسبوع الأدبي، السورية - العدد/ 1030 في 11/ 11/ 2006م.

79 - مجلة آفاق الثقافة والتراث، دُبي - العدد/ 43 - اكتوبر 2003م.

80 - موقع المصطفى الالكتروني www. Almostafa. com.

81 - موقع الصوفية www. Alsoufia. com.

82 - موقع جمالية الخط العربي www. Anglfire.com

# المصادر الأجنبية

- 83 - بالألمانية:

1. Vicher, Robert: Das optiche formmaefal reprinted in drei schrften zum as the-tischhen form problem. Hall 1927.

- ومختصره إلى الإنجليزية.

Page 25 - in Empathy form and space problems in Garmany Aesthics (1873-1893) California, Gettycenter for the history of Arts and Humanities (1994).

(نهاية الجزء الرابع - الخطّاطون)